مكتبة الدراسات القرآنية

مُعْتَرَكُ الأَقْرَانْ
فى
إِعْجَازِ القُرْآنْ

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى

تحقيق
على محمد البجاوى

القِسْمُ الأَوَّلُ

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فى منتصف القرن السابع الهجرى هجّم المغول على بغداد حاضرة الملك ، ومثابة العلم والعلماء بقيادة قائدهم هولاكو وقوّضوا صَرْح الخلافة العباسية ، وأتوا من الفظائع والمنكرات ما لا يُنْسى : قتلوا الخليفة القائم ، وأعملوا السيف فى الشعب الآمن ، وخرّبوا المدن ، وأحرقوا خزائن الكتب .

وكانت البلاد الإسلامية على حال من الضعف والاضطراب ، ولكن مصر والشام كانتا فى حَوْزَةِ المماليك ، وهم قد هيّئُوا هذه البلاد لتحمُّل الزعامة الإسلامية ، ورَفْعِ رايةِ الحركة العلمية والأدبية والدينية والسياسية ، فهُرِع العلماء إليها ، ووجدوا فيها حرماً آمناً ، وظِلّا وارفا ، وعيشا رغيداً .

وكان الظاهر بيبرس قد مدّ يده إلى الخلافة فداوَى جِراحَها ، وأقالها من عَثْرَتها ، ودعا الوارث من بنى العباس فبايعه ، ونودى فى المساجد باسمه ؛ ومن ذلك الحين أصبحت القاهرةُ قِبْلَةَ الإسلام وَمثَابةً لمسلمين .

ورأى المماليك أنه لا شىء يقربهم إلى الشعب ، ويوطّد سلطانهم إلا أن يُعظِّموا الدينَ وأهله ، ويرفعوا مِنْ قَدْرِ العِلْمِ والعلماء ، فأسَّسُوا المدارسَ ، وشجعوا العلماء ، فهُرِع إليها الألوفُ من الطلاب ، ينهون العلم من أصفى موارده ، فكانت المدرسة الصالحية ، والصلاحية ، والمؤيدية ، والظاهرية ، والناصرية ، والكاملية ، وغيرها .

وترغيبا فى العلم ، وحدَبا على أهله ، أقاموا الخوانق والرباطات ، وحبسوا عليهما المالَ والضياع وقْفا على طلبة العلم ، وترفيها عنهم .

وغُصَّت المدارس بخزائن الكتب ، ونفائس المصنَّفات ، وذخرت البلاد بالأعيان من العلماء ، والأعلام من الفضلاء ، الفقهاء والمؤرخين وأصحاب المعاجم ، ومؤلفى الموسوعات ، كالنويرى ، والسيوطى ، والسخاوى ، والمقريزى ...

وكان لمعظم العلماء فى هذا العصر ميسم خاص ؛ فالمؤرخ فقيه ، والفقيه مؤرخ ، وهما قد أخذا بنصيب من اللغة أو الحديث أو التفسير .

ولم يَثْنهم عن طلب العلم ما كان يُحيط بعصرهم من مؤثرات الظلم ، أو نزاع الأمراء والوزراء ، فصدر عنهم الجليلُ من المصنفات والكتب الجامعية لمختلف العلم ، مثل صبح الأعشى ، ونهاية الأرب ، ومسالك الأبصار ، ولسان العرب ، وأمثالها مما يشغل فى المكتبة العربية أنفس موضع وأعز مكان .

مؤلف الكتاب

فى أخريات هذه الحقبة من حياة الأمة الإسلامية ، وبين الجلة من شيوخ هذا العهد وعلمائه نشأ عالمنا جلالُ الدين السيوطى ، فتأثَّر بها وأثَّر فيها ، وكانت حياته ومصنَّفاته صورةً صادقة لها .

وخير ترجمة له ما تحدث به هو عن نفسه فى كتابه « حسن المحاضرة[1] » ؛ إذ قال :

عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان

(١) الجزء الأول ، صفحة ٣٠٣

ابن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبى الصلاح أيوب ابن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الخُضَيرى الأسيوطى .

أما جدى الأعلى همام الدين فكان من أهل الحقيقة ومن مشايخ الطريق، ومَنْ دونه كانوا من أهل الوجاهة والرياسة ، منهم من ولى الحكم ببلده ، ومنهم من ولى الحِسْبَة بها ، ومنهم مَنْ كان تاجراً فى صحبة الأمير شَيْخُون . وبنى مدرسة بأسيوط وقف عليها أوقافاً ، ومنهم من كان متمولا ، ولا أعرف منهم مَنْ خدم العلم حقّ الخدمة إلا والدى[1] .

وأما نسبتنا إلى الخضيرى فلا أعلم ما تكون هذه النسبة إلا الخُضَيْرِيّة : محلة ببغداد .

وقد حدثنى مَنْ أثق به أنه سمع والدى رحمه الله تعالى يذكر أنّ جدّه الأعلى كان أعجميا أو من الشرق ، فالظاهر أن النسبة إلى المحلة المذكورة .

وكان مولدى بعد المغرب ليلة الأحد ، مستهلّ رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، وحُمِلْتُ فى حياة أبى إلى الشيخ محمد المجذوب ، رجل من كبار الأولياء بجوار المشهد النفيسى فبارك على .

ونشأتُ يتيما، فحفظتُ القرآن ولى دون ثمانى سنين ، ثم حفظت العُمْدة ، ومنهاج الفقه ، والأصول ، وألفية ابن مالك ، وشرعت فى الاشتغال بالعلم من مستهل سنة أربع وستين فأخذت الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ ، وأخذتُ الفرائضَ عن العلامة فَرَضِيّ زمانه الشيخ شهاب الدين الشارِمْسَاحِى[2] الذى كان يقال إنه بلغ السن

---

(١) ولد بأسيوط ، واشتغل بها ، ثم تولى القضاء فيها قبل أن يرحل إلى القاهرة ، وتوفى سنة ٨٥٥ هـ .

(٢) منسوب إلى شارمساح ، قرية قريبة من دمياط .

العالية ، وجاوز المائة بكثير . والله أعلم بذلك ؛ قرأت عليه شرحه على المجموع ، وأُجزْتُ بتدريس العربية فى مستهل سنة ست وستين وثمانمائة .

وقد أَلَّفتُ فى هذه السنة ، فكان أول شىء ألفته شرح الاستعاذة والبسملة ، وأوقفت عليه شيخنا علم الدين البُلْقينى ، فكتب عليه تقريظاً ، ولازمته فى الفقه إلى أن مات .

فلازمت ولده ، وقرأت عليه من أول التدريب لوالده إلى الوكالة ، وسمعت عليه من أول الحاوى الصغير إلى العدد ، ومن أول المنهاج إلى الزكاة ، ومن أول التنبيه إلى قريب من الزكاة ؛ وقطعة من الروضة ، من باب القضاء ؛ وقطعة من تكملة شرح المنهاج للزركشى ، ومن إحياء المَوَات إلى الوصايا أو نحوها ، وأجازنى بالتدريس والإفتاء من سنة ست وسبعين وثمانمائة ، وحضر تَصدِيرى .

فلما تُوفِّى سنة ثمان وسبعين وثمانمائة لازمتُ شيخ الإسلام شرف الدين المناوى ، فقرأت عليه قطعةً من المنهاج ، وسمعته عليه فى التقسيم إلا مجالسَ فاتَتْنِى ، وسمعت دروساً من شرح البَهجة ، ومن حاشية عليها ، ومن تفسير البيضاوى .

ولازمت فى الحديث والعربية شيخنا الإمام العلامة تقى الدين الشبلى الحنفى ، فواظبته أربَعَ سنين ، وكتب لى تقريظاً على شرح ألفيّة ابن مالك ، وعلى جَمْع الجوامع فى العربية تأليفى ، وشهد لى غير مرة بالتقدم فى العلوم بلسانه وبَنَانه ، ورجع إلى قولى مجرَّداً فى حديث ؛ فإنه أورده فى حاشيته على الشفاء حديث ابن أبى الجمرا فى الإسراء ، وعزاه إلى تخريج ابن ماجه ، فاحتجتُ إلى إيراده بِسَنَدِه ، فكشفت فى ابن ماجه فلم أجده ، فمررت على الكتاب كله فلم أجده ، فاتَّهمت نظرى ، فمررت مرة ثانية فلم أجده ، فعدْتُ ثالثة فلم أجده ، ووجدته

فى معجم الصحابة لابن قانع ، فجئت إلى الشيخ وأخبرته ، فبمجرد ما سمع منى ذلك أخذ نسخته ، وأخذ القلم فضرب على ابن ماجه ، وألحق ابنَ قانع فى الحاشية ، فأعظمت ذلك ، وهِبْتُه لِعظَمِ منزلة الشيخ فى قلبى ، واحتقارى فى نفسى ، وقلت : ألا تَصْبِرُونَ لعلكم تراجعون ! فقال : لا ؛ إنما قلدت فى قولى ابن ماجه البرهان الحلبى . ولم أنفك عن الشيخ إلى أنْ مات .

ولزمت شيخنا العلامة أستاذ الوجود محيى الدين الكافيجى أربع عشرة سنة ، فأخذتُ عنه الفنون من التفسير والأصول والعربية والمعانى وغير ذلك ، وكتب لى إجازة عظيمة .

وحضرت عند الشيخ سيف الدين الحنفى دروساً عديدة فى الكشاف والتوضيح ، وحاشيته عليه ، وتلخيص المفتاح ، والعَضُد .

وشرعت فى التصنيف فى سنة ست وستين وثمانمائة ، وبلغت مؤلفاتى إلى الآن ثلاثمائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه .

وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام ، والحجاز ، واليمن ، والهند ، والمغرب ، والتكرور .

ولما حَجَجْتُ شربت من ماء زمزم لأمور ، منها أن أَصِلَ فى الفقه إلى رتبة الشيخ سراج البُلْقينى ، وفى الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر .

وعقدْت إملاء الحديث من مُسْتَهَلّ سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة .

ورُزِقتُ التبحُّر فى سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعانى ، والبيان ، والبديع ؛ على طريقة العرب والبلغاء . لا على طريقة العَجم ، وأهل الفلسفة . والذى أعتقده أن الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه

والنقول التي اطلعت عليها فيها، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي فضلا عمن دونهم ، وأما الفقه فلا أقول ذلك ، بل شيخي فيه أوسع نظراً ، وأطول باعاً .

ودون هذه السبعة في المعرفة : أصول الفقه ، والجدل ، والتصريف ، ودونها الإنشاء والترسل ، والفرائض ، ودونها القراءات — ولم آخذها عن شيخ ودونها الطب .

وأما علم الحساب ، فهو أعسر شيء علي ، وأبعده عن ذهني ، واذا نظرت في مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلًا أحمله ، وقد كملت عندي آلات الاجتهاد بحمد الله ؛ أقول ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى ، لا فخراً أو أي شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر ، وقد أزف الرحيل ، وبدا الشيب ، وذهب أطيبُ العمر . ولو شئتُ أن أكتب في كل مسألة مُصنَّفًا لها بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ، ومداركها ونُقُوضِها وأجوبتها ، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها ، لقدرتُ على ذلك من فَضْل الله ، لا بحولي ولا بقوتي ، فلاحول ولا قوة إلا بالله ، ما شاء الله لا قوة إلا بالله .

وقد كنت في مبادىء الطَّلَب قرأتُ شيئاً في علم المنطق ، ثم ألقى اللهُ كراهيتَه في قلبي ، وسمعت أنّ ابن الصلاح أفتى بتحريمه ، فتركته لذلك ، فعوضني الله تعالى عنه عِلم الحديث الذي هو أشرفُ العلوم .

أمَّا مشايخي في الراوية سماعا وإجازة فكثيرون ؛ أوردتهم في المُعجم الذي جمعْتُهم فيه ، وعدّتهم نحو مائة وخمسين ، ولم أكثر من سماع الرواية لاشتغالي بما هو أهم وهو قراءة الدراية » .

* * *

أما كتبه فقد عدّ منها فى حُسْن المحاضرة[1] ثلاثمائة كتاب (سوى ما غسله وتاب عنه) فى التفسير ، والقراءات والحديث والفقه والأجزاء المفردة ، والعربية والآداب .

وعدّ له الأستاذ برو كلمان ٤١٥ مُصَنَّفا بين مطبوع ومخطوط ، والعلامة فلو غل ٥٦٠ مصنفاً ، وذكر له الأستاذ جميل بك العظم ٥٧٦ مصنفا بين كتب كثيرة ورسائل ومقامات .

وذكره ابن إياس[2] فيمن توفّى فى عصر الغُورى ، وقال : بلغت مؤلفاته ستمائة مؤلف . وقال الشعرانى فى ذيل طبقاته : له من المؤلفات أربعمائة وستون مؤلفاً مذكورة فى فهرس كتبه[3] .

وقد طبع من هذه الكتب كثير أحْصَى[4] له الأستاذ يوسف سركيس فى معجم المطبوعات العربية ٩٢ كتاباً لعهد تأليف معجمه (١٣٣٩ هـ — ١٩١٩ م) ، وقد طبع له بعد هذا التاريخ مؤلفات أخرى .

هذا العدد الوافر فى مختلف رواياته دعا بَعْضَ الباحثين إلى الشكّ فيه واستبعاد أن يكون ذلك المقدار للسّيوطى ؛ بل إن منهم من زعم أن كثيراً من هذه الكتب إنما هى لشيوخ السيوطى نحلها نفسه بعد أن غيّر فيها قليلا ، وربما كان قد سطا على مكتبة المدرسة المحمودية[5] ، وادّعى لنفسه كثيراً من كتب أصحابها .

---

(١) حسن المحاضرة : ١ — ٣٤٠ .
(٢) تاريخ ابن إياس : ٣ — ٦٣ .
(٣) قبر السيوطى وتحقيق موضعه للعلامة أحمد تيمور صفحة ٤ .
(٤) الجزء الرابع صفحة ٦٥ .
(٥) أنشأ هذه المكتبة الأمير جمال الدين محمود بن على .

قال السخاوى فى ترجمة السيوطى فى الضوء اللامع :

واختلس حين كان يتردد إلى مما عماته كثيراً ، كالخصال الموجبة للضلال ، والأسماء النبوية ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وموت الأبناء ، وما لا أحصره ، بل أخذ من كتب المكتبة المحمودية وغيرها كثيراً من التصانيف المتقدمة التى لا عهد لكثير من العصريين بها ، فغيّر فيها يسيراً ، وقدّم وأخّر ، ونسبها لنفسه ، وهوّل فى مقدماتها بما يتوهم منه الجاهل شيئا مما لا يوفى بحقه .

والسخاوى مؤرخ كبير ، وعالم ثبت جليل ، إلا أنه كان معاصراً للسيوطى ، وبينهما من المنافسة والخصومة ما نشهده بين علماء كل عصر ، وغير هذا فإنه مشتهر بالنَّيْل ممَّنْ أرّخ لهم وتحدث عنهم ، كما فعل فى تاريخ ابن تعزى بردى صاحب النجوم الزاهرة ، وفى ترجمة أبى البقاء البدرى صاحب سحر العيون ، وتاريخ تبصرة أولى البصائر ؛ فليس من اليسير أن يقبل قوله على إطلاقه ، وقد قال فيه معاصره ابن إياس : « إنه ألّف كتاباً فيه كثير من المساوى فى حق الناس » . وجرّد السيوطى نفسه فيه رسالة أسماها : « مقام الكاوى على تاريخ السخاوى » شهّر به فيها[1] .

وليس ببعيد أن تكون نسبة هذه الكتب إلى السيوطى صحيحة ، فقد نسب المؤرخون والمترجمون إلى غيره من العلماء والأدباء قريباً من هذا العدد ، على أن الكثير من كتب السيوطى يقع فى رسائل صغيرة ، قال عنها السخاوى نفسه : « رأيت منها ما هو فى ورقة ، وأما ما هو فوق الكراسة فكثير » .

وقد رأينا له أخيراً مجموعة من الكتب بعنوان « الحاوى للفتاوى » فى الفقه

---

(١) قال فى أولها : ما ترون فى رجل ألف تاريخاً جمع فيه أكابر وأعيانا ونصب لأكلهم خوانا ، ملأه بذكر المساوى وثلب الأعراض .. مخطوطة بدار الكتب برقم ١٥١٠ .

وعلوم التفسير ، والحديث ، والأصول ، والنحو ، والإعراب ، وسائر الفنون يقع في قريب من ٧٥٠ صفحة ، ويحوى ٧٨ كتاباً مذكوراً معظمها في جملة ما ذكره السيوطي من حسن المحاضرة ، فإذا كان العدد الذى ذكره السيوطي وغيره يحوى أمثال هذه الكتب الصغيرة فليس بعيداً صحة ما نسب إليه من الكتب .

ومهما يكن من شيء ، فإن للسيوطي مؤلفات لم يتطرق الشك في صحة نسبتها إليه ؛ وهي في ذاتها تعدُّ مفخرةً من مفاخر التأليف والتصنيف ؛ منها الإتقان في علوم القرآن ، والمزهر في علوم اللغة ، ومعترك الأقران ، وهَمْع الهوامع ، والأشباه والنظائر ، وبغية الوعاة في تراجم النحاة ، وأسباب النزول ، وغير ذلك مما يجعل السيوطي في مقدمة العلماء والمصنفين .

* * *

وقد ظل السيوطي طول عمره مشتغلا بالتدريس والفُتْيا ، مُتَفَرِّغاً للعلم والتأليف ، ولم يَفُته شيء من ذلك حتى في رحلاته وأسفاره ، وفي حِلِّه وترحاله ؛ ولكنه حينما تقدمت به السن ، وأحس بالهرم والضعف هجر الإفتاء والتدريس ، واعتزل الناس في منزله بالروضة متجرداً للعبادة والتصنيف ، وألف في ذلك كتابه : « التنفيس في الاعتذار عن الفتيا والتدريس .

وقد كان رحمه الله عفيفاً كريماً ، صالحاً تقياً رشيداً ، لا يمد يده لسلطان ، ولا يقف من حاجة على باب أمير أو وزير ، قانعا برزقه من خانقاه شيخو ، لا يمدّ عَيْنَه إلى ما سواه .

رووا أن السلطان الغورى أرسل إليه مرة خصياً وألف دينار ، فَرَدّ الدنانير وأخذ الخصيّ ، وأعتقه ، وجعله خادما في الحجرة النبوية ، وقال لرسول السلطان : لا تعُدْ إلينا قط بهدية ، فإن الله أغنانا عن مثل ذلك .

وكان الأمراء والوزراء يأتون لزيارته ، ويعرضون عليه أعطياتهم وهباتهم فيردّها . قال صاحب السنا الباهر بتكميل النور السافر : ولما مات لم يتعرّض أحد فى تركته مع أن الزمن كان زمن جَوْر ، وقال السلطان الغورى : لم يقبل الشيخ منا شيئا فى حياته فلا نتعرض فى تركته .

* * *

أما تاريخ وفاته فقد ذكره الشعرانى فى ذيل طبقاته فقال : «أرسل لى ورقة مع والدى بإجازته لى بجميع مروياته ومؤلفاته ، ثم جئت إلى مصر قبيل وفاته ، واجتمعت به مرة واحدة ، فقرأت عليه بعض أحاديث من الكتب الستة ، وشيئا من المِنْهاج فى الفقه تَبَرُّكا ، ثم بعد شهر سمعت ناعيَه يَنْعَى مَوْته . فحضرتُ الصلاة عليه عند الشيخ أحمد الأباريقى بالروضة عقب صلاة الجمعة .

ومات رضى الله عنه فى سحَرَ ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة ، وكان مرضه سبعة أيام بورم شديد فى ذراعه اليسار . فقد استكمَلْ من العمر إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوما . وكان له مشهد عظيم ودُفِن بحوش قوصون خارج باب القرافة ، وقبره ظاهر وعليه قبة .

هذا الكتاب

هذا الكتاب يبحث وجوه إعجاز القرآن كما يظهر من اسمه ؛ وهو من كتب السيوطىّ القيمة التى تحيط بهذا الموضوع ، وتجمع كل ما قيل فيه .

والسيوطى يجعل — فى هذا الكتاب — للاعجاز وجوها ، فيقول : الوجه

الأول فى إعجازه . . . والوجه الثانى .بهذه الوجوه . . ويصل إلى الخامس والثلاثين . ثم ختمه بأقوال كلية وفوائد . . .

وعند ما يبدأ الحديث فى كل وجه يذكر مَنْ ألف فيه ، وأسماء الكتب التى بحثت موضوعه ، وإن كان هو ألف فيه شيئا ذكره ؛ فهو بذلك يقدم لكل وجه بمراجعه ، ويقوِّم هذه المراجع فيصفها ، ويذكر رأيه فيها .

وقارىء الكتاب يحس أن السيوطى لم يترك كتابا ألف فى موضوع الإعجاز ، وما يتصل به إلا قرأها ، واستعان بها فى كتابه ، فهو — بهذا — يعد مرجعا فى موضوعه ، محيطا بكل جوانبه ، منبها إلى أمهات مراجعه ، مشيراً إلى أفاضل المؤلفين فيه .

والسيوطى يدخل فى هذا الموضوع فى تواضع واستحياء ، فيقول[1] :

« وليس فى طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله فى كتابه ؛ فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده .

فإذا علمت عَجْزَ الخلْق عن تحصيل وجوه إعجازه ؛ فما فائدة ذكرها ؟

لكنا نذكر بعضها تطفلا على مَنْ سبق ؛ فإن كنت لا مُمْكِنْ أجول فى ميدانهم ، ولا أُعَدُّ من فرسانهم ، لعمرك إنّ داو كريم أبناء الدنيا تتحمّل مَنْ تطفّل عليه فكيف بأكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين .

وإن كانت بعض الأوجه لا تعد من إعجازه فإنما ذكرتها للاطلاع على بعض معانيه ، فيثلج له صدرك ، وتبتهج نفسك .

فإن وجدت له حلاوةً فلا تَنْسَ أخاك الغريق بدعوة أن يتفضل عليه سبحانه

(١) صفحة ١١ ، ١٢

فى دار كرامته بخلق سمع وقوة حتى يدرك به كلامه القديم ، فإنه منعه فى هذه الحياة الدنيوية لذيذ المناجاة له بسبب ذنوبه ، مصداقه قوله تعالى : سأصرفُ عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق .

. . . وحاشاك نسيان أخيك الجالب لك من أسرار كلامه تعالى ما تزيد فيه حلاوته والنظر فيه يزيدك له محبة » .

وهكذا يبدأ السيوطى كتابه ، ثم يصل إلى الوجه الخامس والثلاثين ، وهو ألفاظه المشتركة ، فيحتفل بهذا الوجه احتفالا كبيراً ، ويقول(١) :

« وهذا الوجه من أعظم إعجازه ، حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجها ، وأكثر وأقل ، ولا يوجد ذلك فى كلام البشر .

إلى أن يقول(٢) :

وقد منّ الله عليه فى جَلْب بعض ألفاظ فى هذا المعنى ، وكان هو السبب فى هذا المبنى ، فاشدُدْ بكلتا يديك على هذا الكتاب . . .

ثم يعود الى التواضع فيقول :

. . . مع أنى — علم الله — لست من فُرسان هذا الميدان ، ولا ممن يجول فى هذا الشأن ، لكنى تطفلت على المتقدمين ، رجاء أن يضمنى جميل الاحتمال معهم ، ويسعنى منه حسن التجاوز ما وسعهم .

ثم يقول — بعد أن يذكر أنه استخرجه من الكتب المطولة : وايم الله لو أراد لاستغنى به عن النظر فى غيره لكفاه ، مع أنى زدت — مع اللفظ

---

(١) صفحة ٥١٤ (٢) صفحة ١٥

المشترك — تفسير مفردات لا بد منها ، ليتم له معناه ، وأعقبت كل حرف بحروف تشاكلها من الأسماء والظروف ؛ لأن معرفة ذلك من المبهمات المطلوبة ، لاختلاف مواقعها ؛ ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها . . .

ثم يقول :

على أني ليس فيه مزية ؛ وإنما الفَضْل لمتقدمى علماء الأمة المحمدية . . . . . .فاجعله لنا شافعا مشفعا ؛ فإنى أودعت فيه فنون العلوم على تنوعها ، ومررت به على رياض التفاسير على كثرة عددها ، وختمته بأقوال كلية ، فخلصت سبائكها ، وفوائد مهمة سبكت تبرها ، وأقوال محمدية على بعض آياتها رجاء بركتها ؛ فختمته بما صح من التفسير على نبيك البشير النذير ، السراج المنير . . . » .

ومن هذا نعرف قيمة الكتاب ، وأسلوبه ، وأهدافه ، فهو كتاب في الإعجاز أوسع ما يكون إحاطة بموضوعه .

والوجه الخامس والثلاثون منه في مشترك القرآن[1] قد جمع فيه ألفاظاً من القرآن ، ورتبها على حسب حروف الهجاء ، وفسّرها ، وأحاط بمعانيها ، وأزال غموضها ، ورجع في ذلك إلى كل كتب التفسير والحديث واللغة وغيرها .

وهذا الباب وحده يشهد للمؤلف بما بذل من جهد ، وما ناله منّ كد ؛ فهو لم يقتصر فيه على تفسير المفردات تفسيراً لغويا ، بل فسر الآيات التي وردت فيها هذه الألفاظ تفسيراً يوضح معالمها ، ويزيل مشكلاتها .

وترتيب هذا الوجه على حروف المعجم ، على ترتيب المغاربة ، ولا يخفى أن المؤلف من علماء المشرق ؛ فالظاهر أن هذا الترتيب من الناسخ .

ولا بد أن نشير هنا — بمناسبة الترتيب على حروف المعجم — إلى أن

---

(١) هو معجم شامل يشرح ألفاظ القرآن وتفسيرها .

المؤلف حين يضع الكلمات فى حروفها لا يراعى ـ دائما ـ أصولها ، بل إنه كثيراً ما يضع الكلمة كما وردت فى القرآن الكريم ، من غير أن ينظر إلى هذه الأصول ؛ فهو يذكر فى حرف الهمزة — مثلا[1] :

أسلمت وجهى — أقلامهم — أركسهم

ويذكر فى حرف الفاء :

فإن الله هو موليه — فلينظر الإنسان — فلا يخاف عقباها

ويذكر فى حرف الميم :

ما ينطق عن الهوى = ما أوحى — مستقر ومستودع

وهكذا ، وكأنى به يقصد إلى الأخذ بيد قارىء القرآن أيا كان ، فيساعده على الفهم ، وحل ما يعترضه من مشكلات التفسير ، ولو أنه اتبع طريقة المعجمات فرجع بالكلمات إلى أصولها لأتعبه وأضناه ، وجره إلى مهامه قد يضل فيها سبيله ، ويعيا به جهده .

على أن هذا الصنيع قد يعجز الباحث العالم عن الوصول إلى هدفه فى البحث عن كلمة يريد معرفة معناها ، أو آية يهدف إلى الوقوف على تفسيرها .

ولهذا كان لا بد من فهرس خاص يساعد هذا ، وذلك ، لتتم الفائدة من الكتاب ، ولا يحرم أحد من الاستفادة منه ، أيا كانت ثقافته .

---

(١) صفحة ٥٣٣

اسم الكتاب

سُمّى هذا الكتاب فى المخطوطتين : معترك الأقران فى إعجاز القرآن ، وكذلك ورد اسمه فى بعض الكتب التى ترجمت للسيوطى .

وقد جاء فى صفحة ١٧٠ من المخطوطة الثانية : إعجاز القرآن ومعترك القرآن .

أما فى الإتقان[١] فقد أشار إلى هذا الكتاب ، وسماه : معترك الأقران فى مشترك القرآن[٢].

وقد اعتمدنا الاسم الأول لوروده فى المخطوطتين من غير اختلاف ، أو زيادة أو نقص .

أصول الكتاب

هذا الكتاب الذى أعاننا الله على إخراجه محققاً ، أول مرة ، له مخطوطتان فى دار الكتب المصرية :

الأولى — مصورة بالفوتوستات عن الأصل المحفوظ بخزانة الشيخ أحمد الصديق المغربى المكتوب بقلم مغربى بخط أحمد بن المستغانمى سنة ١١٠٦ هـ فى ٣٣٣ لوحة كل لوحة بها صفحتان . وباللوحة الثانية أختام وفهرس .

وهى برقم ٢٠٣٤٧ ب — تفسير .

وقد رمزنا إليها بالحرف (ا) .

---

(١) الإتقان : ١ — ٢٣ ، ٦٨ ، ٢ — ١٢١

ولعله اسم للوجه الخامس والثلاثين من هذا الكتاب .

(٢) ويظهر أنه سمى الكتاب باسم باب من أهم أبوابه ، وهو الباب (أو الوجه) الخامس والثلاثون منه .

والثانية بخط مغربى دقيق جداً ، وعلى الصفحة الأولى تملكات وتواريخ صعبت علينا قراءتها ، وعلى هامشها بعض تعليقات ، وتكتب فيها العناوين ، والآيات القرآن بالأحمر .

وهى برقم ٤٧٦ — تفسير ، وعدد صفحاتها ٦٠٥ صفحات .

وقد رمزنا إليها بالحرف (ب) .

ومما يستحق التسجيل هنا أن النسختين كلتيهما بالخط المغربى .

* * *

أما عملى فى الكتاب فقد كان مراجعة المخطوطتين ، وإثبات الخلاف بينهما إن كان ، ثم مراجعة الكتاب على الكتب التى عالجت موضوعه ، كالبرهان ، والإتقان ، وإعجاز القرآن للباقلانى ، ومراجعته على الموجود من الكتب التى أشار المؤلف إليها ، وجعلها من مراجعه ، مثل : بديع القرآن ، والتحبير ، وأحكام القرآن .

كما رجعت إلى كتب اللغة ، والنحو ، والتفسير ، والحديث ، والأدب ، ويظهر ذلك واضحا فى هوامش الكتاب ، وفى فهرس المراجع .

أما الآيات القرآنية ، وهى كثيرة منثورة فى الكتاب ، فقد أثبتّ فى الهوامش سورها ، وآياتها ، تسهيلا للباحث ، وتحقيقاً لمطابقتها للمصحف .

هذا ، وقد ذيلت كل جزء بفهرس خاص يوضح أبوابه ، ثم ختمت الكتاب بفهارس فنية منوعة توضح معالمه ، وتساعد القارىء والباحث على الإفادة منه .

* * *

هذا هو ما قمت به فى سبيل إخراج هذا الكتاب الذى بقى مخطوطاً إلى الآن لم تمتد إليه يد محقق أو طابع ، وقد وفق الله فى إخراجه على هذا الوجه الذى تراه الآن بين يديك .

فالحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

علي محمد البجاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. [يقول عبيد الله سبحانه عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين إنه أرحم الراحمين][1] : الحمد لله الذي جعل مُعجزاتِ هذه الأمّةِ عقليّةً ؛ لفَرْطِ ذكائهم ، وكمالِ أفهامهم ، وفضلِهم على مَنْ تقدَّمهم ؛ إذ معجزاتهم حِسيّة لبلادتهم ، وقلّةِ بَصيرتهم ، نحمَدُه سبحانه على قوله لرسوله[2] : «وأنزلنا إليكَ الذِّكرَ لِتُبيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إليهِمْ» ؛ وخصّه بالإعانةِ على التبليغ فلم يقدر أحدٌ[3] منهم على معارَضَتِه بعد تحدِّيهم ؛ وكانوا أفصحَ الفُصحاءِ وأبلغَ البلغاء ؛ وأمهلهم طولَ السنين فعجزوا . وقالوا[4] : «لَوْلا أُنزِلَ عَليْهِ آياتٌ مِنْ رَبِّهِ ؛ قُلْ إنَّمَا الآياتُ عِنْدَ اللهِ ، وإنَّمَا أنا نَذِيرٌ مُبِين . أوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أنَّا أنزَلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ» .

فأخبر تعالى أنّ الكتابَ آيةٌ من آياتِه قائمٌ مقامَ معجزاتِ غيره من الأنبياء لفنائها بفنائهم . وكانوا أحرصَ الناسِ على إطفاء نُورِه ، وإخفاءِ أمْرِه ؛ فلو كان في مقدرتهم معارضتُه لعدلُوا إليها تقويةً لحججهم ؛ بل عدلُوا إلى العِنادِ تارةً وإلى الاستهزاء أخرى ؛ فتارةً قالوا : ساحِر . وتارة قالوا : أساطير الأولين . كلٌّ ذلك مِنْ تحيّرِهم ؛ ثم رضُوا بتحكيم السَّيفِ في أعناقهم ، وسَبْيِ

---

(١) من ا .

(٢) النحل : ٤٤ .

(٣) ق : واحد .

(٤) العنكبوت : ٥٠ ، ٥١ .

ذَرَارِيهم ، وحُرمهم ، واستباحة أموالهم ؛ فنصب لهم الحَرْبَ ونصبوا له ، وقتل مِنْ عِلْيَتِهِمْ وأعلامهم وأعمامهم وبنى أعمامهم ؛ وهو فى ذلك يحتجُّ عليهم بأن يأتُوا بسورةٍ واحدة وآياتٍ يسيرة ؛ إذ هى أنقضُ لقوله ، وأفسدُ لأمره ، وأبلغُ فى تكذيبه ، وأسرعُ فى تفريق أتباعه مِنْ بَذْلِ نفوسهم وخروجهم من أوطانهم ، مع أنهم أشدُّ الخَلْقِ أَنَفَةً ، وأكثرُهم مفاخرة ؛ والكلامُ سيِّدُ عملهم ؛ فحين لم يجدوا حيلَةً ولا حجَّةً قالوا له : أنتَ تعرفُ مِنْ حال الأمم ما لا نَعرِفُ ؛ فلذلك يمكنُكَ ما لا يمكننا . فقال لهم : هاتوها مفتريات لتَبْكيتهم ؛ فلم يَرُمْ ذلك خطيبٌ ، ولا طمع فيه شاعر ، ولا طبع[1] منه أو تكلَّفه ، ولو تكلَّفَهُ لظهر ذلك ، ولو ظهر لوجد مَن يستجيره ويحميه ، نُصْرَةً لدينهم ؛ بل أظهر اللهُ دينَه ، وخرق العادةَ فى أسلوبِ كلامهِ وبلاغته وحلاوتهِ ، حتى التذوا بسماعه ألذَّ من أهل اللهْوِ فى لَهْوِهم ، وأبقى ذلك فيه إلى صفحات الدهر ليراها ذوو البصائر ، كما قال صلى الله عليه وسلم[2] : ما مِن الأنبياء نبيّ[3] إلّا أُعطى [من الآيات][4] ما مثْلُه آمَنَ عليه البَشَر ؛ وإنما كان الذى أوتيته وَحْياً أوْحَاه[5] إلىّ ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعاً يومَ القيامة .

فصلواتُ الله وسلامه على هذا النبيِّ الكريم الذى أدّى الأمانةَ ، ونصح أمّتَه إلى رُشدهم وهدايتهم ؛ فهو أوْلَى بالمؤمنين من أنفسهم ، ورضيَ الله تعالى عن أصحابه وأتباعِه الذين نَصَرُوهُ بأنفسهم وأموالهم .

أما بعــد فإنّ إطلاقَ السَّلَفِ رضى الله عنهم على كلامِ اللهِ أنه محفوظ فى الصُّدُور ، مقروءٌ بالألسنة ، مكتوبٌ فى المصاحف هو بطريق الحقيقة [٢]

---

(١) من طبع الدرهم والسيف وغيرهما : صاغه .
(٢) صحيح مسلم : ١٣٤ (٣) فى مسلم : من نبى
(٤) من مسلم . (٥) فى مسلم : أوحى الله إلى .

لا بطريق المجاز ؛ وليس يعنون بذلك حلول كلام الله تعالى القديم فى هـــذه الأجرام ، تعالى الله عن ذلك ؛ وإنما يريدون أنّ كلامه جلّ وعلا مذكور مدلول عليه بتلاوة اللسان ، وكلام الجنان ، وكتابة البنان ، فهو موجود فيها حقيقة وعلماً لا مدلولا ؛ لأنّ الشيء له وجودات أربع : وجود فى الأذهان ، ووجود فى الأعيان ، ووجود فى اللسان ، ووجود بالبنان ، أى بالكتابة بالأصابع ؛ فالوجودُ الأول الذات الحقيقى ، وسائر الوجودات إنما هى باعتبار الدلالة والفهم .

وبهذا تعرف أنّ التلاوة غير المتلوّ ، والقراءة غير المقروء ، والكتابة غير المكتوب ؛ لأنّ الأول من كل قسمين من هذه الأقسام حادث ، والثانى منها قديم لا نهاية له .

[إعجـــاز القرآن]

وقد أفرد علماؤنا رضىَ الله عنهم بتصنيف إعجاز القرآن ، وخاضوا فى وجوه إعجازه كثيراً ، منهم الخطابى[1] ، والرمّانى[2] ، والزّملكانىّ ، والإمام الرازى ، وابن سراقة ، والقاضى أبو بكر الباقلانى[3] . وأنهى بعضهم وجوه إعجازه إلى ثمانين .

والصواب أنه لا نهاية لوجوه إعجازه كما قال السكاكى فى المفتاح[4] : اعلم

---

(١) كتاب إعجاز القرآن للخطابى طبع فى دار التأليف سنة ١٣٧٢ هـ . وهو حمد بن محمد ابن إبراهيم البستى ولد سنة ٣١٩ ، وتوفى سنة ٣٨٨ ، وهو من أعلام الفكر الإسلامى فى القرن الرابع .

(٢) هو على بن عيسى الرمانى المعتزلى ولد سنة ٢٧٦ . ومات سنة ٣٨٤ هـ . له رسالة فى إعجاز القرآن طبعت فى دار المعارف . وله أيضاً النكت فى إعجاز القرآن طبع فى دهلى سنة ١٩٣٤ .

(٣) وكتابه إعجاز القرآن معروف مشهور .

(٤) البرهان : ١ — ٣١١ .

أن إعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه ، كاستقامة الوزن تُدرك ولا يمكن وصفها ، وكالملاحة . وكما يدرك طيبُ النغم العارض لهذا الصوت ؛ ولا يدرك تحصيله لغير ذوى الفطر السليمة إلا بإتقان علمى المعانى والبيان والتمرين فيهما .

وقال الأصبهانى فى تفسيره[1] : اعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين : أحدهما إعجاز يتعلق بنفسه . والثانى بصرف الناس عن معارضته ؛ فالأول إما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته أو بمعناه . أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذى هو اللفظ والمعنى ، فإن ألفاظه ألفاظهم ؛ قال تعالى [2] : « قُرْآنًا عَرَبِيًّا » . «[3] بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ » . ولا بمعانيه ؛ فإن كثيراً منها موجود فى الكتب المتقدمة ، قال تعالى[4] : « وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ » . وما هو فى القرآن من المعارف الإلهية وبيان المبدأ والمعاد ، والإخبار بالغيب ؛ فإعجازه ليس براجع إلى القرآن من حيث هو قرآن ؛ بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم وتعلم ، ولكون الإخبار بالغيب إخباراً بالمغيب سواء كان بهذا النظم أو بغيره مورَداً[5] بالعربية أو بلغة أخرى ، بعبارة أو إشارة ؛ فإذاً فالنظم المخصوص صورة القرآن ، واللفظ والمعنى عنصره ؛ وباختلاف الصور يختلف حكم الشىء واسمه لا بعنصره ، كالقرط والخاتم والسوار ، فإنه باختلاف صورها اختلفت أسماؤها ، لا بعنصرها الذى هو الذهب والفضة والحديد ؛ فإن الخاتم المتخذ من الذهب ومن الفضة ومن الحديد يسمى خاتماً ، وإن كان العنصر مختلفاً . وإن اتخذ خاتم وقُرْط وسوار من ذهب [illegible] أسماؤها باختلاف صورها وإن كان العنصر واحداً . قال : فظهر من هذا أن الإعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص .

---

(١) الإتقان : ٤ — ١٠ .

(٢) يوسف : ٢ .

(٣) الشعراء : ١٩٥ .

(٤) الشعراء ١٩٦ .

(٥) فى الإتقان : مؤدى .

[إعجـــاز نظمه]

وبيان كون النظم معجزاً يتوقف على بيان نظم الكلام ، ثم بيان أن هذا النظم مخالف لما عداه من النظم .

فنقول : مراتب تأليف الكلام خمس :

الأولى : ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض لتحصل الكلمات الثلاث : الاسم والفعل والحرف .

والثانية : تأليف هـذه الكلمات بعضها إلى بعض ، فتحصل الجمل المفيدة ، وهو النوع الذى يتداوله الناس جميعاً فى مخاطباتهم وقضاء حوائجهم ، ويقال له المنثور من الكلام .

والثالثة : ضم بعض [ذلك إلى بعض][1] ضمًّا له مَبَادٍ ومقاطع ، ومداخل ومخارج ؛ ويقال له المنظوم .

والرابعة : أن يعتبر فى أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ، ويقال له السجع .

والخامسة : أن يجعل له مع ذلك وزن ، ويقال له الشعر .

والمنظوم إما محاورة ، ويقال له الخطابة ، وإما مكاتبة [١٣] ويقال له الرسالة ؛ فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام ؛ ولكل من ذلك نظم مخصوص . والقرآن جامع لمحاسن الجميع على غير نظم شىء منها ؛ يدل على ذلك أنه لا يصح أن يقال له رسالة أو خطابة أو شعر أو سجع ، كما يصح أن يقال هو كلام ؛ والبليغ إذا قرع سمعه فصل بينه وبين ما عداه من النظم . ولهذا قال تعالى[2] : « وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ » ؛

---

(١) ن ا

(٢) فصلت : ٤١ ، ٤٢ .

تنبيهاً على أن تأليفه ليس على هيئة نَظْم يتعاطاه البشر ، فيمكن أن يغير بالزيادة والنقصان كحالة الكتب الأخرى .

قال : وأما الإعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته فظاهر أيضاً إذا اعتبر؛ وذلك أنه ما من صناعة كانت محمودة أو مذمومة إلا وبينها وبين قوم مناسبات خفية واتفاقات خفية[1] ، بدليل أن الواحد يؤثر حرفة من الحرف[2] فينشرح صدره بملابستها ، وتطيعه قواه فى مباشرتها ، فيقبلها بانشراح صدر ويزاولها[3] بقلبه .

فلما دعا الله أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمون فى كل واد من المعانى بسلاطة لسانهم إلى معارضة القرآن ، وعجزوا عن الإتيان بمثله ، ولم يتصدوا لمعارضته ، فلم يخف على ذوى البلاغة أن صارفاً إلهياً صرفهم عن ذلك . وأىُّ إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزوا فى الظاهر عن معارضة ، مصروفة فى الباطن عنها .

[بم يعلم إعجاز القرآن ؟]

فإن قلت : هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة أم لا ؟

فالجواب ظهور ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم يعلم [ذلك][4] ضرورة ، وكونه معجزاً يعلم بالاستدلال .

قال أبو الحسن الأشعرى : والذى نقوله إن الأعجمى لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلا استدلالا . وكذلك من ليس ببليغ . فأما البليغ الذى أحاط بمذاهب العرب وغرائب الصنعة فإنه يعلم من نفسه ضرورة عجزه وعجز غيره عن الإتيان بمثله .

فإن قلت : إنما وقع العجز فى الإنس دون الجن . فالجواب إن الجن ليسوا

---

(١) فى الاتقان : حلية .

(٢) فى ا : حرفاً من الحروف — تحريف .

(٣) فى الإتقان : بانفساح قلب .

(٤) ليس فى ا

من أهل اللسان العربى الذى جاء القرآن على أساليبه ؛ وإنما ذكروا فى قوله تعالى[1] : «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ ...» الآية تعظيما لشأنه ؛ لأن للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للأفراد ، فإذا فُرِض اجتماع الثقلين ، وظاهر بعضهم بعضا ، وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز .

وقال بعضهم : بل وقع الجن أيضاً والملائكة منويون فى الآية ؛ لأنهم لا يقدرون أيضاً على الإتيان بمثل القرآن .

وقال الكرمانى[2] فى غرائب التفسير : إنما اقتصر فى الآية على ذكر الجن والإنس ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثاً إلى الثقلين دون الملائكة .

فإن قلت : قد قال تعالى[3] : «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» . وقد وجدنا فيه اختلافاً وتفاوتا فى الفصاحة ؛ بل نجد فيه الأفصح والفصيح . والجواب أنه لو جاء القرآن على غير ذلك لكان على غير النمط المعتاد فى كلام العرب من الجمع بين الأفصح والفصيح ، فلا تتم الحجة فى الإعجاز ، فجاء على نمط كلامهم المعتاد ليتم ظهور العجز عن معارضته ولا يقولوا مثلا : أتيت بما لا قدرة لنا على جنسه ، كما لا يصح للبصير[4] أن يقول للأعمى : قد غلبتك بنظرى ؛ لأنه يقول له : إنما تتم لك الغلبة لو كنتُ قادراً على النظر ، وكان نظرى أقوى من نظرك . فأما إذا فقد أصل النظر فكيف تصح منى المعارضة .

[تنزيه القرآن عن الشعر]

وقيل : إن الحكمة فى تنزيه القرآن عن الشعر الموزون — مع أن الشعر

(١) الاسراء : ٨٨ .
(٢) هو أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى الشافعى ، يلقب تاج القراء . توفى بعد سنة ٥٠٠ (بغية الوعاة : ٣٨٧) .
(٣) النساء : ٨٢ .
(٤) فى ا : من البصير .

الموزونُ من الكلام رُتْبَته فوق رتبة غيره — أن القرآن منبع الحق ، ومجمع الصدق ، وقُصارى أمر الشاعر التخييل[1] بتصور الباطل فى صورة الحق ، والإفراط فى الإطراء ، والمبالغة فى الذم والإيذاء ، دون إظهار الحق ، وإثبات [٣ ب] الصدق ، ولهذا نزه الله نبيه صلى الله عليه وسلم عنه ؛ ولأجل شهرة الشعر بالكذب سمى أصحاب البرهان القياسات المؤدية فى أكثر الأمر إلى البطلان والكذب — شِعْرِيّة .

وقال بعض الحكماء : لم يُرَ مُتَدَيِّن صادقُ اللهجة مُفْلِق فى شعره ؛ وأما ما وُجِد فى القرآن مما صورته صورة الموزون فالجواب عنه أن ذلك لا يسمى شعراً ؛ لأن من شرط الشعر القصد ، ولو كان شعراً لكان من اتفق له فى كلامه شىء موزون شاعراً ؛ فكان الناس كلهم شعراء ؛ لأنه قل أن يخلو كلام أحد عن ذلك .

وقد ورد ذلك على الفصحاء ، فلو اعتقدوه شعراً لبادروا إلى معارضته والطعن عليه ، لأنهم كانوا أحرص شىء على ذلك ؛ وإنما يقع ذلك لبلوغ الكلام الغاية القُصْوى فى الانسجام . وقيل البيت الواحد وما كان على وزنه لا يسمى شعراً . وأقل الشعر بيتان فصاعداً . وقِيلَ الرجز لا يسمى شعراً أصلا . وقيل : أقل ما يكون من الرجز شعراً أربعة أبيات ؛ وليس ذلك فى القرآن بحال[2] .

[الاختلاف وتنزيه القرآن عنه]

قال الغزالى : الاختلاف لفظ مشترك بين معان ، وليس المراد نفى [اختلاف

---

(١) فى ب : التخيل .

(٢) فى أحكام القرآن صفحة ١٥٩٧ حديث طويل فى الشعر ، وما فى القرآن من وزن ، وهو حديث يشفى الغلة فى موضوعه ، فارجع إليه إن شئت .

الناس فيه ؛ بل نفى][1] الاختلاف عن ذات القرآن ؛ يقال : هذا كلام مختلف ؛ أى لا يشبه بعضه بعضاً ، أو لا يشبه أوله آخره[2] ، أو بعضه يدعو إلى الدين وبعضه يدعو إلى الدنيا ؛ وهو مختلف النَّظْم ؛ فبعضه على وزن الشعر وبعضه منزحف[3] ، وبعضه على أسلوب مخصوص فى الجزالة ، وبعضه على أسلوب يخالفه ؛ وكلام الله منزّه عن هذه الاختلافات ؛ فإنه على منهاج واحد فى النظم يناسب أوله آخره ، وعلى درجة واحدة فى الفصاحة ؛ فليس يشتمل على الغث والسمين ، ومسوق بمعنى واحد ؛ وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى ، وصرفهم عن الدنيا إلى الدين ، وكلام الآدميين يتطرق إليه هذه[4] الاختلافات ؛ إذ كلام الشعراء والمراسلين[5] إذا قيس عليه وُجِد فيه اختلاف فى منهج النظم ، ثم اختلافٌ فى درجات الفصاحة ، ثم فى أصل الفصاحة ، حتى يشتمل على الغَثّ والسمين ، ولا تتساوى رسالتان ولا قصيدتان ؛ بل تشتمل قصيدة على أبيات فصيحة وأبيات سخيفة ، وكذلك تشتمل القصائد والأغراض[6] على أغراض مختلفة ؛ لأن الشعراء والفصحاء فى كل واد يهيمون ؛ فتارة يمدحون الدنيا ، وتارة يذمونها ، وتارة يذمون الجُبْنَ ويسمونه ضَعْفا ، وتارة يمدحونه ويسمونه حزماً[7] ، وتارة يمدحون الشجاعة ويسمونها صرامة ، وتارة يذمونها ويسمونها تَهوراً .

ولا ينفك كلام آدمى عن هذه الاختلافات ؛ لأن منشأها اختلاف الأغراض والأحوال .

---

(١) من الإتقان .

(٢) فى الإتقان : أو لا يشبه أوله آخره فى الفصاحة ، أو هو مختلف ، أى بعضه ...

(٣) هذا بالأصول . وفى القاموس : والزحاف — ككتاب — فى الشعر : أن يسقط بين الحرفين حرف فيزحف أحدهما إلى الآخر ، والشعر مزاحف — بفتح الحاء (زحف) .

(٤) فى ا : هذا الاختلاف .

(٥) فى الإتقان : والمترسلين .

(٦) فى الإتقان : والأشعار .

(٧) هذا فى الأصول ، والإتقان .

والإنسان تختلف أحواله فتسعده الفصاحة عند انبساط الطبع وفرحه ، وتتعذر عليه عند الانقباض . وكذلك تختلف أغراضه فيميل إلى الشيء مرة ويميل عنه أخرى ، فيوجب ذلك اختلافا فى كلامه بالضرورة ، فلا يصادَفُ إنسان يتكلم فى ثلاث وعشرين سنة — وهى مدة[1] نزول القرآن — فيتكلم على غرض واحد ومنهاج واحد .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم بشراً تختلف أحواله ، فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوجدوا فيه اختلافا كثيرا .

[هل غير القرآن معجز ؟]

فإن قلت : هل يقال إن غير القرآن من كلام الله معجز ؟ كالتوراة والإنجيل ؟

فالجواب ليس شىء من ذلك معجزا فى النظم والتأليف ، وإن كان معجزا كالقرآن فيما يتضمن من الإخبار بالغيوب . وإنما لم يكن معجزا لأن الله لم يصفه بما وصف به القرآن ، ولأنا قد علمنا أنه لم يقع التحدى إليه كما وقع فى القرآن ؛ ولأن ذلك اللسان لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذى ينتهى إلى حد الإعجاز .

وقد ذكر ابن جنّى فى الخاطريات فى قوله تعالى[2] : « يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى » أن العدول عن قوله : وإما أن نلقى لترضين : أحدهما — لفظى ، وهو المزاوجة لرءوس الآى . والثانى — معنوى ، وهو أنه تعالى أراد أن يخبر عن قوة أنفس السحرة واستطالتهم على موسى ؛ فجاء عنهم باللفظ [١٤ ا] أتم وأوفى منهم[3] فى إسنادهم الفعل إليه .

---

(١) فى الإتقان : وهى مدة ... (٢) طه : ٦٥ .
(٣) فى الاتقان : منه .

ثم أورد سؤالا ؛ وهو أنا نعلم أن السحرة لم يكونوا أهل لسان ؛ فنذهب بهم هذا المذهب من صنعة الكلام .

وأجاب بأن جميع ما ورد فى القرآن حكاية عن غير أهل اللسان من القرون الخالية إنما هو معرَّب عن معانيهم ، وليس هو بحقيقة ألفاظهم . ولهذا لا يشك أن قوله تعالى[1] : «قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ» — إن هذه الفصاحة لم تجر على لغة العجم .

[موضع الإعجاز من القرآن]

قال أبو حيان التوحيدى[2] : سُئل بُندار[3] الفارسى عن موضع الإعجاز من القرآن[4] . فقال : هذه مسألة فيها حَيْف على المعنى ؛ وذلك أنه شبيه بقولك[5] موضع الإنسان من الإنسان ، فليس للإنسان موضع من الإنسان ، بل متى أشرت إلى جملته فقدت[6] حقيقته ودللت على ذاته ؛ كذلك القرآن لشرفه لا يُشار إلى شىء منه إلا وكان ذلك المعنى آية فى نفسه ومعجزة لمحاوله ، وأهدى[7] لقائله ؛ وليس فى طاقة البشر الإحاطةُ بأغراض الله فى كتابه ؛ فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده .

[فائدة ذكر وجوه الإعجاز]

فإذا علمت عَجْزَ الخلق عن تحصيل وجوه إعجازه فما فائدة ذكرها ؟ لكنا نذكر بعضها تطفلا على من سبق ، فإن كنتُ لا ممن أجول فى ميدانهم ، ولا أُعَدّ

---

(١) طه : ٦٣ . (٢) البرهان : ١ — ١٠٠ . (٣) فى ب : أبو بندار .

(٤) فى البرهان : لم أسمع كلاماً ألصق بالقلب ، وأعلق بالنفس من فصل تكلم به .

(٥) فى البرهان : ما وضع . (٦) فى البرهان : فقد حققته .

(٧) فى البرهان : وهدى .

من فرسانهم لَعَمْرُكَ إن دار كريم أبناء الدنيا تتحمل من تطفّل عليه فكيف بأكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ؟ وإن كانت بعض الأوجه لا تعد من إعجازه فإنما ذكرتها للاطلاع على بعض معانيه ، فيثلج[١] له صدرك ، وتبتهج نفسك . فإن وجدت له حلاوة فلا تنس أخاك الفريق بدعوة أن يتفضل عليه سبحانه فى دار كرامته بخلق سَمْعٍ وقوة حتى يدرك به كلامه القديم ، فإنه منعه فى هذه الحياة الدنيوية لذيذَ المناجاة له بسبب ذنوبه ، مصداقه قوله تعالى[٢] : « سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ » .

وانظر إلى ما صح عن كليمه موسى عليه السلام أنه كان يسد أذنيه لئلا يسمع كلام الخلق ، إذ صار عنده كأشد ما يكون من أصوات البهائم المنكرة ، حتى لم يكن يستطيع سماعه بِحِدْثان[٣] ما ذاق من اللذات التى لا يحاط بها ولا تكيَّف عند سماع كلام من ليس كمثله شىء جل وعلا .

ولولا أنه سبحانه يغيّبه عما ذاق عند مناجاته مما لا يقدر على وصفه لما أمكن أن يأنس إلى شىء من المخلوقات أبدا ، ولما انتفع به أحد ، فسبحانه من لطيف ، ما أوسع كرمه وأعظم جلاله !

ومن أعجب الأمر فى هذا عدم ذوبان اللذات وتلاشيها حتى تصير عدماً محضاً عند اطلاعها من ذى الجلال عما اطلعت عليه ، لولا أنه أثبتها وأمسكها ، يشهد لهذا ما صح عن ابن الأسمر — وكان من الأبدال[٤] — أنه رأى مرة فى نومه حوراء كلمته فبقى نحو شهرين أو ثلاثة لا يستطيع أن يسمع كلاما إلا تقيأه .

---

(١) الثلج كنصر وفرح . (٢) الأعراف : ١٤٦ .

(٣) حدثان الأمر — بالكسر : أوله (القاموس) .

(٤) فى القاموس : الأبدال قوم بهم يقيم الله عز وجل الأرض ، لا يموت أحدهم إلا قام مقامه آخر من سائر الناس (بدله) .

فانظر هذا الأمر كيف صار كلامُ الناس بالنسبة إلى كلام الحوراء الذى هو من جنس كلامهم أدنى وأقبح من صوت الحمير والكلاب بالنسبة إلى كلام الناس ؛ إذ لا تجد من يتقيأ من سماع صوت الحمير أو الكلاب، ولو سمعته إثر سماعك أفصح كلام وأعذبه ، فكيف نسبة كلام الخلق إلى كلام الخالق الذى جلّ عن المثل فى ذاته وصفاته وأفعاله .

وقال أيضا رضى الله عنه : دخلت مسجد نبىء بالإسكندرية بالديماس[1] ، فوجدت النبىء المدفون هناك قائما يصلى ، عليه عباءة مخططة ، قال : تقدم فصل . قلت له : تقدم أنت فصل . قال : إنكم من أمة نبىء لا ينبغى لنا التقدم عليه . قال : قلت له : بحق هذا النبىء — وقد وضع فه على فى إجـــلالا للفظه التى كى لا تبرز فى الهواء . قال : فتقدمت وصليت .

فانظر إلى هذا المصاب الحالّ بنا فى عدم احترامنا لذكر هذا الرسول والكتاب المنزل عليه ، فقف به على قدم الاعتذار ، واكشف رأس التجبّر والاستكبار ، وناد بلسان الاضطرار[2]: « رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » لعلك تسمع كلامه إذ تشفعتَ إليه بكلامى فأنت من المقبولين ، وتنال بذلك الفوز مع الذين أنعم الله عليهم [٤ ب] من النبيين والصديقين ، وحاشاك نسيان أخيك الجالب لك من أسرار كلامه تعالى ما تزيد فيه حلاوته والنظر فيه يزيدك له محبة .

---

(١) فى ا : بالديماس !　　(٢) الأعراف ٢٣ .

الوجه الأول من وجوه إعجازه

[العلوم المستنبطة منه]

وكيف لا وقد احتوى على علوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ، ولا أحاط بعلمها أحد في كلمات قليلة وأحرف معدودة. قال تعالى[1] : «ما فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ » . وقال[2] : « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ». وقال صلى الله عليه وسلم : ستكون فتن. قيل : وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم . أخرجه الترمذي وغيره .

وأخرج سعيد بن منصور، عن ابن مسعود، قال : من أراد العلم فعليه بالقرآن ؛ فإن فيه علم الأولين[3] والآخرين .

قال البيهقي[4] : يعني أصول العلم

وأخرج البيهقي عن الحسن ، قال : أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب ، أودع علومها أربعة منها : التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والفرقان ؛ ثم أودع علوم الثلاثة في الفرقان .

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه : جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة ، وجميع السنة شرح للقرآن .

وقال أيضا : جميع ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن .

---

(١) الأنعام : ٣٨ . (٢) النحل : ٨٩ .

(٣) في الإتقان : خبر

(٤) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي ، صاحب كتاب السنن ، ودلائل النبوة ، وغيرهما . توفي سنة ٤٥٨ (طبقات الشافعية : ٣ — ٣).

ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم : إنى لا أُحِلّ إلا ما أحلّ الله فى كتابه ، ولا أُحَرِّم إلا ما حرم الله فى كتابه . أخرجه بهذا اللفظ الشافعى فى الأم .

وقال سعيد بن جُبَيْر : ما بلغنى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه إلا وجدتُ مِصْداقة فى كتاب الله .

وقال ابن مسعود : إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله . أخرجهما ابن أبى حاتم .

وقال الشافعى أيضا : لَيْسَتْ تَنْزِلُ بأحد فى الدين نازلة إلا وفى كتاب الله الدليلُ على سبيل الهدى فيها .

فإن قيل : من الأحكام ما ثبت ابتداء بالسنة ؟ قلنا : ذلك مأخوذ من كتاب الله فى الحقيقة ؛ لأن كتاب الله أوجب علينا اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفرض علينا الأخذ بقوله .

وقال الشافعى مرة بمكة : سَلُونى عما شئتم أخبركم عنه من كتاب الله . فقيل له : ما تقول فى المُحْرِم يقتل الزّنْبُور ؟ فقال : بسم الله الرحمن الرحيم[1] ، « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » .

وحدثنا سفيان بن عُيينة عن عبد الملك بن عُمير ، عن رِبْعِىّ بن حِرَاش[2] ، عن حُذيفة بن اليمان عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : اقتدوا بالذين من بعدى : أبو بكر وعمر .

وحدثنا سفيان عن مِسْعَر بن كِدَام ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، عن عمر بن الخطاب — أنه أمر بقتل المحرم الزنبور .

---

(١) الحشر : ٧ .

(٢) بحاء مهملة مكسورة وراء مفتوحة وشين معجمة (الإكمال ١ — ١٩٧) .

وأخرج البخارى عن ابن مسعود أنه قال[١]: لعن الله الواشمة والمستوشمة، والمتنمّصات والمتفلّجات[٢] للحسن، للمغيّرات خلق الله. فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد[٣]، فقالت له: بلغنى أنك لعنت كيتَ وكيت! فقال: ومالى لا ألعن مَنْ لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى كتاب الله؟ فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدتُ فيه ما تقول. قال: إن كنت قرأتيه فقد وجدتيه. أما قرأت[٤]: «وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا». قالت: بلى. قال: فإنه قد نهى عنه.

وحكى ابن سُراقة فى كتاب الإعجاز عن أبى بكر بن مجاهد — أنه قال: ما شىء فى العالم إلا وهو فى كتاب الله عز وجل؛ فقيل[٥]: فأين ذكر الخانات؟ قال فى قوله عز وجل[٦]: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُم». فهى الخانات. وقال ابن بُرَّجان[٧]: ما قال النبى صلى الله عليه وسلم من شىء فهو فى القرآن أو فيه أصله قَرُب أو بعد، فَهِمَهُ مَنْ فَهِمَهُ، وعَمِيَ عنه من عمى[٨]، وكذا كل ما حكم أو قضى به، وإنما يدركه الطالب من ذلك بقدر اجتهاده وبذل وسعه ومقدار فهمه.

---

(١) صحيح مسلم: ١٦٧٨.

(٢) الواشمة: فاعلة الوشم. والطالبة للوشم مستوشمة. والنامصة: التى تزيل الشعر من الوجه. والمتنمصة: هى التى تطلب فعل ذلك بها. والمتفلجات المراد مفلجات الأسنان بأن تبرد ما بين أسنانها الثنايا والرباعيات، وهو من الفلج، وتفعل ذلك العجوز ومن قاربتها فى السن إظهاراً للصغر وحسن الأسنان.

(٣) فى مسلم: يقال لها أم يعقوب.

(٤) الحشر: ٧.

(٥) فى ا: فقال.

(٦) النور: ٢٩.

(٧) فى ا: جرجان، وفى الإتقان: برهان — تصحيف، وهو عبد السلام بن عبد الرحمن أحد أئمة اللغة والنحو فى زمانه توفى سنة ٦٢٧ (بغية الوعاة ٣٠٦).

(٨) فى ا: وعمه عنه من عمه. والعمه محركة: التردد فى الضلال والتحير فى منازعة أو طريق، أو ألا يعرف الحجة

وقال غيره : ما من شيء إلا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله ، حتى إن بعضهم استنبط عُمْر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين سنة من قوله في سورة المنافقين[١] : « ولَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إذَا جَاءَ أَجَلُهَا » . فإنهـا رأس ثلاث[٢] وستين سورة وأعقبها بالتغابن[٣] في فقده .

وقال ابن أبي الفضل المرسي[٤] : جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علماً حقيقة إلا واهبها والمتكلم بها ، ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا ما استأثر به سبحانه [١٥] ؛ ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم ، مثل الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، حتى قال : لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله .

[استنباط العلوم منه]

ثم ورث عنهم التابعون بإحسان ، ثم تقاصرت الهمم ، وفترت العزائم ، وتضاءل أهل العلم ... [illegible] عن حمل ما حمله[٥] الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه ، فنوعوا[٦] علومه ، وقامت كل طائفة بفن من فنونه ، فاعتنى قوم بضبط لغاته ، وتحرير كلماته ، ومعرفة مخارج حروفه ، وعد[٧] كلماته وآياته وسوره ، وأحزابه ، وأنصافه وأرباعه ، وعـــدد سجداته ، والتعليم عند كل عشر آيات إلى غير ذلك ؛ من حصر الكلمات المتشابهة ، والآيات المتماثلة ، من غير تعرض لمعانيه ، ولا تدبر لما أودع فيه ، فسموا القراء .

---

(١) آية ١١

(٢) في ا : فإنه ثلاث .

(٣) في الإتقان : وأعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده . وسورة المنافقون هي السورة الثالثة والستون ، وسورة التغابن جاءت بعدها .

(٤) في تفسيره (الإتقان : ١٢٦) .

(٥) في ا : عن حمل ما أحله ...

(٦) في ب : فبدءوا .

(٧) في ا : وعدد . وفي الاتقان : وعددها .

واعتنى النحاةُ بالمعرب منه والمبنى من الأسماء والأفعال ، والحروف العاملة وغيرها ، وأوسعوا الكلام فى الأسماء وتوابعها ، وضروب الأفعال واللازم والمتعدى ، ورسوم خط الكلمات ، وجميع ما تعلق به ؛ حتى إن بعضهم أعرب مشكله ، وبعضهم أعربه كلمة كلمة .

واعتنى المفسرون بألفاظه ، فوجدوا منه لفظاً يدل على معنى واحد ، ولفظاً يدل على معنيين ، ولفظاً يدل على أكثر ، فأجروا الأول على حُكمه ، وأوضحوا معنى الخفى منه ، وخاضوا فى ترجيح أحد محتملات ذى المعنيين والمعانى ، وأعمل كلٌّ فكره ، وقال بمقتضى نظره .

واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية ، والشواهد الأصلية والنظرية ؛ مثل قوله[1] : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا » . إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة ؛ فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله ووجوده ، وقِدَمه ، وبقائه ، وقدرته وعلمه ، وتنزيهه عما لا يليق به ؛ وسموا هذا العلم بأصول الدين .

وتأملت[2] طائفة منهم معانى خطابه ، فرأت منها ما يقتضى العموم ، ومنها ما يقتضى الخصوص إلى غير ذلك ؛ فاستنبطوا منها أحكام اللغات من الحقيقة والمجاز ، وتكلموا فى التخصيص والإخبار ، والنص والظاهر والمجمل ، والمحكم والمتشابه ، والأمر والنهى ، والنسخ ، إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة ، واستصحاب الحال والاستقراء ، وسموا هذا الفن أصول الفقه .

وأحكمت طائفة صحيحَ النظر وصادقَ الفكر فيما فيه من الحلال والحرام ، وسائر الأحكام ؛ فأسسوا[3] أصوله ، وفرّعوا فروعه ، وبسطوا القول فى ذلك بسطاً حسناً ؛ وسموه بعلم الفروع وبالفقه أيضا .

---

(١) الأنبياء : ٢٢ (٢) فى ب : ونالت . وفى ا : وتناولت .
(٣) فى ب . فاستثبتوا .

وتَلَمَّحَتْ طائفة ما فيه من قصص القرون السابقة والأمم الخالية ، ونقلوا أخبارهم . ودوّنوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الأشياء ، وسموا ذلك بالتاريخ والقصص .

وتنبه آخرون لما فيه من الحِكم والأمثال والمواعظ التي تقلقل قلوب الرجال، وتكاد تدكدك الجبال ؛ فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد ، والتحذير والتبشير، وذِكْر الموت والمَعَاد ، والنشر والحشر ، والحساب والعقاب ، والجنة والنار ، فصولا من المواعظ ، وأصولا من الزواجر ؛ فسموا بذلك الخطباء والوعاظ .

واستَنْبط قوم مما فيه من أصول التعبير مثلَ ما ورد فى قصة يوسف فى البقرات السِّمَان . وفى منامى صاحبى السِّجن ، وفى رؤياه الشمس والقمر والنجوم ساجدة ؛ وسموه تعبير الرؤيا ، واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب[١] ؛ فإن عزّ عليهم إخراجُها منه فمن السنة التي هى شارحة للكتاب ؛ فإن عسر فمِنَ الحِكَم والأمثال، ثم نظروا إلى اصطلاح[٢] العوام فى مخاطباتهم وعُرْف عاداتهم الذى أشار إليه القرآن بقوله[٣] : « وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ » .

وأخذ قوم ما فى آية المواريث من ذكر السِّهَام وأربابها وغير ذلك ، وسموه علم الفرائض ، واستنبطوا منها من ذكر النصف والثلث والربع والسدس والثُّمن حسابَ الفرائض ومسائل العَوْل ، واستخرجوا منه أحكام الوصايا .

ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالة على الحِكَم الباهرة ، فى الليل والنهار، والشمس والقمر ومنازله ، والنجوم والبروج ، وغير ذلك ؛ فاستخرجوا منه علم المواقيت .

---

(١) فى ب : الكتب .
(٢) فى ا : إصلاح .
(٣) الأعراف : ١٩٩

ونظر الكتابُ والشعراءُ إلى ما فيه من جزالة اللفظ ، وبديع النظم ، وحُسْن السياق ، والمبادى [٥ ب] والمقاطع ، والمخالص ، والتلوين فى الخطاب ، والإطناب والإيجاز ، وغير ذلك ؛ فاستنبطوا منه المعانى والبيان والبديع .

ونظر فيه أربابُ الإشارات وأصحاب الحقيقة فلاح لهم من ألفاظه معان ودقائق جعلوا لها أعلامًا اصطلحوا عليها ، مثل الفناء والبقاء والحضور ، والخوف ، والهيبة ، والأنس والوحشة ، والقبض والبسط ، وما أشبه ذلك — [1] هذه الفنون التى أخذتها الملة الإسلامية منه .

وقد احتوى على علومٍ أُخَر من علوم الأوائل ، مثل الطب ، والجدل ، والهيئة ، والهندسة ، والجبر ، والمقابلة ، والنجامة ، وغير ذلك .

أما الطبُّ فداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة ؛ وذلك إنما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة . وقد جمع ذلك فى آية واحدة ، وهى قوله[2]: « وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا » .

وعرّفنا فيه بما يفيد نظام الصحة بعد اختلاله ، وحدوثَ الشفاء للبدن بعد اعتلاله فى قوله[3] : « شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ » . ثم زاد على طب الأجساد طبَّ القلوب وشفاء الصدور .

وأما الهيئة ففى تضاعيف سوره من الآيات التى ذكر فيها ملكوت السموات والأرض وما بثّ فيها فى العالم العلوى والسفلى من المخلوقات .

وأما الهندسة ففى قوله[4] : « انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ . . . » الآية .

---

(١) هى كذلك فى الأصول ، والاتقان . (٢) الفرقان : ٦٧
(٣) النحل : ٦٩ (٤) المرسلات : ٣٠

وأما الجدَل فقد حوت آياته من البراهين والمقدمات والنتائج ، والقول بالموجب والمعارضــة ، وغير ذلك ، شيئاً كثيراً . ومناظرة[1] إبراهيم نُمْرُود ومحاجّته قومه أصل فى ذلك عظيم .

وأما الجَبْر والمقابلة فقد قيل : إن أوائل السور فيها ذكر مُدَد وأيام وأعوام لتواريخ أمم سالفة ، وإن فيها تاريخ بقاء[2] هذه الأمة ، وتاريخ مدة الدنيا ، وما مضى، وما بقى ، مضروب بعضها فى بعض .

وأما النِّجامة ففى قوله[3] : « أو أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ » . وقد فسره بذلك ابن عباس .

وفيه أصول الصنائع وأسماء الآلات[4] التى تدعو الضرورة إليها ؛ كالحياطة فى قوله[5] : « وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عليهما » . والحِدَادة[6]: «آتُونى زُبَرَ الحديد» . « وَأَلَنَّا[7] لَهُ الْحَدِيد » . والبناء فى آيات . والنِّجارة[8] : « وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا » . والغَزْل[9] : « نَقَضَتْ غَزْلَهَا» . والنسج[10]: « كَمَثَلِ العَنْــكَبُوت اتَّخَذَتْ بَيْتًا » . والفِلَاحة[11] : « أفرأيْتُمْ ما تَحْرُثُون ...» الآيات . والصيد فى آيات . والغَوْص[12] : «كلَّ[13] بنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ » [14] « وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا » . والصياغة[15] : « واتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِم عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ » . والزِّجاجة[16] : « صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِير » . «[17] مِصْبَاحُ المِصْبَاحُ فِى زُجَاجة » . والفخارة[18] : « فَأَوْقِدْ

(١) الآية ٢٥٨ ، والآية ٢٦٠ من سورة البقرة .
(٢) فى ا : وإن فيها بقاء تاريخ (٣) الأحقاف : ٤
(٤) فى ا : الآيات (٥) الأعراف : ٢٢ ، طه : ١٢١ (٦) الكهف : ٩٦
(٧) سبأ : ١٠ (٨) هود : ٣٧ (٩) النحل : ٩٢
(١٠) العنكبوت : ٤١ (١١) الواقعة : ٦٣ (١٢) فى ب : والعوم .
(١٣) ص : ٣٧ (١٤) النحل : ١٤ (١٥) الأعراف : ٤٨
(١٦) النحل : ٤٤ (١٧) النور : ٣٥ (١٨) القصص : ٣٨

لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطين » . والملاحة [1] : « أما السفينة . . . » الآية . والكتابة [2] : « علَّم بالقلم » . والخبز [3] : « أحمِلُ فَوْقَ رَأسي خبزاً » . والطبخ [4] : « بِعِجْلٍ حنيذ » . والغسل [5] : « وثيابك فَطَهِّرْ » . والقصارة [6] : « قال الحواريون » ؛ وهم القصَّارُون . والجزارة [7] : « إلا ما ذَكَّيْتُمْ » . والبيع والشراء في آيات . والصبغ [8] : « صِبْغَةَ اللهِ » . [9] « جُدَدٌ بِيضٌ وحُمْرٌ » . والحجارة [10] : « وتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بيوتاً » ، والكيالة والوزن في آيات . والرَّمْي [11] : « وما رمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ » . « [12] وأعِدُّوا لهم ما استطعْتُمْ مِنْ قوة » .

وفيه من أسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات ، وجميع ما وقع ويقع في الكائنات ما يحقق معنى قوله تعالى [13] : « ما فَرَّطْنَا في الكتاب مِنْ شيء » . انتهى من كتاب المرسي ملخصا .

وقال ابن سراقة في [14] وجوه إعجاز القرآن : ما ذكر الله فيه من أعداد الحساب والجمع والقسمة والضرب ، والموافقة والتأليف ، والمناسبة والتصنيف ، والمضاعفة ، ليعلم بذلك أهلُ العلم بالحساب أنه صلى الله عليه وسلم صادق في قوله : إن القرآن ليس من عنده ؛ إذ لم يكن ممن خالط الفلاسفة [١٦] ولا تَلَقَّى أَهْلَ الحساب وأهلَ الهندسة .

وقال الراغب : إن الله تعالى كما جعل نبوة النبيين بنبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم مختتمة وشرائعهم [15] بشرعته من وجه مُنْتَسِخة ، ومن وجهٍ متممة مكملة

---

(١) الكهف : ٧٩ (٢) العلق : ٤ (٣) يوسف : ٣٦ (٤) هود : ٦٩ (٥) المدثر : ٤ (٦) آل عمران : ٥٢ (٧) المائدة : ٤ (٨) البقرة : ١٣٨ (٩) فاطر : ٢٧ (١٠) الأعراف : ٧٤ ، الشعراء : ١٤٩ (١١) الأنفال : ١٧ (١٢) الأنفال : ٦٠ (١٣) الأنعام : ٣٨

(١٤) في الاتقان : من بعض وجوه الإعجاز ، والمثبت في ا ، ب .

(١٥) في ا ، ب : وشرائعه .

جعل كتابه المنزل عليه متضمنا لثمرة كتبه التى أولها : أولئك على هُدًى من ربهم وأولئك هم المفلحون . وقوله[1] : « يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً فيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ » .

وجعل من معجزة هذا الكتاب أنه — مع قلة الحجم — متضمن للمعنى الجم ، بحيث تقصر الألباب البشرية عن إحصائه ، والآلات الدنيوية عن استيفائه ، كما نبه عليه بقوله[2]: «ولوَ أنَّ ما فى الأرْضِ مِنْ شجرةٍ أقْلَامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كلماتُ الله» . فهو وإن كان لا يخلو الناظر فيه من نور ما يوريه و نَفْح ما يوليه[3]:

كالبَدْرِ من حيث التفتَّ رَأَيْتَه ... يُهْدِى إلى عينيك نوراً ثاقبا
كالشمس فى كَبِد السماءِ وضوءُها ... يَغْشَى البلاد مشارقا ومغاربا

وأخرج أبو نعيم وغيره عن عبد الرحمن بن زياد بن أَنْعُم[4] ، قال : قيل لموسى عليه السلام : يا موسى ، إنما مثل كتاب أحمد فى الكتب المنزلة بمنزلة وعاءٍ فيه لبن كلما مَخَضْتَهَ أخرجت زُبْدته .

[علوم القرآن]

وقال القاضى أبو بكر بن العربى فى قانون التأويل : علوم القرآن خمسون علماً وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم ، على عدد كَلِم القرآن مضروبة فى أربعة ؛ إذ لكل كلمة ظَهْر وبطن ، وحد ومقطع . وهذا مطلق دون اعتبار تركيب وما بينهما من روابط ؛ وهذا مما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله . وأمُّ علوم

(١) البينة : ٢ (٢) لقمان : ٢٧
(٣) البيتان للمتنبى فى ديوانه : ١ — ١٣٠
(٤) بفتح أوله وسكون النون وضم العين (التقريب) .

القرآن ثلاثة[1] : توحيد. وتذكير . وأحكام . فالتوحيد يدخل فيه معرفة المخلوقات، ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله . والتذكير منه الوعد والوعيد ، والجنة والنار ، وتصفية الظاهر والباطن . والأحكام منها التكاليف كلها ، وتبيين المنافع والمضار ، والأمر والنهى والندب ؛ ولذلك كانت الفاتحة أم القرآن ؛ لأن فيها الأقسام الثلاثة . وسورة الإخلاص ثلثه ؛ لاشتمالها على أحد الأقسام الثلاثة ، وهو التوحيد .

[أحكام القرآن]

قال الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام فى كتاب « الإمام فى أدلة الأحكام » : معظمُ آى القرآن لا تخلو عن أحكام مشتملة على آداب حسنة وأخلاق جميلة .

ثم من الآيات ما صرح فيها بالأحكام ، ومنها ما يؤخذ بطريق الاستنباط إما بلا ضمّ إلى آية أخرى ، كاستنباط صحة أنكحة الكفار من قوله[2] : « وامرأتُه حَمَّالَةَ الحَطَب » . وصحة صوم الجُنب من قوله[3] : « فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ . . . » إلى قوله : « حتى يتبيَّنَ لكم الخَيْطُ ... » الآية ؛ وإما به[4] كاستنباط أنّ أقلَّ الحمْلِ ستة أشهر من قوله[5] : « وحَمْلُه وفِصالُه ثَلاثُونَ شَهْراً » . مع قوله[6] : « وفِصالُه فى عامَيْنِ » .

قال : ويستدل على الأحكام [illegible]رة بالصيغة وهو ظاهر ، وتارة بالإخبار مثل : «[7]أُحِلَّ لكم .» «[8] حُرِّمَتْ عليكم الميتةُ » . « كُتِبَ[9] عليكم الصيام» .

وتارة [illegible] [illegible]ليها فى العاجل والآجل من خير وشر ، أو نفع أو ضر .

---

(١) فى ١ ، ب : ثمانية — تحريف ، فالمذكور بعد ثلاثة ؛ وسيأتى بعد ما يؤيد ما أثبتنا .
(٢) تبت (المسد) : ٤ (٣) البقرة ١٨٧ (٤) [illegible]أى بالضم .
(٥) الأحقاف : ١٥ (٦) لقمان : ١٤ (٧) بقرة : ١٨٧ ، المائدة : ٥
(٨) المائدة : ٣ (٩) البقرة : ١٨٣

وقد نوّع الشارعُ ذلك أنواعاً كثيرة؛ ترغيباً لعباده، وترهيباً وتقريباً إلى أفهامهم؛ فكل فعل عظّمه الشرع أو مدحه أو مدح فاعِلَه لأجله، أو أحبّه أو أحب فاعله أو رضيَ به، أو رضي عن فاعله، أو وصفه بالاستقامة أو البركة أو الطيب، أو أقسم به أو بفاعله؛ كالإقسام بالشَّفْعِ والوتر، وبخيل المجاهدين، وبالنفس اللوّامة؛ أو نَصَبَه سبباً لذكره لعبده، أو لمحبته، أو لثواب عاجل أو آجل، أو لشكره، أو لهدايته إياه، أو لإرضاء فاعله، أو لمغفرة ذنبه وتكفير سيئاته، أو لقبوله، أو لنُصْرَة فاعله، أو بإشارته[1]؛ أو وصف فاعله بالطيّب، أو وصف الفعل بكونه معروفاً، أو نفَى الحزن والخوف عن فاعله، أو وعده بالأمن، أو نَصَبَ سبباً لولايته؛ أو أخبر عن دعاء الرسول لحصوله؛ أو وصفه بكونه قُرْبة، أو بصفة مدح [٦ ب]؛ كالحياة والنور والشفاء — فهو دليل على مشروعيته المشتركة بين الوجوب والندب.

وكلُّ فعل طلب الشارع تركه أو ذمه، أو ذم فاعله، أو عتب عليه، أو مقت فاعله، أو لعنه، أو نفى محبته أو محبة فاعله أو الرضا به، أو عن فاعله، أو شبّه فاعله بالبهائم أو الشياطين، أو جعله مانعاً من الهُدَى، أو من القبول، أو وصفه بسوء أو كراهة أو استعاذ الأنبياء منه أو أبغضوه، أو جُعِل سبباً لنفي الفلاح أو لعذاب عاجل أو آجل، أو لذم أو لوم، أو ضلالة أو معصية، أو وصف بخبث أو رجس أو نجس، أو بكونه فِسْقاً أو إثماً، أو سبباً لإثم أو رجس، أو لَعْن أو غضب، أو زوال نعمة أو حلول نقمة، أو حد من الحدود، أو قسوة أو خِزْي، أو ارتهان نفس، أو لعداوة الله ومحاربته، أو الاستهزاء به أو سخريته، أو جعله الله سبباً لنسيانه فاعله، أو وصفَ نفسه بالصبر عليه، أو بالحلم، أو بالصفح عنه؛

---

(١) ق ١: أو إشارته.

أو دعا إلى التوبة منه ، أو وصف فاعلَه بخبث أو احتقار ، أو نسبه إلى عمل الشيطان ، أو تزيينه أو تولى الشيطان لفاعله ؛ أو وصفه بصفة ذم ككونه ظلماً أو بغياً ، أو عدواناً أو إثماً ، أو تبرَّأ الأنبياء منه أو من فاعله ، أو شكوا إلى الله من فاعله، أو جاهروا فاعله بالعداوة ، أو نهوا عن الأسى والحزن عليه ، أو نصب سبباً لخيبة فاعله [عاجلا أو آجلا ، أو رتّب عليه حرمان الجنة وما فيها، أو وصف فاعلَه][(1)] بأنه عدوٌ لله أو بأن الله عدوه ، أو أعلم فاعله بحرب من الله ورسوله ، أو حمّل فاعله إثم غيره ، أو قيل فيه : لا ينبغى هذا أو لا يكون ، أو أمره بالتقوى عند السؤال عنه ، أو أمر بفعل مضادّه أو بهجر فاعله ؛ أو تلاعَنَ فاعلوه فى الآخرة ، أو تبرأ بعضهم من بعض ، أو دعا بعضهم على بعض ، أو وصف فاعله بالضلالة وأنه ليس من الله فى شىء ، أو ليس من الرسول وأصحابه ، أو جعل اجتنابه سبباً للفلاح ، أو جعله سبباً لإيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين ، أو قيل : هل أنت منتَهٍ ، أو نهى الأنبياء عن الدعاء لفاعله ، أو رتب عليه إبعاداً أو طرداً ، أو لفظة قُتل من فعله ، أو قاتله الله ، أو أخبر أن فاعله لا يكلمه الله فى الآخرة ولا ينظر إليه ولا يزكيه ، ولا يصلح عمله ولا يهدى كيده ، أو قيّض له الشيطان ، أو جعل سبباً لإزاغة قلب فاعله ، أو صرفه عن آيات الله وسؤاله عن علة الفعل ؛ فهو دليل على المنع من الفعل ؛ ودلالتُه على التحريم أظهر من دلالته على مجرد الكراهة .

وتستفاد الإباحة من لفظ الإحلال ، ونفى الجناح والحَرَج والإثم والمؤاخذة ، ومن الإذن فيه والعفو عنه ، ومن الامتنان بما فى الأعيان من المنافع ، ومن السكوت عن التحريم ، ومن الإنكار على من حرم الشىء ، ومن الإخبار بأنه خُلِق أو جُعل لنا ؛ والإخبار عن فعل مَنْ قبلنا غير ذام لهم عليه ؛ فإن اقترن بإخبار

---

(1) من الإتقان (٢ ـ ١٣١)

مَدْحٌ دل على مشروعيته وجوباً أو استحباباً . انتهى كلام الشيخ عز الدين ابن عبد السلام .

وقال غيره : وقد يستنبط من السكوت .

وقد استدل جماعة على أن القرآن غير مخلوق بأن الله ذكر الإنسان فى ثمانية عشر موضعاً وقال: إنه مخلوق» ؛ [وذكر القرآن فى أربعة وخمسين موضعاً ولم يقل إنه مخلوق][1] . ولما جمع بينهما غاير ، فقال[2]: «الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الإِنْسَانَ » . فهذا أحد وجوه إعجازه .

* * *

الوجه الثانى من وجوه إعجازه

كونه محفوظاً عن الزيادة والنقصان، محروساً عن التبديل والتغيير على تطاول الأزمان ، بخلاف سائر الكتب . قال تعالى[3]: «إنا نحن نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ، وإنَّا له لَحَافِظُونَ» . فلم يقدر أحد بحمد الله على التجاسُر عليه .

* * *

الوجه الثالث من وجوه إعجازه

حُسْن تأليفه ، والتئام كلمه ، وفصاحتها ، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادةَ العرب الذين هم فرسانُ الكلام وأربابُ هذا الشأن. فجاء نظمه العجيب، وأسلوبه الغريب مخالفاً لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذى جاءت عليه ، ووقفت عليه مقاطع آياته ، وانتهت إليه فواصلُ كلماته ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له .

قال ابن عطية[4] : الصحيح والذى عليه الجمهور والحذاق فى وجوه إعجازه

---

(١) من الاتقان : ٢ ـ ١٣١ (٢) الرحمن : ١ ، ٢ ، ٣ (٣) الحجر : ٩

(٤) البرهان . ٢ ـ ٩٧ . وابن عطية هو عبد الحق بن غالب ، وله تفسير معروف بالمحرر الوجيز ، توفى سنة ٥٦٤ (الديباج المذهب : ١٧٤) .

أنه[1] بِنَظْمِهِ وصحة معانيه وتوالى فصاحة ألفاظه ؛ وذلك أن الله أحاط بكل شىء علماً ، وأحاط بالكلام [١٧] كلِّه علماً ، فإذا ترتَّبَت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أىّ لفظة تصلح أن تلى الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ؛ ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره . والبَشَرُ محل الجهل والنسيان والذهول ، ومعلوم ضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك ؛ فلذلك جاء نظمُ القرآن فى الغاية القصوى من الفصاحة ؛ وبهذا يبطل قول من قال : إن العرب كان فى قدرتها الإتيانُ بذلك ، فصُرِفوا عن ذلك .

والصحيح أنه لم يكن فى قدرة أحد قط ؛ ولهذا ترى البليغ ينقّح القصيدة أو الخطبة حَوْلا ، ثم ينظر فيها ، ثم يغير فيها ، وهلمّ جرّا . وكتابُ الله سبحانه لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد ؛ ونحن تتبين لنا البراعة فى أكثره ، ويَخْفَى علينا وجهها فى مواضع ؛ لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ فى سلامة الذوق وجودة القريحة . وقامت الحجةُ على العالم بالعرب ؛ إذ كانوا أرباب الفصاحة وفطنة[2] المعارضة ، كما كانت الحجة فى معجزة موسى بالسحرة ، وفى معجزة عيسى بالأطباء ؛ فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبدع[3] ما تكون فى زمان النبى الذى أراد إظهاره ؛ فكان السحر فى[4] مدة موسى إلى غايته ، وكذلك الطب فى زمان عيسى ، والفصاحة فى زمان محمد صلى الله عليه وسلم .

قال حازم[5] فى منهاج البلغاء : وجه الإعجاز فى القرآن من حيث استمرت

---

(١) أنه : أى الإعجاز .

(٢) فى الاتقان ، والبرهان : ومظنة . والمثبت فى ا ، ب .

(٣) فى البرهان : أبرع ما تكون .

(٤) فى الاتقان ، والبرهان : قد انتهى فى مدة موسى ..

(٥) هو حازم بن محمد القرطاجنى توفى سنة ٦٨٤ (بغية الوعاة : ٢١٤)

الفصاحة والبلاغة فيه فى جميع أنحائها فى جميعه استمراراً لا يوجد له فترة ، ولا يقدِرُ عليه أحد من البشر . وكلام العرب ومَنْ تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة فى جميع أنحائها فى العالى منه إلا فى الشىء اليسير المعدود ، ثم تعترض[1] الفترات الإنسانية ؛ فينقطع طيب الكلام ورونقُه ؛ فلا تستمر لذلك الفصاحة فى جميعه ؛ بل توجد فى تفاريق وأجزاء منه .

[فواصـــل الآى]

قال الجَعْبَرى[2] : لمعرفة[3] فواصل الآى طريقان : توقيفى وقياسى ؛ أما التوقيفى فما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم وقف عليه دائماً تحققنا أنه فاصلة ، وما وصله دائماً تحققنا أنه ليس بفاصلة ؛ وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة أو لتعريف الوقف التام أو للاستراحة . والوصلُ أن يكون غير فاصلة ، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها .

وأما القياسى فهو ما أُلحِق من المحتمل غير المنصوص [بالمنصوص][4] لمناسب ، ولا محذورَ فى ذلك ؛ لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان ؛ وإنما غايته أنه محل فَصْلٍ أو وصل . والوقف على كل كلمة جائز ، ووصل القرآن كله جائز ، فاحتاج القياسى إلى طريق تعرفه ؛ فنقول : فاصلة الآية كقرينة السجع فى النثر ، وقافية البيت فى الشعر[5] .

---

(١) فى الاتقان : تعرض .

(٢) هو إبراهيم بن عمر بن ابراهيم الجعبرى ، صاحب شرح الشاطبية المسمى كنز المعانى ، وعقود الجمان ، وروضة الطراف فى رسم المصاحف وغيرها . توفى سنة ٧٣٢ (الدرر الكامنة : ١ ــ ٥٠)

(٣) البرهان : ١ ــ ٩٨

(٤) من البرهان ، والاتقان .

(٥) فى البرهان : فى النظم .

ومما يذكر من عيوب القافية من احتلاف المد[١] والإشباع والتوْجيه ، فليس بعيب فى الفاصلة ؛ وجاز الانتقال فى الفاصلة والقَرِينة وقافية الأرجوزة من نوع إلى آخر بخلاف قافيــة القصيدة[٢]. ومن ثم ترى « يرجعون » مع « عليم »[٣] و « الميعاد » مع « الثواب »[٤]، والطارق مع الثاقب[٥].

والأصل فى الفاصلة والقرينة المتجردة فى الآية والسجعة المساواة ؛ ومِنْ ثَمَّ أجمع العادُّون على تَرْك عَدّ : « وَيَأْتِ بآخرين » [٦] . « ولا[٧] الملائــكةُ المُقَرَّبُون» — فى النساء ، و «كَذَّب بها الأَوَّلُون »[٨]فى سبحان ، و«لِتُبَشِّرُ بِهِ المتّقِين» بمريم[٩] ، و«لعلهم يتَّقُون» بطه[١٠] —و «مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النور»[١١] و « أن اللهَ على كلّ شيءٍ قدير »[١١] بالطلاق حيثُ لم يُشاكل طرفيه .

وعلى ترك عَدّ : « أَفَغَيْرِ دِينِ اللهِ يَبْغُون »[١٢]. « أَفَحُكْمَ الجاهلية يَبْغُون[١٣] » . وعدوا نظائرها للمناسبة ؛ نحو : « لأولى الألبــاب » بآل عمران[١٤]. و « على اللهِ كَذِبا » بالــكهف [١٥]. و « السَّأْوَى » بِطَه[١٦] .

---

(١) فى الاتقان : الحركة . وفى البرهان : اختلاف الحذو . والحذو والاشباع والتوجيه من عيوب القافيــة التى تندرج تحت اسم السناد . وسناد الحذو : اختلاف حركة الحرف الذى قبل الروى المطلق .

(٢) فى البرهان : القصيد .

(٣) من قوله تعالى : آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون . مع قوله تعالى : قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (سورة آل عمران : ٧٢ ، ٧٣) .

(٤) من قوله تعالى : ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد . مع قوله : والله عنده حسن الثواب (آل عمران : ١٩٤ ، ١٩٥)

(٥) من قوله تعالى : والسماء والطارق . وما أدراك ما الطارق . النجم الثاقب (سورة الطارق : ١ — ٣)

(٦) النساء : ١٣٣ (٧) آية ١٧٢ من السورة نفسها (٨) أى الاسراء : ٥٩

(٩) ٩٧ (١٠) ١١٣ (١١) ١١ ، ١٢ (١٢) آل عمران : ٨٣

(١٣) المائدة : ٥٠ (١٤) ١٩٠ (١٥) الكهف : ١٥ (١٦) ٨٠

وقال غيره[1] : تقع الفاصلة عند الاستراحة فى الخطاب لتحسين الكلام بها ، وهى الطريقة التى يُبَايِنُ القرآن بها سائر الكلام ، وتسمى فواصل ؛ لأنه ينفصل عندها[2] الكلامان ، وذلك أن آخر الآية فصل ما بينها وبين ما بعدها ، وأخذاً من قوله تعالى[3]: « كتاب فصِّلَتْ آياتُه » .

ولا يجوز تسميتها قوافى إجماعاً ؛ لأن الله تعالى لما سلب عنه اسْمَ الشعر وجب سلْبُ القافية عنه أيضاً ؛ لأنها منه وخاصةٌ به فى الاصطلاح . وكما يمتنع استعمال القافية فيه يمتنع استعمال الفاصلة [٧ ب] فى الشعر ؛ لأنها صفة لكتاب الله فلا تتعداه .

وهل يجوزُ استعمال السجع فى القرآن ؟ خلاف : الجمهور [على المنع][4]؛ لأن أصله من سجع الطَّيْرُ ، فَشُرِّفَ القرآن أن يستعار لشىء منه لفظ أصله مهمل ، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث فى وصفه بذلك ، ولأن القرآن من صفاته تعالى ؛ فلا يجوز وصْفُه بصفة لم يرد الإذن بها .

[هل فى القرآن سجع ؟]

قال الرمانى فى إعجاز القرآن : ذهب الأشعرية إلى امتناع أن يقول[5] فى القرآن سجع ؛ وفرَّقُوا [بينهما][6] بأن السجع هو الذى يقصد فى نفسه ثم يحال المعنى عليه ؛ والفواصل التى تَتْبَع المعانى ، ولا تكون مقصودة فى نفسها . قال : ولذلك كانت الفواصل بلاغة والسجع عيباً ؛ وتبعه على ذلك أبو بكر الباقلانى[7] .

---

(١) البرهان : ٥٤
(٢) فى ب : عنده — تحريف .
(٣) فصلت : ٣
(٤) من الاتقان : ٢ — ٩٧
(٥) فى الاتقان : أن يقال .
(٦) من البرهان : ١ — ٥٤
(٧) الإعجاز : ٥٧

وقال الخفاجي في سر الفصاحة[1] : قول الرماني : إن السجعَ عَيْب والفواصل بلاغة غلط ؛ فإنه إن أراد بالسجع ما يَتْبَعُ المعنى — وهو[2] غير مقصود فذلك بلاغة ؛ والفواصل مثله . وإن أراد به ما تقع المعاني تابعة له — وهو مقصود متكلف — فذلك عيب . والفواصل مثله .

قال : وأظن الذي دعاهم إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل ، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعاً — رغبتهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم ، وهذا غَرَضٌ في التسمية قريب .

والحقيقة ما قلناه .

قال : والتحرير أن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفواصل .

قال : فإن قيل : إذا كان عندكم أن السجع محمود فهلَّا وَرَدَ القرآنُ كله مسجوعاً ؟ وما الوجه في ورود بعضه مسجوعاً وبعضه غير مسجوع ؟

قلنا : إن القرآن نزل بلغة العرب ، وعلى عُرْفهم وعادتهم ؛ وكان الفصيح منهم لا يكون كلامُه كله مسجوعاً ؛ لما فيه من أمارات التكلف والاستكراه لاسيما[3] طول الكلام ، فلم يَرِدْ كله مسجوعاً جرياً منهم على عُرْفهم في اللطيفة الغالبة[4] من كلامهم ، ولم يخل من السجع ؛ لأنه يحسن في بعض الكلام على الصفة السابقة .

[مراعاة المناسبة]

وقد ألف الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفي كتاباً سماه « إحكام الرأي

---

(١) سر الفصاحة : ١٦٦ وما بعدها (٢) في البرهان : وكأنه .

(٣) في الاتقان : ٩٩ ، والبرهان : ١ — ٥٨ : لا سيما فيما يطول الكلام .

(٤) في سر الفصاحة : في الطبقة العالية . وفي البرهان : في الطبقة العالية .

فى أحكام [١٦] الآى » قال فيه : اعلم أن المناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية يُرتكب بها أمور من مخالفة الأصول .

قال : وقد تتبعت الأحكام التي وقعت فى آخر الآى مراعاة للمناسبة فعثرت منها على ما ينيف على الأربعين حكماً :

١ — تقديم المعمول إما على العوامل[١] نحو[٢] : « أهؤلاء إيّاكم كانوا يَعْبُدُون » . قيل : ومنه[٣] : « وَإيّاك نستعين » . أو معمول آخر أصله التقديم ، نحو[٤] : « لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى » إذا أعربنا « الكبرى » مفعول نُرِى . أو على الفاعل ، نحو[٥] : « ولقد جاء آلَ فِرعون النُّذُر » . ومنه تقديم خبر كان على اسمها ، نحو[٦] : « ولم يكن له كُفُواً أحَدٌ » .

٢ — تقديم ما هو متأخر فى الزمان ، نحو[٧] : « فَلِلّهِ الآخِرَةُ والأولى » . ولولا مراعاة الفواصل لقُدِّمت « الأولى » ؛ كقوله[٨] : « لهُ الحَمْدُ فى الأولى والآخرة » .

٣ — تقديم الفاضل على الأفضل ، نحو[٩] : « بِرَبِّ هارُون ومُوسى » . وتقدم ما فيه .

٤ — تقديم الضمير على ما يفسره ، نحو[١٠] : « فَأوْجَسَ فى نَفْسِه خِيفَةً مُوسى » .

---

(١) فى الإتقان : العامل (٢) سبأ : ٤٠ (٣) الفاتحة : ٥
(٤) طه ٢٣ (٥) القمر ٤١ (٦) الإخلاص : ٤
(٧) النجم ٢٥ (٨) القصص : ٧٠ (٩) طه : ٧٠
(١٠) طه : ٦٧

٥ — تقديم الصفة الجملة على الصفة المفرد ، نحو[1] : «وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً» .

٦ — حذف ياء المنقوص المعرّف ؛ نحو[2] : «الكَبِيرِ المتعالِ» . «يوم[3] التَّنادِ» .

٧ — حذف ياء الفعل غير المجزوم ؛ نحو[4] : «واللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ» .

٨ — حذف ياء الإضافة ؛ نحو[5] : «فَكَيْفَ كانَ عَذَابِى وَنُذُرِ» . «فَكَيفَ[6] كان عقاب» .

٩ — حرف[7] المد ، نحو : الظُّنُونَا ، والرسولا ، والسبيلا . ومنه إبقاؤه مع الجازم ؛ نحو[8] : «لا تخافُ دَرَكاً وَلا تَخْشَى» . «سَنُقْرِئُكَ[9] فَلا تَنْسَى» ، على القول بأنه نَهْى .

١٠ — صرف ما لا ينصرف ، نحو[10] : «قَوَارِيرا . قَوَارِيرا» .

١١ — إيثار تذكير[11] الجنس ؛ كقوله[12] : «أعجاز نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ» .

١٢ — إيثار تأنيثه ، نحو[13] : «أعجاز نَخْلٍ خَاوِيَة» ونظير هذين قوله فى القمر[14] «وكلّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَر» . وفى الكهف[15] : «لا يُغَادِرُ صَغِيرَة ولا كَبِيرَة إِلّا أَحْصَاها» .

١٣ — الاقتصار على أحد الوجهين الجائزين اللذين قرئ بهما فى السبع

(١) الإسراء : ١٣ — (٢) الرعد : ١٠ — (٣) المؤمن : ٣٢
(٤) الفجر : ٤ — (٥) القمر : ١٨ — (٦) الرعد : ٣٢
(٧) فى ب : حذف حرف المد . وفى الاتقان : زيادة حرف المد . والمثبت فى ا .
(٨) طه : ٧٧ — (٩) الأعلى : ٦ — (١٠) الانسان: ١٥ ، ١٦
(١١) فى الاتقان : تذكير اسم الجنس .
(١٢) القمر : ٢٠
(١٣) الحاقة : ٧ — (١٤) القمر : ٥٣ — (١٥) الكهف : ٤٩

فى غير ذلك ، كقوله[1] : « فأولئك تحروْا رَشَدًا » ؛ [ولم يجىء رشدا فى السبع ، وكذا : « وهيِّئْ[2] لنا مِنْ أمرِنا رَشَدا][3] ؛ فإن الفواصل فى السورتين محركة الوسط ، وقد جاء فى[4] : « وإنْ يرَوْا سَبِيلَ الرُّشْد » .
وبهذا يبطل ترجيح الفارسى قراءة التحريك [٨ ا] بالإجماع عليه فيما تقدم .
ونظير ذلك قراءة[5] : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَب » بفتح الهاء وسكونها ، ولم يقرأ : « سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَب » إلا بالفتح لمراعاة الفاصلة .

١٤ — إيراد الجملة التى ورد بها ما قبلها على غير وجه المطابقة فى الاسمية والفعلية ، كقوله تعالى[6] : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِين » لم يطابق بين قولهم « آمنّا » وبين ما ردّ به فيقول : لم يؤمنوا ، أو ما آمَنُوا لِذَلك .

١٥ — إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر كذلك ، نحو[7] : « فليعلمنّ الله الذين صدقُوا ولَيَعْلَمَنّ الكاذبين » . ولم يقل الذين كذبوا .

١٦ — إيراد أحد جزأى الجملتين على غير الوجه الذى أورد نظيرها من الجملة الأخرى ، نحو[8] : « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتّقُون » .

١٧ — إيثار أغرب اللفظتين ، نحو[9] : « قِسْمَةٌ ضِيزَى » ، ولم يقل جائرة . و[10] « لَيُنْبَذَنَّ فى الْحُطَمَة » ، ولم يقل جهنم أو النار . وقال فى المدثر[11] : « سَأُصْلِيهِ سَقَر » . وفى سأل[12] : « إنها لَظَى » ، وفى القارعة[13] : « فأُمُّهُ هَاوِيَة » ؛ لمراعاة فواصل كل سورة .

---

(١) الجن : ١٤ (٢) الكهف : ١٠ (٣) من الإتقان
(٤) الأعراف : ١٤٦ (٥) اللهب ٣ (٦) البقرة : ٨
(٧) العنكبوت : ٣ (٨) البقرة : ١٧٧ (٩) النجم : ٢٢
(١٠) الهمزة : ٤ (١١) المدثر : ٢٦ (١٢) المعارج : ١٥
(١٣) القارعة : ٩

١٨ — اختصاص كل من المشتركين بموضع ، نحو[١] . « وليذكر أولو الألباب » . وفى سورة طه[٢] : « إن فى ذلك لآياتٍ لأولى النُّهَى » .

١٩ — حذف المفعول ، نحو[٣] : « فأمّا مَنْ أعْطَى واتّقَى » . « ما[٤] وَدَّعَكَ رَبُّكَ وما قَلَى » . ومنه حذف متعلق أفعل التفضيل ، نحو : « يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى » . « خيْرٌ[٥] وأبقى » .

٢٠ — الاستغناء بالإفراد عن التثنية ، نحو[٦] : « فلا يُخْرِجَنَّكُمَا من الجنة فتشْقَى » .

٢١ — الاستغناء به عن الجمع ؛ نحو[٧] : « واجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إماماً » ، ولم يقل أئمة ، كما قال[٨] : « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ». [٩] « إن المتقين فى جناتٍ ونَهَر » : أى أنهار .

٢٢ — الاستغناء بالتثنية عن الإفراد ، نحو[١٠] : « وَلِمَنْ خافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنّتَانِ » . قال الفراء : أراد جنة ؛ كقوله[١١] : « فإن الجنةَ هى المأوَى » . فثنى لأجل الفاصلة .

قال : والقوافى تحتمل [من][١٢] الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام . ونظير ذلك قول الفراء أيضاً فى قوله[١٣] : « إذِ انْبَعَثَ أشْقَاهَا » ، فإنهما رجلان قُدَار وآخر معه ولم يقل أشقياها للفاصلة .

وقد أنكر ذلك ابن قتيبة وأغلظ فيه ، وقال : إنما يجوز فى رءوس الآى زيا[دة هاء] السكت أو الألف أو حذف همزة أو حرف ، فأما أن يكون الله وعد

---

(١) ابراهيم : ٥٢ (٢) طه : ١٢٨ (٣) الليل : ٥
(٤) الضحى : ٢ (٤) طه : ٧ (٥) طه : ٧٣ ، ١٣١
(٦) طه : ١١٧ (٧) الفرقان : ٧٤ (٨) الأنبياء : ٧٣
(٩) القمر : ٥٤ (١٠) الرحمن : ٤٦ (١١) النازعات : ٤١
(١٢) من الإتقان ، والبرهان (١٣) الشمس : ١٢

جنتين فيجعلهما جنة واحدة لأجل رءُوس الآى فمعاذ الله ! وكيف هذا وهو يصفهما بصفات الاثنين . قال[1] : « ذَوَاتَا أَفْنَانٍ » ، ثم قال : « فيهما » .

وأما ابن الصائغ فإنه[2] نقل عن الفراء أنه أراد جنات، فأطلق الاثنين على الجمع لأجل الفاصلة ، ثم قال : وهذا غير بعيد . قال : وإنما أعاد الضمير بعد ذلك بصيغة التثنية مراعاة للفظ ، وهذا هو الثالث والعشرون .

٢٤ — الاستغناء بالجمع عن الإفراد ، نحو[3] : « لا بَيْعٌ فيه ولا خِلَال »؛ أى ولا خُلّة ، كما فى الآية الأخرى ، وجمع مراعاة للفاصلة .

٢٥ — إجراء غير العاقل مجرى العاقل ، نحو[4] : «رَأَيْتُهُمْ لى ساجدين» . «[5] كلٌّ فى فَلَكٍ يَسْبَحُون » .

٢٦ — إمالة ما لا يمال ، كآى طه والنجم .

٢٧ — الإتيان بصيغة المبالغة ، كقدير ، وعليم؛ مع ترك ذلك فى نحو[6] : « هو القادر » . و[7] « عالم الغيب » . ومنه[8] : « وما كان ربك نَسِيًّا » .

٢٨ — إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض ، نحو[9] : « إنَّ هذا لَشَىْءٌ عُجَاب » . أوثر على عجيب لذلك .

٢٩ — الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه ، نحو[10] : « ولولا كَلِمَةٌ سبقَتْ من ربك لكان لِزَاماً وأَجَلٌ مُسَمّى » .

٣٠ — إيقاع الظاهر موقع المضمر ، نحو[11] : « والذين يُمَسِّكُون

---

(١) الرحمن : ٤٨ (٢) فى ب : فنقل (٣) إبراهيم : ٣١
(٤) يوسف : ٤ (٥) الأنبياء : ٣٣ (٦) الأنعام : ٦٥
(٧) المؤمنون : ٩٢ (٨) مريم : ٦٤ (٩) ص : ٥
(١٠) طه : ١٢٩ (١١) الأعراف : ١٧٠

بالـكتاب وأقاموا الصـلاة إنا لا نُضِيعَ أَجْـرَ المُصْلِحين » . وكذا آية الـكهف .

٣١ — وقوع مفعول موقع فاعل ، كقوله[1] : « حِجَاباً مستوراً » . «[2] كان وعْدُهُ مَأْتِيّاً » ؛ أى ساتراً [، وآتيا][3] .

٣٢ — وقوع فاعل موقع مفعول ، نحو[4] « عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ » . « ماءٍ[5] دافِق » .

٣٣ — الفصل بين الموصوف والصفة ، نحو[6] : « أخرج المرعَى فجعلَهُ غُثَاءً أحْوَى » إن أُعْرِب أحوى صفة للمرعى ، أى حالا .

٣٤ — إيقاع حرف مكان غيره ، نحو[7] : « بأن ربَّكَ أَوْحَى لَها » . والأصل إليها .

٣٥ — تأخير الوصف غير الأبلغ عن الأبلغ . ومنه : الرحمن الرحيم . رءوف رحيم ؛ لأن الرأفة أبلغ من الرحمة .

٣٦ — حذف الفاعل ونيابة المفعول [٨ ب] نحو[8] : « ومَا لأَحَدٍ عنده من نِعْمَةٍ تُجْزَى » .

٣٧ — إثبات هاء السكت ، نحو : ماليَه . سُلْطَانيَه . مَاهِيَه .

٣٨ — الجمع بين المجرورات ، نحو[9] : « ثم لا تَجِدُوا لـكم عَلَيْنَا به تَبِيعا » ؛ فإن الأحسن الفصل بينهما ، إلا أن مراعاة الفاصلة اقتضت عدمه[10] .

---

(١) الاسراء : ٤٥ (٢) مريم : ٦١ (٣) من الاتقان.
(٤) القارعة : ٧ (٥) الطارق : ٦ (٦) الأعلى : ٥ ، ٦
(٧) الزلزال : ٥ (٨) الليل : ١٩ (٩) الاسراء : ٦٩
(١٠) فى ا : تقدمه . وفى الاتقان : اقتضت عدمه وتأخير تبيعا .

٣٩ — العدول عن صيغة المضى إلى صيغة الاستقبال ، نحو[١] : « فَفَرِيقا كذَّبتم وفريقا تَقْتُلون » . الأصل قتلتم .

٤٠ — تغيير بِنْية الكلمة ، نحو[٢] : « وطورِ سينين » . والأصل طور سيناء .

قال ابن الصائغ : لا يمتنعُ فى توجيه الخروج عن الأصل فى الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة ، فإن القرآن العظيم — كما جاء فى الأثر — لا تنقضى عجائبه .

[لا تخرج الفواصل عن أحد أربعة]

وقال ابن أبى الإصبع : لا تخرج فواصل القرآن عن أحد أربعة أشياء : التمكين ، والتصدير ، والتوشيح ، والإيغال .

[التمكين]

والتمكين[٣] — ويسمى ائتلاف القافية : أن يمهد الناثرُ للقرينة أو الشاعر للقافية تمهيداً تأتى به القافية أو القرينة متمكنة فى أماكنها مستقرةً فى قرارها ، مطمئنة فى مواضعها ، غير نافرة ولا قلقة ، ومتعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاما ، بحيث لو طُرِحَتْ لاختلّ المعنى واضطرب الفهم ، وبحيث لو سكت عنها كمّله السامع بطبعه .

ومن أمثلة ذلك قوله[٤] : « يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ . . . » الآية ؛ فإنه لما تقدم فى الآية ذكر العبادة وتلاه ذكر التصرف فى الأموال اقتضى ذلك

(١) البقرة : ٨٧
(٢) التين : ٢
(٣) فى الاتقان : فالتمكين
(٤) هود : ٨٧

ذكر الحلم والرشد على الترتيب ؛ لأن الحلم يناسب العبادات ، والرشد يناسب الأموال . وقوله[1] : « أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قبلهم من القرون يَمْشُونَ فى مساكنهم ... » إلى قوله : «أفلا يُبْصِرُون » . فأتى فى الآية الأولى بـ«يَهْدِ لهم » ، وختمها بـ « يَسْمَعُون » ؛ لأن الموعظة فيها مسموعة وهى أخبار القرون . وفى الثانية بيروا ، وختمها يبصرون لأنها مرئية .

وقوله[2] : « لا تُدْرِكه الأبصار ، وهو يدركُ الأبصارَ وهو اللطيفُ الْخَبير » ؛ فإن اللطيف يناسب ما لا يدرك بالبصر ، والخبير يناسب ما يدركه .

وقوله[3] : « ولقد خَلَقْنَا الإنسانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِين » إلى قوله : « فتبارك اللهُ أَحْسَنُ الخالقين » ، فإن فى هذه الفاصلة التمكين التام المناسب لما قبلها .

وقد بادر بعض الصحابة حين نزل أول الآية إلى ختمها بها قبل أن يسمع آخرها ؛ فأخرج ابن أبى حاتم من طريق الشعبى عن زيد بن ثابت ؛ قال : أَمْلَى علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : « ولقد خَلَقْنَا الإنسانَ من سُلالةٍ من طين» إلى قوله : خلقا آخر — قال معاذ بن جبل : فتبارك الله أحسن الخالقين؛ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له معاذ : مِمَّ ضحكْتَ يا رسول الله ؟ قال : بها خُتِمت .

وحكى أن أعرابيا سمع قارئا يقرأ[4] : « فإنْ زَلَلْتُمْ من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور[5] رحيم » . ولم يكن يقرأ القرآن ، فقال : إن هذا ليس بكلام الله ؛ لأن الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل ، لأنه إغراء عليه .

---

(١) السجدة : ٢٦ ، ٢٧ (٢) الأنعام : ١٠٣ (٣) المؤمنون : ١٢ — ١٤
(٤) البقرة : ٢٠٩ (٥) صحة الآية : فاعلموا أن الله عزيز حكيم . البقرة ٢٠٩

تنبيهات

الأول — قد[١] تجتمع فواصل فى موضع واحد، ويخالف بينها ؛ كأوائل النحل ؛ فإنه تعالى بدأ بذكر الأفلاك ، فقال[٢] : « خَلَقَ السَّمواتِ والأرْضَ بالحقّ » ، ثم ذكر خلق الإنسان « من نُطْفَةٍ[٣] » ؛ ثم ذكر خلق « الأنعام » ، ثم عجائب النبات ، فقال[٤]: « هو الّذى أنزل من السماءِ ماءً لـكُمْ منه شَرابٌ ومنه شَجَرٌ فيه تُسِيمُون . يُنْبِتُ لـكُمْ به الزَّرْعَ والزَّيْتُونَ . . . » الآية . فجعل مقطع هذه الآية التفكر ؛ لأنه استدلال بحدوث الأنواع المختلفة من النبات على وجود الإله القادر[٥].

ولما كان هنا مظنة سؤال ؛ وهو أنه : لِمَ لا يجوز أن يكون المؤثر فيه طبائع الفصول وحركات الشمس والقمر ؟ وكان الدليل لا يتم إلا بالجواب عن هذا السؤال — كان مجال التفكر والنظر والتأمل باقياً ؛ فأجاب عنه تعالى من وجهين : أحدهما — أن تغييرات العالم السُّفْلى[٦] مربوطة بأحوال حركات الأفلاك ، فتلك الحركات [٩ ا] كيف حصلت ؟ فإن كان حصولها بسبب أفلاك أخرى لزم التسلسل ، وإن كان من الخالق الحكيم فذلك إقرار بوجود الإله تعالى ؛ وهو المراد بقوله[٧] : « وسخّر لـكُم الليلَ والنهارَ والشمس والقمر والنُّجومُ مسخَّراتٌ بأمْرِه إنَّ فى ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون » . فجعل مقطع هذه الآية العقل ، وكأنه قيل : إن كنت عاقلا فاعلم أن التسلسل باطل ، فوجب انتهاءُ الحركات إلى حركة يكون مُوجِدها غير متحرك ، وهو الإله القادر المختار .

---

(١) البرهان : ١ — ٨٤ (٢) النحل : ٣ (٣) ٤

(٤) ١٠ ، ١١ (٥) فى البرهان ، والإتقان : القادر [illegible] .

(٦) فى البرهان : الأسفل . (٧) النحل : ١٢ .

والثانى — أن نسبة الكواكب والطبائع إلى جميع أجزاء الورقة الواحدة والحبة الواحدة — واحدة ، ثم إنا نرى الورقة الواحدة من الورد أحد وجهيها فى غاية الحمرة والآخر فى غاية السواد ، فلو كان المؤثر موجباً بالذات لامتنع حصول هذا التفاوت فى الآثار ؛ فعلمنا أن المؤثر قادر مختار . وهذا هو المراد من قوله[1]: «وما ذَرَأَ لكُمْ فى الأرض مُخْتَلِفًا أَلْوَانُه إن فى ذلك لآيةً لقوم يَذَّكَّرُون ». كأنه قال : اذكر ما يرسخ فى عقلك أن الواجب[2] بالطبع والذات لا يختلف تأثيره ، فإذا نظرت حصول هذا الاختلاف علمت أن المؤثر ليس هو الطبائع ، بل الفاعل المختار ؛ فلهذا جعل مقطع الآية التذكر .

ومن ذلك قوله تعالى[3] : « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكم عليكم . . . » الآيات . فإن الأولى ختمت بقوله : «لعلكم تعقلون» ، والثانية بقوله : « لعلكم تذكرون » . والثالثة بقوله : « لعلكم تَتَّقُون » ؛ لأن الوصايا التى فى الآية الأولى إنما يحمل على تركها عدمُ العقل الغالب على الهوى ؛ لأن الإشراك بالله لعدم استكمال العقل الدال على توحيده وعظمته . وكذلك عقوق الوالدين لا يقتضيه العقلُ لسبق إحسانهما إلى الولد بكل طريق . وكذلك قتل الأولاد من الإملاق مع وجود الرازق الحى الكريم ؛ وكذلك إتيان الفواحش لا يقتضيه عقل . وكذلك قتل النفس لغيظ أو غضب فى القاتل ؛ فحسَنٌ بعد ذلك يعقلون .

وأما الثانية ، فلتعلقها بالحقوق المالية والقولية ؛ فإن من علم أن له أيتاما يخلفهم من بعده لا يليق به أن يعامل أيتام غيره إلا بما يجب أن يعامَل به أيتامه . ومن يكيل أو يزن أو يشهد لغيره لو كان ذلك الأمر له لم يحب أن يكون فيه خيانة

---

(١) النحل : ١٣ (٢) فى البرهان : أن الموجب .
(٣) الأنعام : ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣

ولا تخس. وكذا من وعد له وعد لم يحب أن يُخْلَف ، ومن أحب ذلك عامل الناس به ليعاملوه بمثله ، فترك ذلك إنما يكون لغفلته عن تدبر ذلك وتأمله ؛ فلذلك ناسب الختم بقوله : لعلكم تذكرون .

وأما الثالثة فلأن ترك اتباع شرائع الله الدينية يؤدى إلى غضبه وإلى عقابه فحسُنَ « لعلكم تتقون » ؛ أى عقاب الله بسببه .

ومن ذلك قوله تعالى فى الأنعام أيضا[1] : « وهو الذى جعل لكم النُّجومَ ... » الآيات ، فإنه ختم الأولى بقوله : «لقوم يعلمون» ، والثانية بقوله : «لقوم يَفْقَهُون» ؛ والثالثة بقوله : «لِقَوْمٍ يؤمنون» . وذلك لأن حساب النجوم والاهتداء بها يختص بالعلماء من ذلك ، فناسب ختمه بيعلمون . وإنشاء الخلائق من نفس واحدة ونقلهم من صلب إلى رحم ثم إلى الدنيا ثم إلى حياة وموت ، والنظر فى ذلك والفكر فيه أدق ؛ فناسب ختمه بيفقهون ؛ لأن الفقه فهم الأشياء الدقيقة . ولما ذكر ما أنعم به على عباده من سعة الأقوات والأرزاق والثمار وأنواع ذلك ناسب ختمه بالإيمان الداعى إلى شكره تعالى على نعمه .

ومن ذلك قوله تعالى[2] : « ومَا هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قليلًا ما تُؤْمنون . ولا بقولِ كاهن قليلا ما تذكَّرون » . حيث ختم الأولى بتؤمنون والثانية بتذكرون . ووجهه أن مخالفة القرآن لنظم الشعر ظاهرة وواضحة لا تخفى على أحد ؛ فقول من قال شعر عناد وكُفْر محض ، فناسب ختمه بقوله : قليلا ما تؤمنون . وأما مخالفته لنظم الكهان وألفاظ السجع فتحتاج إلى تدبّر وتذكّر ؛ لأن كلا منهما نثر ، فليست مخالفته لهما فى وضوحها لكل أحد كمخالفة

---

(١) ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩

(٢) الحاقة : ٤١ ، ٤٢

الشعر ؛ وإنما تظهر بتدبر ما فى القرآن من الفصاحة والبلاغة والبدائع والمعانى الأنيقة [٩ ب] فحسن ختمه بقوله : قليلا ما تَذَكَّرُون .

[اختلاف الفاصلتين فى موضعين]

ومن[1] بديع هذا النوع اختلاف الفاصلتين فى موضعين والمحدَّث عنه واحد لنكتة لطيفة ؛ كقوله تعالى فى سورة إبراهيم[2] : « وإنْ تَعُدُّوا نعمةَ اللهِ لا تُحْصُوها إن الإنسان لظَلُومٌ كَفّار » ، ثم قال فى سورة النحل[3] : « وإنْ تَعُدُّوا نعمةَ الله لا تُحْصُوهَا إن الله لغفور رحيم » . قال ابن المنيّر[4] : كأنه يقول : إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها وأنا مُعْطيها ؛ فحصل لك عند أخذها وصفان : كونك ظلوماً ، وكونك كفاراً ، يعنى لعدم وفائك بشكرها ، ولى عند إعطائها وصفان[5] ، وهما إنى غفور رحيم ، أقابل ظلمك بغفرانى وكفرك برحمتى ، فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوقير ، ولا أجازى جفاك إلا بالوفاء .

وقال غيره : إنما خص سورة إبراهيم بوصف المنعم عليه ، وسورة النحل بوصف المنعم ؛ لأنه فى سورة إبراهيم فى مساق وصف الإنسان . وفى سورة النحل فى مساق صفات الله وإثبات ألوهيته .

ونظيره قوله فى الجاثية[6] : « مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ ومَنْ أساءَ فعليها ثم إلى رَبِّكم تُرْجَعون » . وفى فصّلت ختم بقوله[7] : « وما رَبُّكَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيد » — ونكتةُ ذلك أن قبل الآية الأولى : « قُلْ لِلّذِين آمَنُوا يَغْفِرُوا

---

(١) البرهان : ١ — ٨٦ . (٢) ٣٤ (٣) ١٨

(٤) هو القاضى ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الجذامى ، المعروف بابن المنير ، له تفسير سماه البحر الكبير فى نخب التفسير ، وكتاب الانتصار من الكشاف ، توفى سنة ٦٨٣ هـ .

(٥) فى ب : وجهان . (٦) ١٥ (٧) فصلت : ٤٦

للذين لا يَرْجُون أيام الله » . فناسب الختام بفاصلة البعث ؛ لأن قبله وصفهم بإنكاره . وأما الثانية فالختام بما فيها مناسب ؛ لأنه لا يضيّعُ عملا صالحاً ولا يزيد على من عمل سيئاً .

وقال في سورة النساء[1] : « إنّ اللهَ يَغفِرُ أنْ يُشْرَكَ به ويَغفِرُ ما دونَ ذلك لِمَنْ يَشاء ، ومَنْ يُشْرِكْ باللهِ فقد افْتَرَى إثْماً عَظِيما » . ثم أعادها وختم بقوله[2] : « ومَنْ يُشْرِكْ بالله فقد ضَلَّ ضلالاً بعيداً » .

ونكتةُ ذلك أن الأولى نزلت في اليهود ، وهم الذين افتروا على الله ما ليس في كتابه ، والثانية نزلت في المشركين ولا كتاب لهم وضلالهم أشد .

وقوله في المائدة[3] : « ومَنْ لَمْ يَحكُمْ بما أَنزلَ اللهُ فأولئك هم الكافرون » . ثم قال في الثانية : « فأولئك هم الظالمون » . ثم قال في الثالثة : « فأولئك هم الفاسقون » .

ونكتته أن الأولى نزلت في حكام المسلمين . والثانية ، في اليهود ؛ والثالثة ، في النصارى . وقيل الأولى فيمن جحد ما أنزل الله ؛ والثانية فيمن خالفه مع علمه ولم ينكره ، والثالثة ، فيمن خالفه جاهلا . وقيل الكافر والظالم والفاسق كلها بمعنى واحد ، عبّر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة واجتناب التكرار .

وعكس هذا اتفاق الفاصلتين والمحدّث عنه مختلف ، كقوله في سورة النور[4] : « يأيها الذين آمَنُوا لِيَسْتَأذِنْكُمُ الذين مَلَكَتْ أيمانُكم . . . » إلى قوله : « كذلك يُبيِّنُ اللهُ لكم الآياتِ واللهُ عَليم حكيم » . ثم قال[5] : « وإذا بَلَغ

(١) النساء : ٤٨ (٢) ١١٦ من السورة نفسها . (٣) ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧
(٤) النور : ٥٨ (٥) ٥٩

الأطفالُ مِنكُمُ الحُلُمَ فَلْيَستأذِنوا كما استأذَنَ الذين مِنْ قبلهم كذلك يُبيِّنُ الله لكم آياتِه واللهُ عَليمٌ حكيم »[١].

التنبيه الثانى : من مشكلات الفواصل : قوله تعالى[٢]: « إنْ تُعَذِّبْهُمْ فإنهم عِبادُك وإنْ تَغْفِرْ لهم فإنَّكَ أنتَ العزيزُ الحكيم » . فإن قوله : « وإن تغفر لهم » يقتضى أن تكون الفاصلة الغفور الرحيم . وكذا نقلت عن مصحف أبىّ ، وبها قرأ ابن شَنْبوذ ، وذكر فى حكمته أنه لا يغفر لمن استحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه ، فهو العزيز أى الغالب . والحكيم هو الذى يضع الشىء فى محله . وقد يخفى وجهُ الحكمة على بعض الضعفاء فى بعض الأفعال فيتوهَّمُ أنه خارج عنها[٣] ، وليس كذلك ، فكان فى الوصف بالحكيم احتراس حكيم حسن [، أى][٤] وإنْ تَغْفِرْ لهم مع استحقاقهم العذاب فلا يعترض عليك أحد فى ذلك ، والحكمةُ فيما فعلته .

ونظير ذلك فى سورة التوبة قوله[٥] : « أولئك سيرحَمُهمُ الله إنّ الله عزيز حكيم » . وفى سورة الممتحنة[٦] : «واغفر لنا رَبّنا إنّك أنتَ العزيزُ الحكيم» . وفى النور[٧] : « ولَوْلا فَضْلُ اللهِ عليكم ورحْمَتُه وأنّ الله توّابٌ حكيم » . فإن بادىَ الرأى يقتضى تواب رحيم ؛ لأن الرحمة مناسبة للتوبة ، لكن عبّر به إشارة إلى فائدة مشروعية اللعان وحكمته ، وهى الستر عن هذه الفاحشة العظيمة .

ومن خفى ذلك أيضاً قوله تعالى فى سورة البقرة[٨] : « هو الذى خلَق لكم

---

(١) فى البرهان (٨ — ٨٨) : قال ابن عبد السلام : فى الأولى عليم بمصالح عباده حكيم فى بيان مراده . وقال فى الثانية عليم بمصالح الأنام ، حكيم ببيان الأحكام .

(٢) المائدة : ١١٨ (٣) أى عن الحكمة . (٤) من البرهان (١ — ٨٩) .

(٥) ٧١ (٦) الممتحنة : ٥ (٧) النور : ١٠

(٨) البقرة : ٢٩

ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسوّاهن سبع سموات [١١٠] وهو بكل شيء عليم » . وفي آل عمران[1] : « قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات والأرض والله على كل شيء قدير » . فإن المتبادر إلى الذهن في آية البقرة الختم بالقدرة ، وفي آل عمران الختم بالعلم .

والجواب أن آية البقرة لما تضمنت الإخبار عن خلق الأرض وما فيها على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم ، وخلق السموات خلقاً مستويا محكما من غير تفاوت ؛ والخالقُ على الوصف المذكور يجب أن يكون عالما بما فعله كليا وجزئيا ، مجملا ومفصّلا — ناسب ختمها بصفة العلم . وآية آل عمران لما كانت في سياق الوعيد على موالاة الكفار ، وكان التعبير بالعلم فيها كناية عن المجازاة بالثواب والعقاب ناسب ختمها بصفة القدرة .

ومن ذلك قوله تعالى[2] : « وإن من شيء إلا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفوراً » . فالختم بالحلم والمغفرة عقب تسابيح الأشياء غيرُ ظاهر في بادي الرأي ؛ وذكر في حكمته أنه لما كانت الأشياء كلها تسبح ولا عصيان في حقها وأنتم تعصون ختم بها مراعاةً المقدر[3] في الآية وهو العصيان ، كما جاء في الحديث : لولا بهائم رُتّع ، وشيوخ رُكّع ، وأطفال رُضّع لصُبّ عليكم البلاءُ صبّا .

وقيل : التقدير : حليما عن تفويط المسبّحين غفوراً لذنوبهم .

وقيل : حليما عن المخاطبين الذين لا يفقهون التسبيح بإهمالهم النظر في الآيات والعبر ليعرفوا حقه بالتأمل فيما أودع في مخلوقاته مما يوجب تنزيهه .

---

(١) آل عمران : ٢٩ (٢) الإسراء : ٤٤ (٣) في ا : المقرر .

التنبيه الثالث : من[١] الفواصل ما لا نظير له فى القرآن[٢] ، كقوله عقب[٣] الغض فى سورة النور[٤] : « إنَّ اللهَ خَبِيرٌ بما يَصْنَعُون » . وقوله عقب الأمر بالدعاء والاستجابة[٥] : « لعلهم يَرْشُدُون » . وفيه تعريض بليلة القدر حيث ذكر ذلك عقب ذكر رمضان ، أي لعلهم يرشدون إلى معرفتها .

[التصـــدير]

وأما التصدير فهو أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت فى أول الآية ، ويسمى أيضا رد العجز على الصدر . وقال ابن المعتز هو ثلاثة أقسام :

الأول — أن يوافق آخرُ الفاصلة آخر كلمة فى الصدر ، نحو[٦] : « أنزله بعلمه والملائكةُ يشهدون وكفى بالله شهيدا » .

والثاني — أن يوافق أول كلمة منه ، نحو[٧] : « وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رحمةً إنك أنت الوهّاب » . « قال[٨] : إنى لعملكُمْ مِنَ القَالِين » .

الثالث — أن يوافق بعض كلماته ، نحو[٩] : « ولقد اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فحاقَ بالذين سخرُوا منهم ما كانُوا به يستهزئون » . « انظر[١٠] كيف فضّلْنَا بعْضَهم على بَعْضٍ وللآخرةُ أكبَرُ درجاتٍ وأكبرُ تفضيلا » . « قال[١١] لهم موسى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا على الله كذبا ... » إلى قوله : « وقد خابَ مَن افْتَرى » .

---

(١) فى ا : فى فواصل . (٢) البرهان : ١ — ٩٣

(٣) فى البرهان : عقب الأمر بالغض . (٤) ٣٠

(٥) البقرة : ١٨٦ (٦) النساء : ٦٦ (٧) آل عمران : ٨

(٨) الشعراء : ١٦٨ (٩) الأنعام : ١٠ (١٠) الإسراء : ٢١

(١١) طه : ٦١

[التوشيح]

وأما التوشيح فهو أن يكون فى أول الكلام ما يستلزم القافية . والفرق بينه وبين التصدير أن هذا دلالته معنوية ، وذلك لفظية ؛ كقوله تعالى[1] : « إنَّ اللهَ اصْطَفَى آدم ... » الآية ؛ فإن اصطفى يدل على أن الفاصلة العالمين لا باللفظ ؛ لأن « العالمين » غير لفظ « اصطفى » ، ولكن بالمعنى ؛ لأنه يعلم أن من لوازم اصطفاء[2] شيء أن يكون مختاراً على جنسه، وجنس هؤلاء المصطفين «العالمين». وكقوله[3]: «وآيَةٌ لَهُمُ الليلُ نَسْلَخُ مِنهُ النَّهارَ...» الآية. قال ابن أبى الإصبع : فإن من كان حافظاً لهذه السورة مُتَفَطِّناً إلى أن مقاطع آيها النون المردفة ، وسمع فى صدر الآية انسلاخ النهار من الليل علم أن الفاصلة مظلمون ؛ لأن من انسلخ النهار عن ليله أظلم ؛ أى دخل فى الظلمة ؛ ولذلك سمى توشيحا[4] ؛ لأن الكلام لما دل أوله على آخره نزّل المعنى منزلة الوشاح ، ونُزّل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكَشْح اللذين يجول عليهما الوشاح[5] .

[أقسام السجع والفواصل]

وقسم البديعيون السجع ومثله الفواصل إلى أقسام : مطرَّف ، ومُتَوازٍ ؛ ومتوازن ، ومرصّع ، ومتماثل .

فالمطرف : أن تختلف الفاصلتان فى الوزن ويتفقا فى حروف السجع ؛ نحو[6] : « ما لكم لا ترجُون للهِ وقاراً وقد خلقكم أطْوَاراً » .

---

(١) آل عمران : ٣٣ (٢) فى ب : اصطفى — تحريف .
(٣) يس : ٣٧ (٤) بدائع القرآن : ٩١
(٥) لم يذكر القسم الرابع وهو الإيغال . وفى الإتقان : وأما الإيغال فيذكر فى الإطناب .
(٦) نوح : ١٢ ، ١٣

والمتوازى : أن يتفقا وزنا وتقفيه ، ولم يكن ما فى الأولى مقابلا [١٠ ب] لما فى الثانية فى الوزن والتقفية ؛ نحو(١) : « فيهَا سُرُرٌ مرفوعةٌ وأكوابٌ موضوعةٌ » .

والمتوازن : أن يتفقا فى الوزن دون التقفية ؛ نحو(٢) : « ونمارِقُ مَصْفُوفه . وزَرَابِىّ مَبْثُوثة » .

والمرصّع : أن يتفقا وزنا وتقفية ، ويكون ما فى الأولى مقابلا لما فى الثانية كذلك ؛ نحو(٣): « إنَّ إلَيْنَا إيَابَهُمْ . ثم إنّ علينا حسابهم» . «(٤) إنّ الأبرارَ لَفِى نَعِيم وَإنّ الفُجَّارَ لفِى جَحِيم » .

والمماثل : أن يتساويا فى الوزن دون التقفية ، ويكون أفراد الأولى مقابلة لما فى الثانيـــة ، فهو بالنسبة إلى المرصّع كالمتوازن بالنسبة إلى المتوزاى ، نحو(٥) : « وآتَيْنَاهُمَا الكِتَابَ المُسْتَبِين ، وهَدَيْنَاهُما الصِّرَاطَ المستقيم » . فالكتاب والصراط متوازنان، وكذا المستبين والمستقيم، واختلفا فى الحرف الأخير .

فصـــل

بقى نوعان بديعيان متعلقان بالفواصل: أحدهما التشريع، وسماه ابنه أبى الإصبع(٦) التوأم ، وأصله أن يبنى الشاعر بيته على وزنين من أوزان العروض ، فإذا سقط منهما جزء أو جزآن صار الباقى بيتاً من وزن آخر ، ثم زعم قوم اختصاصه به .

وقال آخرون : بل يكون فى النثر بأن يبنى على سجعتين لو اقتصر على الأولى منهما كان الكلام تامّاً مفيداً ، وإن ألحقت به السجعة الثانية كان فى التمام والإفادة على حاله مع زيادة معنى ما زاد فى اللفظ .

---

(١) الغاشية : ١٣ ، ١٤ (٢) الغاشية : ١٥ ، ١٦ (٣) الغاشية : ٢٥
(٤) الانفطار : ١٤ (٥) الصافات : ١١٧ ، ١١٨
(٦) بديع القرآن : ٢٣١

قال ابن أبي الإصبع : وقد جاء من هذا الباب معظم سورة الرحمن ، فإن آياتها لو انحصر فيها على أولى الفاصلتين دون « فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » لكان الكلام تاماً مفيداً ، وقد كمل بالثانية ، فأفاد معنى زائداً من التقرير والتوبيخ .

قلت : التمثيلُ غير مطابق ، والأولى بأن يمثل بالآيات التى فى أثنائها ما يصلح أن يكون فاصلة ، كقوله[1] : « لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ على كلِّ شَيْءٍ قَدِير وأن الله قد أحاط بكل شيء عِلْمًا » .

الثانى : الالتزام ، ويسمى لزوم ما لا يلزم ؛ وهو أن يُلتزم فى الشعر أو النثر حرفٌ أو حرفان فصاعدا قبل شرط الروى بشرط عدم الكلفة ؛ مثال التزام حرف : « فأمّا[2] اليَتِيمَ فلا تَقْهَرْ ، وأما السائل فلا تَنْهَرْ » . التزم الهاء قبل الراء . ومثله[3] : « أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ » ... الآى التزم فيها الراء قبل الكاف . « فلا[4] أُقْسِمُ بالخُنَّسْ . الجوَارِ الكُنَّسِ » . التزم فيها النون المشددة قبل السين . « [5] واللَّيْلِ وما وَسَق ، والقَمَرِ إذا اتَّسَق » .

ومثال التزام حرفين : « والطُّورِ[6] وكتابٍ مَسْطُور . فى رَقٍّ مَنْشُور » . « ما[7] أنت بنعمةِ رَبِّك بمجنون ، وإنَّ لكَ لأَجْراً غير مَمْنُون » . « بَلَغَتِ[8] التَّرَاقِي . وقيل مَنْ رَاق . وظَنَّ أنه الفراق » .

ومثال التزام ثلاثة أحرف : « تَذَكَّرُوا[9] فإذا هم مُبْصِرُون . وإخوانُهم يَمُدُّونَهم فى الغَيِّ ثم لا يُقْصِرُون » .

---

(١) الطلاق : ١٢ (٢) الضحى : ٩
(٣) الشرح : ١ (٤) التكوير : ١٥ ، ١٦ (٥) الانشقاق : ١٧ ، ١٨
(٦) الطور : ١ (٧) القلم : ٢ (٨) القيامة : ٢٦ ، ٢٧
(٩) الأعراف : ٢٠١ ، ٢٠٢

تنبيهات

الأول — قال أهل البديع : أحسن السجع ما تساوت قرائنه ، نحو[1] : « في سِدْرٍ مَخْضُود . وطَلْحٍ مَنْضُودٍ . وظِلٍّ ممدود » .

ويليه ما طالت قرينته الثانية نحو[2] : « والنّجم إذا هَوَى . ما ضَلَّ صاحِبُكم وما غَوَى » . والثالثة نحو[3] : « خُذُوه فغُلُّوه . ثم الجحيم صَلُّوه . ثم في سلسلة ذَرْعُها سبعون ذِراعًا فاسْلُكُوه ... » الآية .

وقال ابن الأثير : الأحسن في الثانية المساواة ، وإلا فأطول قليلا ، وفي الثالثة أن تكون أطول .

وقال الخفاجي : لا يجوز أن تكون الثانية أقصر من الأولى .

الثاني — قالوا : أحسن السجع ما كان قصيراً ، لدلالته على قوة المنشىء ، وأقلّه كلمتان نحو[4]: « يأيها المدَّثِّرُ قُمْ فأنذر... » الآيات . و «المُرْسَلاتِ[5] عُرْفا ... » الآيات . « و الذّاريات[6] ذَرْواً ... » الآيات . و « العادِيَاتِ[7] ضَبْحا ... » الآيات . والطويل ما زاد على العشرة كغالب الآيات ؛ وما بينهما متوسط كآيات سورة القمر[8].

الثالث : قال الزمخشري في كشافه القديم[9] : لا تحسن المحافظةُ على الفواصل

---

(١) الواقعة : ٢٨ (٢) النجم : ١ (٣) الحاقة : ٣٣

(٤) المدثر : ١ (٥) المرسلات : ١ (٦) الذاريات : ١

(٧) العاديات : ١

(٨) هي : اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر .

(٩) البرهان : ١ ـ ٧٢ .

لمجردها إلا مع بقاء المعانى على سردها[1] على المنهج الذى يقتضيه حسن النظم والقوافى[2] ، فأما أن تهمل المعانى ويُهتمّ بتحسين اللفظ وحده ، غير منظور فيه إلى مؤداه ، فليس من قبيل البلاغة ، وبنى على ذلك أنّ التقديم فى[3] : « وبالآخرة هم يُوقِنون » ـ ليس لمجرد الفاصلة ؛ بل لرعاية الاختصاص .

الرابع : مبنى الفواصل على الوقف ، ولهذا ساغ مقابلة المرفوع بالمجرور ، وبالعكس ، كقوله[4] : « إنا خلقناهم مِنْ طِينٍ لَازِب » . مع قوله[5] : « عَذَابٌ وَاصِبٌ » ، و « شِهَابٌ[6] [١١ ا] ثاقب » وقوله[7] : « بماءٍ مُنْهَمِرٍ » ، مع قوله[8] : قَدْ قُدِرَ . وسِحْرٌ[9] مُسْتَمِر . وقوله[10] : « وما لهم مِنْ دُونه من وَال » . مع قوله[11] : « ويُنْشِىءُ السَّحَابَ الثِّقَال » .

الخامس ـ كثر فى القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون . وحكمتهُ وجود التمكن مع التطريب بذلك ، كما قال سيبويه : إنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون ؛ لأنهم أرادوا مد الصوت ؛ ويتركون ذلك إذا لم يترنموا ، وجاء القرآن على أسهل موقف وأعظم مقطع .

السادس ـ حروف الفواصل إما متماثلة ، وإما متقاربة ؛ فالأول مثل[12] : « والطور . وكِتَاب مسطور . فى رقّ مَنْشور . والبيتِ المعمور » .

---

(١) فى البرهان : على سدادها .
(٢) فى البرهان ، والإتقان : والتئامه .
(٣) البقرة : ٤
(٤) الصافات : ١١
(٥) الصافات : ٩
(٦) الصافات : ١٠
(٧) القمر : ١١
(٨) القمر : ١٢
(٩) القمر : ٢
(١٠) الرعد : ١١
(١١) الرعد : ١٢
(١٢) الطور : ١ ـ ٥

والثانى مثل: «[١]الرحمن الرحيم . مالكِ يوم الدِّين» . «[٢]والقرآن المجيد ، بل عَجِبوا أنْ جاءهم مُنْذِرٌ منهم فقال الكافرون هذا شىءٌ عَجِيب » .

قال الإمام فخر الدين وغيره : إن فواصل القرآن لا تخرج عن هذين القسمين ؛ بل تنحصر فى المماثلة والمتقاربة ، قال : وبهذا يترجح مذهب الشافعى على مذهب أبى حنيفة فى عد الفاتحة سبع آيات من البسملة وجعل صراط الذين ... إلى آخرها آية ؛ فإن مَنْ جعل آخر الآية : «أنعمت عليهم» مردود بأنه لا يشابه فواصل سائر آيات سائر السورة لا بالمماثلة ولا بالمتقاربة ؛ ورعاية التشابه فى الفواصل لازمة.

السابع — كثر فى الفواصل التضمين والإيطاء ؛ لأنهما ليسا بعيبين فى النثر وإن كانا عيبين فى النظم . فالتَّضمين أن يكون ما بعد الفاصلة متعلقاً بها ، كقوله تعالى[٣] : [« وإنكم لتَمُرُّون عليهم مُصْبِحين . وبالليل أفلا تعقلون » . والإيطاء تكرر الفاصلة بلفظها ، كقوله[٤] تعالى :][٥] — فى الإسراء : « هل كنت إلا بَشَرًا رسولا » . وختم بذلك الآيتين بعدها[٦].

* * *

الوجه الرابع من وجوه إعجازه

مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض ، حتى تكون كالكلمة الواحدة ، متسقة المعانى ، منتظمة المبانى .

وقد ألف علماؤنا فى أسرارها تواليف كثيرة منهم العلامة أبو جعفر بن الزبير[٧]

(١) الفاتحة : ٤ (٢) ق : ١ ، ٢ (٣) الصافات : ١٣٧ ، ١٣٨

(٤) الإسراء : ٩٣ (٥) من الاتقان : ١٠٨ (٦) هما الآيتان : ٩٤ ، ٩٥

(٧) هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسى النحوى الحافظ صاحب كتاب الذيل على الصلة . وذكر السيوطى فى الاتقان أن اسم كتابه فى مناسبات الآى هو « البرهان فى مناسبة ترتيب سور القرآن » توفى سنة ٨٠٧ (الدرر الكامنة ١ — ٨٤) .

شيخ أبي حيان في كتاب سماه «البرهان» في مناسبة ترتيب سور القرآن . ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي[1] في كتاب سماه نظم الدرر في تناسب الآي والسور . وكتابي الذي صنفته في أسرار التنزيل كافل بذلك ، جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه مرتباً[2] من جميع وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة ، وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سميته تناسق الدرر في تناسب السور .

وعلم[3] المناسبة علم شريف قلَّ اعتناء المفسرين به لدقته ، وممن أكثر منه الإمام فخر الدين ، وقال في تفسيره : أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط .

وأول من سبق إلى هذا العلم الشيخ أبو بكر النيسابوري ، وكان كثير العلم في الشريعة والأدب ، وكان يقول على الكرسي إذا قُرئت[4] عليه الآية : لم جُعلت هذه الآية إلى جنب هذه ؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟ وكان يُزرى على علماء بغداد ، لعدم علمهم بالمناسبة .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام[5] : المناسبة علم حسن ، لكن يشترط

---

(١) هو إبراهيم بن عمر برهان الدين البقاعي ، منسوب إلى البقاع ، من بلاد سورية ، مؤرخ أديب ، توفى سنة ٨٨٥ (البدر الطالع : ١ — ١٩) .

(٢) في الإتقان : مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز .

(٣) البرهان : ١ — ٣٥

(٤) في الإتقان : إذا قرىء . وفي البرهان : إذا قرىء عليه الآية .

(٥) هو الإمام عبد العزيز بن عبد السلام المشهور بالعز ، ولد سنة ٥٧٧ ، وتوفى سنة ٦٦٠ (طبقات الشافعية : ٥ — ٨٠) .

فى حسن ارتباط الكلام أن يقع فى أمر متّحد مرتبط أوله بآخره[1]؛ فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط . ومَنْ ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث ، فضلا عن أحسنه ؛ فإن القرآن نزل فى نَيّف وعشرين سنة فى أحكام مختلفة ، شرعت لأسباب مختلفة ، وما كان كذلك لا يتأتى ربطُ بعضه ببعض .

وقال الشيخ ولى الدين الملوى : قد وهم من قال : لا يطلب للآية[2] الكريمة مناسبة ؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة . وفصلُ الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا ، وعلى حسب الحكمة ترتيباً ، وتأصيلا ، فالمصحف على وفق اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف ، كما أنزل جملة إلى بيت العزة . ومن المعجز البين أسلوبه ، ونظمه الباهر ؛ والذى ينبغى فى كل آية أن يبحث أول كل شىء عن كونها تكملة لما قبلها أو مستقلة ؛ ثم المستقلة [١١ ب] ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففى ذلك [علم][3] جم . وهكذا فى السور يطلب وجهُ اتصالها بما قبلها وما سيقت له .

وقال الإمام الرازى فى سورة البقرة : ومَنْ تفكر فى لطائف نظم هذه السورة وفى بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرفِ معانيه فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته ، ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك ، إلا أنى رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف ، غير منتبهين لهذه الأسرار ، وليس الأمر فى هذا الباب إلا كما قيل :

والنجم تستصغر الأبصارُ صورتَه
والذنْبُ للطرف لا لِلنَّجْمِ فى الصغَرَ

---

(١) فى البرهان : لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر .

(٢) فى البرهان : للآى .

(٣) من الإتقان والبرهان .

[المناسبة]

المناسبة فى اللغة المشاكلة والمقاربة ، ومرجعها فى الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما عام أو خاص ، عقلى أو حسى أو خيالى ، أو غير ذلك من أنواع علاقات التلازم الذهنى ، كالسبب والمسبب ، و [العلة و][1] المعلول ، والنظيرين والضدين ونحوه .

وفائدتُه جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حالته حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء فنقول :

ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه فى الأولى ، فواضح ؛ وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل ، وهذا القسم لا كلام فيه .

وإما ألا يظهر الارتباط ، بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى ، وأنها خلاف النوع المبدوء به ؛ فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشركة فى الحكم ، أو لا . فإن كانت معطوفة فلا بد أن يكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه ، كقوله تعالى[2] : « يعلم ما يَلِجُ فى الأرض وما يَخْرُجُ منها وما يَنْزِلُ من السماءِ وما يَعْرُجُ فيها » . وقوله[3] : « واللهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وإليه تُرْجعون » . للتضاد بين القبض والبسط ، والولوج والخروج ، والنزول والعروج ، وشبه التضاد بين السماء والأرض .

ومما العلاقة فيه التضاد ذكرُ الرحمة بعد ذكر العذاب ، والرغبة بعد الرهبة .

---

(١) من الإتقان . (٢) سبأ : ٢ (٣) البقرة : ٢٤٥

وقد جرت عادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكاماً ذكر بعدها وعداً أو وعيدا ؛ لتكون باعثاً على العمل بما سبق ، ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ؛ ليعلم عِظَم الآمر الناهي .

وتأمَّلْ سورة البقرة والنساء والمائدة تجده كذلك .

وإن لم تكن معطوفة فلا بد من دعامة تُؤْذن باتصال الكلام ، وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط[١] .

[أسباب الربط]

وله أسباب :

أحدها : التنظير ؛ فإن إلحاق النَّظير بالنَّظير من شأن العقلاء ، كقوله[٢] : « كَمَا أَخرجَك رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحقِّ » — عَقِب قوله[٣] : « أُولئكَ هُمُ المؤمنون » ؛ فإنه تعالى أمر رسوله أن يمضيَ لأمره في الغنائم على كُرْهٍ من أصحابه ، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العِير أو القتال وهم له كارهون . والقصدُ أن كراهتهم لما فعله من قسم الغنائم ككراهتهم للخروج. وقد تبَيَّن في الخروج الخير من النصر والظفر والغنيمة وعزّ الإسلام ، فكذا يكون فيما فعله في القسمة ، فليطيعوا ما أمروا به ويتركوا هَوَى أنفسهم .

الثاني : المضادة ، كقوله في سورة البقرة[٤] : « إنَّ الذينَ كفَرُوا سواءٌ عليهم ... » الآية . فإن أول السورة كان حديثاً عن القرآن ، وأن من شأنه الهدايةَ للقوم الموصوفين بالإيمان . فلما أكمل وصف المؤمنين عقب بحديث

---

(١) في البرهان (١ — ٤٦) : والأول مزج لفظي ، وهذا مزج معنوي ، تنزل الثانية من الأولى منزلة جزئها الثاني .

(٢) الأنفال : ٥

(٣) ٤

(٤) البقرة : ٦

الكافرين ؛ فبينهما جامع وهْمِيّ بالتضاد من هذا الوجه . وحكمته التشويق والثبوت على الأول ، كما قيل : وبضدها تتبين الأشياء .

فإن قيل: هذا جامع بعيد ؛ لأن كونه حديثا عن المؤمنين [١٢ ا] بالعَرَض[١] لا بالذات ، والمقصودُ بالذات الذى هو مساق الكلام إنما هو الحديث عن القرآن ؛ لأنه مفتتح القول .

قيل : لا يشترط فى الجامع ذلك ؛ بل يكفى التعلق على أى وجه كان ، ويكفى فى وجه الربط ما ذكرنا ؛ لأن القصد تأكيد أمر القرآن ، والعملُ به ، والحثُّ على الإيمان ؛ ولهذا لما فرغ من ذلك قال[٢] : « وإنْ كُنْتُمْ فى رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلنَا على عَبْدِنَا » — فرجع إلى الأول .

الثالث : الاستطراد ؛ كقوله تعالى[٣] : « يا بَنِى آدَمَ قد أنزلنا عليكم لِبَاساً يُوَارِى سَوْءاتِكم ... » الآية .

قال الزمخشرى : هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدوّ السَّوْءات ، وخَصْف الورق عليها ، إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس ، ولما فى العراء[٤] وكشف العورة من المهانة والفضيحة ؛ وإشعارا بأن الستر باب عظيم من أبواب التقى .

وقد خرجت على[٥] الاستطراد قوله تعالى[٦] : « لَنْ يَسْتَنْكِفَ المسيحُ أَنْ يكونَ عَبْدا لله ولا الملائكةُ المقرّبُون » ؛ فإن أول الكلام ذكر فيه الرد على النصارى الزاعمين بنوّة المسيح ، ثم استطراد الرد على العرب الزاعمين بنوة الملائكة .

---

(١) فى ب : بالفرض . (٢) البقرة : ٢٣ (٣) الأعراف : ٢٦
(٤) فى البرهان : العرى . (٥) فى ا : عن (٦) النساء : ١٧٢

ويقرب من الاستطراد حتى لا يكادان[1] يفترقان حسن التخلص ؛ وهو أن ينتقل مما ابتدأ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاساً دقيق المعنى ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثانى لشدة الالتئام بينهما .

وقد غلط أبو العلاء محمد بن غانم فى قوله: لم يَقَعْ منه فى القرآن شىء لما فيه من التكلف ؛ وقال : إن القرآن إنما وقع ردا على الاقتضاب الذى هو طريقُ العرب من الانتقال إلى غير ملائم .

[التخلص]

وليس كما قال ؛ ففيه من التخلصات العجيبة ما يحيّر العقول . وانظر إلى سورة الأعراف كيف ذكر فيها الأنبياء والقرون الماضية والأمم السالفة ، ثم ذكر موسى إلى أن قص حكاية السبعين رجلا ودعائه لهم ولسائر أمته بقوله[2] : واكْتُبْ لنَا فى هذه الدنيا حسنَةً وفى الآخرة » ، وجوابه تعالى عنه ، ثم تخلص بمناقب سيد المرسلين بعد تخلصه بقوله لأمته[2]: «قال عذابى أُصِيبُ به مَنْ أشَاءُ ورَحْمَتِى وسِعَتْ كلَّ شىء فَسأَكتُبُها للذين » من صفاتهم كيت وكيت ، وهم الذين يتبعون الرسول النبى الأمى ؛ وأخذ فى صفاته الكريمة وفضائله .

وفى سورة الشعراء حكى قول إبراهيم[3] : « ولا تُخْزِنِى يوم يُبْعَثُون » . فتخلص منه إلى وصف المعاد بقوله : « يوم لا يَنفَعُ مالٌ ولا بنون ... » الخ .

وفى سورة الكهف حكى سدّ « ذو القرنين » بقوله[4] : « فإذا جاء وَعْدُ

---

(١) فى ا : لا يكاد يفترقان . (٢) الأعراف : ١٥٦ (٣) الشعراء : ٨٧
(٤) الكهف : ٩٨

ربى جعله دَكَّاءَ » ؛ فتخلَّص منه إلى وصف حالهم بعد ذكر الذى هو من أشراط الساعة ثم النفخ فى الصُّور ، وذكر الحَشْر ، ووصف حال الكفار والمؤمنين .

[الفرق بين التخلص والاستطراد]

وقال بعضهم : الفرق بين التخلص والاستطراد أنك فى التخلص تركت ما كنتَ فيه بالكلية ، وأقبلت على ما تخلصت إليه . وفى الاستطراد تمر بذكر الأمر الذى استطردت إليه مرورا كالبرق الخاطف ثم تتركه وتعود إلى ما كنت فيه ، كأنك لم تقصده ، وإنما عرض عروضاً .

قال : وبهذا يظهر أن ما فى سورة الأعراف والشعراء من باب الاستطراد لا التخلص ؛ لعَوْدِه فى الأعراف إلى قصة موسى بقوله[1] : « ومِنْ قَوْمِ موسى أُمةٌ ... » الخ . وفى الشعراء إلى ذكر الأنبياء والأمم .

ويقرب من حُسن التخلص الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطاً للسامع مفصولا[2] بهذا ، كقوله فى سورة ص — بعد ذكر الأنبياء[3] : « هذا ذِكْرٌ وإنَّ للمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ » . قال : هذا القرآن نوع من الذكر لما انتهى ذكر الأنبياء ، وهو نوع من التنزيل ، أراد أن يذكر نوعاً آخر وهو ذكر الجنة وأهلها ، ثم لما فرغ قال[4] : « هذا وإنَّ للطَّاغِين لشرَّ مآب » . فذكر النار وأهلها .

قال ابن الأثير[5] : هذا فى هذا المقام من الفصل الذى هو أحسن من الوصل ، وهى علاقة وكيدة بين الخروج من كلام إلى آخر [١٢ ب] .

---

(١) الأعراف : ١٥٩ (٢) فى ب : حصولا . (٣) ص : ٤٩ (٤) ٥٥

(٥) هو أبو الفتح نصر الله بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد ضياء الدين ابن الأثير ، صاحب كتاب « المثل السائر » توفى سنة ٦٣٧ .

[حسن المطلب]

ويقرب منه أيضاً حسن المطلب . قال الزنجاني والطيبي : وهو أن يخرج إلى الغرض بعد تقدمة[1] الوسيلة ؛ كقولك[2] : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإياكَ نَسْتَعِين » .

قال الطيبي : ومما اجتمع فيه حسن التخلص والمطلب معاً قوله تعالى — حكاية عن إبراهيم[3]: « فإنهُمْ عَدُوٌّ لِي إلا ربَّ العالمين . الذى خَلَقَنِي ... » إلى قوله: « رَبِّ هَبْ لى حُكماً وأَلْحِقْنِي بالصالحين » .

قاعدة

لبعض المتأخرين : الأمر الكلى المفيد لعرفان مناسبة الآيات فى جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذى سيقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات ، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات فى القُرْب والبُعْد من المطلوب ، وتنظر عند انجرار الكلام فى مقدمات إلى ما تستتبعه من استشراف نَفْس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التى تقتضى البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها ؛ فهذا هو الأمر الكلى المهيمنُ على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن ، فإذا فعلْتَه بيَّن لك وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية فى كل سورة وسورة .

تنبيه

من الآيات ما أشكلت مناسبتها لما قبلها ؛ من ذلك قوله تعالى فى سورة القيامة[4] : « لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ به ... » الآيات ؛ فإن وجه مناسبتها لأول السورة وآخرها عسير جداً ؛ فإن السورة كلها فى أحوال القيامة ،

---

(١) فى الإتقان : تقدم . (٢) الفاتحة : ٥ (٣) الشعراء : ٧٧
(٤) القيامة : ١٦

حتى زعم بعضُ الرافضة أنه سقط من السورة شيء ، وحتى زعم القفّال[1] فيما حكاه الفخر الرازى إلى أنها نزلت فى الإنسان المذكور قبل ، فى قوله[2] : « يُنَبَّأُ الإنسانُ يومئذ بما قَدَّمَ وأخَّر » . قال : يعرض عليه كتابُه ، فإذا أخذ فى القراءة تلجلج خوفاً ، فأسرع فى القراءة ، فيقال له : لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا أن نجمع عملك وأن نقرأ عليك ، فإذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه بالإقرار بأنك فعلت ، ثم إن علينا بيانَ أمرِ الإنسان وما يتعلق بعقوبته .

وهذا يخالف ما ثبت فى الصحيح أنها نزلت فى تحريك النبى صلى الله عليه وسلم لسانَه حالة نزول الوحى .

وقد ذُكر الأئمة لها مناسبات ؛ منها أنه تعالى لما ذكر القيامة ، وكان من شأن من يقصّر عن العمل لها حبُّ العاجلة ، وكان من أصل الدين أن المبادرة إلى أفعال الخير مطلوبة ، فنبه على أنه قد يعترِض على هذا المطلوب ما هو أجل منه ؛ وهو الإصغاء إلى الوحى وتفهم ما يراد منه ، والتشاغل بالحفظ قد يصد عن ذلك ، فأمر بألا يُبادر إلى التحفظ ؛ لأن تحفيظه مضمون على ربه ، وليصغى إلى ما يرد عليه إلى أن ينقضى ، فيتّبع ما اشتمل عليه . ثم لما انقضت الجملةُ المعترضة رجع الكلام إلى ما يتعلق بالإنسان المبدأ بذكره ، ومن هو من جنسه ، فقال[3] : « كلا » ، وهى كلمة رَدْع ، كأنه قال: بل أنتم يا بنى آدم لكونكم خلقتم من عَجَل تعجلون فى كل شيء ؛ ومن ثم تحبون العاجلة .

ومنها أن عادة القرآن إذا ذكر الكلام[4] المشتمل على عمل العبد حيث يعرض

---

(١) هو أبو بكر محمد بن إسماعيل الفقيه الشافعى المعروف بالقفال الكبير . توفى سنة ٣٦٥ (شذرات الذهب . ٣ — ٥٢) . وفى الإتقان : حتى ذهب ...

(٢) القيامة : ١٣

(٣) القيامة : ٢٠ ، كلا بل تحبون العاجلة .

(٤) فى الإتقان : الكتاب .

يوم القيامة أردفه بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينية فى الدنيا التى تنشأ عنها المحاسبة عملا وتركا ، كما قال فى الكهف[1] : « ووُضِعَ الكتابُ فترى المُجْرِمين مُشْفقِين مما فيه ... » إلى أن قال[2] : « ولقد صَرَّفنا فى هذا القرآن للناسِ مِنْ كلِّ مَثَلٍ ... » الآية .

وقال فى طه[3] : « يَوْمَ يُنفَخُ فى الصُّورِ وَنَحْشُرُ المجرمين يومئذ زُرْقاً .. » إلى أن قال[4] : « فتعالَى اللهُ الملكُ الحقُّ ولا تَعْجَلْ بالقرآن من قَبْلِ أنْ يُقْضَى إليكَ وَحْيُه » .

ومنها أن أول سورة القيامة لما نزل إلى[5] : « ولَوْ أَلْقَى مَعَاذِيره » صادف أنه صلى الله عليه وسلم فى تلك الحالة بادر إلى تحفظ الذى نزل ، وتحرك به لسانه من عجلته خشية من تفلته ، فنزل : لا تحرك به لسانك ... إلى قوله : ثم إن علينا بيانه ، ثم عاد الكلام إلى تكملة ما ابتدىء به .

قال الفخر الرازى : ونحوه ما لو ألقى المدرس على الطالب مسألة فتشاغل الطالب بشىء عرض له ، فقال له : ألق إلىّ بالك ، وتفهم ما أقول . ثم كمل المسألة ، فمن لا يعرف السبب يقول : ليس هذا الكلام [١٣ ا] مناسباً المسألة بخلاف مَنْ عرف ذلك .

ومنها أن « النفس » لما تقدم ذكرها فى أول السورة عدل إلى ذكر نفس المصطفى ، كأنه قال : هذا شأن النفوس ، وأنت يا محمد نفسك أشرف النفوس ؛ فلتأخذ بأكمل الأحوال .

ومن ذلك قوله تعالى[6] : « يسألونك عن الأهلةِ ... » الآية ، فقد قيل :

---

(١) الكهف : ٤٩ (٢) ٥٤ (٣) طه : ٢ ١
(٤) ١١٤ (٥) القيامة ١٥ (٦) البقرة : ١٨٩

أى رابط بين أحكام الأهلة وبين حكم إتيان البيوت من أبوابها ؟ وأجيب بأنه من باب الاستطراد، لما ذكر أنها مواقيت للحج ، وكان هذا من أفعالهم فى الحج — كما ثبت فى سبب نزولها — ذكر معه من باب الزيادة فى الجواب على ما فى السؤال على حد : سئل عن ماء البحر ، فقال : هو الطَّهُورُ ماؤُه الحِلُّ مَيْتَتُه .

ومن ذلك قوله تعالى[1] : « ولله المَشْرِقُ والمَغْرِبُ فأينما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ... » الآية . فقد يقال : ما وجه اتصاله بما قبله ، وهو قوله[2] : « ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فيها اسْمُه ... » الآية . قال الشيخ أبو محمد الجوينى[3] فى تفسيره : سمعت أبا الحسن الدهان يقول : وجه اتصاله هو أن تخريب بيت المقدس قد سبق ؛ أى فلا يجرمنكم ذلك واستقبلوه ، فإن لله المشرق والمغرب .

فصل

من هذا النوع مناسبة السور . وقد أفردت فيه جزءاً لطيفاً سميته مراصد المطالع فى تناسب المقاطع والمطالع[4] .

وانظر إلى سورة القصص كيف بدئت بأمر موسى ونصرته ، وقوله[5] : « فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمين » . وخروجه من وطنه . وختمت بأمر النبى صلى الله عليه وسلم بألا يكون ظهيراً للكافرين ، وتسليته عن إخراجه من مكة ، ووعده بالعود إليها ، لقوله فى أول السورة[6] : « إنا رادُّوه إليك » .

---

(١) البقرة : ١١٥ (٢) ١١٤

(٣) هو أبو المعالى عبد الملك بن أبى عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى العراق ، شيخ الغزالى ، توفى سنة ٤٧٨ (ابن خلكان : ١ — ٢٧٨) .

(٤) فى ب : المقاطع والمطالع . (٥) القصص : ١٧ (٦) القصص : ٧

قال الزمخشري : وقد جعل الله فاتحة سورة [المؤمنون][1] : « قد[2] أفلح المؤمنون » وأورد في خاتمتها[3]: « إنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكافرون » . فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة .

وذكر الكرماني في العجائب مثله ، وقال في سورة ص : بدأها بالذكر[4] وختمها بقوله[5]: « إنْ هُوَ إلاَّ ذِكْرٌ للعالمين » . وفي سورة ن بدأها بقوله[6]: « ما أنتَ بنعمةِ رَبِّكَ بمجنون » . وختمها بقوله[7] : « ويقولون إنَّه لمجْنُون » .

ومنه مناسبة فاتحة السورة لخاتمة[8] التي قبلها ، حتى إن منها ما يظهر تعلقها به لفظًا ، كما في[9] : « فجعلهم كَعَصْفٍ مَأْكول » . «[10] لإيلافِ قُرَيْش » . فقد قال الأخفش : اتصالها به من باب قوله[11]: « فالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وحَزَنا » .

وقال الكواشي[12] في تفسير المائدة : لما ختم سورة النساء أمراً بالتوحيد والعدل بين العباد أكد ذلك بقوله[13]: « يأيها الذينَ آمنوا أَوْفُوا بالعُقود » .

وقال غيره : إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى ، كافتتاح سورة الأنعام بالحمد ؛ فإنه

---

(١) من البرهان .   (٢) المؤمنون : ٢   (٣) ١١٧
(٤) أول السورة : ص ، والقرآن ذي الذكر .
(٥) هي الآية ٨٧ ، وهي قبل آخر آية من السورة .
(٦) ٢
(٧) ٥١ ، وهي الآية التي قبل الأخيرة من السورة .
(٨) في ا : لخاتمتها .   (٩) آخر سورة الفيل .   (١٠) قريش : ١
(١١) يوسف : ١١
(١٢) هو أحمد بن يوسف موفق الدين الكواشي الموصلي الشافعي توفي سنة ٦٨٠ ، وله كتابان في التفسير أحدهما التبصرة والآخر التلخيص ، ذكرها صاحب كشف الظنون .
(١٣) المائدة : ١

مناسب لختام المائدة من فصل القضاء ، كما قال تعالى[١] : « وقُضِيَ بينهم بالحق وقيل الحمدُ للهِ ربِّ العالمين » .

وكافتتاح سورة فاطر بالحمد أيضاً ، فإنه مناسب لختام ما قبلها من قوله تعالى[٢] : « وحِيلَ بينَهم وبين ما يشتَهون ، كما فُعِلَ بأشياعِهم مِنْ قبل » ؛ كما قال تعالى[٣] : « فقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الذينَ ظلموا والحمــــدُ لله ربِّ العالمين » .

وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح ، فإنه مناسب لختام[٤] ســورة الواقعة[٥] بالأمر به .

وكافتتاح سورة البقرة بقوله تعالى[٦] : « آلم . ذلك الـكتاب » . فإنه إشارة إلى الصراط فى قوله[٧] : « اهْدِنا الصراط المستقيم » ، كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط قيل لهم : ذلك الصراط المستقيم الذى سألتم الهداية إليه هو الـكتاب .

وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة .

ومن لطائف سورة الـكوثر أنها كالمقابلة للتى قبلها[٨] ؛ لأن السابقة وصف الله المنافق فيها بأربعة أمور : البخل ، وترك الصلاة ، والرياء فيها ، ومنع الزكاة ؛ فذكر فيها[٩] فى مقابلة البخل : إنا أعطيناك الـكوثر ؛ أى الخير الـكثير . وفى مقابلة ترك [١٣ ب] الصلاة فصلِّ ؛ أى دُمْ[١٠] عليها . وفى مقابلة الرياء لربك

---

(١) الزمر : ٦٩ (٢) آخر سبأ : ٥٤ (٣) الأنعام : ٤٥

(٤) ختام سورة الواقعة : فسبح باسم ربك العظيم . وأول سورة الحديد : سبح لله ما فى السموات والأرض .

(٥) فى الأصلين : البقرة ، والصواب فى الاتقان .

(٦) البقرة : ١ (٧) الفاتحة : ٦ (٨) التى قبلها سورة الماعون .

(٩) أى فى سورة الـكوثر . (١٠) فى الاتقان : دم عليها .

أى لرضاه لا للناس وفى مقابلة]⁽¹⁾ منع الساعون وانْحَر ، وأراد به التصدق بلحم الأضاحى .

[أسباب ترتيب السور فى المصحف]

وقال بعضهم[٢] : لترتيب وضع السور فى المصحف أسباب تُطْلِعُ[٣] على أنه توقيفى صادر عن حكيم :

أحدها — بحسب الحروف ، كما فى الحواتم .

الثانى — لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها ، كآخر الحمد فى المعنى وأول البقرة .

الثالث — للوزان فى اللفظ ، كآخر « تبّت » وأول « الإخلاص » .

الرابع — لمشابهة جملة السورة لجملة أخرى كالضحى و « ألم نشرح » .

قال بعض الأئمة : وسورة الفاتحة تضمنت الإقرار بالربوبية والالتجاء إليه فى دين الإسلام ، والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية . وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين . وآل عمران تكملة المقصود ؛ فالبقرة بمنزلة إقامة الدين على الحكم ، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم ؛ ولهذا ورد فيه[٤] ذكر المتشابه لما تمسك به النصارى . وأوجب الحج فى آل عمران . وأما فى البقرة فذكر أنه مشروع وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه ، وكان خطاب النصارى فى آل عمران أكثر ، كما أن خطاب اليهود فى البقرة أكثر ؛ لأن التوراة أصل والإنجيل فرع لها ، والنبى صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم ، وكان

---

(١) من الاتقان . (٢) البرهان : ١ — ٢٦٠ (٣) ق ١ : قطع .
(٤) يريد الجواب . وفى البرهان : ولهذا قرن فيها ذكر المتشابه .

جهاده النصارى فى آخر الأمر ؛ كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب ؛ ولهذا كانت السوَر المكية فيها الدين الذى اتفق عليه الأنبياء ، فخوطب به جميعُ الناس ، والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين ؛ فخوطبوا بأهل الكتاب ، يا بنى إسرائيل ، يأيها الذين آمنوا .

وأما سورة النساء فتضمنت أحكام الأسباب التى بَيْنَ الناس ، وهى نوعان : مخلوقة لله تعالى ، ومقدرة لهم ؛ كالنسب والصهر ؛ ولهذا افتتحت بقوله[1] : « يأيُّها الناس اتَّقُوا ربكم الذى خلقكم من نَفْس واحدة وخلق منها زَوْجَها » . ثم قال : « واتَّقُوا اللهَ الذى تساءَلُون به والأرحام » . فانظر هذه المناسبة العجيبة بالافتتاح وبراعة الاستهلال ، حيث تضمنت الآية المفتتح بها نظير السورة فى أحكامه من نكاح النساء ومحرماته ، والمواريث المتعلقة بالأرحام ؛ وإن ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم ثم بخلق زوجه منه ، ثم بثّ منهما رجالا كثيراً ونساء فى غاية الكثرة .

وأما المائدة فقد تضمنت بيان تمام الشرائع ، وتكملات الدين ، والوفاء بعهود الرسول ، وما أخذ على الأمة ، وبها تم الدين ؛ فهى سورة التكميل ؛ لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذى هو من تمام الإحرام ، وتحريم الخمر الذى هو من تمام حفظ العقل والدين ، وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين الذى هو من تمام حفظ الدماء والأموال ، وإحلال الطيبات الذى هو من تمام عبادة الله ؛ ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ كالوضوء ، والتيمم ، والحكم بالقرآن على كل ذى دين ؛ ولهذا أكثر فيها من لفظ الإتمام والإكمال ،

---

(١) النساء : ١

وذكر فيها أن من ارتد عَوّضَ الله بخير منه ، ولا يزال هذا الدين كاملا ، ولهذا ورد فيها أنها آخر ما نزل ، لما فيها من إشارات الختم والتمام .

وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات [1] من أحسن الترتيب .

وقال أبو جعفر بن الزبير : حكى الخطابي أن الصحابة لما اجتمعوا على جمع القرآن ، ووضعوا سورة « القَدْر » عقِبَ « العَلَق » ، استدلوا بذلك على أن المراد بذلك [2] الكناية في قوله : « إنا أنزلناه في ليلة القَدْر » الإشارة إلى قوله اقْرَأْ .

قال القاضي أبو بكر بن العربي : وهذا بديع [3] جداً .

فصـــل

[افتتاح السور بالحروف المقطعة]

قال في البرهان [4] : ومن ذلك افتتاح السور بالحروف المقطعة واختصاص كل واحدة بما بدئت به ، حتى لم تكن ترد آلم في موضع آلر ولا حم في موضع طس ؛ قال : وذلك أن كل سورة بدئت بحرف منها ؛ فإن أكثر كلماتها وحروفها [١٤ ا] مماثل له ، فحق لكل سورة منها ألا يناسبها غير الوارد فيها ، فلو وضع « ق » موضع « ن » ؛ لم يمكن ؛ لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله . وسورة « ق » بدئت به لما تكرر فيها من الكلمات بلفظ القاف ، من ذلك القرآن ، والخلق ، وتكرير القول ، ومراجعته مراراً ، والقرب من ابن آدم ، وتلقى الملكين ، وقول العتيد والرقيب ، والسابق ، والإلقاء في جهنم ،

---

(١) البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة .

(٢) في نسخة بها . (٣) في ا : بعيد .

(٤) البرهان : ١ — ١٦٩ — ١٧١

والتقدم بالوعد ، وذكر المتقين ، والقلب ، والقرون ، والتنقيب فى البلاد ، وتشقق الأرض ، وحقوق[1] الوعيد ، وغير ذلك .

وقد تكررت الراء فى سورة يونس من الكلام الواقع فيها إلى مائتى كلمة أو أكثر ، فلهذا افتتحت بالراء .

واشتملت سورة « ص » على خصومات متعددة ، فأولها خصومة النبى صلى الله عليه وسلم مع الكفار وقولهم[2] : « أَجَعَلَ الآلهةَ إلهاً واحدا » . ثم اختصام الخَصْمَيْن[3] مع داود ، ثم تخاصم أهل النار ، ثم اختصام المَلَأ الأعْلَى ، ثم تخاصم إبليس فى شأن آدم ، ثم فى شأن بنيه وإغوائهم .

وآلم جمعت المخارج الثلاثة الحلق واللسان والشفتين على ترتيبها ؛ وذلك إشارة إلى البداية التى هى بدء الخلق والنهاية التى هى المعاد والتوسط[4] الذى هو المعاش من التشريع بالأوامر والنواهى .

وكل سورة افتتحت بها فهى مشتملة على الأمور الثلاثة .

وسورةُ الأعراف زيد فيها الصاد على آلم لما فيها من شرح القصص : قصة آدم فمن بعده من الأنبياء ، ولما فيها من ذكر[5] : « فلا يَكُنْ فِى صَدْرِكَ حَرَج » ، ولهذا قال بعضهم : معنى آلمص : ألم نشرح لك صدرك .

وزيد فى الرعد لأجل قوله[6] : « رفعَ السموات » ، ولأجل ذكر الرعد والبرق وغيرهما .

واعلم أن عادة القرآن العظيم فى ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق

---

(١) فى البرهان : وخوف الوعيد . (٢) ص : ٤
(٣) فى البرهان : عند داود (٤) فى الإتقان : التى هى بدء المعاد والوسط .
(٥) الأعراف : ٢ (٦) الرعد : ٢

بالقرآن ، كقوله تعالى[1] : « آلم . ذلك الكتاب » . « نَزَّل[3] عليكَ الكتابَ » . « المص[2] . كتابٌ أُنزِلَ إليكَ » . « آلمر[4] ، تلك آياتُ الكتاب » . « طه[5] . ما أنزلنا عليكَ القرآنَ لِتَشقى » . « طسم[6] . تلك آياتُ الكتابِ المُبين » . « يس . والقرآن » . « ص . والقرآن » . « حم[7] . تنزيلُ الكتاب » . « ق . والقرآن » . إلا في ثلاث سور : العنكبوت[8] ، والرُّوم[9] ، ون ، ليس فيها ما يتعلق به ، وقد ذكرتُ حكمة ذلك في أسرار التنزيل .

[أنزل القرآن على سبعة أحرف]

وقال الحرالي[10] : في معنى حديث : أنزل القرآن على سبعة أحرف : زاجر ، وآمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال .

اعلم أن القرآن نزل عند انتهاء الخلق ، وكمال كل الأمر بدْءاً ، فكان المتخلق به جامعاً لانتهاء كل خلق ، وكمال كل أمر ؛ فكذلك هو صلى الله عليه وسلم قيم[11] الكون ، وهو الجامع الكامل ؛ ولذلك كان خاتماً وكتابه كذلك . وبدأ المعاد من حين ظهوره ، فاستوفى هذه الجوامع الثلاث التي قد خلت في الأولين بداياتها ، وتمت عنده غاياتها ؛ بُعثت لأتمِّمَ مكارم الأخلاق ، وهي صلاح الدين

---

(١) أول البقرة . (٢) آل عمران : ٣ . (٣) أول آل عمران .
(٤) أول الرعد . (٥) أول طه . (٦) أول الشعراء ، وأول القصص .
(٧) أول غافر . (٨) أولها : آلم . أحسب الناس أن يتركوا .
(٩) أولها : آلم . غلبت الروم .
(١٠) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن التجيبي ، صاحب التفسير العظيم . وله أيضاً شرح الموطأ ، والشفاء ، وفتح الباب المقفل وغيرها . توفي سنة ٦٣٧ (شذرات الذهب : ٥ — ١٨٩) .
(١١) في الإتقان : قسيم .

والمعاد التى جمعها قوله صلى الله عليه وسلم : اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمةُ أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى إليها معادى . وفى كل صلاح إقدام وإحجام ؛ فتصير الجوامع الثلاثة ستة هى حروف القرآن الستة ، ثم وُهب حرفًا جامعًا شائعًا فرداً لا زوج له ، فتمت سبعة .

فأدنى تلك الحروف هو صلاح الدنيا ، فلها حرفان : حرف الحرام الذى لا تصلح النفس والبدن إلا بالتطهر منه ، لبعده عن تقويمها . والثانى حرف الحلال الذى تصلح النفس والبدن عليه لموافقته تقويمها ؛ وأصل هذين الحرفين فى التوراة ، وتمامهما فى القرآن . ويلى ذلك حرْفا صلاح المعاد : أحدهما حرف الزجر والنهى الذى لا تصلح الآخرة إلا بالتطهر منه لبعده عن حسناها[1] ، والثانى حرف الأمر الذى لا تصلح الآخرة إلا عليه لتقاضيه لحسناها[1] ؛ وأصل هذين الحرفين فى الإنجيل وتمامهما فى القرآن . ويلى ذلك حرفا صلاح الدين : أحدهما حرف المحكم الذى بان للعبد فيه خطابُ ربه . والثانى حرف المتشابه الذى لا يتبين للعبد فيه خطاب ربه من جهة قصور عقله عن إدراكه ؛ فالحروف [١٤ ب] الخمسة للاستعمال . وهذا الحرف السادس للوقوف والاعتراف بالعجز ؛ وأصل هذين الحرفين فى الكتب المتقدمة كلها ، وتمامها فى القرآن . ويختص القرآن بالحرف السابع ؛ وهو حرف المثل المبين للمثل الأعلى .

ولما كان هذا الحرف هو الحمد افتتح الله به القرآن ، وجمع فيه جوامع الحروف السبعة التى بثها فى القرآن ؛ فالآية الأولى تشتمل على حرف الحمد الشائع ، والثانية تشتمل على حرْفَى الحلال والحرام اللذين أقامت الرحمانية بهما الدنيا والرحيمية الآخرة .

---

(١) فى الإتقان : حسناتها .

والثالثة تشتمل على أمر الملك القيم على حرفى الأمر والنهى اللذين يبدو أمرهما فى الدين .

والرابعة تشتمل على حرفى المحكم فى قوله : إِيَّاكَ نَعْبُدُ ، والمتشابه فى قوله : وإياك نستعين . ولما افتتح أُمّ القرآن بالسابع[1] الجامع الموهوب ابتدئت البقرة بالسادس المعجوز عنه ، وهو المتشابه . انتهى كلام الحرالى .

والمقصود منه هو الأخير . على أنى أقول: المناسبة فى ابتداء البقرة بآ لم أحسن مما قال؛ وهو أنه لما ابتدئت الفاتحة بالحرف المحكم الظاهر لكل أحدٍ الذى لا يُعْذَر أحد فى فهمه — ابتدئت البقرة بمقابله ، وهو الحرف المتشابه البعيد التأويل أو المستحيله .

ومن هذا النوع مناسبة أسماء السور لمقاصدها .

وفى العجائب للكرمانى : إنما سمِّيت السور السبع « حم » على الاشتراك فى الاسم لما بينهنّ من التَّشَاكُل الذى اختصت به ؛ وهو أن كل واحدة منها استفتحت بالكتاب أو صِفَة الكتاب ، مع تفاوت[2] المقادير فى الطول ، والقِصَر ، وتشاكل الكلام فى النظام .

* * *

الوجه الخامس من وجوه إعجازه

افتتاح السور[3] وخواتمها

وهو من أحسن البلاغة عند البيانيين . وهو أنْ يتأنَّقَ فى أول الكلام ؛ لأنه أول ما يقرع السمع ، فإن كان محرراً قبِلَ السامع[4] قَبِلَ الكلام ووعاه ،

---

(١) فى ا ، ب: بالشائع.
(٢) فى الإتقان : مع تقارب .
(٣) فى ا : سور .
(٤) فى الإتقان : أقبل السامع على الكلام ووعاه .

وإلا أعرض عنه ، وإن كان فى نهاية الحسن ؛ فينبغى أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ وأرقه ، وأجزله وأسلسه ، وأحسنه نظماً وسبكاً ، وأصحه معنى وأوضحه ، وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير المُلْبِس ، أو الذى لا يناسب . قالوا : وقد أتت فواتح جميع السور على أحسن الوجوه وأكملها ؛ كالتحميدات ، وحروف النداء ، والهجاء ، وغير ذلك .

[براعة الاستهلال]

ومن الابتداء الحسن نوع أخص منه يسمى براعة الاستهلال ، وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ، ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله ؛ والعَلَم الأسنى فى ذلك سورة الفاتحة التى هى مطلع القرآن ؛ فإنها مشتملة على جميع مقاصده ؛ لأنه افتتح فيها [فنبه فى الفاتحة على جميع مقاصد القرآن . وهذا هو الغاية فى براعة الاستهلال . مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة ، والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة .

[خواتم الســـور]

وخواتم السور مثل الفواتح فى الحسن ؛][1] ، فلهذا جاءت متضمنة للمعـــانى البديعة ، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام ، حتى لا يبقى معه للنفوس تشوُّف إلى ما يذكر [بعد][2] ؛ لأنها بين أدعيـــة ووصايا ، وفرائض ، وتحميد وتهليل ومواعظ ، ووعد ووعيد ، إلى غير ذلك ، كتفصيل جملة المطلوب فى خاتمة الفاتحة ؛ إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصى المسبِّبة لِغَضَب الله والضلال ، ففصّل جملة ذلك بقوله : الذين أنعمت

---

(١) من الإتقان .　　(٢) من الإتقان .

عليهم . والمراد المؤمنون ؛ ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيده ليتناول كلَّ إنعام؛ لأنَّ مَنْ أنعم اللهُ عليه بنعمة الإيمان فقد أنعم عليه بكل نعمة ؛ لأنها مسببة لجميع النعم . ثم وصفهم بقوله : غير المغضوب عليهم ولا الضالِّين . يعنى أنهم جمعوا بين النعم المطلقة — وهى نعمة الإيمان — وبين السلامة من غضب الله والضلال المتسببين عن معاصيه وتعدى حدوده ، وكالدعاء الذى اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة[1] ، وكالوصايا التى ختمت بها سورة آل عمران ، والفرائض التى ختمت بها سورة النساء ، وحَسُنَ الخَتم بها لما فيها من أحكام الموت الذى هو آخر كل امرىء حى ؛ والآخر ما نزل من الأحكام [١٥ ا] وكالتبجيل والتعظيم الذى خُتِمَتْ به المائدة . وكالوعد والوعيد الذى ختمت به الأنعام . وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذى ختمت به الأعراف . وكالحضِّ على الجهاد وصلة الأرحام الذى ختمت به الأنفال . وكوصف الرسول ومدحه والتهليل الذى ختمت به براءة . وتسليته عليه السلام التى ختم بها سورة يونس . ومثلها خاتمة هود . ووصف القرآن ومدحه الذى ختم به يوسف . والرد على من كذّب يوسف والرد على من كذب الرسول الذى ختم به الرعد .

ومن أوضح ما آذن بالختام خاتمة إبراهيم : «هذا بلاغٌ للناس ... » الآية . ومثلها خاتمة الأحقاف ،وكذلك خاتمةالحجر :« واعْبُدْ رَبَّكَ حتى يأتيكَ اليَقين»، وهو مُفَسّر بالموت ، وهو فى غاية البراعة .

وانظر إلى سورة الزَّلْزَلة كيف بدئت بأحوال القيامة . وختمت بقوله[2] : « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه » ... الآية .

---

(١) ٢٨٥ ، ٢٨٦   (٢) الزلزلة : ٧٧

وانظر إلى براعة آخر آية نزلت، وهي قوله[1] : « وَاتَّقُوا يوماً تَرْجَعُونَ فيه إلى اللهِ » ، وما فيه من الإشعار بالآخرية المستلزمة للوفاة ، وكذا آخر سورة نزلت ، وهي سورة النَّصْرِ ، فيها الإشعار بالوفاة ، كما قال ابن عباس ، كأنه قال له : إذا جاء نَصْرُ اللهِ والفَتْحِ فذلك علامةُ أَجَلِك . فسبِّحْ بحمدِ رَبِّكَ واستَغْفِرْه [٣٤] إنه كان تواباً ، ووافقه عمر على ذلك .

[ختم القرآن بالمعوذتين]

فإن قلت : ما الحكمة في ختم هذا القرآن العظيم بالمعوّذتين ؟ والجواب ما قاله ابن جرير في تفسيره عن شيخه ابن الزبير : لثلاثة أمور :

الأول — لما كان القرآن العظيم من أعظم نعم الله على عباده ، والنعم مظنّة الحسد ، فختم بما يطفىء الحسد من الاستعاذة بالله .

الثاني — إنما ختم بهما لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيهما : أُنْزِلَتْ عليّ آيات لم أَرَ مِثْلَهنّ قط ، كما قال في فاتحة الكتاب : لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها ؛ فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها ، واختتم بسورتين لم ير مثلهما ؛ ليجمع حسن الافتتاح والاختتام .

ألا ترى أن الخطَب والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما يُنظر فيها إلى حسن افتتاحها واختتامها .

الثالث — أنه لما أمر القارىء أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم ختم القرآن بالمعوذتين لتحصُلَ الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ

---

(١) البقرة: ٢٨١

من القرآن . فتكون الاستعاذة اشتملت على طرفى الابتداء والانتهاء ؛ ليكون القارئ محفوظاً بحفظ الله الذى استعاذ به من أول الأمر إلى آخره .

[علوم القرآن]

قال البيهقى فى شعب الإيمان : أخبرنا أبو القاسم بن حبيب ، حدثنا محمد ابن صالح بن هانئ ، حدثنا الحسين بن الفضل ، حدثنا عفان بن مسلم ، عن الربيع ابن صبيح ، عن الحسن ، قال : أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومه منها أربعة : التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والفرقان ، ثم أودع علم التوراة والإنجيل والزبور فى الفرقان ، ثم أودع علوم القرآن فى المفصل ، ثم أودع المفصل فاتحة الكتاب ؛ فمن علم تفسيرها كان كمن علم[1] جميع الكتب المنزلة .

وقد وُجّه ذلك بأن العلوم التى احتوى عليها القرآن وقامت بها الأديان أربعة : علم الأصول ؛ ومداره على معرفة الله وصفاته ؛ وإليه الإشارة برب العالمين الرحمن الرحيم . ومعرفة النبوات ؛ وإليه الإشارة بالذين أنعمت عليهم . ومعرفة المعاد ؛ وإليه الإشارة بمَالِكِ يَوْمِ الدين . وعلم العبادات ؛ وإليه الإشارة بإيّاكَ نَعْبُدُ . وعلم السلوك ؛ وهو حَمْلُ النفس على الآداب الشرعية ، والانقياد لرب البرية ؛ وإليه الإشارة بإياك نستعين . اهْدِنَا الصِّرَاطَ المستقيم . وعلم القصص ، وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ؛ ليعلم المطلع على ذلك سعادةَ من أطاع الله [١٥ ب] وشقاوة من عصاه ؛ وإليه الإشارة بقوله : صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

فنبّه فى الفاتحة على جميع مقاصد القرآن ؛ وهذا هو الغاية فى براعة الاستهلال

(١) فى الإتقان : كمن علم تفسير جميع الكتب .

مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة .

وكذلك أول سورة اقْرَأْ لـكونها أول ما نزل من القرآن ؛ فإن فيها الأمر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله ؛ وفيه الإشارة إلى علم الأحكام ، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب ، وإثبات ذاته وصفاته ، من صفات ذات وصفة فعل[1] ؛ وفى هذا الإشارة إلى أصول الدين . وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله[2] : « عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » ؛ ولهذا قيل : إنها جديرة أن تُسمى عنوان القرآن ؛ لأن عنوان الـكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة فى أوله .

[فى فواتح السـور[3]]

والـكلام فى هذا الوجه عريض ، أفرده بالتأليف ابن أبى الإصبع فى كتاب سماه « الخواطر السوانح فى أسرار الفواتح » ، وهأنا ألخص هنا ما ذكره مع زوائد من غيره ، طالباً ممن نظر فيه دعوةً خالصة فى وقت استجابة أن ينفعنا بهذا القرآن العظيم بجاه نبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم :

أعلم أن الله تعالى افتتح القرآن بعشرة أنواع من الـكلام لا يخرج شىء من السور عنها :

الأول — الثناء عليه تعالى ؛ والثناء قسمان : إثبات لصفات المدح ، ونفى وتنزيه عن صفات النقص ؛ فالأول التحميد فى خمس سور ، و « تبارك » فى سورتين[4] .

---

(١) فى الاتقان : من صفة ذاته وصفة فعله . (٢) العلق : ٥

(٣) وضعنا هذا العنوان ، لأن الحديث فيا يأتى فى فواتح السور ، وهو فى الاتقان .

(٤) فى الفرقان : تبارك الذى نزل الفرقان ، وفى الملك : تبارك الذى بيده الملك (من البرهان : ١ — ١٦٤) .

والثانى التسبيح[١] فى سبع سور .

قال الكرمانى فى متشابه القرآن : التسبيح كلمة استأثر الله بها ، فبدأ بالمصدر فى بنى إسرائيل ؛ لأنه الأصل ، ثم بالماضى فى الحديد والحشر[٢] ؛ لأنه أسبق الزمانين ، ثم بالمضارع فى الجمعة والتغابن ، ثم بالأمر فى الأعلى ؛ استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها .

الثانى — حروف التهجى فى تسع وعشرين سورة ، وسيأتى الكلام عليها فى وجه تشابهه ، ومضى فى وجه مناسبة سوره[٣] .

الثالث — النداء فى عشر[٤] سور ؛ خمس بنداء الرسول صلى الله عليه وسلم : الأحزاب ، والطلاق ، والتحريم ، والمزّمّل ، والمدّثّر . وخمس بنداء الأمة : النساء ، والمائدة ، والحج ، والحجرات ، والممتحنة .

الرابع — الجمل الخبرية ، نحو : « يسألونك عن الأنفال » . « بَرَاءَةٌ[٥] مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ . أتى[٦] أَمْرُ اللهِ . اقترب[٧] للناس حسابهم . قد أفلح المؤمنون . سُورَةٌ[٨] أنزلناها . تَنْزِيلُ[٩] الكتاب . الذين كفروا . إنّا فتحنا . اقْتَرَبَتِ[١٠] الساعةُ . الرحمن علّم القرآن . قد[١١] سَمِع . الحاقّةُ . سأل سائل . إنا أرسلنا[١٢] نوحاً . لا أُقسم[١٣] فى موضعين . عبس . إنا أنزلناه . لم يكن[١٤] . القارعة . ألهاكم . إنا أعطيناك . فتلك ثلاثٌ وعشرون سورة .

الخامس — القسم فى خمس عشرة : سورة أقسم فيها بالملائكة وهى :

---

(١) فى البرهان : والتنزيه . (٢) فى البرهان : والصف . (٣) صفحة ٣٢

(٤) فى ا ، ب : خمس عشرة سورة — تحريف . والصواب فى البرهان والاتقان .

(٥) التوبة : ١ (٦) النحل (٧) الأنبياء

(٨) النور (٩) الزمر (١٠) القمر

(١١) المجادلة (١٢) نوح (١٣) القيامة ، والبلد

(١٤) البينة .

والصافّات . وسورتان بالأفلاك : البروج . والطارق . وست سور بلوازمها : فى النجم أقسم بالثريا . والفجر بمبدأ النهار . والشمس بآية النهار . والليل بشطر الزمان . والضحى بشطر النهار . والعصر بالشطر الآخر ؛ أو بجملة الزمان . وسورتان بالهواء الذى هو أحد العناصر : والذاريات . والمرسلات . وسورة بالتربة التى هى منها أيضاً ؛ وهى الطور . وسورة بالنبّات وهى : والتين . وسورة بالحيوان الناطق ، وهى : والنازعات . وسورة بالبهائم ، وهى : والعاديات .

السادس — الشرط فى سبع سور : الواقعة . والمنافقون . والتكوير . والانفطار . والانشقاق . والزّلْزَلَة . والنَّصْر .

السابع — الأمر فى ست[1] سور : قل أوحى. اقرأ . قل يأيها الكافرون . والإخلاص . والمعوذتين .

الثامن — الاستفهام فى ست : هل أتى[2] . عَمَّ يتساءلون . هل أتاك[3] . ألم نشرح . ألم تر . أرأيت[4].

التاسع — الدعاء فى ثلاث : وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِين [١٦ ا] . وَيْلٌ لِكُلِّ همزة . تَبَّتْ [يدَا][5] .

العاشر — التعليل فى : لِإِيلَافِ قُرَيش . هكذا جمع أبو شامة[6] ، قال : وما ذكرناه فى قسم الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر ، وكذا الثناء كله خبر ،

(١) فى ا : سبع — تحريف . (٢) الدهر . (٣) الغاشية .
(٤) الماعون . (٥) ليس فى ا
(٦) هو عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان الشافعى المقدسى ، المعروف بأبى شامة ، شارح الشاطبية ، وصاحب كتاب الذيل على الروضتين . توفى سنة ٦٦٥ (شذرات الذهب : ٥ — ٣١٨) .

إلا سبِّح فإنه يدخل فى قسم الأمر ، وسبحان يحتمل الأمر والخبر ؛ ثم نظم ذلك فى بيتين[1] :

أثنى على نَفْسِهِ سبحـــانه بثبو
تِ الحمد والسلب لَمَّا استفتح السُّوَرَا
والأمرُ شرط النِّدا التعليلُ والقَسَم الـ
ـدعا حروفُ التهجِّى استفهمِ الخَبَرا

وسُئل الشيخ الإمام تاج الدين السبكى عن الحكمة فى افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح، والكهف بالتحميد . فأجاب بأن التسبيح حيث جاء مقدم على التحميد ؛ نحو : فسبح بحمد ربِّك . سبحان الله والحمد لله .

وأجاب ابن الزَّملكانى بأن سورة سبحان لما اشتملت على الإسراء الذى كذَّب المشركون به النبى صلى الله عليه وسلم ، وتكذيبه تكذيبٌ لله تعالى — أتى بسبحان لتنزيه الله عما نُسب إليه ولنبيِّه من الكذب .

وسورة الكهف لما أُنزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف وتأخير الوحى نزلت مبيِّنَةً أنَّ الله تعالى لم يقطع نعمته عن نبيه ولا عن المؤمنين؛ بل أتم عليهم النعمة بإنزال الكتاب ، فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة .

وفى تفسير الحوفى[2] : افتتحت الفاتحة بقوله : الحمد لله رب العالمين ، فوصف بأنه مالك جميع المخلوقين . وفى الأنعام والكهف وسبأ وفاطر لم يوصَف بذلك ، بل بفرد من أفراد صفاته وهو خلقُ السموات والأرض . والظلمات والنور فى الأنعام . وإنزال الكتاب فى الكهف . ومالك ما فى السموات وما فى الأرض

---

(١) البرهان : ١ — ١٨١

(٢) الحوفى هو أبو الحسن على إبراهيم الحوفى المصرى ، توفى سنة ٤٣٠ ، وتفسيره هو البرهان فى تفسير القرآن .

فى سبأ . وخلقهما فى فاطر ، لأنّ الفاتحةَ أمُّ القرآن ومطلعه ، فتحسب الإتيان فيها بأبلغ الصفات وأعمها وأشملها .

قال الأستاذ ابن الزبير[1] : وأما مناسبة الوصف الوارد فى سورة الأنعام فمن حيث ما وقع فيها من الإشارة إلى مَنْ عبد الأنوار ، وأعاد سبحانه ذكر ما فيه الدلالة البينة على بُطلان مذهب مَنْ عَبد النيرات أو شيئاً منها فى قوله تعالى[2] : « وكذلك نُرِى إبراهيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأرض... » الآيات . فقال[3] : « فلما جَنَّ عليه الليلُ رأى كَوْكَبًا » . ثم قال عليه السلام على جهة الفرْض وإقامة الحجة على قومه : « هذا رَبِّى » فلما أفل قال : لا أُحِبُّ الآفلين . ثم قال فى الشمس والقمر مُستدلاً بتغيُّرها وتقلُّبهما فى الطلوع والغروب على أنهما حادثين مربوبين مسخرين طالعين[4] لمُوجِدها المنَزَّه عن سمات التغير والحدوث ؛ فقال عليه السلام عند ذلك لقومه[5] : « إنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُون » ؛ فأخبر عن حاله قبل هذا الاعتبار وبعده . قال تعالى[6] : « ما كان إبراهيمُ يهوديًّا ولا نصرانيا ... » الآية .

وفى طىِّ قوله : وما كان مِن المشرِكين تنزيهه عن عبادة النيرات وغيرها مما سواه تعالى ؛ وبانَ من هذا كله ما افتتحت به السورة من افراده تعالى بخلق السموات والأرض ، والظلمات والنور ؛ فوضح التلازمُ والتناسب .

وأما سورة الكهف فإنها لما انطوت على التعريف بقصة أهل الكهف ، ولقاء موسى عليه السلام والخضر ، وما كان من أمرهما ، وذكر الرجل الطوّاف

---

(١) هو أحمد بن ابراهيم بن الزبير الأندلسى النحوى الحافظ صاحب كتاب الذيل على الصلة ، وكتابه فى مناسبات الآى ، اسمه « البرهان فى مناسبة ترتيب سور القرآن » . توفى سنة ٨٠٧ (الدرر الكامنة ١ — ٨٤) .

(٢) الأنعام : ٧٥ (٣) ٧٦ من السورة نفسها . (٤) هكذا فى الأصول .

(٥) ٧٨ (٦) آل عمران : ٦٧

وبلوغه مطلع الشمس ومغربها ، وبنيانه سدَّ يأجوج ومأجوج ، وكل هذا إخبار عما لا مجال للعقل فيه ، ولا تُعرف حقيقته إلا بالوحي والإنباء بالصدق[1] الذى لا عِوَج فيه ولا إمتراء ولا زيغ — ناسب ذكر افتتاح السورة المعرّفة بذلك بالوحى المقطوع به قوله تعالى[2]: «الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً» . والتناسب فى هذا أوضح من أن يتوقف فيه .

وأما سورة سبأ فلما تضمنت ما منح سبحانه داود عليه السلام من تسخير الجبال والطير والريح وإلانة الحديد ناسب ذلك ما به افتتحت السورة من أن الكل ملكه وخلقه، فهو المسخِّر لها والمتصرف فى الكل بما شاء ، فقال تعالى[3]: « الحمدُ لله الذى له ما فى السمّوات وما فى الأرض وله الحمدُ فى الآخرة » . وهذا أوضح التناسب .

وأما سورة الملائكة فمناسبة وصفه تعالى باختراع السموات والأرض لما ذكره من خلق عامّ فى السموات من [١٦ ب] الملائكة وجعلهم رُسلا أولى أجنحة ، وإمساكه السموات والأرض أن تزولا — أبين شىء وأوضحه ؛ وليس شىء من هذه الأوصاف العليّة بمناسب لغير موضعه لمناسبته موضعه الوارد منه . فقد بان مجىء كُلٍّ منها فى موضعه ملائماً لما اتصل به . والله أعلم .

قال الكرمانى[4] فى العجائب : إن قيل كيف جاء يسألون أربع مرات بغير واو[5]: «يسألونك عن الأهلَّة» . «يسألونك[6] ماذا يُنفقون» . «يسألونك[7] عن الشّهر الحَرَام» . «يسألونك[8] عن الخمر» . ثم جاء ثلاث مرات

---

(١) فى ١ : الصدق . (٢) أول الكهف . (٣) أول سبأ .

(٤) هو محمود بن حمزة الكرمانى ، المعروف بتاج القراء . وكتابه العجائب فى تفسير القرآن .

(٥) البقرة : ١٨٩ (٦) البقرة : ٢١٥ (٧) البقرة : ٢١٧

(٨) البقرة : ٢١٩

بالواو : ويسألونك[١] ماذا يُنفقون . ويسألونك[٢] عن اليتامى . ويسألونك[٣] عن المَحِيض .

قلنا : لأن سؤالهم عن الحوادث الأوَل وقع متفرقاً ، وعن الحوادث الأُخَر وقع فى وقت واحد ، فجىء بحرف الجمع دلالة على ذلك .

فإن قيل : كيف جاء[٤] : «ويسألونك عن الجبال فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّى نَسْفاً » . وعادة القرآن مجىء قل فى الجواب بلا فاء ؟ أجاب الكرمانى بأن التقدير لو سئلت عنها فَقُلْ .

فإن قيل : كيف جاء[٥] : « وإذا سألك عِبَادِى عَنِى فَإِنِّى قَرِيب » ؟ وعادة السؤال يجىء جوابه فى القرآن بِقُلْ .

قلنا : حُذِفت للإشارة إلى أن العبد فى حالة الدعاء فى أشرف المقامات ، لا واسطة بينه وبين مولاه .

ورد فى القرآن سورتان ، أولهما يأيها الناس فى نصفه الأول ، وهى تشتمل على شرح المبدأ ، والتى فى النصف الثانى على شرح المعاد .

* * *

الوجه السادس من وجوه إعجازه
مُشْتَبِهَات آياته

وذلك أن القصة الواحدة ترد فى سور شتّى وفواصل مختلفة بأن يأتى فى موضع واحد مقدماً وفى آخر مؤخراً ، كقوله فى البقرة[٦] : « وادخُلُوا البَابَ سُجَّداً

---

(١) البقرة : ٢١٩ (٢) البقرة : ٢٢٠ (٣) البقرة : ٢٢٢
(٤) طه : ١٠٥ (٥) البقرة : ١٨٦
(٦) البقرة : ٥٨ . وحطة : مصدر حط ، ومعناه : احطط عنا خطايانا .

وقولوا حِطَّة » . وفى الأعراف[١] : « وقولوا حِطَّة وادْخُلُوا البابَ سُجَّدا » . وفى البقرة[٢] : « وما أُهِلَّ بهِ لغَيْرِ اللهِ » ، وسائر القرآن[٣] : « وما أُهِلَّ لغَيْرِ الله به » .

وفى موضع بزيادةٍ وفى موضع بدونها ؛ نحو[٤] : « سَوَاءٌ عليهم أأنذرتهم » . وفى يس[٥] : « وَسَوَاء » . وفى البقرة[٦] : « ويَكُونَ الدِّينُ لِلهِ » . وفى الأنفال[٧] : « كُلُّه لله » .

وفى موضع معرفاً وفى آخر منكراً . أو مفرداً وفى آخر جمعاً . أو بحرف وفى آخر بحرف آخر . أو مدغماً أو مفككا . وهذا النوع يتداخل مع نوع المناسبات ؛ وقد أفرده بالتصنيف جماعة أولهم فيما أحسب الكسائى ، ونظمه السخاوى[٨] ، وألف فى توجيهه الكرمانى كتابه البرهان فى متشابه القرآن . وأحسن منه درة التنزيل وغرة التأويل لأبى عبد الله الرازى . وأحسن منها كلها ملاك التأويل فى متشابه التنزيل لأبى جعفر بن الزبير . وللقاضى بدر الدين ابن جماعة فى ذلك كتاب لطيف سماه كشف المعانى عن متشابه المثانى . وفى كتابى أسرار التنزيل المسمى قطف الأزهار فى كشف الأسرار من ذلك الجم الغفير ، لكننا نُشير هنا إلى توجيه أمثلة منها تتميما للفائدة :

قوله فى البقرة[٩] : « هُدًى للمتَّقين » ؛ لأنه لما ذكر هنا مجموع الإيمان ناسب

---

(١) الأعراف : ١٦١ (٢) البقرة : ١٧٣

(٣) المائدة : ٣ ، الأنعام : ١٤٥ ، النحل : ١١٥

(٤) البقرة : ٦ . (٥) يس : ١٠ (٦) البقرة : ١٩٣

(٧) الأنفال : ٣٩

(٨) هو على بن محمد بن عبد الصمد السخاوى ، صاحب كتاب هداية المرتاب فى المتشابه . وهى منظومة تعرف بالسخاوية . توفى سنة ٦٤٣ (ابن خلكان : ١ — ٣٤٥) .

(٩) البقرة : ٢

المتقين ، ولما ذكر فى لقمان الرحمة ناسبه : هدى ورحمةً للمحسنين .

وإنما ذكر فى البقرة[1] : «وكُلَا» بالواو ، وفى الأعراف[2]: «فَكُلَا» — بالفاء ؛ لأن المراد بالسكنى فى البقرة الإقامـــــة ، وفى الأعراف اتخاذ المسكن ؛ فلما ناسب القول إليه تعالى[3] : « وَقُلْنَا يَا آدَمُ » ناسب زيادة الإكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى والأكل ؛ ولذا قال فيه رغدا ، وقال : حيث شئتما ؛ لأنه أعم . وأتى فى الأعراف : يا آدم ، فأتى بالفاء الدالة على ترتيب الأكل على السكنى المأمور باتخاذها ؛ لأن الأكل بعد الاتخاذ . ومن حيث لا يعطى عموم « حيث شئتما » .

قوله فى البقرة[4] : « ولاَ يُقْبَلُ منها شفَاعَةٌ » . وقال بعد ذلك[5] : « ولا يُقْبَلُ منها عَدْلٌ ولا تَنفَعُهَا شفاعةٌ » ؛ ففيه تقديم وتأخير ؛ والتعبير بقبول الشفاعة تارة وبالنفى أخرى ، وذكر فى حكمته أن الضمير فى منها راجع فى الأولى إلى النفس الأولى ، وفى الثانية إلى النفس الثانية ، فبيّن فى الأولى أن النفس الشافعة الجازية عن غيرها لا تُقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عَدْلٌ ؛ وقدمت الشفاعة لأن الشافع يقدم [١٧ ا] الشفاعة على بَذْل العدل عنها .

وبيّن فى الثانية أن النفس المطلوبة بجُرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها ، ولا تنفعها شفاعة شافع فيها ؛ وقدم العدل لأن الحاجة إلى الشفاعة إنما تكون عند رده ؛ ولذلك قال فى الأولى : لا يقبل منها شفاعة ؛ وفى الثانية : ولا تنفعها شفاعة ؛ لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع ؛ وإنما تنفع المشفوع له .

قوله تعالى فى البقرة[6]: «يُذَبِّحُونَ أبناءَكُمْ» . وفى إبراهيم[7]: «ويُذَبِّحون»

---

(١) البقرة : ٣٥ (٢) الأعراف ١٩ (٣) البقرة : ٣٥
(٤) البقرة : ١٢٣ (٥) البقرة ١٢٣ (٦) البقرة : ٤٩
(٧) إبراهيم : ٦

بالواو ؛ لأن الأولى من كلامه تعالى لهم فلم يعدد عليهم المحن تكريماً فى الخطاب . والثانية من كلام موسى فعددها فى الأعراف[1] : « يُقَتِّلُون » ، وهو من بديع الألفاظ المسمى بالتفنن .

قوله تعالى[2] : « وإذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذه القَرْيَة » ، وفى آية الاعراف اختلاف ألفاظ ؛ ونكتته أن آية البقرة فى معرض ذكر النعم عليهم حيث قال[3] : « يا بنى إسرائيلَ اذكروا نِعْمَتِىَ الّتِى أنْعَمْتُ عليكم » ... الخ . فناسب نسبة القول إليه تعالى ، وناسب قوله رغداً ؛ لأن النعم به أتم ، وناسب تقديم : وادخلوا الباب سجداً ، وناسب خطايا كم لأنه جمع كثرة ، وناسب الواو فى : وسنزيد المحسنين لدلالتها على الجمع بينهما ، وناسب الفاء فى فكلوا ؛ لأن الأكل قريب[4] من الدخول .

وآية الأعراف افتتحت بما به توبيخهم ؛ وهو قوله[5] : « اجْعَلْ لنا إلٰهاً كما لَهُمْ آلهة » . ثم اتخاذهم العجل ؛ فناسب ذلك : وإذا قيل لهم ؛ وناسب ترك «رَغَداً»؛ والسكنى تجامع الأكل فقال : وكلوا ؛ وناسب تقديم مغفرة الخطايا ، وترك الواو فى سنزيد . ولما كان فى الأعراف تبعيض الهادين بقوله[6] : « ومِنْ قَوْمِ مُوسى أُمَّةٌ يَهْدُون بالحقّ » ناسب تبعيض الظالمين بقوله : الذين ظلموا منهم ، ولم يتقدم فى البقرة إشارة إلى سلامة غير الذين ظلموا لتصريحه بالإنزال على المتصفين بالظلم . والإرسال أشد وقعاً من الإنزال ، فناسب سياق ذكر [النعمة فى البقرة ذلك ، وختم آية البقرة بيفسقون . ولا يلزم منه الظلم ، والظلم يلزم منه الفسق ؛ فناسب كل لفظ منها سياقه .

---

(١) الأعراف : ١٤١ (٢) البقرة : ٥٨ (٣) البقرة : ٤٠
(٤) فى الإتقان : مرتب على الدخول . (٥) الأعراف : ١٣٨
(٦) الأعراف : ١٥٩

كذا فى البقرة « فانفجرت » وفى الأعراف : انبجست ؛ لأن الانفجار أبلغ فى كثرة الماء ، فناسب ذكر [1] النعم التعبير به .

قوله تعالى فى البقرة[2] : « وقالوا لَنْ تَمَسَّنَا النارُ إلا أيّاماً معدودةً » . وفى آل عمران[3] : معدودات .

قال ابن جماعة : لأن قائلى ذلك فرقتان من اليهود : إحداها قالت إنما نُعذب بالنار سبعة أيام عدد أيام الدنيا . والأخرى قالت : إنما نُعذب أربعين يوماً ، عدة أيام عبادة آبائهم العجل ، فآية البقرة تحتمل قَصْدَ الفرقة الثانية حيث عبر بجمع الكثرة ، وآل عمران الفرقة الأولى حيث أتى بجمع القلة .

وقال أبو عبد الله الرازى : إنه من باب التفنن .

قوله فى البقرة[4] : « إنّ هُدَى اللهِ هو الهُدَى » . وفى آل عمران[5] : « إنّ الهُدَى هُدَى الله » ؛ لأن الهدى فى البقرة المراد به تحويل القبلة ؛ وفى آل عمران المراد به الدّين ، لتقدم قوله : « لِمَنْ تَبِعَ دِينَكم » ؛ ومعناهُ دين الإسلام .

قوله تعالى فى البقرة[6] : « رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلداً آمِناً » . وفى إبراهيم[7] عرّفه ، لأن الأول دعا به قبل مصيره بلداً عند ترك هاجر وإسماعيل به وهو واد ، فدعا بأن يصير بلداً . والثانى دعا به بعد عوده وسكنى جرْهم به ومصيره بلداً فدعا بأمنه . وقيل : لأن النكرة إذا تكررت صارت معرفة . وقيل تقديره فى البقرة : هذا البلد بلداً آمناً ، فحذف البلد اكتفاء بالإشارة ؛ فتكون الآيتان سواء ؛ وهذا يقتضى أنه دعا بهذا الدعاء مرتين .

---

(١) من الإتقان . (٢) البقرة : ٨٠ (٣) آل عمران : ٢٤
(٤) البقرة : ١٢٠ (٥) آل عمران : ٧٣ (٦) البقرة : ١٢٦
(٧) ابراهيم : ٣٥ ، وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً .

والظاهر أنه مرة حكى لفظه فيها على وجهين .

قوله تعالى[1] : « وَلَئِن اتَّبَعْتَ أهواءَهم بعدَ الذى جاءَكَ منَ العلم » ؛ فجعل الذى مكان قوله فيما بعد[2]: «ما»، وزاد « من » لأن العلم فى الآية الأولى علم بالكمال الذى ليس وراءه علم ؛ لأن معناه بعد الذى جاءك من العلم بالله وصفاته ، فكان لفظ الذى أليق به من لفظ «ما»، لأنه فى التعريف أبلغ وفى الوصف أقعد ؛ لأن «الذى» تعرِّفُه صلته ولا يتنكر قط ، ويتقدمه أسماء الإشارة ، نحو قوله[3] : « أمَّن هذا الذى هُوَ جُنْدٌ لكم » . « أمَّن[4] هذا الذى يَرْزُقكم » ، فيكتنفه بيانا ن : الإشارة والصلة ويلزمه الألف واللام ، ويثنى ويجمع ، وليس لـ « ما » شىء من ذلك ؛ لأنه يتنكر مرة ويتعرَّفُ أخرى، ولا يقع وصفاً لأسماء الإشارة ، ولا يدخله الألف واللام ، ولا يثنَّى ولا يجمع .

وخص الثانى بما لأن المعنى من بعد ما جاءك من العلم بأن قبلة الله هى الكعبة ، وذلك قليل من كثير من العلم[5] . وزيد معه [١٧ ب] « من » التى هى لابتداء الغاية ؛ لأن تقديره من الوقت الذى جاءك العلم فيه بالكعبة ؛ لأن القبلة الأولى نُسخت بهذه الآيات ، وليس الأول موقتاً بوقت .

وقال فى سورة الرعد[6]: « ولَئِن اتَّبَعْتَ أهواءَهم بعدَ ما جاءكَ من العلم ». فعبّر بما ؛ ولم يزد من هنا لأن العلم ها هنا هو الحكم العرفى ؛ أى القرآن ، فكان بعضاً من الأول ولم يزد من لأنه غير موقت .

وقريب من معنى القبلة ما فى آل عمران[7]: « مِنْ بَعْدِ ما جاءكَ من العلم » قوله تعالى[8] : « قولُوا آمَنَّا باللهِ وما أُنزل إلينا وما أُنزِلَ إلى إبراهيم » .

---

(١) البقرة : ١٢٠ (٢) فى البقرة أيضا ١٤٥ ، والرعد ٣٧
(٣) الملك : ٢٠ (٤) الملك : ٢١ (٥) فى ب : من يعلم .
(٦) الرعد : ٣٧ (٧) آل عمران : ٦١ (٨) البقرة : ١٣٦

وفى آل عمران[١] : « وما أُنزل علينا » ؛ لأن الأولى خطاب المسلمين ، والثانية خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : « قُلْ آمنّا بالله » ، « وإلى » أن ينتهى [به][٢] من كل جهة ، و « على » لا ينتهى به إلا من جهة واحدة وهى العلو . والقرآن يأتى المسلمين من كل جهة يأتى مُبَلِّغه إياهم[٣] . وإنما أتى النبى صلى الله عليه وسلم من جهة العلو خاصة ، فناسب قوله «علينا» ؛ ولهذا أكثر ما جاء فى جهة النبى صلى الله عليه وسلم بعلَى ، وأكثر ما جاء فى جهة الأمة بإلى .

قوله تعالى فى البقرة[٤] : « وما أُوتِىَ النَّبِيُّون من ربهم » . وحذف ما فى آل عمران[٥] ؛ لأنه تقدم فيها ذكر ذلك : قوله تعالى[٦] : « لَمَا آتَيْتُكُم » .

قوله[٧] : « قد نَرَى تقلُّبَ وَجْهِك فى السماء » . إنما كرر هذه الآيات[٨] ثلاث مرات ؛ لأن الأولى لنسخ القبلة ، والثانية للسبب ، وهو قوله : وإنه للحَقُّ مِنْ ربك . والثالثة للعلة وهى قوله[٩] : لئلا يكونَ للناسِ عليكم حُجّةٌ .

وقيل الأولى فى مسجد المدينة ، والثانية خارج المسجد ، والثالثة خارج البلد .

---

(١) آل عمران : ٨٤ (٢) ليس فى ا . (٣) فى الإتقان : إياهم منها .

(٤) البقرة : ١٣٦

(٥) آية البقرة : وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم . وآية آل عمران : ٨٤ : وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم . فظهر الفرق .

(٦) آية ٨١ من سورة آل عمران ، وهى : وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم ...

(٧) البقرة : ١٤٤ ، وباقيها : فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام.

(٨) المقصود تكرير : فول وجهك . وهى آية البقرة السابقة . والثانية : ومن حيث خرجت فول وجهك . آية ١٤٩ . والثالثة : وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره . آية ١٥٠

(٩) البقرة ١٥٠

وقيل فى الآية خروجان : خروج إلى مكان ترى فيه الكعبة ، وخروج إلى مكان لا ترى أى الحالتين فيه سواء .

قوله تعالى[1] : « إلا الذينَ تَابوا وأَصْلَحُوا » . إنما لم يزد هنا « من بعد ذلك » كما فى غيرها[2] ، لأن قبله من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، فلو أعاده لالْتَبَسَ .

قوله تعالى[3] : « وإذا قيل لهم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قالوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنَا عليه آباءنا » ؛ لأنه ذكر فى البقرة الاتباع مَنْفياً بما هو دون العلم لتكون كل دعوى منفيا[4] بما يُلائمه . ولما ذكر فى المائدة ادعاءهم النهاية بلفظ حَسْبُنا[5] نفى ذلك بالعلم الذى هو أبلغ درجة من العقل ؛ ولهذا جاز وصفه تعالى بالعلم ، ولم يجز وصفه بالعقل ، ولكن لما كان دعواهم فى المائدة أبلغ لقولهم : « حَسْبُنَا ما وَجَدْنَا » ، وكذلك فى سورة لقمان[6] ، لأن وجدت يتعدى مرة إلى مفعول واحد ؛ تقول : وجدت الضالة ، ومرة إلى مفعولين : وجدت زيداً جالساً ؛ فأتى فى آية البقرة بألفيت ، لأنه يتعدى إلى مفعولين ؛ تقول ألفيت زيداً قائماً ، وأتى فى المائدة بما هو أعم .

قوله تعالى[7] : « ومَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ » . فقدم ضمير المجرور فى البقرة ، وأخره فى المائدة والأنعام والنحل[8] ؛ لأن تقديم الباء الأصل بأنه[9] يجرى مجرى

(١) البقرة : ١٦٠

(٢) فى سورة آل عمران مثلا ، آية : ٨٩ : إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا .

(٣) البقرة : ١٧٠ (٤) هذا فى الأصول .

(٥) آية ١٠٤ من سورة المائدة : قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا .

(٦) لقمان : ٢١ (٧) البقرة : ١٧٣

(٨) فى المائدة آية ٤ ، والأنعام آية ١٤٥ ، والنحل ١١٥

(٩) فى الإتقان : لأنه .

الألف والتشديد فى التطهير ، فكان كحرف من الفعل ، وكان الموضع الأول أولى بما هو الأصل؛ ليعلم مايقتضيه اللفظ. وأما ما عدا هذه السورة فأخّر به لأنه قدم ما هو المستنكر وهو الذبح لغير الله ؛ وتقدم ما هو بالغرض أولى ؛ ولهذا جاز تقديم المفعول على الفاعل ، والحال على ذى الحال ، والظرف على العامل فيه ؛ إذا كان أكثر الغرض فى الإخبار ؛ وزاد فى هذه السورة : فلا إثم عليه ، وفى السوَر الثلاث تضميناً، لأن قوله : « غفور رحيم » يدل على أنه لا إثم عليه . وإنما ختم فى الأنعام بذكر الرب ؛ لأنه تكرر فيها مرات . فكان لفظ الرب بها أليق .

قوله تعالى[1] : « تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فلا تَقْرَبُوها » . وقال بعد ذلك[2] : « فلا تَعْتَدُوها » ؛ لأن الأولى وردت بعد نواهٍ ، فناسب النهى عن قربانها ؛ والثانية بعد أوامر ، فناسب النهى عن تعدّيها وتجاوزها بأن يوقف عندها .

قوله تعالى[3]: نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ، وقال[3]: «وأنزلَ التوراةَ والإنْجيل» ؛ لأن الكتاب أنزل منجما ، فناسب الإتيان بنزل الدالة على التكرير ؛ بخلافهما فإنهما أنزلا دفعة واحدة .

قوله تعالى[4] : « ولا تقتلوا أوْلَادَكُم مِنْ إمْلَاقٍ » . وفى الإسراء[5] : «خَشْيَةَ إمْلَاقٍ» ؛ لأن الأولى خطاب للفقراء المقلين ، أى لا تقتلوهم من فقركم ؛ نحن نرزقكم ما يزول به [١٨ أ] إملاقكم ، ثم قال : وإياهم[6] . والثانية خطاب للأغنياء ؛ أى خشية فقر يحصل لكم بسببهم ، ولهذا حسن : نحن نرزقهم وإياكم .

---

(١) البقرة : ١٨٧ (٢) ٢٢٩ من السورة نفسها (٣) آل عمران : ٣
(٤) الأنعام : ١٥١ (٥) الإسراء : ٣١
(٦) فى الإتقان : أى نرزقكم جميعاً .

قوله تعالى[١]: « فاستعذ بالله إنه سميع عليم » . وفى فصلت[٢] : السميع العليم ؛ لأنها نزلت ثانياً فحسن التعريف ؛ أى هو السميع العليم الذى تقدم ذكره عند نزوغ الشيطان .

قوله تعالى[٣] : « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض » . وقال فى المؤمنين[٤] : « بعضهم أولياء بعض » ؛ [وفى الكفار[٥] : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض][٦] لأن المنافقين ليسوا متناصرين على دين معين وشريعة ظاهرة ، وكان بعضهم يهوداً وبعضهم مشركين ، فقال : من بعض ؛ أى فى الشك والنفاق . وكان المؤمنون متناصرين على دين الإسلام . وكذلك الكفار المعانون بالكفر كلهم أعوان بعضهم ومجتمعون[٧] على التناصر بخلاف المنافقين ، كما قال تعالى[٨] : « تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى » .

فهذه أمثلة يستضاء بها ، ويأتى منها كثير فى وجه التقديم والتأخير ، وتقدم فى نوع الفواصل ؛ وهذا بحر لا ساحل له ؛ فلنرجع إلى المقصود .

* * *

الوجه السابع من وجوه إعجازه

ورود مشكله حتى يوهم التعارض بين الآيات .

وكلامه تعالى منزه عن ذلك ؛ بل فيه إعجاز للكلام كما صنف فى الحديث . وبيان ذلك الجمع بين الأحاديث المتعارضة ، وقد تكلم فى ذلك ابن عباس ، وحكى عنه التوقف فى بعضها .

---

(١) الأعراف : ٢٠٠ (٢) ٣٦ (٣) التوبة : ٦٧
(٤) الأنفال : ٧٢ (٥) الأنفال : ٧٣ (٦) من الإتقان .
(٧) فى الأصول : ومجتمعين . (٨) الحشر : ١٤

[ســؤال وجوابه]

قال عبد الرزاق[1] فى تفسيره : أخبرنا معمر عن رجل عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جُبير ، قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : أرأيت أشياء تختلف علىّ من القرآن ؟ فقال ابن عباس : ما هو ؟ أشك ؟ قال : ليس بشك ، ولكنه اختلاف . قال : هات ما اختلف عليك من ذلك . قال : أسمع الله يقول[2] : « ثم لم تكن فِتْنَتُهم إلاّ أنْ قالُوا واللهِ رَبنا مَا كُنّا مُشركين » . وقال[3] : « ولا يكتمون اللهَ حديثاً » . فقد كتمُوا .

وأسمعه يقول[4] : « فَلاَ أَنْسَابَ بينهم يومئذٍ ولا يَتَسَاءَلُون » . ثم قال[5] : « وأقْبَلَ بعضُهم على بعضٍ يتساءلون » .

وقال[6] : « أئنكم لتكْفُرُون بالذى خلقَ الأرضَ فى يومَيْنِ ... » حتى بلغ : « طائعين » . ثم قال فى الآية الأخرى[7] : « أم السماء بنَاها » . ثم قال[8] : « والأرض بعد ذلك دَحَاها » .

وأسمعه يقول : « كان الله » . ما شأنه يقول : « وكان الله » ؟

فقال ابن عباس : أما قوله : ثم لم تكن فتنتهم فإنهم لما رأوا العذابَ يوم القيامة ، وأن الله يغفر لأهل الإسلام ويغفر الذنوب ولا يغفر شركا ، ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره ، جحده المشركون رجاء أن يغفر لهم ؛ فقالوا : والله ربنا ما كنا مشركين . فختم الله على أفواههم ، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ؛

---

(١) هو عبد الرزاق بن همام الصنعانى . (٢) الأنعام : ٢٣
(٣) النساء : ٤٢ (٤) المؤمنون : ١٠١
(٥) الصافات : ٢٧ ، والطور : ٢٥ (٦) فصلت : ٩
(٧) النازعات : ٢٧ (٨) النازعات : ٣٠

فعند ذلك يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تُسَوَّى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً .

وأما قوله : فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون — فإنه إذا نفخ فى الصور فصُعِق مَنْ فى السموات ومن فى الأرض إلا من شـــاء الله فلا أنساب بينهم عند ذلك ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون .

وأما قوله : خلق الأرض فى يومين فإن الأرضَ خُلقت قبل السماء ، وكانت السماء دخاناً فسواهنّ سبع سموات فى يومين بعد خلق الأرض .

وأما قوله : والأرض بعد ذلك دحاها : يقول : جعل فيها جبالا ، وجعل فيها أنهاراً ، وجعل فيها أشجاراً ، وجعل فيها بحاراً .

وأما قوله : كان الله فإن الله كان ولم يزل كذلك ، وهو كذلك عزيز حكيم عليم قدير ، ثم لم يزل كذلك ؛ فما اختلف عليك من القرآن فهو يشبه ما ذكرْتُ لك ، وإن الله لم ينزل شيئاً إلا وقد أصاب به الذى أراد ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وأخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه ، وأصله فى الصحيح . قال ابن حجر فى شرحه : حاصل ما فيه السؤال عن أربعة مواضع :

الأول — نفى المسألة يوم القيامة وإثباتها .

الثانى — كتمان المشركين حالهم وإفشاؤه .

الثالث — خلق السماء والارض أيهما تقدم .

الرابع — الإتيان بحرف « كان » الدالة على المضى مع [١٨ ب] أن الصفة لازمة .

وحاصل جواب ابن عباس عن الأول أن نفى المساءلة فيما قبل النفخة الثانية ، وإثباتها فيما بعد ذلك .

وعن [الثانى أنهم يكتمون بألسنتهم فتنطق أيديهم وأرجلهم .

وعن][١] الثالث أنه بدأ خلق الأرض فى يومين غير مدحوّة ، ثم خلق السموات ، فسوّاهن فى يومين ، ثم دحا الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرواسى وغيرها فى يومين ؛ فتلك أربعة أيام للأرض .

وعن الرابع بأن « كان » وإن كانت للمضى لكنها لا تستلزم الانقطاع ؛ بل المراد أنه لم يزل كذلك .

فأما الأول فقد جاء فيه تفسير آخر : إن نفى المساءلة عند تشاغلهم بالصعق والمحاسبة والجواز على الصراط ، وإثباتها فيما عدا ذلك ، وهو منقول عن السدى ، أخرجه ابن جرير من طريق على بن طلحة عن ابن عباس أن نفى المساءلة عند النفخة الأولى ؛ وإثباتها بعد النفخة الثانية . وقد تأول ابن مسعود نفى المساءلة على معنى آخر ، وهو طلب بعضهم من بعض العفو ؛ فأخرج ابن جرير من طريق زادان ، قال : [أتيت ابن مسعود فقال][٢] : يؤخذ بيد العبـــد يوم القيامة فينادى : هذا فلان ابن فلان ، فمن كان له حق قِبلَه فليأت . قال : فتودُّ المرأة يومئذ أن يكون[٣] لها حق على أبيها أو ابنها أو أخيها أو زوجها ، فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون .

ومن طريق آخر قال : لا يسأل يومئذ أحد بنسب شيئاً ، ولا يتساءلون به ولا يمتّ برحم .

وأما الثانى فقد ورد بأبسط منه فيما أخرجه ابن جرير عن الضحاك بن مُزَاحم :

---

(١) ساقط فى ب . (٢) من الإتقان . (٣) فى ا : يثبت .

إن نافع ابن الأزرق أتى ابن عباس فقال : قول الله : ولا يكتمون الله حديثاً ، وقوله : والله ربنا ما كنا مشركين . فقال : إنى أحسبك قمت من عند أصحابك فقلت لهم : آتى ابن عباس ألقى عليه متشابه القرآن ، فأخبرهم أن الله إذا جمع الناس يوم القيامة قال المشركون : إن اللهَ لا يَقْبَلُ إلا مِمَّنْ وحَّده ، فيسألهم فيقولون : والله ربنا ما كنا مشركين . قال : فيختم على أفواههم ويستنطق جوارحهم .

ويؤيده ما أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة فى أثناء حديث ، وفيه : ثم يأتى الثالث فيقول : يا رب، آمنت بك وبكتابك ورسولك ، ويُثْنى ما استطاع؛ فيقول : الآن نبعث عليك شاهداً ، فيقول فى نفسه : من الذى يشهد علىّ ! فيختم على فيه وتنطق جوارحه .

وأما الثالث ففيه أجوبة أخر ؛ منها : أن ثم بمعنى الواو ، فلا إيراد . وقيل : المراد ترتيب الخبر[1] لا المخبر به ؛ كقوله[2] : « ثم كان من الذين آمنوا » . وقيل على بابها ؛ وهى لتفاوت ما بين الخلقتين لا للتراخى فى الزمان . وقيل خلق بمعنى قَدَّر .

وأما الرابع وجواب ابن عباس عنه فيحتمل كلامه أنه أراد سَمّى نفسه غفوراً رحيما ، وهذه التسميةُ مضَتْ ؛ لأن التعلق انقضى . وأما الصفتان فلا تزالان كذلك لا تنقطعان ؛ لأنه إذا أراد المغفرة أو الرحمة فى الحال أو الاستقبال وقع مراده ، قاله الشمس الكرمانى[3] ؛ قال : ويحتمل أن يكون ابن عباس أجاب بجوابين: أحدهما أن التسمية هى التى كانت وانقضت؛ والصفة لا نهاية لها ، والآخر

---

(١) فى ا : المخبر لا المخبر . (٢) البلد : ١٧

(٣) هو محمد بن يوسف شمس الدين الكرمانى ، أحد علماء الحديث ، وشارح البخارى، وصاحب كتاب ضمائر القرآن . توفى سنة ٧٨٦ (الدرر الكامنة : ٤ — ٣١٠) .

أن معنى كان للدوام ؛ فإنه لا يزال كذلك ، ويحتمل أن يحمل السؤال على مسلكين والجواب على دفعهما ؛ كأن يقال هذا اللفظ يُشْعِر بأنه فى الزمان الماضى كان غفوراً رحيما مع أنه لم يكن هناك من يغفر له أو يرحم ، وبأنه ليس فى الحال كذلك لما يُشعر به لفظ « كان » .

والجواب عن الأول بأنه كان فى الماضى تسمّى به . وعن الثانى بأن « كان » تعطى معنى الدوام .

وقد قال النحاة : كان لثبوت خبرها ماضياً دائماً أو منقطعاً .

وقد أخرج ابن أبى حاتم من وجه آخر عن ابن عباس أن يهودياً قال : إنكم تزعمون أن الله كان عزيزاً حكيما ، فكيف هو اليوم ؟ فقال : إنه كان فى نفسه عزيزاً حكيما .

موضع آخر توقف فيه ابن عباس : قال أبو عبيد[1] : حدثنا إسماعيل عن أيوب، عن ابن أبى مُلَيْكة ، قال: سأل رجل ابن عباس عن[2] «يَوْمٍ كانَ مِقْدَاره ألف سنة » . وقوله[3]: « يوم كان مقداره [٢٩ ا] خمسين ألف سنة ». فقال ابن عباس : هما يومان ذكرهما الله فى كتابه ، والله أعلم بهما .

وأخرجه ابن أبى حاتم من هذا الوجه ، وزاد : ما أدرى ما هما ، وأكره أن أقول فيهما ما لا أعلم .

قال ابن أبى مليكة : فضرب الدهر حتى دخلت على سعيد بن المسيّب فَسُئل عن ذلك فلم يدر ما يقول . فقلت : ألا أخبرك بما حضرت عن ابن عباس . فأخبرته . فقال ابن المسيب للسائل : هذا ابن عباس قد اتّقى أنْ يقول فيهما ، وهو أعلم منى .

(١) فى الإتقان أبو عبيدة . (٢) سجدة : ٥ (٣) المعارج : ٤

وروى عن ابن عباس أيضاً أن يوم الألف هو مقدار سَيْرِ الأمرِ وعروجه إليه ، ويوم الألف فى سورة الحج أحد الأيام الستة التى خلق الله فيها السموات . ويوم الخمسين ألفاً هو يوم القيامة ؛ فأخرج ابن أبى حاتم من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا قال له : حدثنى ما هؤلاء الآيات : فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . وإن[١] يوماً عند ربك كألفِ سنة . [فقال :][٢] يوم القيامة حساب الخمسين ألف سنة . والسموات فى ستة أيام كل يوم يكون ألف سنة . « ويدبّر[٣] الأَمْرَ من السماء إلى الأرض ثم يَعْرُجُ إليه فى يوم كان مِقْدَارُه أَلْفَ سنة » . قال ذلك مقدار المسير .

وذهب بعضهم إلى أن المراد بهما[٤] يوم القيامة ، وأنه باعتبار حال المؤمن والكافر ، بدليل قوله : يوم عسير على الكافرين غير يسير .

فصل

[للاختلاف أسباب]

قال الزركشى فى البرهان[٥] : للاختلاف أسباب :

أحدها — وقوع المخبر به على[٦] أحوال مختلفة وتطورات شتى ، كقوله فى خلق آدم مرة[٧] : « مِنْ تُرَابٍ » ، ومرةً[٨] : « مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ » ، ومرة[٩] : « مِنْ طِينٍ لازِبٍ » ، ومرة[١٠] : « مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخَّارِ » ؛ فهذه ألفاظ مختلفة ومعانيها فى أحوال مختلفة ؛ لأن الصلصال غير الحمأ والحمأ غير التراب ،

---

(١) الحج : ٤٧ (٢) من الإتقان . (٣) السجدة : ٥
(٤) فى الإتقان : بها . (٥) البرهان : ٢ — ٥٤ (٦) فى ب : عن .
(٧) آل عمران : ٥٩ (٨) الحجر : ٢٦ (٩) الصافات : ١١
(١٠) الرحمن : ١٤

إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر وهو التراب ؛ ومن التراب تدرجت هذه الأحوال .

وكقوله[1] : « فإذا هى ثُعْبَانٌ » فى موضع . وفى موضع[2]: « تَهْتَز كأنها جانٌ » ؛ والجان الصغيرُ من الحيَّاتِ ، والثعبانُ الكبير منها ؛ وذلك لأن خَلْقَهَا خلْقُ الثعبان العظيم ، واهتزازها وحركتها [وخفتها][3] كاهتزاز الجان وحركته وخفّته .

الثانى ـ لاختلاف الموضوع ؛ كقوله[4] : « وقِفُوهم إنَّهُمْ مَسْئُولون » . وقوله[5]: « فَلَنَسْأَلَنَّ الذينَ أُرْسِلَ إليهم ولَنَسْأَلَنَّ المُرْسلِين » — مع قوله[6]: « فيومئذ لا يُسأَلُ عن ذَنْبِهِ إنْسٌ ولا جان » . قال الحليمى[7] : فتحمل الآية الأولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل . والثانية على ما يستلزمه الإقرار بالنبوءات من شرائع الدين وفروعه . وحمله غيره على اختلاف الأماكن ؛ لأن فى القيامة مواقف كثيرة ؛ ففى موضع : يسألون ، وفى موضع آخر : لا يسألون . وقيل : إن السؤال المثبت سؤال تبكيت وتوبيخ ، والمنفى سؤال المعـــــذرة وبيان الحجة .

وكقوله[8] : « اتقُوا الله حقَّ تُقَاتِه » — مع قوله[9] : « فاتقوا اللهَ ما استطَعْتُم » .

---

(١) الشعراء : ٣٢ (٢) القصص : ٣١ (٣) من الإتقان والبرهان .
(٤) الصافات : ٢٤ (٥) الأعراف : ٦ (٦) الرحمن : ٣٩
(٧) الحليمى ـ بفتح الحاء : هو عبد الله بن حسن بن الحسن الحليمى الشافعى صاحب المنهاج على شعب الإيمان المتوفى سنة ٤٠٣ (كشف الظنون) .
(٨) آل عمران : ١٠٢ (٩) التغابن : ١٦

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى[١] : الآية الأولى على[٢] التوحيد، بدليل قوله بعدها : « ولا تموتُنَّ إلا وأنتُمْ مسلمون » . والثانية على الأعمال.

وقيل : بل الثانية ناسخة للأولى .

وكقوله[٣] : « فإنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فواحدة » . [مع قوله :][٤] « ولن تَسْتَطِيعُوا أنْ تَعْدِلُوا بين النساء ولو حَرَصْتُم »[٥] . فالأولى تُفْهِمَ إمكان العدل ، والثانية تنفيه .

والجواب أن الأولى فى توفية الحقوق . والثانية فى الميل القلبى ، وليس فى قدرة البشر .

وكقوله[٦] : « إن الله لا يَأْمُر بالفحشاء » ، مع قوله[٧]: « أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فيها » . فالأولى فى الأمر الشرعى ، والثانية فى الأمر الكونى بمعنى القضاء والتقدير .

الثالث — لاختلافهما فى جهتى الفعل ؛ كقوله[٨] : « فَلَمْ تَقْتُلُوهم ولَكِنَّ اللهَ قَتَلَهم ، وما رَمَيْتَ إذ رميت ولَكِنَّ اللهَ رمى » ؛ فأضاف الفعل[٩] إليهم والرمى إليه صلى الله عليه وسلم على جهة الكسب والمباشرة ، ونفاه عنهم وعنه باعتبار التأثير .

الرابع — لاختلافهما فى الحقيقة والمجاز ؛ كقوله[١٠] : « وتَرَى الناسَ

---

(١) هو أبو الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبار الإدريسى، من صوفية الإسكندرية توفى سنة ٦٥٦ (التاج ـ شذل) .

(٢) فى البرهان : فحمل الآية الأولى على التوحيد .

(٣) النساء : ٣

(٤) من الإتقان والبرهان .

(٥) النساء : ١٢٩

(٦) الأعراف : ٢٨

(٧) الإسراء : ١٦

(٨) الأنفال : ١٧

(٩) فى البرهان : القتل .

(١٠) الحج : ٢

سُكارَى وما هُمْ بِسُكارى » . أى سكارى من الأهوال مجازاً ، لا مِنَ الشراب حقيقة .

الخامس — بوجهين واعتبارين ؛ كقوله[١] : « فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيد » . مع قوله[٢]: « خاشِعين مِنَ الذُّلِّ ينظرون مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍ » . قال قُطْرب : فبصرك اليوم ، أى عِلْمك ومعرفتك بها قوية . من قوله : بَصُرَ بكذا أى علم ، وليس المراد رؤية العين .

قال [١٩ ب] القارمى : ويدل على ذلك قوله : « فكَشَفْنا عنكَ غطاءك » .

وكقوله[٣] : « الذين آمَنُوا وتطمَئِنُّ قلوبُهم بِذِكْرِ الله » . مع قوله[٤] : « إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قلوبُهم » . فقد يُظَنّ أن الوجل خلاف الطمأنينة .

وجوابه أن الطمأنينة تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد . والوجل يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى فتوجل القلوب لذلك ، وقد جمع بينهما فى قوله[٥] : « تَقْشَعِرُّ منه جلودُ الذين يخشَوْنَ ربهم ثم تَلِينُ جلودُهم وقلوبهم إلى ذِكْرِ الله » .

ومما استشكلوه قوله تعالى[٦] : « وما منَعَ الناسَ أنْ يُؤْمِنوا إذ جاءهم الهُدَى ويستَغْفِرُوا ربَّهم إلا أنْ تأتيَهم سُنَّةُ الأوّلين أو يأتيهم العذابُ قُبُلا » . فإنه يدل على حصر المانع من الإيمان فى أحد هذين الشيئين . وقال فى آية

---

(١) ق : ٢٢ — (٢) الشورى : ٤ — (٣) الرعد : ٢٨
(٤) الأنفال : ٢ — (٥) الزمر : ٢٣ — (٦) الكهف : ٥٥

أخرى[١] : « وما منعَ الناسَ أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدَى إلا أنْ قالوا : أبعثَ الله بشراً رسولا » . فهذا حصر آخر فى غيرهما .

وأجاب ابن عبد السلام بأن معنى الآية : وما منع الناس أن يؤمنوا إلا إرادة أن تأتيهم سنة الأولين من الخسف أو غيره ، أو يأتيهم العذاب قبلا فى الآخرة . فأخبر أنه أراد أن يصيبهم أحد الأمرين . ولا شك أن إرادة الله مانعة من وقوع ما ينافى المراد ، فهذا حصر فى السبب الحقيقى ؛ لأن الله هو المانع فى الحقيقة .

ومعنى الآية الثانية : وما منع الناس أن يؤمنوا إلا استغراب بعثه بشراً رسولا ؛ لأن قولهم ليس مانعاً من الإيمان ؛ لأنه لا يصلح لذلك ، وهو يدل على الاستغراب بالالتزام ، وهو المُناسب للمانعية ، واستغرابهم ليس مانعاً حقيقياً ، بل عادياً ، لجواز وجود[٢] الإيمان معه بخلاف عادة الله ؛ فهذا حصر فى المانع العادى ، والأول حصر فى المانع الحقيقى ، فلا تنافى ... انتهى .

[ومما استشكل]

ومما استشكل قوله تعالى[٣] : « ومَنْ أظْلَمُ ممّن افترَى على اللهِ كذباً » . [٤] : « ومن أظلم ممن ذُكّرَ بآيات ربه ... » . [٥] « ومَنْ أظلم ممَنْ منع مساجدَ الله ... » إلى غير ذلك من الآيات .

ووجهه أن المراد هنا بالاستفهام النفى ، والمعنى لا أحد أظلم ، فيكون خبراً ، وإذا كان خبراً وأُخِذت الآيات على ظاهرها أدى إلى التناقض .

وأجيب بأوجه : منها تخصيص كل موضع بمعنى صلته ؛ أى لا أحد من المانعين

---

(١) الإسراء : ٩٤ (٢) فى البرهان : خلو . والمثبت فى الإتقان أيضاً .
(٣) هود : ١٨ (٤) الكهف : ٥٧ (٥) البقرة : ١١٤

أظلم ممن منع مساجد الله . ولا أحد من المفترين أظلم ممن افترى على الله . وكذا باقيها ، وإذا تخصص بالصِّلات زال التناقض .

ومنها أن التخصيص بالنسبة إلى السبق لمّا لم يسبق أحد إلى مثله حكم عليهم بأنهم أظلم ممن جاء بعدهم سالكا طريقهم ؛ وهذا يؤول معناه إلى ما قبله ؛ لأن المراد السبق إلى المانعية والافترائية .

ومنها — وادعى أبو حيان أنه الصواب : أن نفى الأظلمية لا يستدعى نفى الظالمية ؛ لأن نفى المقيد لا يدل على نفى المطلق ، وإذا لم يدل على نفى الظالمية لم يلزم التناقض ؛ لأن فيها إثبات التسمية[1] فى الأظلمية ، ثم لم[2] يكن أحد وُصف بذلك يزيد على الآخر ؛ لأنهم يتساوون فى الأظلمية ، وصار المعنى لا أحد أظلم ممن افترى، وممن[3] منع ونحوها[4] ؛ ولا إشكال فى تساوى هؤلاء فى الأظلمية ، ولا يدل على أن أحد هؤلاء أظلم من الآخر ، كما إذا قلت لا أحد أفقه منهم... انتهى .

وحاصل الجواب أن نفى التفضيل لا يلزم منه نفى المساواة .

وقال بعض المتأخرين : هذا استفهام مقصود به التهويل والتفظيع من غير قصد إثبات الأظلمية للمذكور حقيقة ، ولا نفيها عن غيره .

وقال الخطابى[5] : سمعت ابن أبى هريرة يحكى عن أبى[6] العباس بن سريج ، قال : سأل رجل بعض العلماء عن قوله[7] : « لا أقسم بهذا البلد » . فأخبر أنه

---

(١) فى الإتقان : التسوية .

(٢) فى الاتقان : وإذا ثبتت التسوية فيها لم . . ممن وصف ...

(٣) فى ا : ومن . (٤) فى ا : ونحوها .

(٥) هو حمد بن محمد بن ابراهيم أبو سليمان شارح سنن أبى داود ، ومؤلف كتاب بيان إعجاز القرآن وغيره ، توفى سنة ٣٨٨ (ابن خلكان : ١ — ١٦٦) .

(٦) فى ب : ابن العباس ... (٧) البلد : ١

لا يقسم به ؛ ثم أقسم به فى قوله[1] : « وهذا البلد الأمين » ، فقال : أيّما أحبُّ إليك أجيبك ثم أقطعك[2] ، أو أقطعك ثم أجيبك ؟ فقال : أقطعنى ثم أجبنى . فقال له : اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة رجال وبين ظهرانى قوم ، وكانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مَغْمَزاً وعليه مطْعناً ، فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به وأسرعوا بالرد عليه ؛ ولكن القوم علموا وجهلت ، فلم ينكروا منه ما أنكرت ؛ ثم قال له : إن العرب قد تدخل لا فى أثناء كلامها وتلغى [٢٠ ا] معناها وأنشد فيه أبياتاً .

ومما استشكلوه أيضاً قوله تعالى فى سورة سبحان[3] : « وإذا أنْعَمْنَا عَلَى الإنسانِ أعْرَضَ ونَأَى بجانبه وإذا مَسَّهُ الشَّرُّ كان يَؤُوسا » . وفى سورة فصلت[4] : « وإذا مسّه الشرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيض » . ومن لوازم الإياس نفى مطلق الدعاء ، وأثبته فى سورة فصلت .

وقد رام بعض المتأخرين الجمع بينهما فى تأليف بديع ، مقتضاه أن الدعاء العريض فى أول الأمر والإياس فى ثانى الحال .

تنبيه

قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراينى[5] : إذا تعارضت الآى وتعذر فيها الترتيب والجمع طُلب التاريخ ، وترك المتقدم بالمتأخر ، ويكون ذلك نسخاً . وإن لم

---

(١) التين : ٣ (٢) فى الاتقان : ثم أقطعك أو أقطعك ثم أجيبك ؟

(٣) الاسراء : ٨٣ (٤) فصلت : ٥١

(٥) هو أبو إسحاق ابراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراينى المعروف بالأستاذ ، صاحب كتاب جامع الحلى فى أصول الدين والرد على الملحدين . توفى بنيسابور سنة ٤١٨ (ابن خلكان : ١ — ٤) .

م ، وكان الإجماع على العمل بإحدى الآيتين عُلم بإجماعهم أن الناسخ ما أجمعوا على العمل بها .

قال : ولا يوجد فى القرآن آيتـان متعارضتان[١] تخلوان عن هذين الوصفين .

قال غيره : وتعارضُ القراءتين بمـنزلة تعارض الآيتين ، نحو[٢] : « وأرجلكم » ـ بالنصب والجر ؛ ولهذا جمع بينهما بحمل النصب على الغسل ، والجر على مسح الخف .

وقال الصيرفى : جماع الاختلاف والتناقض أن كل كلام صحّ أن يُضاف بعضٌ[٣] ما وقع الاسم عليه إلى وجه من الوجوه فليس فيه تناقض ؛ وإنما التناقض فى اللفظ ما ضادّه من كل جهة ؛ ولا يوجد فى الكتاب والسنة شىء [من ذلك][٤] أبداً ، وإنما يوجد فيه النسخ فى وقتين .

وقال القاضى أبو بكر : لا يجوز تعارض آى القرآن والآثار[٥] وما يوجبه العقل ؛ فلذلك لم يجعل قوله[٦] : « اللهُ خالقُ كلِّ شىء » . معارضاً لقوله[٧] : « وتَخْلُقُونَ إفْكاً » . « وإذ[٨] تَخْلُقُ منْ الطِّين » ؛ لقيام الدليل العقلى أنه لا خالق له غير الله ، فتعين تأويل ما عارضه ، فيؤوّل تخلقون على تكذبون ، وتخلق على تصور .

وذكر الكرمانى عند قوله تعـالى[٩] : « ولو كانَ منْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لوجَدُوا فيه اختلافاً كثيراً » ؛ الاختلاف على وجهين ؛ اختلاف تناقض . وهو ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر ، وهذا هو الممتنع على القرآن .

---

(١) فى ا : متعارضتين . (٢) المائدة : ٦ (٣) فى ب : بعد .
(٤) من الاتقان ، والبرهان . (٥) فى ب : والآى ... (٦) الرعد : ١٦
(٧) العنكبوت : ١٧ (٨) المائدة : ١١٠ (٩) النساء : ٨٢

واختلاف تلازم ؛ وهو ما يوافق الجانبين ؛ كاختلاف وجوه القراءات واختلاف مقادير السور والآيات ، واختلاف الأحكام من الناسخ والمنسوخ ، والأمر والنهى ، والوعد والوعيد .

* * *

الوجه الثامن من وجوه إعجازه

وقوع ناسخه ومنسوخه

وهو مما خُصت به هذه الأمة لحِكَم ، منها التيسير . وقد أجمع المسلمون على جوازه ؛ وأنكره اليهود ظنًّا منهم أنه بَداء كالذى يرى الرأى ثم يبدو له أنه باطل ؛ لأنه بيان مدة الحكم ؛ كالإحياء بعد الإماتة وعكسه ؛ والمرض بعد الصحة وعكسه ، والفقر بعد الغنى وعكسه ؛ وذلك لا يكون بَدَاء[1] ، فكذا الأمر والنهى .

[اختلاف العلماء فيه]

واختلف العلماء فقيل : لا يُنسخ القرآنُ إلا بقرآنٍ ؛ لقوله تعالى[2] : « مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أو نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ منها أوْ مِثْلِها » . قالوا : ولا يكون مثلَ القرآن وخيراً منه إلا قرآن .

وقيل : بل يُنسخ القرآن بالسنة ؛ لأنها أيضاً من عند الله ، قال تعالى[3] : « وما ينطِقُ عن الهوَى » . وجعل منه آية الوصية الآتية .

والثالث إذا كانت السنة بأمر الله من طريق الوحى نَسخت ، وإن كانت باجتهاد فلا ؛ حكاه ابن حبيب النيسابورى فى كتابه التفسير .

---

(١) فى ا ، ب : بدءا .   (٢) البقرة : ١٠٦   (٣) النجم : ٣

وقال الشافعى : حيث وقع نسخ القرآن بالسنة فمعها قرآن عاضد لها ، وحيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له ؛ [ليتبين][١] توافق القرآن والسنة . وقد بسطت هذه المسألة فى شرح منظومة جمع الجوامع فى الأصول .

وقد أفرد بالتصنيف فى هذا الفن خلائق لا تحصى ، منهم : أبو عُبيد القاسم ابن سلام ، وأبو داود السجستانى ، وأبو جعفر النحاس ، وابن الأنبارى ، ومكى ، وابن العربى ؛ وآخرون .

[مســـائل فى النسخ]

[معـــنى النسخ]

لكن فى هذا النوع مسائل :

الأولى — يَرِدُ النسخ بمعنى الإزالة ، ومنه قوله[٢] : « فَيَنْسَخ اللهُ ما يُلْقِى الشيطانُ ثم يُحْكِمُ اللهُ » .

وبمعنى التبديل ؛ ومنه[٣] : « وإذا بَدَّلْنَا آيةً مكانَ آيةٍ » .

وبمعنى التحويل ، كتناسخ المواريث ، بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد .

وبمعنى النقل من موضع إلى موضع ، ومنه نسخت الكتاب : إذا نقلت ما فيه حاكياً للفظه وخطه . قال مكى : وهذا الوجه لا يصح أن يكون فى القرآن [٢٠ ب] ؛ وأنكر على النحاس إجازته ذلك محتجًا بأن الناسخ فيه لا يأتى بلفظ المنسوخ ، وأنه إنما يأتى بلفظ آخر .

---

(١) من الإتقان . (٢) الحج : ٥٢ (٣) النحل : ١٠١

وقال السعيدى[١] : يشهد لما قاله النحاس قوله[٢] : « إنّا كُنّا نَسْتَنْسِخُ ما كنتُم تعمَلُون » ، وقال[٣] : « وإنّهُ فى أُمِّ الكتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حكيم » .

ومعلوم أن ما نزل من الوحى نجوما جميعه فى أم الكتاب ، وهو اللوح المحفوظ ، كما قال تعالى[٤] : « فى كتابٍ مَكْنُون . لا يَمَسُّه إلا المُطَهَّرون » .

[أين يقع النسخ]

الثانية — لا يقع النسخ إلا فى الأمر والنهى ، ولو بلفظ الخبر ؛ أما الخبر الذى ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ ، ومنه الوعد والوعيد . وإذا عرفت ذلك عرفت فساد صُنْع من أدخل فى كتاب[٥] النسخ كثيراً من آيات الإخبار والوعد والوعيد .

[أقسام النسخ]

الثالثة — النسخ أقسام :

أحدها — نسخ المأمور به قبل امتثاله ، وهو النسخ على الحقيقة ، كآية النجوى[٦] .

الثانى — ما نُسخ مما كان شرعاً لمن قبلنا كآية شرع القصاص[٧] والدية . أو كان أمر به أمراً مُجملاً ؛ كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالكعبة . وصوم عاشوراء برمضان ، وإنما يسمى هذا نسخاً تجوزاً .

الثالث — ما أُمِرَ به لسبب ثم يزول السبب ؛ كالأمر — حين القلة

---

(١) فى البرهان : السعدى . والمثبت فى الإتقان أيضاً .

(٢) الجاثية : ٢٩ (٣) الزخرف : ٤ (٤) الواقعة : ٧٨ ، ٧٩

(٥) فى الاتقان : كتب .

(٦) المجادلة : ١٢ ، ١٣ : إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة . ثم نسخه سبحانه بقوله : أأشفقتم ...

(٧) هى قوله تعالى فى سورة البقرة ١٧٨ : يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى .

والضعف — بالصبر والصلح[١] ، ثم نُسخ بإيجاب القتال ؛ وهذا فى الحقيقة ليس نسخاً ، بل من قسم المُنْسَأ ، كما قال تعالى : « أو نُنْسِها » ، فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون . وفى حال الضعف يكون الحكم[٢] وجوب الصبر على الأذى ، وبه يضعف ما لَهِجَ[٣] به كثيرون من أن الآيات فى ذلك منسوخة بآية السيف ، وليس كذلك ، بل هى من المُنسأ ، بمعنى أن كل أمر ورَدَ يجب امتثاله فى وقت ما لعلة تقتضى ذلك الحكم ، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر ، وليس بنسخ ؛ إنما النسخ الإزالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله .

وقال مكى : ذكر جماعة أن ما ورد من الخطاب مُشعراً بالتوقيت والغاية مثل قوله فى البقرة[٤] : « فاعْفُوا واصْفَحُوا حتى يأتىَ اللهُ بأمرِه » — محكم غير منسوخ ، لأنه يؤجّل بأجل ، والمؤجل بأجل لا نسخ فيه .

الرابعة — قال بعضهم : سور القرآن باعتبار الناسخ والمنسوخ أقسام : قسم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ ، وهى ثلاث وأربعون سورة : الفاتحة ، ويوسف ، ويس ، والحجرات ، والرحمن ، والحديد ، والصف ، والجمعة ، والتحريم ، والملك ، والحاقة ، ونوح ، والجن ، والمرسلات ، وعم ، والنازعات ، والانفطار ، وثلاث بعدها ، والفجر وما بعدها إلى آخر القرآن ، إلا التين والعصر والكافرون .

وقسم فيه الناسخ والمنسوخ ؛ وهو خمس[٥] وعشرون : البقرة ، وثلاث بعدها ، والحج ، والنور ، وتالياها ، والأحزاب ، وسبأ ، والمؤمن ، وشورى ، والذاريات ، والطور ، والواقعة ، والمجادلة ، والمزمل ، والمدثر ، وكُوِّرت ، والعصر .

---

(١) فى الإتقان : والصفح . وفى البرهان : والمغفرة للذين يرجون لقاء الله .

(٢) فى ب : الحكم . (٣) فى ا : ما نسخ (٤) البقرة : ١٠٩

(٥) فى البرهان : إحدى وثلاثون سورة .

وقسم فيه الناسخ فقط ، وهو ستة : الفتح ، والحشر ، والمنافقون ، والتغابن، والطلاق ، والأعلى .

وقسم فيه المنسوخ فقط ، وهو الأربعون الباقية ، كذا قال .

وفيه نظر يُعرف مما يأتى .

الخامسة — قال مكى : الناسخ أقسام : فرضٌ نَسَخَ فَرْضاً ، ولا يجوز العمل بالأول ؛ كنسخ الحبس للزَّوَانى[1] بالحد .

وفرض[2] نسخ فرضاً ، ويجوز العمل بالأول كآية المصابرة .

وفرض نسخ ندباً ؛ كالقتال ، كان ندباً ثم صار فرضاً .

وندب نسخ فرضاً ؛ كالقيام[3] نُسِخَ بالقراءة فى قوله[4] : « فاقْرَءُوا مَا تَيَسَّر من القرآن » .

السادسة — النسخ فى القرآن على ثلاثة أضرب : أحدها ما نسخ تلاوته وحكمه معاً ؛ قالت عائشة : كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات فنُسخن بخمس معلومات ، فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى فيما يقرأ من القرآن . ورواه الشيخان ، وقد تكلموا فى قولها : وهى مما يقرأ من القرآن ؛ فإن ظاهره بقاء التلاوة ؛ وليس كذلك .

وأجيب بأن المراد قارب الوفاة ، وأن[5] التلاوة نُسخت أيضاً ، ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوفى وبعض الناس يقرؤها .

---

(١) فى ب : للزانى . (٢) فى ا : وفسخ . والمثبت فى ا ، والإتقان .
(٣) فى الاتقان : كقيام الليل . (٤) المزمل : ٢٠
(٥) فى البرهان : والأظهر أن التلاوة ...

قال أبو موسى الأشعرى : نزلت ثم رُفعت . وقال مكى : وهذا المثال فيه المنسوخ غير المتلوّ ، والناسخ أيضاً غير متلو ، ولا أعلم له نظيراً .

الضرب الثانى : ما نسخ حكمه دون تلاوته ؛ وهذا الضرب [٢١ ا] هو الذى فيه الكتب المؤلفة ، وهو على الحقيقة قليل جداً ، وإنْ أكثر الناس من تعديد الآيات فيه ؛ فإن المحققين منهم كالقاضى أبى بكر بن العربى ميز ذلك وأتقنه .

والذى أقوله : إن الذى أورده المكثرون أقسام :

قسم ليس من النسخ فى شىء ، ولا من التخصيص ، ولا له علاقة بهما بوجه من الوجوه ؛ وذلك مثل قوله تعالى[1] : «ومما رزقناهُمْ يُنفِقُون» . «[2]وأنْفِقُوا مِمّا رَزَقناكُم » ؛ ونحو ذلك ، قالوا : إنه منسوخ بآية الزكاة ، وليس كذلك ؛ بل هو باق . أما الأولى فإنها خبر فى معرض الثناء عليهم بالإنفاق ، وذلك يصلح أن يفسر بالزكاة وبالإنفاق على الأهل وبالإنفاق فى الأمور المندوبة ؛ كالإعانة والضيافة ، وليس فى الآية ما يدل على أنها نفقة واجبة غير الزكاة .

والآية الثانية تصح[3] كلها على الزكاة ؛ وقد فسرت بذلك .

وكذا قوله[4] : « أليْسَ اللهُ بِأحْكَمِ الحاكمين » . قيل : إنها مما نُسخ بآية السيف ، وليس كذلك ؛ لأنه تعالى أحكم الحاكمين أبدا ؛ لا يقبل هذا الكلامُ النسخ ، وإن كان معناه الأمر بالتفويض وترك المعاقبة .

وقوله فى البقرة[5] : « وقولُوا لِلنَّاسِ حُسْنا » — عده بعضهم من المنسوخ بآية السيف . وقد غلطه ابن الحَصّار بأن الآية حكاية عما أخذه على بنى إسرائيل من الميثاق ، فهو خبر ؛ فلا نسخ فيه . فقس على ذلك .

---

(١) البقرة : ٣ (٢) المنافقون : ١٠ (٣) فى الإتقان : يصح حلها .
(٤) التين : ٨ (٥) البقرة : ٨٣

وقسم هو من قسم المخصوص لا من قسم المنسوخ . وقد اعتنى ابن العربى بتجريده[١] ، فأجاد ، كقوله[٢] : « إنَّ الإنسان لفى خُسْر . إلا الذين آمَنُوا ». «[٣]والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُون » . «[٣]إلا الذين آمنوا » . «[٤] فاعْفُوا واصْفَحُوا حتى يأتىَ اللهُ بأمره » . وغير ذلك من الآيات التى خصت باستثناء أو غاية .

وقد أخطأ من أدخلها فى المنسوخ ، ومنه قوله تعالى[٥] : « ولا تَنْكِحُوا المشركاتِ حتى يُؤْمِنَّ » . قيل نسخ بقوله[٦] : « والمُحْصَنَاتُ مِنَ الذين أوتُوا الكتابَ مِنْ قبلكم » . وإنما هو مخصوص به .

وقسم رَفع ما كان عليه من الأمر فى الجاهلية أو فى شرائع من قبلنا ، أو فى أول الإسلام ولم ينزل فى القرآن ، كإبطال نكاح نساء الآباء ، ومشروعية القصاص ، والدية ، وحصر الطلاق فى الثالث[٧] . وهذا إدخاله فى قسم الناسخ قريب ، ولكن عدم إدخاله أقرب ، وهو الذى رجّحه مكى وغيره ؛ ووجهوه بأن ذلك لوْ عُدّ فى الناسخ لعد جميع القرآن منه ؛ إذ كله أو أكثره رافع لما كان عليه الكفار وأهل الكتاب .

وقالوا : وإنما حق الناسخ والمنسوخ أن تكون آية نسخت آية ... انتهى . ثم النوع الآخر منه — وهو رافع ما كان فى أول الإسلام — إدخاله أوجب[٨] من القسمين قبله .

إذا علمت ذلك فقد خرج من الآيات التى أوردها المكثرون[٩] من الجمّ

(١) فى الإتقان : بتحريره .
(٢) العصر : ٢
(٣) الشعراء : ٢٢٤ ، ٢٢٧
(٤) البقرة : ١٠٩
(٥) البقرة : ٢٢١
(٦) المائدة : ٥
(٧) فى الإتقان : الثلاث .
(٨) فى ا : أوجه .
(٩) فى الاتقان : المكثرون الجم الغفير .

الغفير مع آيات الصاحح[1] والعفو إن قلنا إن آية السيف لم تنسخها ، وبقى مما يصلح لذلك عدد يسير .

وقد أفردته بأدلته فى تأليف لطيف ، وها أنا أورده هنا محرراً :

[من البقــــرة]

من البقرة قوله تعالى[2] : « كُتِب عليكم إذا حضر أحدكم ... » الآية . قيل منسوخه بآية الميراث ، وقيل بحديث : لا وصية لوارث . وقيل بالإجماع ؛ حكاه ابن العربى[3] .

قوله تعالى[4] : «وعلى الّذين يُطيقُونه فِدْية طعَام مسكين » ـ قيل منسوخة بقوله[5] : «فمَنْ شَهِدَ منكمُ الشَّهْرَ فلْيَصُمْهُ» . وقيل محكمة و« لا » مُقَدَّرَة .

قوله تعالى[6] : « أُحِلَّ لكم ليلةَ الصيام الرفَثُ إلى نسائكم » ـ ناسخة لقوله[7] : « كما كُتِبَ على الّذين مِنْ قبلكم » ؛ لأن مقتضاها الموافقة فيما كان عليهم من تحريم الأكل والوطء بعد النوم . ذكره ابن العربى ، وحكى قولا آخر أنه نسخ لما كان بالسنة .

قوله تعالى[8] : « يسألونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ ... » الآية منسوخة بقوله[9] : « وقاتِلُوا المُشْرِكين كافَّة » . أخرجه ابن جرير عن عطاء ابن ميسرة .

قوله تعالى[10] : والذين يُتَوَفَّوْن منكم ويَذَرُونَ أَزْوَاجاً ...» إلى قوله :

---

(١) فى الاتقان : الصفح .
(٢) البقرة : ١٨٠
(٣) أحكام القرآن : ١ـ٧١
(٤) البقرة : ١٨٤
(٥) البقرة : ١٨٥
(٦) البقرة : ١٨٧
(٧) البقرة : ١٨٣
(٨) البقرة : ٢١٧
(٩) التوبة : ٣٦
(١٠) البقرة : ٢٤٠

« متاعاً إلى الحَوْلِ » — منسوخة بآية : أربعة[1] أشهُر وعَشْرا . والوصيةُ منسوخة بالميراث . والسكنى ثابتة عنـد قوم منسوخة عند آخرين بحديث : ولا سُكْنَى .

قوله تعالى[2] : « وإن تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكم أو تُخْفُوه يُحَاسِبْكُمْ به الله » منسوخة بقوله بعده[3] : « لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلا وُسْعَهَا » .

[من آل عمـــران]

ومن آل عمران قوله تعالى[4] : « اتَّقُوا الله حقَّ تُقَاتِه » ــ قيل إنه منسوخ بقوله[5] : « فاتَّقُوا اللهَ ما استَطَعْتُمْ » [٢١ ب] . وقيل : لا ، بل هو مُحكَم ؛ وليس فيها آية يصح فيها دعوى النسخ غير هٰذه الآية .

[من النســـاء]

ومن النساء قوله تعالى[6] : « والذين عَقَدَتْ أيمانُــكم فَآتُوهُمْ نصيبهم ... الآية . منسوخة بقوله[7] : « وأُولُو الأرْحَامِ بعضُهم أوْلَى ببعض » .

قوله تعالى[8] : « وإذا حضر القِسْمَةَ ... » الآية . منسوخة . وقيل : لا ، ولـكن تهاون الناس في العمل بها .

قوله تعالى[9] : « واللّاتِي يَأْتِينَ الفاحشة ... » منسوخة بآية النور .

[من المائدة]

ومن المائدة قوله تعالى[10] : « ولا الشَّهْرُ الحرام » . منسوخة بإباحة القتال فيه .

---

(١) البقرة : ٢٣٤ (٢) البقرة : ٢٨٤ (٣) البقرة : ٢٨٦
(٤) آل عمران : ١٠٢ (٥) التغابن : ١٦ (٦) النساء : ٣٣
(٧) الأنفال : ٧٥ (٨) النساء : ٨ (٩) النساء : ١٤
(١٠) المائدة : ٢

قوله تعالى[١] : « فإنْ جاءُوكَ فاحْكُمْ بينهم أو أعْرِضْ عنهم » . منسوخة بقوله[٢] : « وأنِ احكُم بينهم بما أنْزَلَ اللهُ » .

قوله تعالى[٣] : « أوْ آخَرَانِ مِن غيركم » . منسوخ بقوله[٤] : « وأشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ » .

[من الأنفــال]

ومن الأنفال قوله تعالى[٥] : « إنْ يَكُنْ منكم عِشْرُون صابِرُون ... » . الآية منسوخة بالآية بعدها .

[من التوبة]

ومن براءَةَ قوله تعالى[٦] : « انفِرُوا خِفافًا وثِقالا » . منسوخة بآية العذر ؛ وهى قوله[٧] : « ليس على الأعْمَى حرَجٌ ... » الآية . وقوله[٨] : « ليس على الضُّعفاء ... » الآيتين ؛ وبقوله[٩] : « وما كان المؤمنون لِيَنْفِرُوا كافَّةً » .

[من النور]

ومن النور قوله تعالى[١٠] : « الزانى لا يَنْكِحُ إلا زانيةً » . منسوخ بقوله[١١] : « وأنْكِحُوا الأيَامَى منكم » .

قوله تعالى[١٢] : « ليستأذِنْكُمُ الذين مَلَكَتْ أيْمانكم ... » الآية . قيل : منسوخة . وقيل : لا ، ولكن تهاون الناس فى العمل بها .

---

(١) المائدة : ٤٢ (٢) المائدة : ٤٩ (٣) المائدة : ١٠٦
(٤) الطلاق : ٢ (٥) الأنفال : ٦٥ (٦) التوبة : ٤١
(٧) النور : ٦١ (٨) التوبة : ٩١ (٩) التوبة : ١٢٢
(١٠) النور : ٣ (١١) النور : ٣٢ (١٢) النور : ٥٨

[من الأحـــزاب]

ومن الأحزاب قوله تعالى[1] : « لا يَحِلُّ لَكَ النساءُ مِنْ بَعْدُ ... » الآية . منسوخة بقوله تعالى[2] : « إنا أحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ ... » الآية .

[من المجـــادلة]

ومن المجادلة قوله تعالى[3] : « إذَا نَاجَيْتُمُ الرسولَ فقدِّمُوا بين يَدَى نَجْوَاكم صدقة » . منسوخة بما بعدها .

[من الممتحنـــة]

ومن الممتحنة قوله تعالى[4] : « فآتوا الَّذِينَ ذهبَتْ أزواجُهم مثل ما أنفقُوا » . قيل منسوخ بآية السيف . وقيل بآية الغنيمة . وقيل محكم .

[من المزمـــل]

ومن المزمل قوله تعالى[5] : « قُمِ اللَّيْلَ إلا قليلا » — منسوخ بآخر السورة ، ثم نسخ الآخر بالصلوات الخمس .

فهذه إحدى وعشرون آية منسوخة على خلافٍ فى بعضها لا يصح دعوى النسخ فى غيرها . والأصح فى آية الاستئذان والقسمة الإحكام ؛ فصارت تسع عشرة . ويضم إليها قوله تعالى[6] « فأيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ » . على رأى ابن عباس [أنها منسوخة][7] بقوله :[8] « فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحرام » ، فتم عشرين .

---

(١) الأحزاب : ٥٢ — (٢) الأحزاب : ٥٠ — (٣) المجادلة : ١٢
(٤) الممتحنة : ١١ — (٥) المزمل : ٢ — (٦) البقرة : ١١٥
(٧) من الإتقان . — (٨) البقرة ١٤٩

وقد نظمتها فقلت :

قد أكثر الناسُ فى المنسوخ من عـدد
وأدخلوا فيـــه آياً ليْسَ تنحصِرُ

وهـاك تحرير آيٍ لا مزيدَ لها
عشرينَ حرَّرَها الْحُذّاقُ والـكُبَرَ

آى التوجّه حيث المرءُ كان وأن
يُوصى لأهليـــه عند الموت محتَضر

وحرمة الأكل بعـد النوم مع رفَث
وفدية لُمطيق الصـوم مشتهر

وحقّ تقـــواه فيما صحّ فى أثر
وفى الحرام قتـالٌ للألى كفروا

والاعتــــداد بحَوْل مَعْ وصيتها
وأن يُدَان حـديثُ النفس والفـكر

والحلف والحبس للزانى وترك ألى
كُفر ، وإشهادهم والصـــبر والنفَر

ومنع عقـــدٍ لزانٍ أو لزانيـةٍ
وما على المصطفى فى العقـد محتظر[1]

ودفع مهر لمن جاءَتْ وآية نج
واه كذاك قيـامُ الليل مستَطرُ

---

(١) فى ا : محتضر ــ بالضاد .

وزيد آية الاستئـــــذان من ملـكت
وآية القسمة الفضـلى لمن حَضَرُوا

[الحكمة فى رفع الحكم وإبقاء التلاوة]

فإن قلت : ما الحكمة فى رفع الحكم وإبقاء التلاوة ؟ فالجواب من وجهين :

أحدها — أن القرآن[1] كما يتلى ليعرف الحكم منه والعمل به فيُتلى لكونه كتاب[2] الله ، فيثاب عليه ، فتركت التلاوة لهذه الحكمة .

والثانى — أن النسخ غالباً يكون للتخفيف ، فأبقيت التلاوة تذكيرا للرحمة[3] ورفع المشقة . وأما ما ورد فى القرآن ناسخاً لما كان عليه الجاهلية ، أو كان فى شرع من قبلنا ، أو فى أول الإسلام ، فهو أيضاً [٢٢ ا] قليل العدد ؛ كنسخ استقبال بيت المقدس بآية القبلة ، وصوم عاشوراء بصوم رمضان ، فى أشياء أخر حررتها فى كتابى المشار إليه .

[فوائد منثـــورة]

قال بعضهم : ليس فى القرآن ناسخ إلا والمنسوخ قبله فى الترتيب إلا آيتين : آية العِدّة فى البقرة[4] ، وقوله[5] : « لا يَحِلُّ لكَ النساءُ » كما تقدم .

وزاد بعضُهم ثالثة ، وهى آية الحشر فى الفىء على رأى من قال إنها منسوخة بآية الأنفال[6] : « واعْلَمُوا أنما غَنِمْتُم مِنْ شَىْء » .

وزاد قوم رابعة ؛ وهى قوله[7] : « خُذِ العَفْوَ » — يعنى الفَضْل من أموالهم على رأى من قال إنها منسوخة بآية الزكاة .

---

(١) فى ا ، ب : القرآن . والمثبت فى البرهان .
(٢) فى البرهان : كلام الله .
(٣) فى الإتقان : بالنعمة .
(٤) البقرة : ٢٣٤
(٥) الأحزاب : ٥٢
(٦) الأنفال : ٤١
(٧) الأعراف : ١٩٨

وقال ابن العربى[١] : كل ما فى القرآن من الصفح عن الكفار والتولى والإعراض والكف عنهم فهو منسوخ بآية السيف ؛ وهى[٢] : « فإذا انسلخ الأشهرُ الحُرُم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ... » الآية ؛ نسخت مائة وأربعاً وعشرين آية ، ثم نسخ آخرها أولها[٣].

وقال أيضاً[٤] : من عجيب المنسوخ قوله تعالى[٥]: « خُذِ العَفْوَ ... » الآية فإن أولها وآخرها — وهو : وأعرض عن الجاهلين — منسوخ ، ووسطها محكم ، وهو : وأمر بالعُرْف .

وقال : من عجيبه أيضاً [آية][٦] أولها منسوخ وآخرها ناسخ ، ولا نظير لها ، وهى قوله[٧] : « عليكم أَنْفُسَكم لا يَضُرُّكم مَنْ ضَلَّ إذا اهتَدَيْتُمْ » — يعنى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ فهذا ناسخ لقوله[٨] : « عليكم أنفسكم » .

وقال السعدى[٩] : لم يمكث منسوخٌ مدة أكثر من قوله تعالى[١٠]: « قل ما كُنْتُ بِدْعاً من الرُّسل ... » الآية . مكثت ست عشرة سنة حتى نسخها أول الفتح عام الحديبية .

وذكر هبة الله بن سلامة الضرير أنه قال فى قوله تعالى[١١] : « ويُطعمون الطعامَ على حُبِّه مِسْكِيناً ويَتيما وأسِيرا ...» الآية — أن المنسوخ من هذه الجملة

---

(١) أحكام القرآن : ٢٠١   (٢) التوبة : ٥

(٣) فى البرهان : وهى قوله : فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم (آية ٥) .

(٤) أحكام القرآن : ١ — ٣٣٨   (٥) الأعراف : ١٩٩

(٦) من الاتقان .   (٧) المائدة : ١٠٥   (٨) المائدة : ١٠٥

(٩) سبق أنه فى البرهان : السعدى .

(١٠) الأحقاف : ٩   (١١) الدهر : ٨

وأسيرا ؛ والمراد بذلك أسير المشركين ، فقرىء عليه الكتاب وابنته تسمع ، فلما انتهى إلى هذا الموضع قالت له : أخطأت يا أبت . قال : وكيف ؟ قالت : أجمع المسلمون على أن الأسير يُطعَم ولا يقتل جوعاً . فقال : صدقت .

[يجوز نسخ الناسخ]

. وقال شَيْذَلة [١] في البرهان : يجوز نسخ الناسخ فيصير منسوخاً ؛ كقوله [٢]: « لَكم دِينُكم وَلِيَ دِين » . نسخها قوله [٣]: « فاقتُلُوا المشركين » . ثم نسخ هذه بقوله [٤] : « حتى يُعطُوا الجِزْيَةَ » ؛ [كذا قال : وفيه نظر من وجهين :

أحدها ما تقدمت الإشارة إليه .] [٥] والآخر أن قوله : حتى يعطوا الجزية — مخصِّص للآية لا ناسخ ؛ نعم يمثل له بآخر سورة المزمل ، فإنه ناسخ لأولها منسوخ بفرض الصلوات الخمس .

وقوله [٦] : « انفِرُوا خِفَافاً وثِقَالا » ناسخ لآية الكفّ ، منسوخ بآية العُذْر .

وأخرج أبو عبيد عن الحسن وأبي ميسرة ؛ قالا : ليس في المائدة منسوخ ؛ ويُشكل بما في المستدرك عن ابن عباس أن قوله [٧]: « فاحْكُمْ بينهم أو أعْرِضْ عنهم » — منسوخ بقوله [٨] : « وأنِ احكُم بينهم بما أنزل اللهُ » .

[أول ما نسخ من القرآن]

وأخرج أبو عبيد وغيره ، عن ابن عباس ، قال : أول ما نسخ من القرآن شأن [٩] القبلة .

(١) هو أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك الفقيه الشافعي المعروف بشيذلة ، وهو صاحب كتاب البرهان في مشكلات القرآن توفي سنة ٤٩٤ (ابن خلكان : ١ — ٣١٨) .
(٢) الكافرون : ٦ (٣) التوبة : ٦ (٤) التوبة : ٢٩
(٥) من الإتقان . (٦) التوبة : ٤١ (٧) المائدة : ٤٢
(٨) المائدة : ٤٩ (٩) في الإتقان : نسخ .

وأخرج أبو داود فى ناسخه من وجه آخر[١] عنه ، قال : أول آية نسخت من القرآن القبلة ، ثم الصيام الأول .

[هل وقع النسخ فى المكى]

قال مكى : وعلى هذا فلم يقع فى المكى ناسخ . قال : وقد ذكر أنه وقع فيه فى آيات منه[٢] : قوله تعالى فى سورة غافر[٣] : « يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِم ويؤمنون به ويستغفِرُون للذين آمنوا ». فإنه ناسخ لقوله تعالى[٤]: «ويستغفرون لِمَنْ فِى الأَرْضِ » .

قلت : أحسن من هذا نسخ قيام الليل فى أول سورة المزمل بآخرها ، أو بإيجاب الصلوات الخمس ؛ وذلك بمكة اتفاقاً .

تنبيه

قال ابن الحصّار : إنما يرجع فى النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن صحابى يقول : آيةُ كذا نسخت كذا .

وقال : قد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به مع علم التأويل[٥] ، ليعلم المتقدم والمتأخر .

قال : ولا يعتمد فى النسخ قول عوام المفسرين ؛ بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صريح ولا معارضة [٢٢ ب] بينة ؛ لأن النسخ[٦] يتضمن رفع حكم

---

(١) فى الاتقان : أخذ . (٢) فى الاتقان منها . (٣) غافر : ٧
(٤) الشورى : ٥ (٥) فى الإتقان : التاريخ ليعرف ...
(٦) فى ا : المنع .

وإثبات حكم تقرر فى عهده صلى الله عليه وسلم ؛ فالمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأى والاجتهاد .

قال : والناس[١] فى هذا بين طرفى نقيض ، فمن قائل : لا يُقْبَلُ فى النسخ أخبار آحاد العدول ؛ ومن متساهل يكتفى فيه بقول مفسر أو مجتهد . والصواب خلاف قولهما .

* * *

الضرب الثالث : ما نسخ تلاوته دون حكمه . وقد أورد بعضهم فيه سؤالا ؛ وهو : ما الحكمة فى رفع التلاوة مع بقاء الحكم ؟ وهلاّ أُبقيت التلاوة ليجتمع العمل بحكمها وثواب تلاوتها ؟

وأجاب صاحب الفنون[٢] بأن ذلك ليظهر به مقدارُ طاعة هذه الأمة فى المسارعة إلى بذل النفوس بطريق الظن من غير استفصال لطلب طريق مقطوع به ، فيسرعون بأيسر شىء ، كما سارع الخليل إلى ذبح ولده بمنام ؛ والمنامُ أدنى طريق الوحى .

وأمثلةُ هذا الضرب كثيرة ؛ قال أبو عبيد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : لا يقولَنّ أحدكم قد أخذت القرآن كله وما يدريه ما كله ، قد ذهب منه قرآن كثير ، ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر .

قال : حدثنا ابن أبى مريم ، عن أبى لهيعة[٣] ، عن أبى الأسود ، عن عُروة ابن الزبير ، عن عائشة ، قالت : كانت سورة الأحزاب تُقرأ فى زمان النبى

---

(١) فى ا : والثانى . والمثبت فى الاتقان أيضاً .

(٢) هو كتاب فنون الأفنان فى عجائب علوم القرآن لابن الجوزى .

(٣) فى الإتقان : ابن لهيعة ـ تحريف .

صلى الله عليه وسلم مائتى آية ، فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر إلا على ما هو الآن .

وقال : حدثنا إسماعيل بن جعفر ، عن المبارك بن الفضالة[١] ، عن عاصم ابن أبي النجود ، عن زِرّ بن حُبيش ، قال : قال لى أُبَىّ بن كعب : كأيّن تعد سورة الأحزاب ؟ اثنتين وسبعين آية ، أو ثلاثاً وسبعين آية ؟ قال : إن كانت لتعدل سورةَ البقرة ، وإن كنا لنقرأ فيها آية الرجم . قلت : وما آية الرجم ؟ قال : إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموها البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم .

وقال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد ابن أبي هلال ، عن مروان بن عثمان ، عن أبي أمامة بن سهل — أن خالته قالت : لقد أقرأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الرجم : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة بما قضيا من اللذة .

وقال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، أخبرنى ابنُ أبي حميد ، عن حميدة بنت أبي يونس ، قالت : قرأ علىّ أبي وهو ابن ثمانين سنة فى مصحف عائشة : إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما . وعلى الذين يصلون الصفوف الأول — قالت قبل أن يغيّر عثمان المصاحف .

وقال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي واقد الليثى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أُوحى إليه أتيناه فعلّمنا مما أوحى إليه . قال : فجئتُ ذات يوم فقال : إن الله يقول إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، ولو أن لابن آدم وادياً لأحبّ

(١) هنا فى ا ، وفى الاتقان : فضالة .

أن يكون إليه الثانى ، ولو كان له الثانى لأحبَّ أن يكون له[1] الثالث ، ولا يملأ جوفَ ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب .

وأخرج الحاكم فى المستدرك ، عن أبىّ بن كعب ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن ، فقرأ : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ؛ ومن بقيّتها : لو أن ابن آدم سأل واديًا من مال فأعطيه سأل ثانيًا ، وإن سأل ثانيًا سأل ثالثًا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب . ويتوب الله على من تاب ، وإن ذات الدين عند الله الحنيفية السمحة غير اليهودية ولا النصرانية ، ومن يعمل خيرًا فلن يكفره .

وقال أبو عبيد[2] : حدثنا حجاج [، عن حماد][3] بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن أبى حرب ، عن أبى الأسود ، عن أبى موسى الأشعرى قال : نزلت [سورة نحو][3] براءة ، ثم رُفعت ، وحُفظ منها : إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خَلاق لهم ، ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى ثالثًا ، ولا يملأ [٢٣ ا] جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب .

وأخرج ابن أبى حاتم ، عن أبى موسى الأشعرى ، قال : كنا نقرأ سورةً نُشبّهها بإحدى المسبِّحات[4] ، فأنسيناها ؛ غير أنى حفظت منها : يأيها الذين آمنوا لِمَ تقولون[5] ما لا تفعلون ، فتكتب شهادة فى أعناقكم ، فتسألونَ عنها يومَ القيامة .

قال أبو عبيد : حدثنا حجاج عن شعبة[6] ، عن الحكم بن عتيبة ، عن عدى ابن عدى ، قال : قال عمر : كنا نقرأ لا ترغبون عن آبائكم فإنه كفر بكم ،

---

(١) فى الاتقان : إليهما . (٢) فى ا : أبو حميد . (٣) من الإتقان .

(٤) المسبحات من السور : ما افتتح بسبحان ، وسبح ، ويسبح .

(٥) فى الإتقان : لا تقولوا ... (٦) فى الإتقان : عن سعيد .

[ثم][1] قال لزيد بن ثابت : كذلك[2] ؟ قال : نعم .

قال : وحدثنا ابن أبى مريم ، عن نافع بن[3] عمر الجمحى ، حدثنا ابن أبى مُليكة ، عن المِسْوَر[4] بن مَخْرمة ، قال : قال عمر لعبد الرحمن بن عوف : ألم تجد فيما أنزل علينا : أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة ؟ فإنا لا نجدها ؟ قال : أسقطت فيما أسقط من القرآن .

وقال : حدثنا ابن أبى [مريم ، عن ابن][5] لهيعة ، عن يزيد بن عمرو المَعَافِرى ، عن أبى سفيان الكَلاعى.- أن مسلمة بن مُخَلَّد[6] الأنصارى، قال لهم ذات يوم : أخبرونى بآيتين من القرآن لم يكتبا فى المصحف ؛ فلم يخبروه وعندهم أبو الكنود[7] سعد بن مالك، فقال مسلمة ؛ إن الذين آمنوا وهاجَرُوا وجاهَدُوا فى سبيلِ اللهِ بأموالهم وأنفسهم ، ألا فأَبْشِرُوا أنتم أيها المفلحون . والذين آوَوْهم ونصَرُوهم وجادَلُوا عنهم القوم الذين غَضِبَ اللهُ عليهم أولئك لا تعلم نفس ما أُخفِيَ لهم من قُرَّةِ أَعْيُن جزاءً بما كانوا يَعْمَلُون .

وأخرج الطبرانى فى الكبير ، عن ابن عمر ، قال : قرأ رجلان سورة أقرأها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فكانا[8] يقرآن بها ، فقاما ذات ليلة يصليان ، فلم يقدرا منها على حرف ، فأصبحا غادِيَيْنِ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرا ذلك له ، فقال : إنها مما نسخ فالهوا عنها .

وفى الصحيحين عن أنس فى قصة أصحاب بئر معونة الذين قتلوا : وقنت رسول الله صلى الله عليه وسلم [يدعو][9] على قاتليهم . قال أنس : ونزل فيهم

---

(١) من الاتقان . (٢) فى الاتقان : أكذلك ؟
(٣) فى ا : عن نافع عن ابن عمر الجمحى . (٤) كمنبر .
(٥) من الإتقان . (٦) مخلد كمعظم . (٧) ا : النور .
(٨) فى ا : فقاما . (٩) من الاتقان .

قرآن قرأناه حتى رُفع : أنْ بلّغُوا عنّا قوْمَنا أن[1] قد لقينا ربّنا فرَضِيَ عنّا وأرْضَانَا .

وفى المستدرك عن حُذيفة ، قال : ما تقرءون ربعها — يعنى براءة .

قال أبو الحسين[2] بن المنادى فى كتابه الناسخ والمنسوخ : ومما رُفع رسمه من القرآن ولم يُرفع حفظه من القلوب سورة[3] القنوت فى الوتر ، وتسمى سورة الخلع والحفد[4] .

تنبيه

حكى القاضى أبو بكر فى الانتصار عن قوم ، إنكار هذا الضرب ؛ لأن الأخبار فيه أخبار آحاد ؛ ولا يجوز القطع على إنزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها .

وقال أبو بكر الرازى : نسخُ الرسم والتلاوة إنما يكون بأن ينسيهم الله إياه ، ويرفعه من أوهامهم ، ويأمرهم بالإعراض عن تلاوته وكَتْبه فى المصحف ؛ فيندرس على الأيام كسائر كتب الله القديمة [التى ذكرها فى كتابه][5] فى قوله[6]: إنَّ هذا لفِي الصُّحُفِ الأولى. صُحفِ إبراهيمَ وموسى. ولا يعرف اليوم منها شىء ؛ ثم لا يخلو ذلك من أن يكون فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا توفى لا يكون متلوًّا من القرآن ، أو يموت وهو متلوٌّ موجود بالرسم ، ثم ينسيه الله

---

(١) فى الاتقان : أنا .
(٢) هو أبو الحسين أحمد بن جعفر المنادى الامام المحدث . توفى سنة ٣٣٤ ، ذكره صاحب كشف الظنون . والعبارة كلها فى البرهان : ٢ — ٣٧ .
(٣) فى الإتقان والبرهان : سورتا .
(٤) ف ١ : والجهد .
(٥) من البرهان والاتقان .
(٦) الأعلى : ١٨ ، ١٩

الناس ويرفعه من أذهانهم . وغير جائز نسخ شيء من القرآن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . انتهى .

وقال في البرهان[1] في قول عمر : لولا أن يقول الناس : زاد عمر في كتاب الله لكتبتها — يعني آية الرجم : ظاهره أن كتابتها جائزة ؛ وإنما منعه قول الناس ، والجائز في نفسه قد يقوم من خارج ما يمنعه ، وإذا كانت جائزة لزم أن تكون ثابتة ؛ لأن هذا شأن المكتوب .

وقد يقال : لو كانت التلاوة باقية لبادر عمر ولم يُعَرِّج على مقالة الناس ؛ لأن مقال الناس لا يصلح مانعاً .

وبالجملة فهذه الملازمة مشكلة ؛ ولعله كان يعتقد أنه خبر واحد ، والقرآن لا يثبت به وإن ثبت لا يحكم[2] . ومن هنا أنكر ابن ظَفَر في « الينبوع »[3] عدَّ هذا مما نسخ تلاوته ، قال : لأن خبر الواحد لا يثبت به القرآن .

قال: وإنما هـذا من المنسأ لا النسخ ، وهما مما يلتبسان ؛ والفرق بينهما أن المُنْسَأ لَفْظُهُ قد يعلم حكمه . انتهى .

وقوله : لعله كان يعتقد أنه خبر واحد مردود ؛ فقد صح أنه تلقاها من النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فأخرج الحاكم من طريق كثير بن الصَّلْت[4] ، قال : كان زيد بن ثابت وسعيد بن العاصي يكتبان [٢٣ ب] المصحف ، فمرّا على هذه الآية فقال زيد : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا زنيا الشيخ والشيخة ، فارجموهما البتة . فقال عمر : لما نزلت [أتيت النبي صلى الله عليه وسلم][5] فقلت :

---

(١) البرهان : ٢ — ٣٦ (٢) في البرهان ، والاتقان : «إن ثبت الحكم» .
(٣) كتاب الينبوع في التفسير لأبي عبد الله بن ظفر محمد بن محمد [illegible] المتوفى سنة ٥٦٨ .
(٤) ابن كثير : ٣ — ٢٦١ ، وفي الاتقان : بن الصامت .
(٥) من الاتقان .

أكتبها ؟ فكأنه كره ذلك . فقال عمر : ألا ترى أن الشيخ إذا زنى [ولم يحصن جلد ، وأن الشاب إذا زنى][1] وقد أحصن رُجِمَ .

قال ابن حجر فى شرح البخارى[2]: فيستفاد من هذا الحديث السبب فى نسخ تلاوتها لكون العمل على غير الظاهر من عمومها .

قلت : وخطر لى فى ذلك نكتة حسنة ؛ وهو أن سببه التخفيف على الأمة بعدم اشتهار تلاوتها وكتابتها فى المصحف وإن كان حكمها باقياً ؛ لأنه أثقل الأحكام وأشدها ، وأغلظ الحدود ، وفيه الإشارة إلى ندب الستر .

وأخرج النسائى أن مروان بن الحكم[3] قال لزيد بن ثابت : ألا تكتبها فى المصحف ؟ قال : لا ، ألا ترى أن الشابين الثيّبين يرجمان؟ وقد ذكرنا ذلك ؛ فقال عمر : وأنا أكفيكم[4] ، فقال : يا رسول الله ، أكتبنى آية الرجم . قال : لا أستطيع . قوله : أكتبنى ؛ أى ائذَنْ لى فى كتابتها ، ومكنّى من ذلك .

وأخرج ابن الضُّرَيْس فى فضائل القرآن ، عن يعلى بن حكيم ، عن زيد ابن أسلم : أن عمر خطب الناس ، فقال : لا تشكوا فى الرجم ؛ فإنه حق ، وقد هممت أن أكتبه فى المصحف ، فسألت أبىّ بن كعب ، فقال : ألست أتيتنى وأنا أستقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدفعت فى صدرى وقلت تستقرىء آية الرجم وهم يَتَسَافَدُون تسافُدَ الحمر . قال ابن حجر : وفيه إشارة إلى بيان السبب فى رفع تلاوتها ؛ وهو الاختلاف .

---

(١) من الاتقان . (٢) فى الاتقان : فى شرح المنهاج .

(٣) ابن كثير : ٣ — ٢٦١

(٤) فى ابن كثير : أشفيكم من ذلك .

الإخبار بجملةٍ مِنْ مُرتكباتهم جاءت منسوقاً بعضُها على بعض بالواو التي لا تقتضي ترتيباً ولا تسبباً .

وأما آية « ق » فمقصودٌ بها التعريفُ ، فتعجبهم من البعث الأُخْروى واستبعادُهم إياه ، ولم يقصد هنا غير هذا ، قصده ، فربطه بالفاء ، أي عجبوا من البعث بعد الموت ، فقالوا : كذا ، فجيء لكل بما يحرزه .

(فالحامِلَات وِقْرًا[١]) ، هي السحاب يحمل المطر . والوقْرِ : الحمل ، وهو مفعول به .

(فالجارِيَات يُسْرا[٢]) : هي السفن تجرى فى البحر ، وإعرابُ « يسرا » صفة لمصدر محذوف ، ومعناه بسهولة .

(فالمُقَسِّمَاتِ أمْراً[٣]) ، هى الملائكة تُقَسِّم أمورَ الملكوت من الأرزاق والآجال وغير ذلك . و « أمْراً » مفعول به .

وقيل: إن الحاملات وِقْرًا : السفن . وقيل: جميع الحيوانِ الحامل . وقيل: إن « الجاريات يُسْرًا » السحاب . وقيل : الجارى من الكواكب . والأول أشهر ، لأنه قول على بن أبى طالب رضى الله عنه .

(فورَبِّ السماءِ والأرْضِ إنَّه لَحَقٌّ[٤]) : هذا قسمٌ أقسم اللهُ باسمه ، كقوله[٥] : « فوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أجمعين » .

ولما ذكر الله فى هذه الآية رِزْقَ عباده ، وأنه يوصله لهم ، أقسم لهم اطمئناناً لنفُوسهم ، ويقسم اللهُ فى كتابه إما لفضيلة وإما لمنفعة . وأقسم بنفسه

---

(١) الذاريات : ٢ (٢) الذاريات : ٣ (٣) الذاريات : ٤
(٤) الذاريات : ٢٣ (٥) الحجر : ٩٢

كهذه الآيات ، وبفعله مثل : والسماء وما بناها ... الآيات ، وما ضاهاها ، من أفعاله ، كقوله تعالى : والنجم إذا هوى . والطور والتين . والليل .

فإن قلت : إن كان القسم لأجل المؤمن فإنه يصدقه بغير قسم ، وإن كان للكافر فإنه لا يصدقه ؛ فما فائدته ؟

والجواب أن قسمه تعالى لإكمال الحجة وتأكيدها ، والحاكم يقبل الحكم باثنين ، إمّا بالشهادة وإمّا بالقسم ، فذكر اللهُ القسم في كتابه كي لا تبقى لهم حجة على الله ، فإنا لله وإنا إليه راجعون على هذه العقول الخسيسة ، اختارنا من بين جامد[1] ونامٍ ، وناطق وصامت ، وذلك أنه اختار النامي[1] من الجامد لما كان فيه من الخضرة والزهرة والطيب والمنفعة ، ثم اختار الحيوان من النامي[1] لما فيه من الحركة والقوّة والتصرف والزينة ، ثم اختار الناطق من الحيوان لما فيه من الفصاحة والذلاقة والفطنة والبصيرة ، ثم اختار الممتحن من الناطق لما أفادهم من العلم والحجة والدعوة والشريعة ، ثم اختار المؤمن من الممتحن لما آتاه الله من المعرفة والهداية والتوحيد والشهادة ، ثم اختار المحب بالثناء والبشارة والمحبة ، قال تعالى[2] : « التائبون العابدون الحامدون » . «[3] يحبهم ويحبونه » . واصطفاك يا محمدي لوحيه ، قال تعالى[4]: « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » . فأنت مختار المختار ، ووعدك برزقه كي تتفرغ لخدمته ، وضمنه لك ولم تثق بضمانه حتى أقسم لك به ، فأعرضتَ عن هذا كله ، واشتغلت بالمعاصي والفجور عن طاعته ، أما علمت أنّ زلة الوزير ليست كزلة العامة ، يعصي الوزير فتضرب رقبته ، ويعصي أحدُ العامة فلا يُلتفت إليه ، أليس من الغبن العظيم والرزء الجسيم — أنك تثق بمخلوق مثلك ، يقول لك : غذاؤك اليوم والعشاء على

---

(١) هذا بالأصلين ولم أتبينها . وقد تكون محرفة عن « نابت » .

(٢) التوبة : ١١٢ (٣) المائدة : ٥٤ (٤) فاطر : ٣٢

فلا تُدَبِّر معه. وتثِق بقوله ، ولا تثق بقول أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين !
وأعظم من هذا أنْ لو قاله لك يهودى أو نصرانى لوثقت بقوله ، ولم تثقْ بالملك
الذى خلقك وصوَّرك ووعدك ، ورَضِى الله عن الإمام علىّ فى قوله :

أتطلُبُ رِزْقَ الله مِنْ عند غيره وتصْبِح من خوف العواقب آمنًا
وترضى بطرف وإن كان مُشركا ضَمِينا ولا ترْضى بربك ضامنًا

قال بعضهم : نبشت على أكثر من سبعين فوجدت وجوهَهم محوَّلة
[٢٤٠ ب] عن القِبْلة ، وذلك اتهامهم ربّهم . اللهم ارحمنا إذا صِرْنا إليك .

(فقالوا سلامًا[١]) ، نصب على أنه فى معنى الطلب ، وهو مفعول بفعل
مضمر . وموقع[٢] الثانى مرفوع لأنه خبر تقديره : [عليكم][٣] سلام ؛ وهذا
على أن يكون السلام بمعنى السلامة ؛ وإن كان بمعنى التحية فإنه رفع الثانى ليدلّ
على إثبات السلام ، فيكون قد حيَّاهم بأكثر مما حيَّوْه ، وينتصب السلام الأول
على هذا على المصدرية ؛ تقديره سلمنا عليكم سلاما ، ويرتفع الثانى بالابتداء تقديره
سلام عليكم .

(فتوَلَّى بِرُكْنِه[٤]) ؛ أى أعرض فرعون عن الإيمان ، واستمسك بقوته
وسلطانه ، وقال : موسى ساحر أو مجنون .

(فأخذَتْهُم الصاعقةُ وهم ينظُرون[٥]) ؛ لأنها كانت بالنهار ؛ زيادةً
فى نكالهم ؛ إذ ليس الميت صَبْرًا كالغِيلة .

(ففِرُّوا إلى الله إنّى لكم منه نَذِيرٌ مُبين[٦]) : أمر الله فى هذه الآية

---

(١) الذاريات : ٢٥ (٢) فى الآية نفسها : قال سلام ...
(٣) مكانها بياض فى الأصول . والتكملة من القرطبى : ١٧ — ٤٥
(٤) الذاريات : ٣٩ (٥) الذاريات : ٤٤ (٦) الذاريات : ٥٠

أن شرف الصنعة إما لشرف موضوعها مثل الصياغة ؛ فإنها أشرف من الدباغة ؛ لأن موضوع الصياغة الذهب والفضة ، وهما أشرف من موضوع الدباغة الذى هو جلد الميتة . وإما بشرف غرضها ؛ مثل صناعة الطب ، فإنها أشرف من صناعة الكناسة ؛ لأن غرض الطب إفادة الصحة ، وغرض الكناسة تنظيف المستراح. وإما بشدة الحاجة إليها ، كالفقه ؛ فإن الحاجة إليه أشد من الحاجة إلى الطب ؛ إذ ما من واقعة فى الكون من أحد من الخلق إلا وهى مفتقرة إلى الفقه ؛ لأن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين ، بخلاف الطب فإنه يحتاج إليه بعض الناس فى بعض الأوقات .

إذا عُرِف ذلك فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاثة ؛ أما من جهة الموضوع فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذى هو ينبوع كل حكمة ، ومَعْدِنُ كل فضيلة ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، لا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه .

وأما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى ، والوصول إلى السعادة الحقيقية التى لا تفنى .

وأما من جهة شدة الحاجة فلأن كل كمال دينى أو دنيوى عاجلى أو آجلى مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية ، وهى متوقفة على العلم بكتاب الله .

والكلام هنا عريض تكفّل بجمعه أئمتنا رضى الله عنهم .

وإنما ذكرتُ فى هذا المجموع بعض ما يحتاج إليه بعد تقرير قاعدة ؛ وهى أن كل من وَضَع من البشر كتاباً فإنما وضعه ليُفْهَم بذاته من غير شرح ؛ وإنما احتيج إلى الشروح لأمور ثلاثة :

أحدها — كمال فضيلة كلام المصنف ؛ فإنه لقوته العلمية يجمع المعانى الدقيقة

فى اللفظ الوجيز ، ، فربما عَسُرَ فَهْمُ مراده ، فقصد بالشرح ظهور تلك المعانى الخفية ؛ ومن ها هنـــا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدل على المراد من شرح غيره .

وثانيها إغفاله بعض تتمات المسائل ، أو شروط لها ؛ اعتماداً على وضوحها ، أو لأنها من علم آخر ؛ فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبها[١].

وثالثها احتمال اللفظ لمعان ، كما فى المجاز ، والاشتراك ، ودلالة الالتزام ؛ فيحتاج الشارحُ لبيان غرض المصنف وترجيحه .

وقد يقع فى التصانيف ما لا يخلو عنه بَشَر من السهو والغلط ، أو تكرار الشيء ، أو حذف المهم[٢] ، أو غير ذلك ؛ فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك .

[الحاجة إلى التفسير]

وإذا تقرر هذا فنقول : إن القرآن إنما نزل بلسان عربى فى زمان أفصح العرب ، وكانوا يعلمون ظاهره[٣] ، وأحكامه ؛ أما دقائق [٢٤ ب] باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبى صلى الله عليه وسلم فى الأكثر ؛ كسؤالهم لما نزل[٤] : « وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ » ، فقالوا : وأينا لم يظلم نفسه ؛ ففسره النبى صلى الله عليه وسلم بالشِّرْك ؛ واستدل عليه بقوله[٥] : « إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » .

وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير ، فقال : ذلك العرض .

وكقصة عدى بن حاتم فى الخيط الأسود والأبيض ، وغير ذلك مما سألوا

---

(١) فى الاتقان : ومراتبه .

(٢) فى الاتقان : المبهم .

(٣) فى الاتقان : ظواهره .

(٤) الأنعام : ٨٢

(٥) لقمان : ١٣

عن آحاد منه ؛ ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر ؛ لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم ؛ فنحن أشد الناس احتياجاً إلى التفسير .

ومعلوم أن تفسير بعضه يكون من قبيل بسط الألفاظ وكشف معانيها ، وبعضه من قبل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض .

فإن قلت : قد قلتم إنه يقع النسخ إلى غير بدل . وقد قال تعالى[1] : « مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أو نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ أَوْ مِثْلِهَا » ، وهذا إخبار لا يدخله خلف .

فالجواب ما قاله ابن الحصار : كل ما ثبت الآن من القرآن ولم يُنسخ فهو بدل مما نُسخت تلاوته، فكل ما نسخه الله من القرآن مما لا نعلمه الآن فقد أبدله الله مما علمناه وتواتر إلينا لفظُه ومعناه .

* * *

الوجه التاسع من وجوه إعجازه

انقسامه إلى محكم ومتشابه

فهو محكم لا يتطرق النقصُ إليه والاختلاف ، ويشبه بعضُه بعضاً في الحق والصدق والإعجاز .

وقد اختلف علماؤنا في التعبير عن المحكم والمتشابه على أقوال كثيرة ، وألفوا فيه تواليف منيرة ، وقصدنا في هذه النبذة اختصار ما فيها .

فقيل : المحكم ما عرف المراد منه ؛ إما بالظهور وإما بالتأويل . والمتشابه :

---

(١) البقرة : ١٠٦

ما استأثر الله بعلمه ، كقيام الساعة ، وخروج الدجال ، ويأجوج ومأجوج ، والحروف المقطعة فى أوائل السور .

وقال الماوردى[١] : المحكم ما لا يحتمل التأويل إلا وجهاً واحداً . والمتشابه بخلافه[٢] [. وقيل المحكم ما كان معقول المعنى ، والمتشابه بخلافه][٣] كأعداد الصلوات واختصاص الصيام برمضان دون شعبان . وقيل : المحكم ما استقل بنفسه ، والمتشابه : ما لا يستقل بنفسه إلا بردّه إلى غيره .

وأخرج الحاكم وغيره عن ابن عباس قال : الثلاث آيات من آخر سورة الأنعام محكمات[٤] : « قل تَعَالَوْا » ، والآيتان بعدها .

وأخرج ابن أبى حاتم من وجه آخر عن ابن عباس فى قوله [تعالى : « فيه آيات مُحْكَمَات » : قال : من ها هنا : « قبل تَعَالَوْا » إلى ثلاث آيات. من ها هنا : «[٥] وقضى ربك][٦] ألاّ تعبدوا إلاّ إياه ...» إلى ثلاث آيات بعدها .

قال ابن أبى حاتم : وقد روى عن عكرمة وقتادة وغيرهما أن المحكم الذى يعمل به . والمتشابه الذى يؤمن به ولا يعمل به .

واختلف أيضاً هل المتشابه مما يمكن الاطلاع على علمه أو لا يعلمه إلا الله على قولين ؛ منشؤهما الاختلاف فى قوله تعالى[٧] : « والرّاسِخُونَ فى العلم

---

(١) هو الامام أبو الحسن على بن حبيب الشافعى صاحب كتاب أدب الدنيا والدين ، والحاوى ، والتفسير ، وكتاب الأحكام السلطانية . توفى سنة ٤٥٠ (شذرات الذهب : ٣ — ٢٨٥) .

(٢) فى الاتقان : ما احتمل أوجها . (٣) من الاتقان .

(٤) آية ١٥١ ، والآيتان بعدها هما ١٥٢ ، ١٥٣

(٥) من الاتقان . (٦) الإسراء : ٢٣ — ٢٦

(٧) آل عمران ، ٧ ، وما قبله : وما يعلم تأويله إلا الله ...

يقولون » ، هل هو معطوف ويقولون حال ، أو مبتدأ خبره يقولون والواو للاستئناف . وعلى الأول طائفة يسيرة ؛ منهم مجاهد وهو رَاوِيهِ عن ابن عباس : فأخرج ابن المنذر من طريق مجاهد عن ابن عباس فى قوله : « وما يعلم تأويلَه إلا الله والراسِخُون فى العلم » — قال : أنا ممن يعلمُ تأويله [وأخرج عبيد بن حميد عن مجاهد فى قوله : والراسخون فى العلم — قال : يعلمون تأويله ...][1] ، ويقولون آمنّا به .

وأخرج ابن أبى حاتم عن الضحاك قال : الراسخون فى العلم يعلمون تأويله ، ولو لم يعلموا تأويله لم يعلموا ناسخه من منسوخه ، ولا حلاله من حرامه ، ولا محكمه من متشابهه .

واختار هذا القول النووى ، فقال فى شرح مسلم : إنه الأصح ؛ لأنه يَبْعُدُ[2] أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته .

وقال ابن الحاجب : إنه الظاهر . وأما الأكثرون من الصحابة والتابعين وتابعيهم[3] ومن بعدهم خصوصاً أهل السنة [فذهبوا إلى الثانى ، وهو أصح الروايات عن ابن عباس . قال ابن السمعانى : لم يذهب إلى القول الأول إلا شرذمة قليلة ؛ واختاره القتيبى . قال : وقد كان يعتقد مذهب أهل السنة][4] ؛ لكنه سقط[5] فى هذه المسألة . قال : ولا غَرْوَ فإن لكل جَوَاد كبوة ، ولكل عالم هفوة .

قلت : ويدلُّ لصحة مذهب الأكثرين ما أخرجه عبد الرزاق فى [٢٥ ا] تفسيره والحاكم فى مستدركه عن ابن عباس — أنه كان يقرأ : وما يعلم تأويله

---

(١) من الإتقان .
(٢) فى ب : لا يبعد .
(٣) فى ا : وأتباعهم .
(٤) من الإتقان .
(٥) فى الإتقان : سها .

إلا الله . ويقول الراسخون فى العلم آمنّا به ؛ فهذا يدل على أن الواو للاستئناف ؛ لأن هذه الرواية وإن لم تثبُتْ بها القراءة فأقل درجاتها أن تكون خبراً بإسنادٍ صحيح إلى ترجمان القرآن ، فيقدم كلامه فى ذلك على مَنْ دونه .

ويؤيد ذلك أن الآية دلت على ذم متّبعى المتشابه ، ووصفهم بالزّيغ وابتغاء الفتنة ، وعلى مدح الذين فوّضوا العلم إلى الله وسلموا إليه ، كما مدح الله المؤمنين بالغيب .

وحكى الفرّاء أن فى قراءة أبى بن كعب أيضاً : ويقول الراسخون .

وأخرج ابن أبى داود فى المصاحف من طريق الأعمش ، قال فى قراءة ابن مسعود : وإنْ تأويلُه إلا عند الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به .

وأخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية[١] : هو الذى أَنزل عليكَ الكتاب ... إلى قوله : أولو الألباب . قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذرهم .

وأخرج الطبرانى فى الكبير عن أبى مالك الأشعرى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا أخاف على أمّتى إلاّ ثلاث خِلَالٍ : أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فَيَقْتَتِلوا . وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغى تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ... الحديث .

وأخرج ابن مَرْدَوَيه من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن القرآن لم ينزل ليكذّب بعضه بعضاً ، فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما تشابه منه فآمنوا به .

---

(١) هى الآية نفسها من آل عمران : ٧

على ألا يَزْنين قالت هند : يا رسول الله ، أتزنى الحرة ؟ فقال عليه السلام: لا تَزْنى الحرة ــ يعنى فى غالب الأمر ، وذلك أن الزنى فى قريش إنما كان فى الإماء .
فلما قال: ولا يَقْتُلْنَ أولادهن قالت : رَبّيْنَاهم صغاراً وقتلتَهم أنت ببَدْرٍ كباراً ؛ فتبسم صلى الله عليه وسلم ، فلما وقفهن على ألّا يعصينه فى معروف قالت: ما جلسنا هذا المجلس وفى أنفسنا أنْ نعصيك . وهذه المبايعة للنساء إنما كانت فى ذلك اليوم، ولا يعمل بها اليوم ؛ لإجماع العلماء على أنه ليس على الإمام أنْ يشترط عليهن هذا . فإمّا أنْ تكون منسوخة ولم يذكر الناسخ ، أو يكون ترك هذه الشروط ؛ لأنها قد تقررت وعُلمت من الشريعة فلا حاجة إلى اشتراطها .

(فلما جاءَهُم بالبَيِّنَاتِ[1]) : يحتمل أن يريد عيسى أو محمد صلى الله عليه وسلم . ويؤيِّدُ الأولَ اتصاله[2] بما قبله . ويؤيد الثانى[3] : « وهو يُدْعَى إلى الإسلام » ؛ لأن الداعى إلى الإسلام هو محمد صلى الله عليه وسلم .

(فأَصْبَحُوا ظَاهِرِين[4]) : قيل إنهم ظهروا بالحجة . وقيل غلبوا الكفار بالقَتْل بعد رَفْع عيسى عليه السلام . وقيل : إنّ ظهور المؤمنين منهم هو بمحمد صلى الله عليه وسلم .

(فقالوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا[5]) : استبعدوا أن يرسل الله بشراً ، أو تكبّرُوا عن اتباع بَشَر . والبشر يقع على الواحد والجماعة .

(فإذَا بلَغْنَ أَجلَهنّ فأَمْسكوهنّ بمعروف أو فَارِقوهنّ بمعروف[6]) : يعنى فى أداء الصداق والإمتاع حين الطلاق . وبلوغ الأَجل خطابٌ بآخر العدة . والإمساك بمعروف هو تحسين العشرة وتَوْفية النفقة .

---

(١) الصف : ٦
(٢) أى بقوله تعالى فى الآية نفسها : وإذ قال عيسى بن مريم .
(٣) الصف : ٧
(٤) الصف : ١٤
(٥) التغابن : ٦
(٦) الطلاق : ٢

فإن قلت : ما الحكمة فى تعبيره فى آية البقرة بالسراح[١] فى مكان الفراق هنا .

والجواب لاكتناف آية البقرة النهى عن مضارّة النساء وتحريم أخذ شىء منهن ما لم يكن منهن ما يسوّغ ذلك من ألّا يقيما حدودَ الله ، فلما اكتنفها ما ذُكر وأُتْبع ذلك بالمنع عن عَضْلِهنّ ، وتكرر أثناء ذلك ما يفهم الأمر بمجاملتهن والإحسان إليهن حالَى [illegible] والانفصال لم يكن ليناسبها ـ قصد من هذا أن يعبّر بلفظ : «أو فارقوهن» ؛ لأن لفظ الفراق أقرب إلى الإساءة منه إلى الإحسان ، فعوّل إلى ما يحصل منه المقصود مع تحسين العبارة ، وهو لفظ التسريح ؛ فقال تعالى[٢] : « فأمْسِكوهنّ بمعروفٍ أو سرّحوهنّ بمعروف » ؛ وليجرى مع ما تقدم من قوله تعالى[٣] : « الطلاق مرّتان فإمساكٌ بمعروف أو تسريحٌ بإحسان» . وقيل هنا : بإحسان ، ليناسب به تعالى المذكور من قوله : أو تسريح . وقد رُوعى فى هذه الآي كلّها مقصد التلطّف ، وتحسين الحال فى الصحبة والافتراق ؛ ولما لم يكن فى سورة الطلاق تعرُّض لعَضْل ، ولا ذِكْر مضارة ـ لم يذكر ؛ وورد التعبير بلفظ : أو فارقوهنّ ، على الانفصال ، ووقع الاكتفاء فيما يراد [٢٤٢ ا] من المجاملة فى الحالين بقوله : معروف ؛ وبانَ افتراق القصتين فى السورتين ، وورود كلّ من العبارتين على ما يجب .

(فأنفِقوا عليهنّ حتى يضَعْنَ حَمْلهنّ[٤]) : اتفق العلماءُ على وجوب النفقة المطلقة الحامل ، عملا بهذه الآية ، إذَا[٥] كان الطلاق رجْعِيًّا . وإن كان بائنا

---

(١) البقرة : ٢٢٩ : فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وفيها (٢٣١): فأمسكوهن معروف أو سرحوهن بمعروف .
(٢) البقرة ٢٣٠
(٣) البقرة : ٢٢٩
(٤) الطلاق : ٦
(٥) والقرطبي : ١٨ ـ ١٦٧

اختلفوا فى نفقتها . وأما المتوفى عنها إذا كانت حاملا فلا نفقة لها عند مالك والجمهور ؛ لأنهم رأوا أن هذه الآية إنما هى فى المطلقة . وقال قوم : لها النفقة فى التركة .

(فإنَّ اللهَ هوَ مَوْلَاه وجِبريل وصَالِح المؤْمِنين[1]): هو أبو بكر الصديق على قول مَنْ قال إنه مفرد[2] . وقيل على بن أبى طالب . وعلى القول بأنه جمع محذوف النون للإضافة فهو على العموم فى كل صالح . والخطاب لنبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ يعنى إن تعاونتما[3] عليه بما يسوءه من إفراط الغيرة وإفشاء سره ونحو ذلك فإنّ له مَنْ ينصره .

ومولاه هنا يحتمل أن يكون بمعنى السيد الأعظم فيوقف على مولاه ، ويكون جبريل مبتدأ وظهير خبره وخَبَرُ ما عطف عليه . ويحتمل أن يكون المولى هنا بمعنى الولى الناصر ، فيكون جبريل معطوفاً ، فيُوصل مع ما قبله ، ويوقف على صالح المؤمنين ، ويكون الملائكة مبتدأ وظهير خبره . وهذا أرجح وأظهر ؛ لوجهين :

أحدهما — أن معنى الناصر أليق بهذا الموضع ؛ فإن ذلك كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم وتشريف له . وأما إذا كان بمعنى السيد فذلك يشترك فيه النبى صلى الله عليه وسلم مع غيره ؛ لأن الله مولى جميع خلقه بهذا المعنى ؛ فليس فى ذلك إظهار مزية له .

---

(١) التحريم : ٤ (٢) أى كلمة صالح . وفى القرطبى (١٨ — ١٨٩) : وقيل صالح المؤمنين ليس لفظ الواحد ، وإنما هو صالحو المؤمنين ، فأضاف الصالحين إلى المؤمنين ، وكتب بغير واو على اللفظ .

(٣) فى القرطبى : يعنى حفصة وعائشة (١٨ ١٨٨) .

الزيغ فيظنون[1] تأويله ، ولا يبلغون كُنْهَهَ ؛ فيرتابون به فيفْتَتِنون .

وقال ابن الحصار : قسّمَ اللهُ آيات القرآن إلى محكم ومتشابه ، وأخبر عن المحكمات أنها أم الكتاب ؛ لأنه إليها تردّ المتشابهات ، وهي التي تُعتمد في فهم مراد الله من خلقه ، أي في كل ما تعبّدهم به من معرفته وتصديق رسله ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه . وبهذا الاعتبار كانت أمهات . ثم أخبر عن الذين في قلوبهم زيغ أنهم هم الذين يتبعون ما تشابه منه .

ومعنى ذلك أن من لم يكن على يقين من المحكمات، وفي قلبه شك واسترابة، كانت راحته في تتبع المشكلات المتشابهات ؛ ومراد الشارع منا التقدم إلى فهم المحكمات ، وتقديم الأمهات ، حتى إذا حصل اليقين ، ورسخ العلم لم تبال بما أشكل عليك .

ومُراد هذا الذي في قلبه زيغ التتبع[2] إلى المشكلات ، وفهم المتشابه قبل فهم الأمهات ؛ وهو عكس المعقول والمعتاد والمشروع ، ومثَلُ هؤلاء من المشركين الذين يقترحون على رسلهم آيات غير الآيات التي جاءوا بها ، ويظنون أنهم لو جاءتهم آياتٌ أخر آمنوا عندها جهلا منهم ، وما علموا أن الإيمان بإذن الله تعالى . انتهى .

[الآيات ثلاثة أضرب]

وقال الراغب في مفردات القرآن[3] : الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب : محكم على الإطلاق . ومتشابه على الإطلاق . ومحكم من وجه ومتشابه من وجه .

---

(١) في الاتقان : فيطلبون . (٢) في الاتقان : التقدم . (٣) صفحة ٢٥٤

[أضرب المتشابه]

فالمتشابه بالجملة ثلاثة أضرب :

متشابه من جهة اللفظ فقط ، ومن جهة المعنى فقط ؛ ومن جهتهما .

فالأول ضربان : أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة ، إما من جهة الغرابة ، نحو : اللازب ويزفون[1] . أو الاشتراك كاليد والعين[2] .

وثانيهما يرجع إلى جملة الكلام المركب ؛ وذلك ثلاثة أضرب :

ضرب لاختصار الكلام، نحو[3] : « وإن خِفْتُمْ ألاَّ تُقْسِطُوا فِي اليَتَامَى فانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النساء » .

وضَرْبٌ لبَسْطه ، نحو[4] : « ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » ؛ لأنه لو قيل : ليس مثله شيء كان أظهر للسامع .

وضرب لنظم الكلام ؛ نحو[5] : « أنزل على عَبْدِهِ الكتابَ ولم يجعل له عِوَجاً . قَيِّمًا » . تقديره : أنزل على عَبْدِهِ [٢٦ ا] الكتاب قيما ، ولم يجعل له عوجاً .

والمتشابه من جهة المعنى أوصاف الله تعالى ، وأوصاف القيامة ؛ فإن تلك الصفات لا تُتصور لنا إذ كان لا يحصل فى نفوسنا صورة ما لم نحسه ، أو ليس من جنسه .

والمتشابه من جهتها خمسة أضرب :

الأول — من جهة الكمية ، كالعموم والخصوص ؛ نحو[6] : « فاقْتُلُوا المشركين حيثُ وجَدْتُموهم » .

---

(١) فى الاتقان والمفردات : ويزفون .

(٢) فى الاتقان : واليمين .

(٣) النساء : ٣

(٤) الشورى : ١١

(٥) الكهف : ١ ، ٢

(٦) التوبة : ٥

والثانى — من جهة الكيفية ؛ كالوجوب والندب ؛ نحو[١] : « فانكحوا ما طابَ لكم من النساء » .

والثالث — من جهة الزمان ، كالناسخ والمنسوخ ؛ نحو[٢] : « اتقُوا اللهَ حقَّ تُقَاتِه » .

والرابع — من جهة المكان والأمور التى نزلت فيها ؛ نحو[٣] : « وليس البِرّ بأنْ تأتُوا البيوتَ مِنْ ظُهُورها » . « إنما[٤] النَّسِيء زيادةٌ فى الكفر » . فإن مَنْ لا يعرف عادتهم فى الجاهلية يتعذر عليه تفسير هذه الآية .

والخامس — من جهة الشروط التى يصح بها الفعل ويفسد ، كشروط الصلاة والنكاح .

قال : وهذه الجملة إذا تصورت علم أن كل ما ذكره المفسرون فى تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم .

ثم جميع المتشابه على ثلاثة أضرب :

ضرب لا سبيل إلى الوقوف عليه ، كوقت الساعة ، وخروج الدابة ، ونحو ذلك .

وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته ؛ كالألفاظ الغريبة ، والأحكام الغلقة .

وضرب متردد بين الأمرين يختص بمعرفته بعض الراسخين فى العلم ، ويخفى على مَنْ دونهم ، وهو المشار إليه بقوله صلى الله عليه وسلم [لابن عباس :][٥] اللهم فقِّهْهُ فى الدين ، وعلمه التأويل .

وإذا عرفت هذه الجملة عرفت أن الوقوف على قوله[٦] : « وما يَعْلَمُ تأويلَه

(١) النساء : ٣ (٢) آل عمران : ١٠٢ (٣) البقرة : ١٨٩
(٤) التوبة : ٣٧ (٥) من الاتقان . (٦) آل عمران : ٧

إلا الله » ، ووصله بقوله : « والراسخون فى العِلْمِ » — جائزان ، وأن لكل واحد منهما وجهاً حسبما دل عليه التفصيل المتقدم . انتهى .

[لا يصرف اللفظ عن الراجح إلا بدليل]

وقال الإمام فخر الدين : صرف اللفظ عن الراجح إلى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل ؛ وهو إما لفظى وإما عقلى . والأول لا يمكن اعتباره فى المسائل الأصولية ؛ لأنه لا يكون قاطعاً ؛ لأنه موقوف على انتفاء الاحتمالات العشرة المعروفة ، وانتفاؤها مظنون ، والموقوف على المظنون مظنون ، والظنى لا يكتفى به فى الأصول .

وأما العقلى فإنه يفيد صرف اللفظ عن ظاهره لكون الظاهر محالا . وأما إثبات المعنى المراد فلا يمكن بالعقل ؛ لأن طريق ذلك ترجيح مجاز على مجاز وتأويل على تأويل ؛ وذلك الترجيح لا يمكن إلا بالدليل اللفظى ؛ والدليل اللفظى فى الترجيح ضعيف لا يفيد إلا الظن ؛ والظن لا يعوَّل عليه فى المسائل الأصولية [القطعية ؛][1] فلهذا اختار الأئمة المحققون من السلف والخلف — بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال — تركَ الخوض فى تفسير التأويل . انتهى .

وحسبك بهذا الكلام من الإمام .

فصل

من المتشابه آيات الصفات . ولابن اللبان فيها تصنيف مفرد ؛ نحو[2] : « الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى » . « كلّ[3] شىء هالك إلا وجْهَه ... » .

(١) من الإتقان . (٢) طه : ٥ (٣) القصص : ٨٨

« يَدُ[١] اللهِ فَوْقَ أيديهم » ، ونحوها .

وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها ، وتفويض معناها المراد إلى الله تعالى ، ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها .

أخرج أبو القاسم اللّالكائى[٢] من طريق فى السنة[٣] ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة فى قوله[٤] : « الرحمنُ عَلَى العرشِ استوَى » ؛ قال : الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإقرار به من الإيمان ، والجحود به كفر .

وأخرج أيضاً عن محمد بن الحسن ، قال : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه .

وقال الترمذى فى الكلام على حديث الرؤية : المذهب فى هذا عند أهل العلم من الأئمة — مثل سفيان الثورى ، ومالك ، وابن المبارك ، وابن عيينة ، ووكيع ، وغيرهم — أنهم قالوا : نروى هذه الأحاديث كما جاءت ونؤمن بها ، ولا يقال كيف ؟ ولا نفسر ولا نتوَهّم .

وذهبت طائفة من أهل السنّة أنّا نؤوّلها على ما يليق بجلاله تعالى ؛ وهذا مذهب الخلف . وكان إمام الحرمين يذهب إليه ، ثم رجع عنه ؛ فقال فى الرسالة النظامية : الذى نرتضيه ديناً وندين الله به [٢٦ ب] عقداً اتباعُ سلف الأمة ، فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها .

وقال ابن الصلاح[٥] : وعلى هذه الطريقة مضى صَدْرُ الأمة وساداتها ، وإياها

---

(١) الفتح : ١٠

(٢) هو هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائى ، كان من فقهاء الشافعية ، وصاحب كتاب السنن ، توفى سنة ٤١٨ (تاريخ بغداد : ١٤ — ٧٠) .

(٣) فى الإتقان : فى السنة من طريق قرة بن خالد عن الحسن .

(٤) طه : ٥ (٥) البرهان : ٢ — ٧٨

اختار أئمة الفقهاء وقادتها ، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه ، ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يَصْدف عنها ويأباها .

[مذهب التأويل]

واختار ابن بَرْهان[١] مذهب التأويل ؛ قال : ومنشأ الخلاف بين الفريقين: هلْ يجوز أن يكون فى القرآن شىء لم يُعلم معناه أم لا ؟ بل يعلمه الراسخون .

وتوسّط ابن دَقيق العيد ، فقال : إذا كان التأويل قريباً من لسان العرب لم ينكر ، أو بعيداً توقفنا عنه ، وآمنا بمعناه على الوجه الذى أُريد به التنزيه .
قال : وما كان معناه من هذه الألفاظ ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب قلنا به من غير توقيف ، كما فى قوله[٢] : « يا حَسْرَتَى على ما فرَّطْتُ فى جَنْبِ اللهِ » . فنحمله على حق الله وما يجب له .

وكذا استواؤه على العرش بالعدل والقهر ؛ كقوله[٣] : « قائماً بالقِسْط » ؛ فقيامه بالقسط والعدل هو استواؤه ، ويرجع معناه إلى أنه أعطى كل شىء خلقه موزوناً بحكمته البالغة .

وقد أكثر الناس فى جواب هذه الآية حتى أنهاه إلى عشرين حذفناها للإطالة .

[النفس]

ومن ذلك قوله تعالى[٤]: « تعلمُ ما فى نَفْسى » . خرج على سبيل المشاكلة ، مراداً به الغيب ؛ لأنه مستتر كالنفس .

---

(١) هو أبو الفتح أحمد بن على بن برهان الشافعى أحد علماء الأصول وصاحب كتاب البسيط والوجيز ، توفى سنة ٥٢٠ .

(٢) الزمر : ٥٦ (٣) آل عمران : ١٨ (٤) المائدة : ١١٦

وقوله[١] : « ويحذِّركم اللهُ نَفْسه »، أى عقوبته ، وقيل إياه .

وقال السُّهَيْلى[٢] : النفس عبارة عن حقيقة الوجود دون معنى زائد . وقد استعمل من لفظها النفاسة ، والشىء النفيس ؛ فصلحت للتعبير عنه سبحانه .

وقال ابن اللبان : أوَّلَهَا العلماءُ بتأويلات ؛ منها أن النفس عبّر بها عن الذات ؛ قال : وهذا وإن كان سائغاً فى اللغة ، ولكن تعدى الفعل إليها بـ فى المفيد للظرفية محال عليه تعالى . وقد أوّلها بعضهم بالغيب ؛ أى ولا أعلم ما فى غيبك وسرك . قال : وهذا حسن ؛ لقوله آخر الآية : إنك أنتَ علاّم الغيوب .

[الوجه]

ومن ذلك « الوجه » ، وهو مؤوَّل بالذات .

وقال ابن اللبان — فى قوله[٣] : « يُريدون وَجْهَه » . « إنما[٤] نُطْعِمُكم لِوَجْهِ الله » . « ابتغاء[٥] وجْهِ الله » : المراد إخلاص النية .

وقال غيره فى قوله[٦] : فثَمَّ وَجْهُ اللهِ » ؛ أى الجهة التى أمر بالتوجه إليها .

[العين]

ومن ذلك « العَيْن » ، وهى مؤولة بالبصر أو الإدراك ؛ بل قال بعضهم : إنها حقيقة فى ذلك ، خلافاً لتوهم بعض الناس أنها مجاز ؛ وإنما المجاز فى تسمية العضو بها .

---

(١) آل عمران : ٢٨

(٢) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلى ، صاحب كتاب الروض الأنف على سيرة ابن هشام . توفى سنة ٥٨١ (إنباه الرواة : ٢ — ١٦٢) .

(٣) الأنعام : ٥٢ (٤) الدهر : ٩ (٥) البقرة : ٢٧٢

(٦) البقرة : ١١٥

وقال ابن اللبان : نسبة العين إليه تعالى اسم لآياته المبصرة ، بها سبحانه ينظر للمؤمنين وبها ينظرون إليه . قال[1] : « فلما جاءتهم : آياتنا مُبصِرةً » . نسب البصر الآيات على سبيل المجاز تحقيقاً لأنها المرادة المنسوبة إليه . وقال[2] « قد جاءكم بصائرُ من ربِّكم . فمَنْ أبصرَ فلنفسه ومَنْ عَمِيَ فعليها » .

قال : فقوله[3] : « واصبِرْ لحُكمِ ربِّكَ فإنك بأعيُنِنا » ؛ أى بآياتنا تنظر[4] إليها بنا وننظر بها إليك ؛ قال : ويؤيد أن المراد بالأعين الآيات كونها علّل بها الصبر لحكم ربه صريحاً [فى قوله :][5] « إنّا نحن نزّلنا عليكَ القرآنَ تنزيلا . فاصبر لحُكمِ ربِّك[6] » . قال : وقوله فى سفينة نوح[7] : « تجرى بأعيُننا » ، أى بآياتنا ، بدليل قوله[8] : « وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها » . وقال[9] : و « لتُصنَعَ على عَيْنِى » ؛ أى على حكم آيتى التى أوحيتُها إلى أمك : « أن أرضعيه فإذا خِفتِ عليه فألقيه فى اليمِّ ... » الآية . انتهى.

وقال غيره : المراد فى الآيات كلاءته وحفظه .

(اليـــد)

ومن ذلك اليد [فى قوله تعالى[10] : « لما خلقتُ بيدىَّ » . « يدُ[11] الله فوق أيديهم » . « مما[12] عملت أيدينا » . «إن[13] الفضل بيد الله»، وهى][14] مؤولة بالقدرة .

وقال السهيلى : اليد فى الأصل كالمصدر[15] عبارة عن صفة لموصوف ،

(١) النمل : ١٣ (٢) الأنعام : ١٠٤ (٣) الطور : ٤٨
(٤) فى الإتقان : تنظر بها إلينا . (٥) من الإتقان .
(٦) الانسان : ٢٣ (٧) القمر : ١٤ (٨) هود : ٤١
(٩) طه : ٣٩ (١٠) ص : ٧٥ (١١) الفتح : ١٠
(١٢) يس : ٧١ (١٣) آل عمران : ٧٣ (١٤) من الاتقان .
(١٥) فى الاتقان : كالبصر . والمثبت فى البرهان أيضاً (٢ ـ ٨٥) .

ولذلك مدح سبحانه بالأيدى مقرونة مع الأبصار فى قوله[1] : « أولى الأَيْدِى والأبصار » ؛ ولم يمدحهم بالجوارح ، لأن المدح إنما يتعلق بالصفات لا بالجواهر . قال الأشعرى : إن اليد صفة ورد بها الشرع .

والذى يلوح من معنى هذه الصفة أنها قريبة من معنى القدرة ، إلا أنها أخص ، والقـــــدرة أعم ، كالمحبة مع الإرادة والمشيئة ، فإن فى اليد تشريفاً لازماً .

وقال البغوى[2] فى قوله : « بيدىّ » : فى تحقيق الله التثنية فى اليد دليل على أنها ليست بمعنى القدرة والقوة والنعمة ، وأنهما هنا صفتان من صفات ذاته .

وقال مجاهد[3] : اليد ها هنا صفة[3] وتأكيد ؛ لقوله[4] : « وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ» . [٢٧ ا]

قال البغوى : وهذا تأويل غير قوى ؛ لأنها لو كانت صفة لكان لإبليس أن يقول : إن كنت خلقته فقد خلقتنى ؛ وكذلك فى القدرة والنعمة لا يكون لآدم فى الخلق مزيّة على إبليس .

وقال ابن اللبان[5]: فإن قلت : فما حقيقة اليدين فى خلق آدم ؟ قلت : الله أعلم بما أراد ، ولكن الذى استفسرته من تدبر كتابه أن اليدين استعارة لنور قدرته القائم بصفة فضله ولنوره[6] القائم بصفة عدله ؛ ونبه على تخصيص آدم وتكريمه

---

(١) ص : ٤٥ (٢) البرهان: (٢ ـ ٨٦) .
(٣) فى البرهان ، والاتقان : صلة . (٤) الرحمن : ٢٧
(٥) هو محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الدمشقى ، مفسر من علماء العربية ، وله كتاب « رد معانى الآيات المتشابهات إلى معانى الآيات المحكمات » . توفى سنة ٧٤١ (الدرر الكامنة : ٣ ـ ٣٣) .
(٦) فى ا : ولنورها .

بأن جمع له في خلقه بين فضله وعدله ؛ قال : وصاحبة الفضل هى اليمين التى ذكرها فى قوله[1] : « والسموٰاتُ مَطْوِيَّاتٌ بيمينه » .

[الســاق]

ومن ذلك قوله تعالى[2] : « يوم يُكْشَفُ عن سَاقٍ » . معناه عن شدة وأمرٍ عظيم ؛ كما يقال : قامت الحرب على ساق .

وأخرج الحاكم فى المستدرك من طريق عكرمة ، عن ابن عباس — أنه سئل عن قوله[2] : « يَوْمَ يكشف عن ساق » . قال : إذا خَفِيَ عليكم شيء من القرآن فابتغوه[3] فى الشعر ؛ فإنه ديوان العرب ؛ أما سمعتم قول الشاعر :

اصبر عَنَاقِ إنه شَرٌّ باقْ قد سنَّ لى قَوْمُكَ ضَرْبَ الأعناقْ
وقَامَتِ الحربُ بِنَا على ساقْ

قال ابن عباس : هذا يوم كرب وشدة .

[الفوقيــة]

ومن ذلك صفة الفوقية فى قوله[4] : « وهو القــاهِرُ فَوْقَ عِبَادِه » . « يخافُون[5] رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقهم » . المراد بها العلو من غير جهة . وقد قال فرعون[6] : « وإنا فَوْقَهُم قَاهِرون » . ولا شك أنه لم يرد العلو المكانى .

[المجىء]

ومن ذلك صفة المجيء فى قوله[7] : « وجاء ربُّك » . أو يَأْتِى رَبُّك ؛

---

(١) الزمر : ٦٧ (٢) القلم : ٤٢ (٣) فى الإتقان : فابتغوه .
(٤) الأنعام : ١٨ (٥) النحل : ٥٠ (٦) الأعراف : ١٢٧
(٧) الفجر : ٢٢

أي أمره ؛ لأن الملك يجيء بأمره أو بتسليطه ، كما قال تعالى[١] : « وهم بأمره يعملون » ؛ فصار كما لو صرح به .

وكذا قوله[٢] : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون » : أي اذهب [بربك ، أي][٣] بتوفيقه وقربه[٤] .

[الحب]

ومن ذلك صفة الحب في قوله[٥] : « يحبهم ويحبونه » . « فاتبعوني[٦] يحببكم الله » .

[الغضب والعجب والرضا والرحمة]

وصفة الغضب في قوله : « غضب الله » . وصفة الرضا في قوله : « رضي الله عنهم » .

وصفة العجب في قوله[٧] : « بل عجبتُ ويسخرون » — بضم التاء . وقوله[٨] : « وإن تعجب فعجبٌ قولهم » .

وصفة الرحمن في آيات كثيرة .

وقد قال العلماء : كل صفة يستحيل حقيقتها على الله تعالى تفسَّر بلازمها .

[جميع الأعراض النفسانية]

قال الإمام فخر الدين : جميع الأعراض النفسانية — أعني الرحمة ، والفرح ، والسرور ، والغضب والحياء والمكر[٩] والاستهزاء لها أوائل ولها غايات ؛ مثاله

---

(١) الأنبياء : ٢٧ (٢) المائدة : ٢٤ (٣) من الإتقان .
(٤) في الإتقان : وقوته . (٥) المائدة : ٥٤ (٦) آل عمران : ٣١
(٧) الصافات : ١١ (٨) الرعد : ٥ (٩) في الإتقان : والمكر .

الغضب ؛ فإن أوله غليان القلب ، وغايته إرادة إيصال الضرر إلى المغضوب عليه ، فلفظ الغضب فى حق الله لا يحمل على أوله الذى هو غليان دم القلب ؛ بل على غرضه الذى هو إرادة الإضرار .

وكذلك الحياء له أول ، وهو انكسار يحصل فى النفس ، وله غرض وهو ترك الفعل ؛ فلفظ الحياء فى حق الله يحمل على ترك الفعل لا على انكسار النفس . انتهى.

وقال الحسين بن الفضل[1]: العجب من الله إنكار الشىء وتعظيمه . وسئل الجنيد عن قوله : « وإن تعجبْ فعَجَبٌ قولهم » ؟[فقال : إن الله لا يعجب من شىء ، ولكن الله وافق رسوله ، فقال : وإن تعجب فعجب قولهم][2] ؛ أى هو كما تقول .

[العِنْـــدية]

ومن ذلك لفظة « عند » فى قوله[3]: « عِنْدَ رَبِّكَ » . و[4]« من عنده » . ومعناها الإشارة إلى التمكين والزُّلْفَى والرفعة .

[المعيـــة]

ومن ذلك قوله[5] : « وهو معكم أين ما كنتُمْ » ؛ أى بعلمه .

وقوله[6]: « وهو اللهُ فى السموات وفى الأرض يعلم سِرَّكم » . قال البيهقى : الأصح أن معناه أنا المعبود فى السموات وفى الأرض ؛ مثل قوله[7]: « وهو الذى فى السماءِ إلَهٌ وفى الأرض إلَهٌ » .

---

(١) البرهان : ٢ — ٨٨ (٢) من الإتقان . (٣) الأعراف : ٢٠٦
(٤) المائدة : ٥٢ (٥) الحديد : ٤ (٦) الأنعام : ٣
(٧) الزخرف : ٨٤

وقال الأشعرى : الظرف متعلق بيعلم ، أى عالم بما فى السموات والأرض .

ومن ذلك قوله تعالى[١] : « سَنَفْرُغ لكم أيُّها الثَّقَلان » ، أى نقصد جزاءكم .

قال ابن اللبان : ليس من المتشابه قوله تعالى[٢] : « إنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لشَديد » ، لأنه فسره بعده بقوله : إنه هو يُبْدِئ ويعيد ، تنبيهاً على أن بطشه عبارة عن تصرفه فى بدئه وإعادته، وجميع تصرفاته فى مخلوقاته .

[من المتشابه أوائل السور]

ومن المتشابه أوائل السور . والمختار فيها [٢٧ ب] أنها أيضاً من الأسرار التى انفرد الله بعلمها . وقد كثرت الأقوالُ فيها ، ومرجعها كلها إلى قول واحد ، وهو أنها حروف مقطعة ، كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى . والاكتفاء ببعض الكلمة معهود من العربية ، قال الشاعر[٣] :

قُلْتَ قِفِي فقالت قافْ

أى وقفت . وقال[٤] :

بالخير خيراتٍ وإن شرًّا فا ولا أُريدُ الشرَّ إلا أنْ تَا[٥]

قالوا[٦] جميعاً كلهم ألافا

أراد ألا تركبوا ، ألا فاركبوا . وهذا القول اختاره الزجاج . وقال : العرب تنطق بالحرف الواحد تدل على الكلمة التى هو منها .

---

(١) الرحمن : ٣١ (٢) البروج : ١٢

(٣) الأغانى : ٥ ــ ١٣١ ، تفسير الطبرى : ١ ــ ٢١٢ ، الصاحبى : ٩٤

(٤) الموشح : ١٥ ، سيبويه : ٢ ــ ٦٢ ، شرح شواهد الشافية ٢٦٢ :

(٥) أراد وإن شراً فشر . وإلا أن تشاء .

(٦) فى الإتقان قبله : وقال : نادهم ألا الجموا ألا تا وهو لازم ليوافق تفسيره الآتى بعد .

وقيل : إنها الاسم الأعظم ، إلا أنا لا نعرف تأليفه منها ، وكذا نقله ابن عطية .

وأخرج ابن جـــرير بسند صحيح عن ابن مسعود ، قال : هو اسم الله الأعظم .

قال السهيلي : لعل عدد الحروف التي في أوائل السور مع حذف المكرر للاشارة إلى مدة بقاء هذه الأمة .

قال ابن حَجَر : وهذا باطل لا يُعتمد عليه ؛ فقد ثبت عن ابن عباس الزجر عن عد « أبي جاد » والإشارة إلى أن ذلك من جملة السحر ؛ وليس ذلك ببعيد ؛ فإنه لا أصل له في الشريعة .

وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي في فوائد رحلته : ومن الباطل علم الحروف المقطعة في أوائل السور . وقد تحصّل لي فيها عشرون قولا ، وأزيد ، ولا أعرف واحدا يحكم عليها بعلم ، ولا يصل فيها إلى فهم . والذي أقول إنه لولا أن العرب كانوا يعرفون أن لها مدلولا متداولا بينهم لكانوا أول من أنكر ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم . بل تلا عليهم حم فصلت وص وغيرها فلم ينكروا ذلك ؛ بل صرحوا بالتسليم له في البلاغة والفصاحة مع تشوفهم إلى عثرة ، وحرصهم على زلة ؛ فدل على أنه كان أمراً معروفاً عندهم لا إنكار فيه .

وقيل : هي تنبيهات كما في النداء — عده ابن عطية مغايراً للقول بأنها فواتح . والظاهر أنه معناه . قال أبو عبيدة : آلم افتتاح كلام . وقال الحوفي[١] : القول بأنها تنبيهات جيد ؛ لأن القرآن كلام عزيز وفوائده غزيرة ؛ فيريد[٢] أن يرد على سمع متنبّه ، فكان من الجائز أن يكون الله قد علم في بعض الأوقات كونَ

---

(١) في الإتقان : الخُويي . والمثبت في ا ، ب .   (٢) في الإتقان : فينبغي .

النبي صلى الله عليه وسلم فى عالم البشر مشغولا ، فأمر جبريل بأن يقول عند نزوله آلم ، والمر ، وحم ؛ ليسمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت جبريل ، فيقبل عليه ويصغى إليه ، وإنما لم يستعمل الكلمات المشهورة فى التنبيه كألا وأمّا ، لأنها من الألفاظ التى يتعارفها الناس فى كلامهم ، والقرآن كلام لا يشبه الكلام ، فناسب أن يُؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم تُعهَد ليكون أبلغ فى قرْع سمعه .

وقيل : إن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لغوا فيه ، فأنزل الله هذا النظم البديع ليعجبوا منه ويكون تعجبهم منه سبباً لاستماعهم ؛ واستماعهم له سبب لاستماع ما بعده ؛ فترقّ القلوب وتلين الأفئدة .

عدّ هذا جماعةٌ قولا مستقلا . والظاهر خلافه ؛ وإنما يصلح هذا مناسبة لبعض الأقوال لا قولا فى معناه ، إذ ليس فيه بيان معنى .

وقيل : إن هذه الحروف ذُكرت لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف : ألف ، ب ، ت ، ث ؛ فجاء بعضها مقطعاً وبعضها مؤلفاً ؛ ليدل القوم الذين نزل القرآن بلغتهم أنه بالحروف التى يعرفونها ، فيكون ذلك تقريعاً لهم ، ودلالة على عجزهم أن يأتوا بمثله ، بعد أن علموا أنه منزل بالحروف التى يعرفونها ، ويبنون كلامهم عليها . وفى المحتسب لابن جنّى أن ابن عباس قرأ حم سق، بلا عين ويقول : السين كل فرقة تكون . والقاف كل جماعة تكون . قال ابن جنى : وفى هذه القراءة دليل على أن الفواتح فواصل بين السور ، ولو كانت أسماء لله لم يَجُزْ تحريف شيء منها .

وقال الكِرْمانى فى غرائبه : فى قوله[1] : « آلم : أحسِبَ الناس » ؟ الاستفهام هنا يدل على انقطاع الحروف عما بعدها فى هذه السورة وفى غيرها .

---

(١) العنكبوت : ١ ، ٢

فإن قلت : هل للمحكم على المتشابه مزية أم لا ؟ فإن قلتم بالثانى فهو خلاف الإجماع ، أو بالأول فقد نقضتم أصلكم فى أن جميع [٢٨ ا] كلامه سبحانه سواء ، وأنه منزل بالحكمة .

وأجاب أبو عبد الله البكراباذى[1] بأن المحكم كالمتشابه من وجه ، ويخالفه من وجه ؛ فيتفقان فى أن الاستدلال بهما لا يمكن إلا بعد معرفة حكمة الواضع ، وأنه لا يختار القبيح . ويختلفان فى أن المحكم بوضع اللغة لا يحتمل إلا الوجه الواحد ، فمن سمعه أمكنه أن يستدل به فى الحال . والمتشابه يحتاج إلى فكرة ونظر[2] ، ليحمله على الوجه المطابق ، ولأن المحكم أصل ، والعلم بالأصل أسبق ، ولأن المحكم يُعلم مفصلا ، والمتشابه لا يعلم إلا مجملا .

[لماذا اشتمل القرآن على المتشابه]

فإن قلت : وقد أراد الحق البيانَ والهدى لعباده ، وأمر بذلك رسوله فى قوله : لِتُبَيِّنَ للناس ما نُزِّل إليهم .

والجواب أن له فوائد :

أحدها الحث للعلماء على النظر فيه الموجب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائقه ، فإن استدعاء الهمم لمعرفة ذلك من أعظم القُرب إن كان مما يمكن علمه .

وثانيها إظهار التفاضل وتفاوت الدرجات ؛ إذ لو كان القرآن كله محكمًا لا يحتاج إلى تأويل ونظار لاستوت منازل الخلق ، ولم يظهر فضلُ العالم على غيره .

وإن كان مما لا يمكن علمه فله فوائد : منها ابتلاء العباد بالوقوف عنده

---

(١) البرهان : ٢ — ٧٦ . وفى اللباب : هذه النسبة إلى محلة معروفة بجرجان ، يقال لها بكراباذ ، وقد ينسب إليها البكراوى .

(٢) فى البرهان : والمتشابه يحتاج إلى ذكر مبتدأ ونظر مجدد عند سماعه ليحمله ...

والتوقّف فيه ، والتفويض والتسليم ، والتعبّد بالاشتغال به من جهة التلاوة كالمنسوخ ، وإن لم يجز العمل بما فيه . وإقامة الحجة عليهم ، لأنه لو أنزل بلسانهم ولغتهم وعجزوا عن الوقوف على معناه مع بلاغتهم وإفهامهم دل على أنه نزل من عند الله ، وأنه الذى أعجزهم عن الوقوف .

وقال الإمام فخر الدين : من الملحدة من طعن فى القرآن لأجل اشتماله على المتشابهات ؛ وقال : إنكم تقولون إن تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن إلى يوم القيامة ؛ ثم إنا نراه بحيث يتمسك به صاحبُ كل مذهب على مذهبه ، فالجَبْرى يتمسك بآيات الجبر ؛ كقوله[1] : « وجعَلْنَا عَلَى قُلوبهم أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وفِى آذَانِهِمْ وَقْرًا » . والقدرى يقول : هذا مذهب الكفار ؛ بدليل أنه تعالى حكى ذلك عنهم فى معرض الذم لهم فى قوله[2] : « وقالوا قلوبُنا فى أَكِنَّةٍ مما تَدْعونَا إليه وفى آذاننا وقْر » . وفى موضع آخر[3] : « وقالوا قُلُوبُنا غُلْف » . ومنكر الرؤية يتمسك بقوله[4] : « لا تُدْرِكُه الأبصار » . ومثبت الجهة يتمسك بقوله[5] : « يخافُون رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهم » . « الرحمن[6] عَلَى العرشِ اسْتَوَى » . والنافى يتمسك بقوله[7] : « ليس كَمِثْلِهِ شىء » . ثم يسمى كل واحد الآيات الموافقة لمذهبه محكمة ، والآيات المخالفة له متشابهة ؛ وإنما آل فى ترجيح بعضها على البعض إلى ترجيحات خفّية ، ووجوه ضعيفة ؛ فكيف يليق بالحكيم أن يجعل الكتاب الذى هو المرجوع إليه فى كل الدين إلى يوم القيامة هكذا ؟

---

(١) الأنعام : ٢٥ — (٢) السجدة : ٥ — (٣) البقرة : ٨٨

(٤) الأنعام : ١٠٣ — (٥) النحل : ٥٠ — (٦) طه : ٥

(٧) الشورى ١١

[لوقوع المتشابه فوائد]

قال : والجواب أن العلماء ذكروا لوقوع المتشابه فوائد لوجوه :

منها أنه يوجب مزيد المشقة فى الوصول إلى المراد منه ، وزيادة المشقة توجب مزيدَ الثواب .

ومنها أنه لو كان القرآن كله محكمًا لما كان مطابقًا إلا لمذهب واحد ، وكان بصريحه مبطلا لما سوى ذلك المذهب ؛ وذلك مما يُنَفِّر أرباب سائر المذاهب عن قبوله ، وعن النظر فيه ، والانتفاع به ؛ فلما كان مشتملا على المحكم والمتشابه طمع صاحبُ كل مذهب أن يجد فيه ما يؤيد مذهبه وينصر مقالته ؛ فينظر فيه جميع أرباب المذاهب ، ويجتهد فى التأمل فيه صاحب كل مذهب ؛ وإذا بالغوا فى ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات ؛ وبهذا الطريق يتخلص المبطل من باطله ، ويتصل إلى الحق .

ومنها أن القرآن إذا كان مشتملا على المتشابه افتقر إلى العلم بطريق التأويلات ، وترجيح بعضها على بعض ، وافتقر فى تعلم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو والمعانى والبيان وأصول الفقه ، ولو لم يكن الأمر كذلك لم يحتج إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة ؛ فكان فى إيراد المتشابه هذه الفوائد الكثيرة .

ومنها أن القرآن مشتمل على دعوة [٢٨ ب] الخواصِّ والعوامِّ ؛ وطبائع العوامِّ تنفر فى أكثر الأمر عن درك الحقائق ، فمن سمع من العوام فى أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار إليه ظن أن هذا عدم ونفى ، فوقع فى التعطيل ؛ فكان الأصلح أن يخاطَبُوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب

ما توهموه وتخيلوه ، ويكون ذلك مخلوطاً بما يدل على الحق الصريح . فالقسم الأول هو الذى يخاطبون به فى أول الأمر من المتشابهات . والقسم الثانى هو الذى يكشف لهم فى آخر الأمر من المحكمات .

* * *

الوجه العاشر من وجوه إعجازه

اختلاف ألفاظه فى الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها

وقد ألف الناس فى هذا الفن تواليف كابن الجزرى والشاطبى وغيرهما ممن لا نطوِّل بذكرهم .

[القراءات السبع متواترة]

وبالجملة فالقراءات السبع متواترة عند الجمهور . وقيل : بل مشهورة .

وقال الزركشى[١] : والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة . أما تواترها عن النبى صلى الله عليه وسلم ففيه نظر ؛ فإن إسنادهم بهذه القراءات السبعة موجود فى كتب القراءات ، وهى نَقْلُ الواحد عن الواحد .

قلت : فى ذلك نظر لما سيأتى ، واستثنى أبو شامة الألفاظ المختلف فيها عن القراء ، واستثنى ابن الحاجب ما كان من قبيل الأداء ؛ كالمد والإمالة وتخفيف الهمزة . وقال غيره : الحق أن أصل المد والإمالة متواتر ، ولكن التقدير غير متواتر للاختلاف فى كيفيته ، كذا قال الزركشى . قال : وأما أنواع تخفيف[٢] الهمزة فكلها متواترة .

---

(١) البرهان : ١ — ٢١١

(٢) فى الإتقان : تحقيق .

وقال ابن الجزرى : لا نعلم أن أحداً تقدم ابنَ الحاجب إلى ذلك ، وقد نص على تواتر ذلك كله أئمة الأصول ؛ كالقاضى أبى بكر وغيره ؛ وهو الصواب ؛ لأنه إذا ثبت تواتر اللفظ ثبت تواتر هيئة أدائه ؛ لأن اللفظ لا يقوم إلا به ، ولا يصح إلا بوجوده .

[معرفة توجيه القراءات]

قال الكواشى[1] : من المهم معرفة توجيه القراءات ، وفائدته أن يكون دليلا على حسب المدلول عليه أو مرجحا ، إلا أنه ينبغى التنبيه على شىء ؛ وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقطها ؛ وهذا غير مرضى لأن كلا منهما متواتر .

وقد حكى أبو عمر الزاهد فى كتاب « اليواقيت » عن ثعلب أنه قال : إذا اختلف إعرابان فى القرآن لم أفضل إعراباً على إعراب ، فإذا خرجتُ إلى كلام الناس فضّلت الأقوى .

وقال أبو جعفر النحاس[2] : السلامة عند أهل الدين — إذا صحّت القراءتان — ألا يقال إحداهما أجود ؛ لأنهما جميعاً[3] عن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فيأثَمُ مَنْ قال ذلك ، وإن كان[4] رؤساء الصحابة ينكرون مثل هذا .

وقال أبو شامة : أكثَرَ المصنفون من الترجيح بين قراءة مالك ومَلِكِ

---

(١) هو أحمد بن يوسف بن حسن الكواشى الموصلى الشافعى ، توفى سنة ٦٨٠ ، وله كتابان فى التفسير : أحدهما التبصرة ، والثانى التلخيص ، ذكرهما صاحب كشف الظنون . وانظر البرهان (١ — ٣٣٩) .

(٢) البرهان : ١ — ٣٤٠ .

(٣) فى ا : لأنهما أجود ...

(٤) فى ا : وإن كان من رؤساء ...

حتى إن بعضهم يبالغ إلى حد يسقط وجْهَ القراءة الأخرى ؛ وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين . انتهى .

وقال بعضهم : توجيه القراءات الشاذة أقوى فى الصناعة من توجيه المشهورة .

تنبيهات

الأول — قال النخعى : كانوا يكرهون أن يقولوا قراءة سالم ، وقراءة عبد الله ، وقراءة أُبىّ ، وقراءة زيد ؛ بل يقال فلان كان يقرأ بوجه كذا، [وفلان كان يقرأ بوجه كذا][1] . قال النووى : والصحيح أن ذلك لا يُكْرَهُ .

الثانى — قال أبو شامة : ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هى التى أريدت فى الحديث ، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة ، وإنما ظن ذلك بعض أهل الجهل .

وقال أبو العباس بن عمار : لقد فعل[2] مُسَبِّع هذه السبعة ما لا ينبغى له ، وأشكل هذا الأمر على العامة بإيهامه كل مَنْ قَلّ نظره أن هذه القراءات المذكورة فى الخبر ، وليته إذا اقتصر نَقَص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة . ووقع له أيضاً فى اقتصاره عن كل إمام على راويَيْن — أنه صار مَنْ سمع قراءة راو ثالث غيرهما أبطلها ، وقد تكون هى أشهر وأوضح وأظهر ، وربما بالغ مَنْ لا يفهم فخطّأ أو كفّر .

وقال أبو بكر بن العربى : ليست هذه السبعة متعينة للجواز حتى [٢٩ ا] لا يجوز غيرها ، كقراءة أبى جعفر ، و [شيبة ، و][3] الأعمش وغيرهم ؛

(١) من الإتقان . (٢) فى الإتقان : نقل . (٣) من الإتقان .

فإن هؤلاء مثلهم أو فوقهم ، وكذا قال غير واحد ، منهم : مكىّ ، وأبو العلاء الهمذانى ، وآخرون من أئمة القراء .

وقال أبو حيان : ليس فى كتاب ابن مجاهد ومَنْ تبعه من القراءات المشهورة إلا النَّزْر اليسير ، فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر راوياً ، ثم ساق أسماءهم ، واقتصر فى كتاب ابن مجاهد على اليزيدى ، واشتهر عن اليزيدى عشرة أنفس ، فكيف يقتصر على السُّوسى والدّورى ، وليس لهما مزية على غيرهما ؛ لأن الجميع مشتركون فى الضبط والإتقان ، والاشتراك فى الأخذ . قال : ولا أعرف لهذا سبباً إلا ما قضى من نَقْص العلم .

وقال مكى[1] : مَنْ ظن أن قراءة هؤلاء القراء ؛ كعاصم ، ونافع ، وأبى عمرو — أحد[2] الحروف السبعة التى فى الحديث — فقد غلط غلطاً عظيما . قال : ويلزم من هذا أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة وغيرهم ، ووافق خط المصحف ألا يكون قرآناً ، وهذا غلط عظيم ؛ فإن الذين صنّفوا فى القراءات من الأئمة المتقدمين ؛ كأبى عُبيد القاسم بن سلام ، وأبى حاتم السجستانى ، وأبى جعفر الطبرى ، وإسماعيل القاضى — قد ذكروا أضعاف هؤلاء ، وكان الناس على رأس المائتين بالبصرة على قراءة أبى عمرو ، ويعقوب[3] ، وبالكوفة على قراءة حمزة ، وعاصم ، وبالشام على قراءة ابن عامر ، وبمكة على قراءة ابن كثير ، وبالمدينة على قراءة نافع ؛ واستمروا على ذلك ؛ فلما كان على رأس الثلاثمائة أثبت ابن مجاهد اسم الكسائى وحذف يعقوب .

قال : والسبب فى الاقتصار على السبعة — مع أن فى أئمة القراء مَنْ هو أجَلّ

---

(١) الإبانة : ٥

(٢) فى ا : وهى القراءة . وفى الاتقان : هى الأحرف .

(٣) فى ا ، ب : أبى عمرو يعقوب — تحريف . والصواب من الإبانة .

منهم قدراً ، ومثلهم أكثر من عددهم — أن الرواة عن الأئمة كانوا كثيراً جداً ، فلما تقاصرت الهمم اقتصروا على ما[1] يوافق خط المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به ؛ فنظروا إلى من اشتهر بالثقة والأمانة وطول العمر فى ملازمة القراءة به ، والاتفاق على الأخذ عنه ، فأفردوا من كل مصر إماماً واحداً ، ولم يتركوا مع ذلك نَقْلَ ما كان عليه الأئمة غير هؤلاء من القراء ولا القراءة به ، كيعقوب ، وأبى جعفر ، وشَيْبَة ، وغيرهم .

قال[2] : وقد صنّف ابن جُبير المكى — قبل ابن مجاهد — كتاباً فى القراءات[3] ، فاقتصر على خمسة اختار من كل مصر إماماً ، وإنما اقتصر على ذلك لأن المصاحف التى أرسلها عثمان كانت خمسة إلى هذه الأمصار ، ويقال : إنه وجّهَ لسبعة : هذه الخمسة ، ومصحفاً إلى اليمن ، ومصحفاً إلى البحرين ، لكن لما لم يسمع لهذين المصحفين خبر ، وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف استبدلوا من مصحف[4] البحرين واليمن قارئين كمل بهما العدد ، فصادف ذلك موافقة العدد الذى ورد به الخبر ، فوقع ذلك لمن لم يعرف أصل المسألة ، ولم تكن له فطنة ، فظن أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع .

والأصل المعتمد عليه صحة السند فى السماع ، واستقامة الوجه فى العربية ، وموافقة الرسم .

وأصح القراءات سنداً نافع وعاصم ؛ وأفصحها أبو عمرو والكسائى .

---

(١) فى الاتقان : مما يوافق .　　　(٢) الإبانة : ٥١

(٣) فى الإبانة : سماه كتاب الثمانية ، وزاد على هؤلاء لسبعة يعقوب الحضرمى .

(٤) فى ا : من غير .

[التمسك بقراءات سبعة]

وقال القرّاب[1] فى الشافى : التمسك بقراءات سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنّة ، وإنما هو من جمع بعض المتأخرين ، فانتشر ، وأَوْهَمَ أنه لا تجوز الزيادة على ذلك ، وذلك لم يَقُلْ به أحد .

وقال الـكواشى : كل ما صح سنده ، واستقام وجهه فى العربية ، ووافق خط المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوصة ، ومتى فُقِدَ شَرط من الثلاثة فهو شاذ .

وقد اشتد إنـكار الأئمة فى هذا الشأن على من ظن انحصار القراءات المشهورة فى مثل ما فى التيسير والشاطبية[2] ؛ وآخر مَنْ صرّح بذلك الشيخ تقى الدين السبكى ، فقال فى شرح المنهاج : قال الأصحاب : تجوز القراءة فى الصلاة وغيرها بالقراءات السبع ، ولا تجوز بالشاذة ؛ وظاهر هذا يوهم أن غير السبع [٢٩ب] المشهورة من الشواذ .

وقد نقل البغوى الاتفاقَ [على القراءة بقراءة][3] يعقوب وأبى جعفر مع السبع المشهورة ؛ وهذا القول هو الصواب .

[الخارج عن السبع المشهورة]

قال : واعلم أن الخارج عن السبع المشهورة على قسمين : منه ما يخالف رسم المصحف فلا شك فى أنه لا تجوز قراءته لا فى الصلاة ولا فى غيرها . ومنه

---

(١) هو إسماعيل بن إبراهيم القراب (النشر : ١ — ٤٦) .

(٢) التيسير لأبى عمرو الدانى . والشاطبية لأبى محمد القاسم الشاطبى .

(٣) من الإتقان .

ما لا يخالف رسمَ المصحف ولم تشتهر القراءة به ، وإنما ورد من طريق غريب لا يُعَوّل عليها ، وهذا يظهر المنع من القراءة به أيضاً .

ومنه ما اشتهر عند أئمة هذا الشأن القراءة به قديماً وحديثاً فهذا لا وَجْهَ للمنع منه ، ومن ذلك قراءة يعقوب وغيره .

وقال البغوى — أول من يعتمد عليه فى ذلك ؛ فإنه جامع للعلوم ؛ قال : وهكذا التفصيل فى شواذ السبعة ؛ فإن عنهم شيئاً كثيراً شاذاً . انتهى .

وقال ولده فى منع الموانع : إنما قلنا فى جمع الجوامع والسبع متواترة ؛ ثم قلنا فى الشاذ : والصحيح أنه ما وراء العشرة ، ولم نقل والعشر متواترة ؛ لأن السبع لم يختلف فى تواترها ، فذكرنا أولا موضع الإجماع ، ثم عطفنا عليه موضع الخلاف ، فدل على أن القول بأن القراءات الثلاث غير متواترة فى غاية السقوط ، ولا يصح القول به عمن يُعْتبر قوله فى الدين .

قال : وهى لا تخالف رسم المصحف . قال : وسمعت أبى يشدّد النكير على بعض القضاة ، وقد بلغه أنه منعه من القراءة بها ؛ واستأذنه بعض أصحابنا مرة فى إقراء السبع ، فقال : أذِنْتُ لكَ أن تقرأ لى العشر . انتهى .

وقال فى جواب سؤال سأله ابن الجزرى : القراءات السبع التى اقتصر عليها الشاطبى والثلاث التى هى قراءة أبى جعفر ويعقوب وخلف متواترةٌ معلومة من الدين ضرورة ، وكل حرفٍ انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنه قد قرىء على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكابر فى شىء من ذلك إلا جاهل .

الثالث — باختلاف القراءات يظهر الاختلافُ فى الأحكام ، ولهذا بنَى الفقهاء نَقْض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة فى : لمستم ،

ولا مستتم(١) ؛ وجواز وطء الحائض عند الانقطاع قبل الغسل وعدمه على الاختلاف فى يَطْهُرْن(٢).

وقد حكوا خلافاً غريباً فى الآية إذا قرئت بقراءتين ؛ فحكى أبو الليث السمَرْقَنْدى فى كتاب « البستان »(٣) قولين : أحدها — أن الله تعالى قال بهما جميعاً . الثانى — أن الله تعالى قال بقراءة واحدة ، إلا أنه أذن أن تُقرأ بقراءتين ، ثم اختار توسطاً ، وهو أنه إن كان تفسيرٌ يغاير الآخر فقد قال بهما جميعاً وتصير القراءتان بمنزلة آيتين ، مثل : حتى بطهرن . وإن كان تفسيرها واحداً كالبُيوت والبِيوت فإنما قال بأحدها ، وأجاز القراءة لكل قبيلة بهما على ما تعوّد لسانهم .

قال : فإن قلتم إنه قال بإحداها فأى القراءتين ؟ قلنا : بلغة قريش . انتهى .

[لاختلاف القراءة وتنوعها فوائد]

وقال بعض المتأخرين : لاختلاف القراءة وتنوعها فوائد :

منها التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة .

ومنها إظهار فضلها وشرفها على سائر الأمم ؛ إذ لم ينزل كتابٌ غيرهم إلا على وجه واحد .

ومنها إظهار(٤) أجرها من حيث أنهم يفرغون جهدهم فى تحقيق ذلك ، وضبطه لفظة لفظة حتى مقادير المدّات(٥) وتفاوت الإمالات ، ثم فى تتبّع

---

(١) النساء ، ٤٣

(٢) البقرة : ٢٢٢ : ولا تقربوهن حتى يطهرن . وهى قراءة نافع وأبى عمرو . وقرأ حمزة والكسائى : حتى يطهرن .

(٣) هو كتاب بستان العارفين لأبى الليث نصر بن محمد السمرقندى المتوفى سنة ٣٧٥ .

(٤) فى الإتقان : إعظام . (٥) فى ب : الراءات .

معانى ذلك واستنباط الحكم أو الأحكام من دلالة كل لفظ، وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتعليل والترجيح .

ومنها إظهار سر الله فى كتابه وصيانته له عن التبديل والاختلاف ، مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة .

ومنها المبالغة فى إعجازه بإيجازه ؛ إذ تنوع القراءات بمنزلة الآيات ، ولو جُعلت دلالةُ كل لفظة آيةً على حدة لم يخفَ ما كان من التطويل ، ولهذا كان قوله : « وأرجلكم » منزّلًا لغسل الرجل والمسح على الخفّ ، واللفظ واحد ، لكن باختلاف إعرابه[1].

ومنها أن بعض القراءات تبيّن ما لعله مجمل فى القراءة الأخرى ؛ فقراءةُ يطّهّرن — بالتشديد — مُبينة لمعنى قراءة التخفيف ، وقراءة[2] : « فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللهِ » — تبيّن [٣٠ ا] أن المراد بقراءة « فاسعوا » الذهاب لا المشى السريع .

[المقصد من القراءة الشاذة]

وقال أبو عبيد فى « فضائل القرآن »[3] : المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها ، كقراءة عائشة وحَفْصة : « والصلاةِ[4] الوُسْطى صلاة العَصْر » . وقراءة ابن مسعود : « فاقطعوا[5] أيْمَانَهُمَا » . وقراءة جابر : « فإنّ[6] الله مِنْ بعد إكراههن لهنّ غفورٌ رحيم » . قال : فهذه الحروفُ

(١) يريد ضبط اللام فى أرجلكم — بالفتحة أو الكسرة .

(٢) الجمعة : ٩ (٣) البرهان : ١ — ٣٣٦ (٤) البقرة : ٢٣٨

(٥) المائدة : ٣٨ (٦) النور : ٣٣

وما شاكلها قد صارت مفسِّرة للقرآن ، وقد كان يُروى مثلُ هذا من التابعين في التفسير فيستحسن ، فكيف إذا روى عن كبار الصحابة ، ثم صار في نفس القراءة ! فهو [الآن][1] أكثر من التفسير، وأقوى ؛ فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفةُ صحة التأويل .

وقد اعتنيت في كتابي «أسرار التنزيل» ببيان كل قراءة أفادت معنى زائداً على القراءة المشهورة .

الرابع — اختلف في العمل بالقراءة الشاذة ؛ فنقل إمام الحرمين في البرهان عن ظاهر مذهب الشافعي أنه لا يجوز ، وتبعه أبو نصر القشيري ، وجزم به ابن الحاجب ؛ لأنه نقله على أنه قرآن ولم يثبت . وذكر القاضيان : أبو الطيب[2] والحسين ، والرُّوياني[3] ، والرافعي — العمل بها تنزيلا لها منزلةَ خبر الآحاد . وصححه ابن السبكي في جمع الجوامع وشرح المختصر .

وقد احتج الأصحاب على قطع يمين السارق بقراءة ابن مسعود ، وعليه أبو حنيفة أيضاً ، واحتج على وجوب التتابع في صوم كفارة اليمين بقراءته : « متتابعات » ، ولم يحتجّ بها أصحابنا لثبوت نسخها كما تقدم .

* * *

(١) من البرهان . (٢) في ا : وأبو الطيب .

(٣) الروياني : هو أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد الروياني الشافعي المتوفى سنة ٥٠٢ وهو منسوب إلى رويان : مدينة بنواحي طبرستان وكتابه « بحر المذهب في الفروع » ذكره صاحب كشف الظنون .

الوجه الحادي عشر من وجوه إعجازه

تقديم بعض ألفاظه وتأخيرها في مواضع

إما لكون السياق في كل موضع يقتضي ما وقع ، كما تقدمت الإشارة إليه .

وإما لقصد البداءة والختم به للاعتناء بشأنه ، كما في قوله[1] : « يَوْمَ تبيضُّ وجوهٌ ... » الآيات .

وإما لقصد التفنن في الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أساليب ، كما في قوله[2] : « وادخلُوا البابَ سُجَّداً وقولوا حِطّة » . وقوله[3] : « وقولوا حِطَّةٌ . وادخلُوا الباب سجَّدا » . وقوله[4] : « إنَّا أنزلنا التوراةَ فيها هُدًى ونُور » . وقال في الأنعام[5] : « قل مَنْ أنزل الكتابَ الذي جاءَ بهِ موسى نُوراً وهُدًى للناس » .

[قسما التقديم والتأخير]

وهو قسمان :

الأول — ما أشكل معناه بحسب الظاهر ، فلما عرف أنه من باب التأخير والتقديم اتّضح ، وهو جدير أن يُفرد بالتصنيف .

وقد تعرّض السلف لذلك في آيات ؛ فأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله[6] : « فلا تُعْجِبْكَ أموالهُم ولا أَوْلادهم إنما يريدُ الله ليعذِّبَهم بها في الحياة الدنيا » — قال : هذا من تقاديم الكلام ، يقول : لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة .

---

(١) آل عمران : ١٠٦ (٢) البقرة : ٥٨ (٣) الأعراف : ١٦١
(٤) المائدة : ٤٤ (٥) الأنعام : ٩١ (٦) التوبة : ٥٥

وأخرج عنه أيضاً فى قوله[1] : « ولولا كلمةٌ سبقَتْ من ربِّك لكان لِزَاماً وأَجَلٌ مُسَمًّى » ـ قال : هذا من تقاديم الكلام ، يقول : لولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاماً .

وأخرج عن قتادة فى قوله[2] : « إنى مُتَوَفِّيك ورافِعُك إلىّ » ـ قال : هذا من المقدم والمؤخر ؛ أى رافعك إلىّ ومتوفّيك .

وأخرج عن عكرمة فى قوله[3] : « لهم عذابٌ شديد بما نَسوا يَوْمَ الحساب» ـ قال : هذا من التقديم والتأخير ، يقول : لهم يوم القيامة عذابٌ شديد بما نسوا .

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد فى قوله[4] : « ولولا فَضْلُ اللهِ عليكم ورحمَتُه لاتَّبَعْتُمُ الشيطانَ إلاّ قليلا » ـ قال : هذه الآية مقدمة ومؤخرة ، إنما هى أذاعوا به إلا قليلا منهم ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لم ينج قليل ولا كثير .

وأخرج عن ابن عباس فى قوله[5] : « فقالوا أرِنا اللهَ جَهْرَةً » — قال : إنهم إذا رأوا الله نفسه[6] رأوه ، إنما قالوا جهرة أرنا الله . قال: هو مقدم ومؤخر. قال ابن جرير : يعنى أن سؤالهم كان جهرة .

ومن ذلك[7] : « وإذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُم فيها » ـ قال البغوى : هذا أول القصة وإن كان مؤخراً فى التلاوة .

وقال الواحدى : كان الاختلاف فى القاتل قبل ذَبْح البقرة ، وإنما أُخّر فى الكلام لأنه لما قال تعالى : « إن الله يأمركم ... » الآية [٣٠ ب] عَلِم

---

(١) طه : ١٢٩ (٢) آل عمران : ٥٥ (٣) ص : ٢٦

(٤) النساء : ٨٣ (٥) النساء : ١٥٣ (٦) فى الإتقان : فقد .

(٧) البقرة : ٧٢

المخاطبون أن البقرة لا تُذبح إلا للدلالة على قاتل خفيت عَيْنُه عنهم ، فلما استقر علم هذا فى نفوسهم أتبع بقوله : وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها فسألتم موسى فقال : إن اللهَ يأمركم أن تذبحُوا بقرةً .

ومنه[١] : « أفرأيتَ من اتَّخذَ إلهه هَوَاهُ » . والأصل هواه إلٰهه ؛ لأن من اتخذ إلٰهه هواه غير مذموم ، فقدم المفعول الثانى للعناية به .

وقوله[٢] : « أخرج المَرْعَى فجعله غُثَاءً أَحْوَى » ، على تفسير الأحوى بالأخضر ، وجعله نعتاً للمرعى ؛ أى أخرجه أحوى فجعله غُثاء ؛ وأخّره رعاية للفاصلة .

وقوله[٣] : « غَرَابِيبُ سُود » . والأصل سود غرابيب ؛ لأن الغربيب الشديد السّواد .

وقوله[٤] : « فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا » ؛ أى بشرناها فضحكت .

وقوله[٥] : « ولقد همّتْ به وهَمّ بها لولا أنْ رأَى بُرْهَانَ ربه » . قيل : المعنى على التقديم والتأخير ، أى لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها ، وعلى هذا فالهمّ منفىّ عنه .

الثانى — ما ليس كذلك . وقد ألف فيه العلامة شمس الدين بن الصائغ كتابه « المقدمة فى سر الألفاظ المقدمة » ، قال فيه : الحكمة الشائعة الذائعة فى ذلك الاهتمام ، كما قال سيبويه فى كتابه ، كأنهم يقدمون الذى بيانه أهم ، وهم ببيانه أعنى .

---

(١) الجاثية : ٢٣ (٢) الأعلى : ٤ (٣) فاطر : ٢٧
(٤) هود : ٧١ (٥) يوسف : ٢٤

[أسباب التقديم وأسراره]

قال : هذه الحكمة إجمالية . وأما أسباب التقديم وأسراره فقد ظهر لى منها فى الكتاب العزيز عشرة أنواع :

الأول — التبرك ، كتقديم اسم الله فى الأمور ذوات الشأن . ومنه قوله(١): «شَهِدَ اللهُ أنه لا إله إلا هو والملائكةُ وأولو العلم قائماً » . وقوله(٢): «واعلَمُوا أنما غَنِمتُمْ من شيء فأنَّ لله خُمُسَه وللرسول ... » الآية .

الثانى — التعظيم ، كقوله(٣): « ومَنْ يُطِعِ اللهَ والرسول» . « إن(٤) الله وملائكته يصلُّون على النبى » . « واللهُ(٥) ورسولُه أَحَقُّ أنْ يُرْضُوه » .

الثالث — التشريف ، كتقديم الذَّكَر على الأنثى فى نحو(٦): «إنَّ المسلمين والمسلمات ... » الآية . والحر فى قوله(٧) : « الحرُّ بالحرِّ والعَبْد بالعَبْدِ والأنثى بالأنثى » . والحى فى قوله(٨) : « يُخْرِجُ الحيَّ من الميت ... » الآية . « وما(٩) يَسْتَوِى الأحياءُ ولا الأمْوَات » . والخيل فى قوله(١٠) : « والخيلَ والبِغَال والحَمِير لِتَرْكَبُوها » . والسمع فى قوله(١١) : « وعلى سمعهم وعلى أبصارهم » . وقوله(١٢) : « إنَّ السَّمْعَ والْبَصَر والفُؤَاد » . وقوله(١٣): « إنْ أخذ اللهُ سَمْعَكم وأبْصَارَكم » .

حكى ابن عطية عن النقَّاش أنه استدل بها على تفضيل السمع على البصر ؛ ولذا وقع فى سمعه(١٤) تعالى : « سميع بصير » ، بتقديم السمع .

---

(١) آل عمران : ١٨ . (٢) الأنفال : ٤١ (٣) النساء : ٦٩
(٤) الأحزاب : ٥٦ (٥) التوبة : ٦٢ (٦) الأحزاب : ٣٥
(٧) البقرة : ١٧٨ (٨) الروم : ١٩ (٩) فاطر : ٢٢
(١٠) النحل : ٨ (١١) البقرة : ٧ (١٢) الإسراء : ٣٦
(١٣) الأنعام : ٤٦ (١٤) فى الإتقان : وصفه .

ومن ذلك تقديمه صلى الله عليه وسلم على نوح ومن معه فى قوله[1] : « وإذ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّين ميثاقَهم ومِنْكَ ومِنْ نوح ... » الآية . وتقديم الرسول فى قوله[2] : « مِنْ رَسُولٍ ولا نبى » . وتقديم المهاجرين فى قوله[3] : «والسابقون الأوَّلُونَ من المُهَاجرين والأنصار » . وتقديم الإنس[4] على الجن حيث ذُكرا فى القرآن . وتقديم النبيين على الصديقين، والشهداء على الصالحين فى آية النساء . وتقديم إسماعيل على إسحاق ؛ لأنه أشرف بكون النبى صلى الله عليه وسلم من ولده وأسنّ . وتقديم موسى على هارون لاصطفائه بالكلام ، وقدم هارون عليه فى سورة طه رعاية للفاصلة ، وتقديم جبريل على ميكائيل فى آية البقرة ؛ لأنه أفضل . وتقديم العاقل على غيره فى قوله[5] : « مَتَاعاً لَكُمْ ولأنْعَامِكم » . « يُسَبِّحُ[6] له مَنْ فى السّموات والأرض والطَّيْرُ صافّات » . وقوله[7]: « متاعاً لكم ولأنعامكم » .

وأما تقديم الأنعام فى قوله[8] : « تأكلُ منه أنعامُهم وأنفُسُهم » ؛ فلأنه تقدم ذكر الزرع ، فناسب تقديم الأنعام، بخلاف آية عبس فإنه تقدم فيها : فلينظر الإنسان إلى طعامه ؛ فناسب تقديم لكم .

وتقديم المؤمنين على الكفار فى كل موضع . وأصحاب اليمين على أصحاب الشمال . والسماء على الأرض ، والشمس على القمر حيث وقع إلا فى قوله[9] : « خلَقَ اللهُ سَبْعَ سمٰوات طِبَاقًا ، وجعل القمرَ فيهنّ نُوراً ، وجعل الشمسَ سِرَاجاً » . فقيل : لمراعاة الفاصلة ، وقيل : لأن انتفاع أهل السموات العائد عليهن الضمير به أكثر .

---

(١) الأحزاب : ٧ (٢) الحج : ٥٢ (٣) التوبة : ١٠٠
(٤) فى ا : الإنسان . (٥) النازعات : ٣٣ (٦) النور : ٤١
(٧) النازعات : ٣٣ (٨) السجدة : ٢٧ (٩) نوح : ١٥ ، ١٦

وقال ابن الأنبارى : [١٣١] يقال إن القمر وجهه يضىء لأهل السموات وظهره لأهل الأرض ؛ ولهذا قال تعالى : فيهن ، لما كان أكثر نوره يضىء إلى أهل السماء .

ومنه تقديم الغيب على الشهادة فى قوله[1] : « عالِمِ الغَيْبِ والشَّهادةِ » ؛ لأن علمه أشرف . وأما قوله[2] : « يَعْلَمُ السرَّ وأَخْفَى » — فأخّر فيه رعاية للفاصلة .

الرابع — المناسبة ؛ وهى إما مناسبة المتقدم لسياق الكلام ، كقوله[3] : « ولَكُمْ فيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وحين تسرحون » ؛ فإن الجمال بالجمال وإن كان ثابتاً حالتى السراح والإراحة إلا أنها حالة إراحتها ، وهو مجيئها من المرعى آخر النهار، يكون الجمال بها [أفخر ؛ إذ هى فيه بطان وحالة سراحها للرعى أول النهار يكون الجمال بها][4] دون الأول ؛ إذ هى فيه خماص .

ونظيره قوله[5] : « والذين إذا أَنْفَقُوا لم يُسْرِفُوا ولَمْ يَقْتُرُوا » . قدم نفى السرف ؛ لأن السرف فى الإنفاق .

وقوله[6] : « يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وطَمَعاً » ؛ لأن الصواعق تقع مع أول برقة ، ولا يحصل المطر إلا بعد توالى البرقات .

وقوله[7] : « وجعلْنَاها وابْنَهَا آيَةً للعالمين » — قدمها على الابن لما كان السياق فى ذكرها فى قوله[8] : « والتى أحصنَتْ فَرْجَها » ؛ ولذلك قدم الابن فى قوله[9] : « وجَعَلْنَا ابْنَ مريمَ وأُمَّهُ آيَةً » ؛ وحسّنه تقديم موسى فى الآية قبله .

(١) المؤمنون : ٩٢ (٢) طه : ٧ (٣) النحل : ٦
(٤) من الاتقان . (٥) الفرقان : ٦٧ (٦) الروم : ٢٤
(٧) الأنبياء : ٩١ (٨) التحريم : ١٢ (٩) المؤمنون : ٥٠

ومنه قوله[1] : « وكلا آتينا حكماً وعلماً » . قدم الحكم – وإن كان العلم سابقاً عليه ؛ لأن السياق فيه ، لقوله فى أول الآية[2] : « إذ يحكمان فى الحرث » ؛

وإما مناسبة لفظ هو من التقدم أو التأخر ، كقوله[3] : « هو الأول والآخر » . «[4] ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين » . «[5] لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر » . «[6] بما قدم وأخر » . «[7] ثلة من الأولين وثلة من الآخرين » . «[8] لله الأمر من قبل ومن بعد » . «[9] له الحمد فى الأولى والآخرة » . وأما قوله[10] : « فلله الآخرة والأولى » – فلمراعاة الفاصلة . وكذا قوله[11] : « جمعناكم والأولين » .

الخامس – الحث عليه والحض على القيام به حذراً من التهاون به ، كتقديم الوصية على الدين فى قوله[12] : « من بعد وصية يوصى بها أو دين » – مع أن الدين مقدم عليها شرعاً .

السادس – السبق ، وهو إما فى الزمان باعتبار الإيجاد ؛ كتقديم الليل على النهار ، والظلمات على النور ، وآدم على نوح ، ونوح على إبراهيم ، وإبراهيم على موسى ، وهو على عيسى ، وداود على سليمان ، والملائكة على البشر فى قوله[13] « الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس » . وعاد على ثمود .

---

(١) الأنبياء : ٧٩ — (٢) الأنبياء : ٧٨ — (٣) الحديد : ٣
(٤) الحجر : ٢٤ — (٥) المدثر : ٣٧ — (٦) القيامة : ١٣
(٧) الواقعة : ٣٩ ، ٤٠ — (٨) الروم : ٤ — (٩) القصص : ٧٠
(١٠) النجم : ٢٥ — (١١) المرسلات : ٣٨ — (١٢) النساء : ١١
(١٣) الحج : ٧٥

والأزواج على الذرية فى قوله[١] : « قل لأزْوَاجِك وبناتك » والسِّنة على النوم فى قوله[٢] : « لا تأخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْم » .

أو باعتبار الإنزال ، كقوله[٣] : « صُحُفِ إبراهِيم وموسى » . «[٤] وأنزل التوراةَ والإنجيل . مِنْ قَبْلُ هُدًى للناس وأنزل الفُرْقَان » .

. أو باعتبـار الوجوب والتـكليف ، نحو[٥] : « ارْكَعُوا واسْجُدُوا » . « فاغسلوا[٦] وجوهكم وأيديكم ... » الآية . « [٧]إنّ الصَّفَا والمَرْوَةَ مِن شعائر الله » . ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : نبدأ بما بدأ الله به .

أو بالذات ، نحو[٨]: « مَثْنَى وثُلَاث ورُبَاع » . «[٩]ما يكون من نَجْوَى ثلاثةٍ إلا هو رابعهم ولا خمسةٍ إلا هُوَ سادِسُهم » . وكذا جميع الأعداد ؛ كلٌّ مرتبة هى متقدمة على ما فوقها بالذات .

وأما قوله[١٠] : « أنْ تَقُومُوا لِلهِ مَثْنَى وفُرَادى » ـ فللحثّ على الجماعة والاجتماع على الخير .

السابع — السببية ؛ كتقديم العزيز على الحكيم ؛ لأنه عزّ فحكم . والعليم عليه ؛ لأن الإحكام والإتقان ناشىء عن العلم .

وأما تقديم الحكيم عليه فى سورة الأنعام ؛ فلأنه مقام تشريع الأحكام .

ومنه تقديم العبادة على الاستعانة فى سورة الفاتحة ؛ لأنها سبب حصول الإعانة .

وكذا قوله[١١]: « يحبُّ التوّابين ويُحِبُّ المتطَهِّرين » ـ لأن التوبة سبب

(١) الأحزاب : ٥٩ (٢) البقرة : ٢٥٥ (٣) الأعلى : ١٩
(٤) آل عمران : ٣ ، ٤ (٥) الحج : ٧٧ (٦) المائدة : ٦
(٧) البقرة : ١٥٨ (٨) النساء : ٣ (٩) المجادلة : ٧
(١٠) سبأ : ٤٦ (١١) البقرة : ٢٢٢

للطهارة . «(١) لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ » ؛ لأن الإفكَ سبب الإثم . «(٢) يَغُضُّوا مِنْ أَبصارِهِم ويَحْفَظُوا فروجَهم » ـ لأن البصر داعية إلى الفرج .

الثامن — الكثرة ، كقوله(٣) : « فمنكم كافِرٌ ومنكُمْ مُؤْمن » ؛ لأن الكفار أكثر . «(٤) فمنهم ظالمٌ لِنفْسِه ... » الآية ـ قدم الظالم لكثرته ثم المقتصد ، ثم السابق . قيل : ولهذا قدم السارق على السارقة ؛ لأن السرقة فى الذكور أكثر . والزانية على الزانى ؛ لأن الزنى فيهن أكثر .

ومنه [٣١ ب] تقديم الرحمة على العذاب حيث وقع فى القرآن غالباً ؛ ولهذا ورد : إن رحمتى غلبت غضبى . وقوله(٥) : « إنَّ مِن أزواجكم وأولادِكم عَدُوًّا لكم » .

قال ابن الحاجب فى أماليه : إنما قدم الأزواج ؛ لأن المقصود الإخبار أن فيهم أعداء ، ووقوع ذلك فى الأزواج أكثر منه فى الأولاد ، وكان أقعد فى المعنى المراد فقدّم ؛ ولذلك قدمت الأموال فى قوله(٦) : « إنما أموالُكم وأوْلادكم فِتْنَةٌ » ؛ لأن الأموال لا تكاد تفارقها الفتنة . «(٧) إن الإنسانَ لَيَطْغَى أنْ رَآهُ استَغْنَى » ؛ وليست الأولاد فى استلزام الفتنة مثلها ؛ فكان تقديمها أولى .

التاسع — الترقّى من الأدنى إلى الأعلى ، كقوله(٨) : « أَلَهُمْ أرجُلٌ يَمْشُونَ بها أَمْ لهم أيْدٍ يَبْطشون بها ... » الآية . بدأ بالأدنى لغرض الترقى ، لأن اليد أشرفُ من الرجل ، والعين أشرف من اليد ، والسمع أشرف من البصر .

---

(١) الجاثية : ٧ (٢) النور : ٣٠ (٣) التغابن : ٢
(٤) فاطر : ٣٢ (٥) التغابن : ١٤ (٦) التغابن : ١٥
(٧) العلق : ٦ ، ٧ (٨) الأعراف : ١٩٥

ومن هذا النوع تأخير الأبلغ ؛ وقد خُرّج عليه تقديم الرحمن على الرحيم ، والرءوف على الرحيم ، والرسول على النبي فى قوله[١] : « وكان رسولا نبيًا » . وذكر لذلك نكت أشهرها مراعاة الفاصلة .

العاشر — التدلّى من الأعلى إلى الأدنى . وخُرِّج عليه[٢] : « لا يُغَادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً » . «[٣] لا تَأخذُه سِنَةٌ ولا نومٌ » . «لن[٤] يَسْتَنْكِفَ المسيحُ أنْ يكونَ عَبْداً لله ولا الملائكة المقرّبون » .

هذا ما ذكره ابن الصائغ[٥] ، وزاد غيره أسباباً أخر ؛ منها كونه أدل على القدرة وأعجب ؛ كقوله[٦]: « فمنهم مَنْ يَمْشِي على بَطْنِه ...» الآية ، وقوله[٧]: « وسخّرنا مع داوُدَ الجبال يُسَبِّحْنَ والطَّيْرَ » .

قال الزمخشرى[٨] : قدم الجبال على الطير ؛ لأن تسخيرها له وتسبيحها له أعجب ، وأدل على القدرة ، وأدخل فى الإعجاز ؛ لأنها جماد ، والطير حيوان ناطق .

ومنها رعاية الفواصل كما تقدمت الأمثلة لذلك .

* * *

(١) مريم : ٥٤ (٢) الكهف : ٤٩ (٣) البقرة : ٢٥٥

(٤) النساء : ١٧٢

(٥) هو محمد بن عبد الرحمن بن على شمس الدين الحنفى ، من علماء مصر فى القرن الثامن وكتابه « المقدمة » ذكره صاحب كشف الظنون . توفى سنة ٨٧٦ (الدرر الكامنة : ٣ — ٤٩٩) .

(٦) النور : ٤٥ (٧) الأنبياء : ٧٩

(٨) الكشاف : ٣ — ١٠١

الوجه الثاني عشر من وجوه إعجازه

إفادة حصره واختصاصه

وهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص . ويقال أيضاً إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه .

[تقسيم الحصر]

وينقسم إلى قصر الموصوف على الصفة ، وقصر الصفة على الموصوف ؛ وكلٌّ منهما إما حقيقي وإما مجازي ؛ مثال قصر الموصوف على الصفة حقيقياً نحو ما زَيْدٌ إلا كاتب، أي لا صفة له غيرها ، وهو عزيز لا يكاد يوجد؛ لتعذر الإحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها بالكلية ، وعلى عدم تعذرها يبعد أن يكون للذات صفة واحدة ليس لها غيرها ؛ ولذا لم يقع في التنزيل .

ومثاله مجازياً : «[1] وما محمدٌ إلا رسول » ؛ أي أنه مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبري من الموت الذي استعظموه ، إنه[2] شأن الإله .

ومثال قصر الصفة على الموصوف حقيقيا : لا إله إلا الله .

ومثاله مجازياً[3] : « قل لا أجدُ في ما أُوحِيَ إليّ محرَّماً على طاعِمٍ يَطْعَمُه إلا أنْ يكونَ مَيْتة ... » الآية ، كما قال الشافعي فيما تقدم [نقله من أسباب النزول][4] : إن الكفار لما كانوا يحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلّ لغير الله به ، وكانوا يحرمون كثيراً من المباحات ، وكانت سجيَّتهم تخالف وضع

---

(١) آل عمران : ١٤٤ (٢) في الإتقان : الذي هو من شأن الإله .
(٣) الأنعام : ١٤٥ (٤) من الإتقان .

الشرع ، ونزلت الآية مستوفية[١] بذكر شبههم فى البَحيرة والسائبة والوَصيلة والحامى ؛ وكان الغرض الرد عليهم والمضادة لا الحصر الحقيقى . وقد تقدم بأبسط مِنْ هذا .

[تقسيم آخر للحصر]

. وينقسم الحصر باعتبار آخر إلى ثلاثة أقسام : قصر إفراد ، وقصر قلب ، وقصر تعيين :

فالأول يخاطَب به من يعتقد الشركة ، نحو[٢] ، « إنّما اللهُ إلهٌ واحد » . وخوطب به من يعتقد اشتراك الله والأصنام فى الألوهية .

والثانى يخاطب به من يعتقد إثبات الحكم لغير من أثبته المتكلم له ، نحو[٣]: « رَبِّى الذى يُحْيِي ويُميت » . خوطب به نُمرود الذى اعتقد أنه المحيى المميت دونَ اللهِ : «[٤] ألاَ إنهم هم السفهاء » . خوطب به من اعتقد من المنافقين أن المؤمنين سفهاء [١٣٢ ا] دونهم . «[٥] وأرسلْناكَ للناسِ رَسولا » . خوطب به من يعتقد من اليهود اختصاص بعثته بالعرب .

والثالث يخاطب به من تساوى عنده الأمران ، فلم يَحكم بإثبات الصفة لواحد بعينه ولا لواحد بإحدى الصفتين بعينها .

[طرق الحصر]

وطرق الحصر كثيرة ؛ أحدها النفى والاستثناء سواء كان النفى بلا أو ما أو غيرها . والاستثناء بإلا أو غير ؛ نحو : لا إله إلا الله . وما من إله إلا الله . «[٦] ما قلتُ لهم إلا ما أمرْتَنِى به » .

---

(١) فى الاتقان : مسوقة . (٢) النساء : ١٧١ (٣) البقرة : ٢٥٨
(٤) البقرة : ١٣ (٥) النساء : ٧٩ (٦) المائدة : ١١٧

ووجهُ إفاده الحصر أن الاستثناء المفرّغ لا بد أن يتوجه النفى فيه إلى مقدّر وهو مستثنى منه ، لأن الاستثناء إخراج فيحتاج إلى مُخرَج منه . والمراد التقدير المعنوى لا الصناعى .

ولا بد أن يكون عاماً ؛ لأن الإخراج لا يكون إلا من عام . ولا بد أن [يكون مناسباً للمستثنى منـــــه فى جنسه مثل ما قام إلا زيد ، أى لا أحد . وما أكلت إلا تمراً ، أى مأكولا ، ولا بد أنْ][1] يوافقه[2] فى صفته ؛ أى إعرابه ، وحينئذ يجب القصر إذا أوجب منه شىء بإلا ضرورة بإبقاء ما عداه على صفة الانتفاء .

وأصلُ استعمال هذا الطريق أن يكون المخاطب جاهلا بالحكم . وقد يخرج عن ذلك فينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب ، نحو[3] : « وما محمدٌ إلا رسولٌ » ؛ فإنه خطاب للصحابة ، وهم لم يكونوا يجهلون رسالةَ النبى صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه نَزّل استعظامهم له عن الموت منزلةَ من يجهل رسالته ؛ لأن كل رسول فلا بد من موته ، فمن استبعد موته فكأنه استبعد رسالته .

الثانى — «إنما» الجمهور على أنها للحصر ، فقيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم ، وأنكر قوم إفادتها ، منهم أبو حيان ، واستدل مثبتوه بأمور ، منها : قوله تعالى[4] : « إنما حَرّمَ عليكم الميتةَ » بالنصب ، فإن معناه : ما حرم عليكم إلا الميتة ، لأنه المطابق فى المعنى لقراءة الرفع فإنها للقصر ، فكذا قراءة النصب . والأصل استواء معنى القراءتين .

ومنها أن إن للاثبات وما للنفى ، فلا بد أن يحصل القصر للجمع بين النفى

---

(١) من الاتقان .
(٢) فى ب : يفارقه .
(٣) ل عمران : ١٤٤
(٤) الحج : ١٧٣

والإثبات ، لكن تعقّب بأن « ما » زائدة كافة لا نافية . ومنها أن « إن » للتأكيد و « ما » كذلك ، فاجتمع تأكيدان ، فأفاد الحصر ، قاله السكاكى .

وتعقّب بأنه لو كان اجتماع تأكيدين يفيد الحصر لأفاده نحو إن زيد القائم .

وأجيب بأن مراده لا يجتمع حرفا تأكيد متواليان إلا للحصر .

ومنها قوله تعالى[1] : « قل إنما العِلْمُ عند الله » . «[2] قال إنما يَأتيكم بهِ اللهُ » . «[3] قل إنما عِلْمُها عند ربى » . فإنه إنما تحصل مطابقة الجواب إذا كانت « إنما » للحصر ليكون معناها [لا آتيكم به][4]، إنما يأتيكم به الله إنْ شاء . ولا أعلمها إنما يعلمها الله .

وكذا قوله[5] : « ولَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلمه فأولئكَ ما عَلَيْهِم مِنْ سَبِيل . إنما السبيلُ على الّذِين يَظْلِمُون الناسَ » . «[6] ما على المُحْسِنين من سبيل ... إلى قوله : « إنما السبيلُ على الذين يستأذِنُونك وهم أغنياء » . «[7] وإذا لم تأتِهِمْ بآيةٍ قالوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا ، قل إنما أتّبع ما يُوحَى إلىّ مِنْ رَبّى » . «[8] وإنْ تولّوْا فإنما عليك البلاغ » . لا يستقيم المعنى فى هذه الآيات ونحوها إلا بالحصر .

وأحسن ما يستعمل « إنما » فى مواقع التعريض ، نحو[9] : « إنما يَتَذَكّرُ أولو الألباب » .

---

(١) الأحقاف : ٢٣ (٢) هود : ٣٣ (٣) الأعراف : ١٨٧
(٤) من الاتقان . (٥) الشورى : ٤١ ، ٤٢
(٦) التوبة : ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ (٧) الأعراف : ٢٠٣
(٨) آل عمران : ٢٠ (٩) الرعد : ١٩

الثالث — «أنما» بالفتح : عدها من طرق الحصر الزمخشري والبيضاوي ، فقالا في قوله[1] : « قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَىَّ أنما إِلَٰهُكم إِلَٰهٌ واحِدٌ » — أنما لقَصْر الحكم على شيء ، أو لقصر الشيء على حكم ، نحو : إنما زيد قائم . وإنما يقومُ زَيْد [وقد اجتمع الأمران في هذه الآية ؛ لأن إنما يوحى إلى مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيد][2] وأنما إلهكم [بمنزلة][3] إنما زيد قائم .

وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية .

وصرح التَّنُوخي[4] في الأقصى القريب بكونها للحصر ، فقال : كلما أوجب إنما ـ بالكسر للحصر أوجب أنما ـ بالفتح للحصر ؛ لأنها فرع عنها ، وما ثبت للأصل ثبت للفرع ما لم يثبت مانع منه ، والأصل عدمه .

ورد أبو حيان على الزمخشري ما زعمه بأنه يلزمه انحصار الوحي[5] في الوحدانية ، و [أجيب] بأنه حصر مجازي باعتبار المقام .

الرابع — العطف بلا أو بل ، ذكره أهل البيان ، ولم يحكوا فيه خلافاً ؛ ونازع فيه الشيخ بهاء الدين في عروس الأفراح[6] ؛ فقال : أي قصر في العطف بلا ؟ إنما فيه نفي وإثبات ؛ فقولك : زيد شاعر لا كاتب [٣٢ب] لا تعرُّض فيه لنفي صفة ثالثة ؛ والقصر إنما يكون بنفي جميع الصفات غير المثبتة[7] حقيقة أو مجازاً ؛ وليس هو خاصاً بنفي الصفة التي يعتقدها المخاطب .

---

(١) الأنبياء : ١٠٨ (٢) من الاتقان .
(٣) الكشاف : ٣ — ١٠٩ .
(٤) هو زين الدين محمد بن محمد التنوخي ، توفي سنة ٧٤٨ ، وفي كشف الظنون سمى كتابه : أقصى القرب في صناعة الأدب . وكذلك جاء اسمه في البرهان : ٢ — ٣٩١ .
(٥) في ب : الرحمن . (٦) شروح السعد : ٢ ـ ١٨٧
(٧) في عروس الأفراح : غير المثبت إما حقيقة أو مجازاً .

وأما العطف ببل فأبعد منه ؛ لأنه لا يستمر فيها النفى والإثبات .

الخامس — تقديم المعمول نحو[١] : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ » . «[٢] لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ » . وخالف فيه قوم ؛ وسيأتى بسط الكلام فيه قريباً .

السادس — ضمير الفصل ، نحو[٣] : « فاللهُ هُوَ الوَلِىُّ » ؛ لا رب غيره . «[٤]وأولئك هم المُفْلِحُونَ» . «[٥]إن هذا لهو القَصَصُ الحقُّ» . «[٦]إنّ شانِئَكَ هو الأَبْتَرُ» .

ومِمن ذكر أنه للحصر البيانيون فى بحث المسند إليه ، واستدل له السُّهَيْلى بأنه أُتى به فى كل موضع ادّعى فيه نسبة ذلك المعنى إلى غير الله ، ولم يُؤْتَ به حيث لم يدّع ، وذلك فى قوله[٧] : « وأنه هو أَضْحَكَ وأَبكى ... » إلى آخر الآيات ، فلم يؤت به فى : «[٨] وأنه خلق الزَّوْجَين » . «[٩] وأنّ عليه النشأَةَ الأخرى » . «[١٠] وأنه أهلك عاداً الأولى » ؛ لأن ذلك لم يدّع لغير الله ، وأُتى به فى الباقى لادّعائه لغيره .

قال فى عروس الأفراح : وقد استنبطت دلالته على الحصر فى قوله[١١] : « فلما توفَّيْتَنِى كنْتَ أنتَ الرقيبَ عليهم » ؛ لأنه لو لم تكن للحصر لما حَسُن ، لأن الله لم يزل رقيباً عليهم ، وإنما حصر[١٢] بتوفيته أنه لم يبق لهم رقيب غير الله . ومن قوله[١٣]: « لا يَسْتَوِى أصحابُ النارِ وأصحابُ الجنةِ أصحابُ الجنةِ

(١) الفاتحة ٤ (٢) آل عمران : ١٥٨ (٣) الشورى : ٩
(٤) لقمان : ٥ (٥) آل عمران : ٦٢ (٦) الكوثر : ٣
(٧) النجم : ٤٣ (٨) النجم : ٤٥ (٩) النجم : ٤٧
(١٠) النجم : ٥٠ (١١) المائدة : ١١٧ (١٢) فى الاتقان : وإنما الذى حصل .
(١٣) الحشر : ٢٠

هم الفائزون » . فإنه ذكر لتبيين عدم الاستواء ، وذلك لا يحسن إلا بأن يكون الضمير للاختصاص .

السابع — تقديم المسنَد إليه على ما قال الشيخ عبد القاهر : قد يُقدم المسنَد إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلى . والحاصل — على رأيه — أن لها أحوالا :

أحدها : أن يكون المسند إليه معرفة والمسند مثبتا ؛ فيأتى التخصيص ؛ نحو : أنا قُمْتُ ، وأنا سعَيْتُ فى حاجتك ؛ فإن قُصِد به قصر الإفراد أكد بنحو : وحدى ؛ أو قصر القلب أكد بنحو : لا غيرى . ومنه فى القرآن[1] : « بل أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُون » . فإن ما قبله من قوله[2] : « أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ » . ولفظ « بل » مُشْعر بالإضراب يقضى بأن المراد بل أنتم لا غيركم ؛ فإن المقصود نفى فرحه هو بالهدية لا إثبات الفرح لهم بهديتهم . قاله فى عروس الأفراح .

قال : وكذا قوله[3] : « لا تعلمهم نحن نَعْلَمُهُم » ؛ أى لا يعلمهم إلا نحن .

وقد يأتى للتقوية والتأكيد دون التخصيص ؛ قال الشيخ بهاء الدين : ولا يتميز ذلك إلا بما يقتضيه الحال وسياق الكلام .

ثانيها : أن يكون المسند منفياً ؛ نحو : أنت لا تكذب ؛ فإنه أبلغ فى نفى الكذب من « لا تكذب » ومن « لا تكذب أنت » . وقد يفيد التخصيص ؛ ومنه[4] : « فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ » .

ثالثها : أن يكون المسند إليه نكرة مثبتاً ، نحو : رجل جاءنى ؛ فيفيد التخصيص إما بالجنس ؛ أى لا امرأة . أو الوحدة ، أى لا رجلان .

---

(١) النمل : ٣٦ (٢) التوبة : ١٠١ (٣) القصص : ٦٦
(٤) القصص : ٦٦

رابعها : أن يلىَ المسند إليه حرف النفى فيفيده ؛ نحو : ما أنا قلت هـذا ، أى لم أقله مع أن غيرى قاله . ومنه[1] : « وما أنْتَ علينا بعَزِيز » ، أى العزيز علينا رهْطُك لا أنت ، ولذا قال : « أرَهْطِى أعَزُّ عليكم من الله » .

هذا حاصل رأى الشيخ عبد القاهر ، ووافقه السكاكى ، وزاد شروطاً وتفاصيل بسطناها فى شرح ألفية المعانى .

الثامن — تقديم المسند ، ذكر ابن الأثير[2] وابن النفيس وغيرهما أن تقديم الخبر على المبتدأ يفيد الاختصاص . ورد صاحب الفلك[3] الدائر بأنه لم يقل به أحد ، وهو ممنوع؛ فقد صرح السكاكى وغيره بأن تقديم ما رُتْبته التأخير يفيده ، ومثَّلُوه بنحو : تميمى أنا .

التاسع — ذكر المسند إليه ، ذكر السكاكى أنه قد يُذكر ليفيد التخصيص. وتعقّبه صاحب الإيضاح ، وصرح الزمخشرى بأنه أفاد الاختصاص فى قوله[4] : « اللهُ يَبْسطُ الرزقَ » فى سورة الرعد . وفى قوله[5] : « اللهُ نَزّلَ أحْسَنَ الحديث » . وفى قوله[6] : « واللهُ يَقُولُ الحقَّ وهو يَهْدِى السبيلَ » . ويحتمل أنه أراد أن تقديمه أفاده ، فيكون من أمثلة الطريق السابع .

العاشر — تعريف الجزأين ، ذكر الإمام فخر الدين فى «نهاية الإيجاز »[7] أنه يفيد [٣٣ ا] الحصر حقيقة أو مبالغة ، نحو : المنطلق زيد ، ومنه فى القرآن فيما ذكر الزَّمْلَكانى فى أسرار التنزيل : الحمد لله ، قال : إنه يفيد الحصر ، كما فى إياك نعبد ، أى الحمد لله لا لغيره .

---

(١) هود : ٩١ — (٢) المثل السائر : ٣ ـ ٢١٧

(٣) الفلك الدائر : ٢٥٠ — (٤) آية ٢٦

(٥) الزمر : ٢٣ — (٦) الأحزاب : ٤

(٧) نهاية الإيجاز فى علم البيان لفخر الدين محمد بن عمر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ ، ذكره صاحب كشف الظنون ، وقال : إنه هذب فيه كتابى عبد القاهر .

الحادى عشر — نحو : جاء زيد نفسه ، نقل بعضُ شراح التلخيص عن بعضهم أنه يفيد الحصر .

الثانى عشر — نحو : إن زيد القائم ، نقله المذكور أيضاً .

الثالث عشر — نحو : قائم — فى جواب زيد إما قائم أو قاعد ، ذكره الطيبى فى شرح التبيان .

الرابع عشر — قلب بعض حروف الكلمة ، فإنه يفيد الحصر على ما نقله فى الكشاف[1] فى قوله[2] : « والَّذِين اجتَنَبُوا الطاغُوتَ أنْ يَعبُدُوها » . قال : القلب للاختصاص بالنسبة إلى الطاغوت ؛ لأن وزنه على فعلوت ، من الطغيان ، كملكوت ورحموت ، قُلِب بتقديم اللام على العين ، فوزنه فَلَعُوت[3] ، ففيه مبالغات : التسمية بالمصدر ، والبناء بناء مبالغة ، والقلب ، وهو للاختصاص ؛ إذ لا يطلق على غير الشيطان .

تنبيه

كاد أهلُ البيان يطْبِقون على أن تقديم المعمول يفيد الحصر ، سواء كان مفعولا أو ظرفاً أو مجروراً ؛ ولهذا قيل فى : « إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نستعين » معناه نخصك بالعبادة والاستعانة . وفى : « لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُون » . معناه إليه لا لغيره . وفى[4] : « لتكونُوا شهداءَ على الناس ويكون الرسولُ عليكم شهيداً » — أُخِّرت الصلة فى الشهادة الأولى ، وقدمت فى الثانية ؛ لأن الغرض فى الأولى

---

(١) الكشاف : ٢ — ٢٩٦

(٢) الزمر : ١٧

(٣) اللسان — طغى .

(٤) البقرة : ١٤٣

إثبات شهادتهم ؛ وفى الثانية إثبات اختصاصهم بشهادة النبى صلى الله عليه وسلم عليهم .

وخالف فى ذلك ابنُ الحاجب ؛ فقال فى شرح المفصّل : الاختصاص الذى يتوهّمه كثير من الناس من تقديم المعمول وَهْمٌ ، واستدل على ذلك بقوله[١] : « فاعْبُدِ الله مُخْلِصاً له الدِّين » . «[٢] بل الله فاعْبُد » . ورد هذا الاستدلال بأن « مخلصاً له الدِّين » أغنى عن إعادة الحصر ، كما قال الله تعالى[٣] : « واعْبُدُوا رَبَّكم » . وقال[٤] : « أمر ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ إيّاه » ، بل قوله : « بل اللهَ فاعْبُدْ » ـ أقوى من أدلة الاختصاص ، [فإن قبلها : لئن أشركْتَ لَيَحْبَطَنَّ عملُك ، فلو لم يكن للاختصاص][٥] وكان معناها أعبد الله لما حصل الإضراب الذى هو معنى بل .

واعترض أبو حيان على مدعى الاختصاص بنحو[٦] : « أفَغَيرَ الله تأمروني أعْبُدُ » .

وأجيب بأنه لما كان مَنْ أشرك بالله غيره كأنه لم يعبد الله كان أمْرُهم بالشرك كأنه أمر بتخصيص غير الله بالعبادة .

ورد صاحب الفلك الدائر الاختصاص[٧] بقوله[٨] : « كُلاًّ هَدَيْنا ونُوحاً هَدَيْنا مِن قَبْلُ » . وهو من أقوى ما رُدّ به .

وأجيب بأنه لا يدعى فيه اللزوم ، بل الغلبة ، وقد يخرج الشيء عن الغالب .

قال الشيخ بهاء الدين : وقد اجتمع الاختصاص وعدمه فى آية واحدة ؛

---

(١) الزمر : ٢ (٢) الزمر : ٦٦ (٣) الحج : ٧٧
(٤) يوسف : ٤٠ (٥) من الاتقان . (٦) الزمر : ٦٤
(٧) الفلك الدائر : ٢٤٦ (٨) الأنعام : ٨٤

وهى[١] «أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إن كُنْتُم صادقين . بل إيّاه تدعون » ؛ فإن التقديم فى الأولى قطعاً ليس للاختصاص . وفى إياه قطعاً للاختصاص .

وقال والده الشيخ تقى الدين فى كتاب الاقتصاص[٢] بين الحصر والاختصاص : اشتهر كلام الناس فى أن تقديم المعمول يفيد الاختصاص ، ومن الناس من ينكر ذلك ويقول : إنما يفيد الاهتمام . وقد قال سيبويه فى كتابه : وهم يقدّمون ما هم به أعنى ؛ والبيانيون على إفادة الاختصاص .

ويَفْهم كثير من الناس من الاختصاص الحصر ، وليس كذلك ؛ وإنما الاختصاص شىء والحصر شىء آخر ، والفضلاء لم يذكروا فى ذلك لفظةَ الحصر ، وإنما عبّروا بالاختصاص . والفرق بينهما أن الحصر نفى غير المذكور وإثبات المذكور . والاختصاص قصد الخاص من جهة خصوصه ؛ وبيانُ ذلك أن الاختصاص افتعال من الخصوص، والخصوص مركب من شيئين : أحدهما عام مشترك بين شيئين أو أشياء . والثانى معنى مُنْضَمّ إليه يفصله عن غيره ؛ كضرب زيد ، فإنه أخص من مطلق الضرب . فإذا قلتَ ضربت زيداً أخبرت بضرب عام وقع منك على شخص خاص ، فصار ذلك الضرب المخبر به خاصّا لما انضم إليه منك ومن زيد ؛ وهذه المعانى الثلاثة ؛ أعنى [٣٣ ب] مطلق الضرب ، وكونه واقعاً منك ، وكونه واقعاً على زيد ، قد يكون قصدَ المتكلمُ لها ثلاثتها على السواء . وقد يترجّح قصده لبعضها على بعض ، ويُعرف ذلك بما ابتدأ به كلامه ؛ فإن الابتداء بالشىء يدل على الاهتمام به ، وأنه هو الأرجح فى غرض المتكلم ، فإذا قلت زيداً ضربت عُلِمَ أن خصوص الضرب على زيد هو المقصود .

---

(١) الأنعام : ٤٠ ، ٤١

(٢) فى الاتقان : الاقتناص فى الفرق بين الحصر والاختصاص .

ولا شك أن كل مركّب من خاص وعام له جهتان ؛ فقد يقصَد من جهة عمومه ، وقد يقصَد من جهة خصوصه . والثانى هو الاختصاص، وأنه هو الأهم عند المتكلم ، وهو الذى قصد إفادته السامع من غير تعرض ولا قصد لغيره بإثباتٍ ولا نفْى ، فنى الحصر معنى زائد عليه ، وهو نفى ما عدا المذكور ، وإنما جاء هذا فى :« إيّاكَ نعْبُد » ؛ للعلم بأن قائليه لا يعبدون غير الله، ولذا لم يطرد فى بقية الآيات ؛ فإن قوله[1] : « أفَغيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُون » . لو جُعل[2] فى معنى ما يبغون إلا غير دين الله ، وهمزة الإنكار داخلة عليه — لزم أن يكون المنكر الحصر ، لا مجرد بغيهم غير دين الله، وليس المراد . وكذلك[3] : «آلهةً دونَ اللهِ تُرِيدون » المنكر إرادتهم آلهة دون الله من غير حصر .

وقد قال[4] الزمخشرى فى[5] : « وبالآخِرَةِ هم يُوقِنُون » . فى تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هُمْ تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته ، وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان ، وأن اليقين ما عليه مَنْ آمَن بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك .

وهذا الذى قاله الزمخشرى فى غاية الحسن .

وقد اعترض عليه بعضهم ، فقال : تقديم الآخرة أفاد أن إيقانهم مقصور على أنه إيقان بالآخرة لا بغيرها . وهـذا الاعتراض من قائله مبنيّ على ما فهمه من أن تقديم المعمول يفيد الحصر ، وليس كذلك . ثم قال المعترض : وتقديم هم أفاد أن هذا القصر مختص بهم ، فيكون إيقان غيرهم بالآخرة إيماناً بغيرها حيث قالوا[6] : « لَنْ تَمَسَّنَا النارُ إلا أياماً معدودة » . وهذا منه أيضاً استمرار

---

(١) آل عمران : ٨٣ (٢) فى ا : فجعل . (٣) الصافات : ٨٦

(٤) الكشاف : ١—١٨ (٥) البقرة : ٤ (٦) البقرة : ٨٠

على ما فى ذهنه من الحصر ؛ أى أن المسلمين لا يوقنون إلا بالآخرة ، وأهل الكتاب يوقنون بها وبغيرها . وهذا فهم عجيب ألجأه إليه فهمه الحصر ، وهذا ممنوع .

وعلى تقدير تسليمه فالحصر على ثلاثة أقسام :

أحدها : بما وإلا ، كقوله : ما قام إلا زيد — صريح فى نفى القيام عن غير زيد ، ومقتض إثبات القيام لزيد ، قيل بالمنطوق ، وقيل بالمفهوم ، وهو الصحيح لكنه أقوى المفاهيم ؛ لأن « إلا » موضوعة للاستثناء وهو الإخراج ، فدلالتها على الإخراج بالمنطوق لا بالمفهوم ، ولكن الإخراج من عدم القيام ليس هو عَيْن القيام ، بل قد يستلزمه ؛ فلذلك رجحنا أنه بالمفهوم ، والتبس على بعض الناس لذلك ، فقال : إنه بالمنطوق .

والثانى : الحصر بإنما ، وهو قريب من الأول فيما نحن فيه ، وإن كان جانبُ الإثبات فيه أظهر ، فكأنه يفيد إثبات قيام زيد إذا قلت : إنما قام زيد بالمنطوق، ونفيه عن غيره بالمفهوم .

الثالث : الحصر الذى قد يفيده التقديم ، وليس على تقدير تسليمه مثل الحصر[1] فى الأوّلين ، بل هو فى قوة جملتين : إحداهما ما صُدّر به الحكم نفياً كان أو إثباتاً ، وهو المنطوق . والأخرى ما فُهم من التقديم . والحصر يقتضى نفى المنطوق فقط دون ما دل عليه من المفهوم ؛ لأن المفهوم لا مفهوم له . فإذا قلت : أنا لا أكرم إلا إياك — أفاد التعريض بأن غيرك يكرم غيره ، ولا يلزم أنك لا تكرمه . وقد قال تعالى[2] : « الزانى لا يَنْكِحُ إلاّ زانيةً أو مُشْرِكةً » — أفاد أن العفيف قد ينكح غير الزانية ، وهو ساكت عن نكاحه

(١) فى الإتقان : الحصرين .   (٢) النور : ٣

الزانية ، فقال سبحانه بعده : « والزانيةُ لا يَنْكِحُهَا إلاّ زَانٍ أو مُشْرِك » ؛ بياناً لما سكت عنه فى الأولى ؛ فلو قال : « بالآخرة يُوقِنُون » أفاد بمنطوقه إيقانهم بها ، ومفهومه عند مَنْ يزعم أنهم لا يوقنون بغيرها ، وليس ذلك مقصوداً بالذات . والمقصود بالذات قوة إيقانهم بالآخرة حتى [٣٤ ا] صار غيرها عندهم كالمدحوض ، فهو حَصْرٌ مجازى ، وهو دون قولنا : يُوقِنُون بالآخرة دون غيرها[1] ؛ فاضبط هذا ، وإياك أن تجعل تقديره لا يوقنون إلا بالآخرة .

إذا عرفت هذا فتقديم «هُمْ» أفاد أن غيرهم ليس كذلك ، فلو جعلنا التقدير لا يوقنون إلا بالآخرة كان المقصود المهم النفى ، فيتسلط المفهوم عليه ؛ فيكون المعنى إفادة أن غيرهم يوقن بغيرها ، كما زعم المعترض ، ويطرح إفهام أنه لا يوقن بالآخرة . ولا شك أن هـذا ليس بمراد ؛ بل المراد إفهام أن غيرهم لا يُوقن بالآخرة ؛ فلذلك حافظنا على أن الغرض الأعظم إثبات الإيقان بالآخرة ، ليتسلط المفهومُ عليه ، وأن المفهوم لا يتسلط على الحصر ؛ لأن الحصر لم يدل عليه بجملة واحدة ، مثل «ما وإلا ، ومثل إنما ؛ وإنما دل عليه بمفهوم مستفاد من منطوق ، وليس أحدهما متقيداً بالآخر حتى نقول : إن المفهوم أفاد نفى الإيقان المحصور ؛ بل أفاد نفى الإيقان مطلقاً عن غيرهم ؛ وهذا كله على تقدير تسليم الحصر ؛ ونحن نمنع ذلك ، ونقول : إنه اختصاص ، وإن بينهما فرقاً .

---

(١) فى ا : لا بغيرها .

الوجه الثالث عشر من وجوه إعجازه

احتواؤه على جميع لغات العرب وبلغة غيرهم من الفرس والروم والحبشة وغيرهم

وقد رأيت فيه تأليفاً مفرداً . وقد أفردتُ فى هذا النوع كتاباً سميته « المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرّب » . وألخص هنا ما وقع تتِمّة للفائدة ، ومن الله أرجوه حسن العائدة ، بعد أن أذكر اختلاف العلماء فى وقوع المعرّب فى القرآن .

فالأكثرون ، ومنهم الإمام الشافعى ، وابن جرير ، وأبو عُبيدة ، والقاضى أبو بكر ، وابن فارس[1] ، على عدم وقوعه فيه ، لقوله تعالى[2] : « قرآناً عَرَبيًّا » . وقوله[3] : « ولو جَعَلْناه قرآناً أعجميًّا لقالوا لولا فُصِّلَتْ آياتُه أأعجمىّ وعَرَبى » . وقد شدد الشافعى النَّكير على القائل بذلك .

وقال أبو عُبيده[4] : إنما أُنْزِل القرآنُ بلسانٍ عربىّ مُبين ؛ فمَنْ زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول . ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول .

وقال ابن فارس[5] : لو كان فيه من لغة غير العرب شىء لتوهّم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله ؛ لأنه أتى بلغات لا يعرفونها .

وقال ابن جرير : ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن إنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك إنما اتفق فيها توارد اللغات ، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد .

---

(١) فى الصاحبى : ٢٩ (٢) يوسف : ٣ (٣) فصلت : ٤٤

(٤) البرهان : ١ ـ ٢٨٧ (٥) الصاحبى : ٣٠ ، والبرهان : ١ ـ ٢٨٨

وقال غيره[1] : بل كان للعرب العاربة التى نزل القرآن بلغتهم بعضُ مخالطة لسائر الألسنة فى أسفارهم ، فعلقت العربُ من لغاتهم ألفاظاً غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، واستعملتها فى أشعارها ومحاوراتها ، حتى جرت مجرى العربى الفصيح ، ووقع بها البيان . وعلى هذا الحد نزل بها القرآن .

وقال آخرون : كل هذه الألفاظ عربية صرف ، ولكن لغة العرب متسعة جداً ، ولا يبعد أن تخفى على أكابر الجِلّة . وقد خفى على ابن عباس معنى فاطر وفاتح .

قال الشافعى فى الرسالة : لا يحيط باللغة إلا نبى . وقال أبو المعالى عُزَيْزى ابن عبد الملك[2] : إنما وُجدت هذه الألفاظ فى لغة العرب ، لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظاً . ويجوز أن يكونوا سُبِقوا إلى هذه الألفاظ .

وذهب آخرون إلى وقوعه فيه . وأجابوا عن قوله[3] : « قُرْآناً عَرَبِيًّا » بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً ؛ فالقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية . وعن قوله[4]: « أأعجمىّ وعربىّ » ـ بأن المعنى من السياق : أكلام أعجمى ومخاطب عربى ؟ واستدلوا باتفاق النحاة على أن منعَ صرف نحو إبراهيم للعلمية والعجمة .

وردّ هذا الاستدلال [٣٤ ب] بأن الأعلام ليست محل خلاف ؛ فالكلام فى غيرها ؛ فوُجّه بأنه إذا اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس . وأقوى ما رأيته للوقوع ـ وهو اختيارى ـ ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن عن أبى مَيْسرة التابعى[5] الجليل ، قال : فى القرآن من كل لسان .

---

(١) هو ابن عطية فى مقدمة كتابه فى التفسير صفحة ٢٧٧ .
(٢) البرهان : ١ ـ ٢٩٠
(٣) يوسف : ٣
(٤) فصلت : ٤٤
(٥) فى ا : الشافعى .

وروى مثله عن سعيد بن جُبير ، ووَهْب بن مُنَبِّه ؛ فهذه إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ فى القرآن أنه حوى علم الأولين والآخرين ، ونبأ كل شىء ؛ فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ؛ لتتم إحاطته بكل شىء ، فاختير من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالا للعرب .

وأيضاً فإن النبى صلى الله عليه وسلم أرسل إلى كل أمة ، وقد قال تعالى[1] : « وما أرسلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلا بلسانِ قَوْمِه » ؛ فلا بد أن يكون فى الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم ، وإن كان أصله بلغة قومه هو .

وقد رأيت الحوفى[2] وابن النقيب ذكره ، وذكر لوقوع المعرب فى القرآن فائدة أخرى ؛ فقال : إن قيل إن « إستبرق » ليس بعربى ، وغير العربى من الألفاظ دون العربى فى الفصاحة والبلاغة ، فنقول : لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة ويأتوا بلفظ يقوم مقامها فى الفصاحة لعجزوا عن ذلك ؛ وذلك لأن الله تعالى إذا حثّ عباده على الطاعة فإن لم يرغّبهم بالوعد الجميل ويخوّفهم بالعذاب الوبيل — لا يكون حثّه على وجه الحكمة ؛ فالوعد والوعيد نظراً إلى الفصاحة واجب . ثم إن الوعد بما يرغب فيه العقلاء ؛ وذلك منحصر فى أمور الأماكن الطيبة ، ثم المآكل الشهية ، ثم المشارب الهنيّة ، ثم الملابس الرفيعة ، ثم المناكح اللذيذة ، ثم ما بعده مما تختلف فيه الطباع . فإذاً ذِكْر الأماكن الطيبة والوعد به لازم عند الفصيح ؛ ولو تركه لقال مَنْ أُمِر بالعبادة ووُعد عليها بالأكل والشرب : إن الأكل والشرب لا التذاذ به ، إذا كنت فى حبس أو موضع كريه ؛ فلذا ذكر الله الجنة ومساكن طيبة فيها ، وكان ينبغى أن يذكر من الملابس ما هو أرفعها ، وأرفع الملابس فى الدنيا الحرير

---

(١) إبراهيم : ٤

(٢) فى الاتقان : الحوفى . والمثبت فى ا ، ب .

وأما الذهب فليس مما يُنسج منه ثوب . ثم إن الثوب الذى من غير الحرير لا يعتبر فيه الوزن والثقل ، وربما يكون الصفيق الخفيف أرفع من الثقيل الوزن . وأما الحرير فكلما كان ثوبه أثقل كان أرفع ؛ فحينئذ وجب على الفصيح أن يذكر الأثقل الأثمن ، ولا يتركه فى الوعد لئلا يقصر فى الحثّ والدعاء .

ثم إن هذا الواجب الذكر إما أن يذكر بلفظ واحد موضوع له صريح ، أو لا يذكر بمثل هذا . ولا شك أن الذكر باللفظ الواحد الصريح أولى ؛ لأنه أوجز وأظهر فى الإفادة ، وذلك « إستبرق » . فإن أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ، ويأتى بلفظ آخر لم يمكنه ؛ لأن ما يقوم مقامه إما لفظ واحد أو ألفاظ متعددة ، ولا يجد العربى لفظاً واحداً يدل عليه ؛ لأن الثياب من الحرير عرفها العرب من الفرس ، ولم يكن لهم بها عَهْدٌ ، ولا وُضع فى اللغة العربية للديباج الثخين اسم ، وإنما عرّبوا ما سمعوا من العجم ، واستغنوا به عن الوضع ؛ لقلة وجوده عندهم ، ونَزْرة[1] لفظهم به .

وأما إن ذكره بلفظين فأكثر فإنه يكون قد أخلّ بالبلاغة ؛ لأن ذكر لفظين لمعنًى يمكن ذكره بلفظٍ تطويل ؛ فعلم بهذا أن لفظ « إستبرق » يجب على كل فصيح أن يتكلم به فى موضعه ، ولا يجد ما يقوم مقامه . وأى فصاحة أبلغ من ألا يوجد غيره مثله ؟ انتهى .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام[2] — بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن أهل العربية : والصواب عندى مذهبٌ فيه تصديق القولين جميعاً ؛ وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء . لكنها وقعت للعرب ،

---

(١) فى الإتقان : وندرة تلفظهم .

(٢) البرهان : ١ — ٢٩٠ ، ٢ — ١٠٨ ، والصاحبى : ٢٩

فعرّبتْها بألسنتها [٣٥ ا] ، وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها ؛ فصارت عربية ؛ ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ؛ فمن قال : إنها عربية فهو صادق ؛ ومن قال : عجمية فصادق .

ومال إلى هذا القول الجواليقى ، وابن الجوزى ، وآخرون .

[ما فى القرآن بغير لغة الحجاز]

وهذه الألفاظ الواردة فى القرآن بغير لغة الحجاز :

وأما ما وقع فيه بغير لغة العرب فنذكر تفسير الغريب على حروف المعجم .

أخرج أبو عبيد من طريق عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله[1] : « وأنْتُمْ سامِدُون » ؛ قال الغناء . وهى لغة يمانية .

وأخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة قال : هى بالحميرية .

وأخرج أبو عبيد عن الحسن ، قال : كنا لا ندرى ما الأرائك حتى لَقِينَا رجلٌ من أهل اليمن فأخبرنا أن الأريكة عندهم هى الحَجَلة[2] فيها السرير .

وأخرج عن الضحاك فى قوله[3] : « ولو ألْقَى مَعَاذِيرَه » . قال : ستوره بلغة أهل اليمن .

وأخرج عن عكرمة فى قوله[4] : « وزوّجْنَاهم بحُورٍ عِين » . قال : هى لغة يمانية، وذلك أن أهل اليمن يقولون : زوجنا فلاناً بفلانة. قال الراغب فى مفرداته[5]: ولم يجىء فى القرآن زوجناهم حوراً كما يقال زوجته امرأة ، تنبيهاً على أن ذلك لا يكون على حسب المتعارف فيما بيننا بالمناكحة .

---

(١) النجم : ٦١ (٢) الحجلة كالقبة ، أو موضع يزين بالثياب .
(٣) القيامة : ١٥ (٤) الدخان : ٥٤ (٥) المفردات : ٢١٦

وأخرج عن الحسن فى قوله[١] : « لو أردنا أنْ نَتَّخِذَ لَهْواً » . قال : اللهو بلسان اليمن المرأة .

وأخرج عن محمد بن على فى قوله[٢] : « ونادَى نوحٌ ٱبنَه » . قال: هى بلغة طى ابن امرأته . قلت : وقد قرىء : ونادى نوح ابنها .

وأخرج عن الضحاك فى قوله[٣] : « أعصرُ خَمْرا » — قال : عنبا بلغة أهل عمان ، يسمون العنب الخمر .

وأخرج عن ابن عباس فى قوله[٤] : « أتَدْعُونَ بَعْلاً » — قال : ربّا بلغة أهل اليمن .

وأخرج عن قتادة قال : بعلا ربّا — بلغة أزد شنوءة .

وأخرج أبو بكر ابن الأنبارى فى كتاب الوقف عن ابن عباس قال لى : الوزَر[٥] وَلَدُ الوَلد بلغة هذيل .

وأخرج فيه عن الكلبى قال : المرجان صغار اللؤلؤ بلغة اليمن .

وأخرج فى كتاب الردّ على مَنْ خالف مصحف عثمان ، عن مجاهد ، قال الصواع الطرْجهالَة[٦] بلغة حمير .

وأخرج فيه عن أبى صالح فى قوله[٧] : « أفلم يَيْأسِ الذين آمنوا » — قال : أفلم يعلم بلغة هوازن . وقال الفراء : قال الكلبى بلغة النخع .

وفى مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس[٨] : يَفْتِنكم : يُضِلّكم بلغة

---

(١) الأنبياء : ١٧ (٢) هود : ٤٢ (٣) يوسف : ٣٦
(٤) الصافات : ١٢٥ (٥) فى ا : الورا .
(٦) فى القاموس : الطرجهالة : الفنجانة . (٧) الرعد : ٣١
(٨) المسائل : ٢٧٢

هوازن . وفيها(١) : بوراً : هلكى بلغة عمان . وفيها(٢) : فنقّبوا : هربوا بلغة اليمن . وفيها(٣) : لا يَلِتكم : لا ينقصكم بلغة بنى عبس . وفيها(٤) : مُراغماً : منفسحا ، بلغة هذيل .

وأخرج سعيد بن منصور [فى سُننه](٥) عن عمرو بن شرحبيل فى قوله : سَيْل العَرِم ، قال : المسنّاة بلحن أهل اليمن .

وأخرج فى تفسيره ، عن ابن عباس ، فى قوله(٦) : « فى الكتاب مَسْطُوراً » ؛ قال : مكتوباً ، وهى لغة حميرية(٧) ، يسمون الكتاب أسطوراً .

وقال أبو عبيد القاسم فى الكتاب [الذى ألفه فى هذا النوع :](٨) فى القرآن بلغة كنانة : السفهاء : الجهال . خاسئين : صاغرين . شَطر : تلقاء . لا خَلَاق : لا نَصيب . وجعلكم ملوكا : أحراراً . قَبيلا : عيانا . مُعَجزين : سابقين . يَعزب : يغيب . تركنوا : تميلوا . فَجْوة : ناحية . مَوئلا : ملجأ . مُبْلسون : آيسون . دُحُوراً : طرداً . الخراصون : الكذّابون . أسفاراً : كتباً . أُقِّتَتْ : جمعت . كَنُود : كَفُور للنعم .

وبلغة هُذَيل : الرِّجْز : العذاب . شَرَوْا : باعوا . عزموا الطلاق : حققوا . صَلْداً : نقياً . آناء الليل : ساعاته . فَوْرِهم : وجوههم(٩) . مِدْراراً : مُتتابعاً . فُرقاناً : مخرجاً . حرض : حض . عَيْلَة : فاقة . وليجة : بطانة . انفروا : اغزُوا . السائحون : الصائمون . العَنَت : الإثم . غُمّة : شبهة . ببدَنك : بدِرْعك . هامدة : مُغْبَرّة . دلوك الشمس : زوالها . شاكلته : ناحيته . رجْماً : ظناً .

---

(١) المسائل صفحة ٢٤٢ (٢) صفحة ٢٨٥ (٣) صفحة ٢٨٠
(٤) صفحة ٢٥٤ (٥) من الاتقان . (٦) الاسراء : ٥٨
(٧) ا : اليونية . والمثبت فى ب ، والاتقان .
(٨) من الإتقان . (٩) حقها : وجههم .

مُلْتَحَدا : مَلْجأ . يرجو : يخاف . هَضْماً : نَقْصاً . المبذِّر : المسرف . واقصد في مَشْيِك : أسرع . الأجداث : القبور . ثاقب : مضيء . بالهم : حالهم . يَهْجَعُون : ينامون . ذَنوباً : عذاباً . دُسُر : المسامير [٣٥ ب] . تفاوت : عيب . أرجائها : نواحيها . أطواراً : ألواناً . بَرْداً : نوماً . واجفة : خائفة . مَسْغَبَة : مجاعة .

وبلغة حمير : تَفْشَلوا : تَجْبنوا . عُثِرَ : اطّلع . سفاهة : جنون . زَيَّلْنَا : مَيَّزْنَا . مَرْجُوّا : حقيراً . السقاية : الإناء . مسنون : منتن . إمام : كتاب . يُنْغِضُون : يحركون . حُسْباناً : بَرَدا . من الكبر عِتِيّا : نُحولا[1] . مآرب : حاجات . خَرْجا : جُعْلا . غراما : بلاء . الصَّرْح : البيت . أنكر الأصوات : أقبحها . مرض : زنا . القطر : النحاس . محشورة : مجموعة . معكوفاً : محبوساً . يَتِرَكم : ينقصكم . مدينين : محاسبين . بجبّار : بمُسَلّط[2] . رابية : شديدة . وَبيلا : شديداً .

وبلغة جُرْهم : فباءوا : استوجبوا . شقاق : ضلال . خيراً : مالا . كدأب : أشباه . تعدلوا : تميلوا . يغنوا : يتمتعوا . شرِّد : نكِّل . أراذِلُنا : سفلتنا . عصيب : شديد . لفيفاً : جميعاً . محسوراً : منقطعاً . حَدَب : جانب . الخلال : السحاب . الودْق : المطر . شِرْذمة : عصابة . ريع : طريق . يَنْسِلون : يخرجون. الحبك : الطرائق . سور : الحائط .

وبلغة أَزْد شنوءة : لا شية : لا وضح . العضْل : الحبْس . أُمَّة : سنين . الرسّ : البئر . كاظمين : مكروبين . غِسْلين : الحار الذى تناهى حَرُّه . لوَّاحة : حراقة .

---

(١) فى ب : نحولا .

(٢) فى ب : بسلطان .

وبلغة مدلج[1]: رفث: جماع . مُقيتاً : مُقتدراً . بظاهر من القول : بكذب . الوصيد : الفناء . حقبا : دهراً . الخرطوم : الأنف .

وبلغة خَثْعم : تُسيمون : ترعون . مريج : منتشر . صَغَتْ : مالت . هَلوعا : ضجوراً . شططا : كذبا .

وبلغة قيس عيلان : نِحْلة : فريضة . حرج : ضيق . لخاسرون : مضيّعون . تفنّدون : تستهزئون . صياصيهم : حصونهم . تُحْبَرون : تنعمون . رجيم : ملعون . يَلِتْكم : ينقصكم .

وبلغة سعد العشيرة : حفدة : أَخْتان . كل : عيال .

وبلغة كندة : فجاجا : طرقات . بُسَّت : فُتِّتَتْ . تبتئس : تحزن .

وبلغة عذرة : اخسئوا : اخزوا .

وبلغة حضرموت : رِبّيون : رجال . دمرنا : أهلكنا . لغوب : إعياء . مِنْسأته : عصاه .

وبلغة غسان : طفقا : عمدا . بئيس : شديد . سيء بهم : كرههم .

وبلغة مُزَينة : لا تَغْلُوا : لا تزيدوا .

وبلغة لخم : إملاق : جوع . ولتعْلُنّ : تقهرن .

وبلغة جُذام : فجاسوا خلال الديار : تخللوا الأزقّة .

وبلغة بنى حنيفة : العقود : العهود . الجناح : اليد . والرهب : الفزع .

وبلغة اليمامة : حَصِرت : ضاقت .

وبلغة سبأ : تميلوا ميلا عظيما : تخطئوا خطأ بينا . تبّرنا : أهلكنا .

---

(١) فى الإتقان : مذ حج ، والمثبت فى ا ، ب .

وبلغة سليم : نكص : رجع .

وبلغة عمارة : الصاعقة : الموت .

وبلغة طي : ينعق : يصيح . رغداً : خصبا . سفه نفسه : خسرها . يس : يا إنسان .

وبلغة خزاعة : أفيضوا : انفروا . والإفضاء : الجماع .

وبلغة عمان : خبالا : غيّا . نَفَقا : سربا . حيث أصاب : أراد .

وبلغة تميم : أمة : نسيان . بغيا : حسدا .

وبلغة أنمار : طائره : عمله . أغطش : أظلم .

وبلغة الأشعريين : لأحتَنِكَنَّ : لاستأصِلَنَّ . تارة : مرة . اشمأزت : مالت ونفرت .

وبلغة الأوس : لِينة : النخلة .

وبلغة الخزرج : ينفَضُّوا : يذهبوا .

وبلغة مدين : فاقض : فامض[1] . انتهى . ما ذكره أبو القاسم ملخصا .

[اللغات فى القرآن]

وقال أبو بكر الواسطى فى كتابه « الإرشاد فى القراءات العشر » :

فى القرآن من اللغات خمسون لغة : لغة قريش ، وهذيل ، وكنانة ، وخثعم ، والخزرج ، وأشعر ، ونمير ، وقيس عيلان ، وجُرْهم ، واليمن ، وأزد شنوءة ،

---

(١) فى الإتقان : فافرق : فاقض .

وكندة ، وتيم ، وحمير ، ومدين ، ولخم ، وسعد العشيرة ، وحضرموت ، وسدوس ، والعمالقة ، وأنمار ، وغسان ، ومدلج[١] ، وخزاعة ، وغَطَفان ، وسبأ ، وعمان ، وبنو حنيفة ، وثعلبة ، وطى ، وعامر بن صعصعة ، وأوس ، ومزينة ، وثقيف ، وجذام ، وبلىّ ، وعُذْرة ، وهوازن ، والنمر ، واليمامة .

ومن غير [٣٦ ا] العربية : الفرس ، والنبط[٢] ، والروم ، والحبشة ، والبربر ، والسريانية ، والعبرانية ، والقبط . ثم ذكر فى أمثلة ذلك غالب ما تقدم عن أبى القاسم ، وزاد الزجر : العذاب بلغة طيء[٣] . طائف من الشيطان : نخسة ، بلغة ثقيف . الأحقاف : الرمال بلغة ثعلبة .

وقال ابن الجوزى فى « فنون الأفنان » : فى القرآن بلغة همدان : الريحان : الرزق . والعيناء[٤] : البيضاء . والعبقرى : الطنافس .

وبلغة نصر بن معاوية : الختّار : الغدّار .

وبلغة عامر بن صعصعة : الحفدة : الخدم .

وبلغة ثقيف : العول : الميل .

وبلغة عك : الصُّور : القرن .

وقال ابن عبد البر فى « التمهيد » : قول من قال : نزل القرآن بلغة قريش معناه عندى الأغلب ؛ لأن غير لغة قريش موجودة فى جميع القراءات ؛ من تحقيق الهمزة ونحوها ؛ وقريش لا تهمز .

وقال الشيخ جمال الدين بن مالك : أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلا ،

---

(١) فى الاتقان : ومذحج .
(٢) فى ا : القبط — بالقاف ، تحريف ، لأنها ستأتى .
(٣) فى الاتقان : بلى . (٤) فى الاتقان : عين : بيض .

فإنه نزل بلغة التميميين ؛ كالإدغام في[1] : « ومَنْ يشاقّ اللهَ » . وفي[2] : « مَنْ يَرْتَدّ منكم عَنْ دِينه » ، فإن إدغام المجزوم لغة تميم ، ولهذا قلّ . والفك لغة الحجاز ، ولهذا كثر ، نحو : « وليُمْلِلِ » . « يُحْبِبكم الله » . « يمددْكم » . « واشدد به أزْرِي » . « ومن يحلِلْ عليه غَضَبي » .

قال : وقد أجمع القراء على نصب : « إلا اتِّبَاعَ الظن » ؛ لأن لغة الحجازيين التزام النصب في المنقطع ، كما أجمعوا على نصب[3] : « ما هذا بَشراً » ؛ لأن لغتهم إعمال ما .

وزعم الزمخشري في قوله[4] : « قل لا يَعْلَمُ مَنْ في السموات والأرض الغيب إلا اللهُ » — أنه استثناء منقطع جاء على لغة بني تميم[5] .

فائدة

قال الواسطي : ليس في القرآن حرف غريب من لغة قريش غير ثلاثة أحرف ؛ لأن كلام قريش سهل لين واضح ، وكلام العرب وحشي غريب ، فليس في القرآن إلا ثلاثة أحرف غريبة : «[6] فسيُنْغِضُونَ إليكَ رُءوسَهم » : وهو تحريك الرأس : «[7] مُقِيتا » : مقتدراً . «[8] فشَرِّدْ بهم » : سمع .

---

(١) الحشر : ٤ (٢) المائدة : ٥٤ (٣) يوسف : ٣١
(٤) النمل : ٦٥
(٥) في الكشاف (٢ — ١٤٩) : جاء على لغة تميم حيث يقولون : ما في الدار أحد إلا حمار ، يريدون ما فيها إلا حمار ، وكأن أحداً لم يذكر .
(٦) الاسراء : ٥١ (٧) النساء : ٨٥ (٨) الأنفال : ٥٧

الوجه الرابع عشر من وجوه إعجازه

عموم بعض آياته وخصوص بعضها

وهو[1] لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر ؛ وصيغته « كل » مبتدأة نحو[2] : « كلٌّ مَنْ عليها فانٍ » . أو تابعة ، نحو[3] : « فسجد الملائكةُ كلُّهم أجمعون » .

والذى والتى وتثنيتها وجمعهما ؛ نحو[4] : « والذى قال لوالديْه أفٍّ لكما » ؛ فإن المراد به كل من صدر منه هذا القول ، بدليل قوله بعد[5] : « أولئك الذين حقَّ عليهم القولُ فى أُمَمٍ » . «[6] والذين آمَنُوا وعَمِلوا الصالحاتِ أولئك أَصحابُ الجنَّةِ هم فيها خالدون » . «[7] لِلّذِين أحسَنُوا الْحُسْنَى وزيادة » . «[8] للذين اتَّقَوْا عند ربّهم جنّاتٌ » . «[9] واللائى يَئِسْنَ من المحيض ... » الآية . «[10] واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا ... » الآية . «[11] واللذانِ يأتيانِها منكم فآذُوهما » .

وأى . وما . ومن — شرطاً أو استفهاماً أو موصولا ، نحو[12] : « أيًّا ما تدعو فله الأسماءُ الحسنى » . «[13] إنكم وما تَعْبُدُونَ مِنْ دون الله حَصَبُ جَهَنَّمَ » . «[14] مَنْ يعمل سوءاً يُجْزَ به » .

---

(١) أى العام . (٢) الرحمن : ٢٦ (٣) الحجر : ٣٠
(٤) الأحقاف : ١٧ (٥) آية ١٨ من السورة نفسها .
(٦) البقرة : ٨٢ (٧) يونس : ٢٦ (٨) آل عمران : ١٥
(٩) الطلاق : ٤ (١٠) النساء : ١٥ (١١) النساء : ١٦
(١٢) الاسراء : ١١٠ (١٣) الأنبياء : ٩٨ (١٤) النساء : ١٢٣

والجمع المضاف ، نحو[١] : « يوصيكم الله فى أولادكم » . [والمعرف[٢] بأل ؛ نحو[٣] : قد أفلح المؤمنون . واقتلوا المشركين .

واسم الجنس المضاف، نحو[٤]:][٥] « فليَحْذَرِ الذين يخالِفُونَ عن أمره » ؛ أى كلّ أمرِ لله .

والمعرف بأل نحو[٦] : « وأحلّ اللهُ البَيْعَ » ؛ أى كل بيْع . «[٧] إنِ الإنسان لفى خُسْرٍ » ؛ أى كل إنسان ، بدليل : « إلاّ الذين آمنوا » . والنكرة فى سياق النفى والنهى ، نحو[٨] : « وإنْ مِنْ شىء إلا عندنا خزَائنُه » . «[٩] ذلك الكتابُ لا رَيْبَ فيه » . «[١٠] فلا رَفَثَ ولا فُسوقَ ولا جِدَالَ فى الحج » . « فلا[١١] تَقُلْ لهُمَا أُفٍّ » .

وفى سياق الشرط ، نحو[١٢] : « وإن أَحَدٌ من المشركين استجارك فأجِرْهُ حتى يسمَعَ كلامَ الله » .

وفى سياق الامتنان ، نحو[١٣] : « وأنزلنا من السماء ماء طَهُورا » .

فصل

العام على ثلاثة أقسام :

الأول : الباقى على عمومه ؛ قال القاضى جلال الدين البُلقينى : ومثاله عزيز ، إذ مَا مِنْ عامّ إلا ويتخيّل فيه التخصيص ؛ فقوله : « يأيها الناس اتّقُوا ربّكم »

---

(١) النساء : ١١ (٢) أى الجمع المعرف بأل . (٣) المؤمنون : ١
(٤) النور : ٦٣ (٥) من الاتقان . (٦) البقرة : ٢٧٥
(٧) العصر : ٢ (٨) الحجر : ٢١ (٩) البقرة : ٢
(١٠) البقرة : ١٩٧ (١١) الاسراء : ٢٣ (١٢) التوبة : ٦
(١٣) الفرقان : ٤٨

قد يخص منه غير المكلف . وحُرِّمَتْ عليكم الميتة خص منه حالة [٣٦ ب] الاضطرار وميتة السمك والجراد . وحرم الربا — خص منه العرايا .

وذكر الزركشي في البرهان[1] : أنه كثير في القرآن ، وأورد منه : «[2] إنّ اللهَ بكلِّ شيءٍ عليم » . «[3] إنّ اللهَ لا يَظْلِمُ الناسَ شيئاً » . «[4] ولا يظلم ربك أحداً» . « اللهُ [5] الذى خلقَكُمْ ثم رزَقَكُم ثم يُميتكم ثم يُحْيِيكُم » . «هو[6] الذى خلقكم مِنْ تُرابٍ ثم من نُطْفَةٍ » . «[7] اللهُ الذى جعل لكمُ الأرضَ قَراراً » .

قلت : هذه الآيات كلها في غير الأحكام الفرعية ، فالظاهر أن مراد البُلقيني أنه عزيز في الأحكام الفرعية . ولقد استخرجت من القرآن بعد الفكر آية فيها ، وهي قوله [8] : « حُرِّمَتْ عليكم أُمَّهَاتُكم... » الآية فإنه لا خصوص فيها .

الثاني : العام المراد به الخصوص .

الثالث : العام المخصوص ، وللناس بينهما فروق :

منها : أن الأول لم يرد شموله لجميع الأفراد ، لا من جهة تناول اللفظ ، ولا من جهة الحكم ؛ بل هو ذو أفراد استعمل في فرد منها . والثاني أريد عمومه وشموله لجميع الأفراد من جهة تناول اللفظ لها ، لا من جهة الحكم .

ومنها: أن الأول مجاز قطعاً لنقل اللفظ عن موضوعه الأصلي ، بخلاف الثاني ؛ فإن فيه مذاهب أصحها أنه حقيقة ، وعليه أكثر الشافعية وكثير من الحنفية وجميع الحنابلة ؛ ونقله إمام الحرمين عن جميع الفقهاء .

---

(١) البرهان : ٢ — ٢١٧ (٢) المجادلة : ٧
(٣) يونس : ٤٤ (٤) الكهف : ٤٩ (٥) الروم : ٤٠
(٦) غافر : ٦٧ (٧) غافر : ٦٤ (٨) النساء : ٢٣

وقال الشيخ أبو حامد : إنه مذهب الشافعي وأصحابه ، وصححه السبكي ؛ لأن تناول اللفظ للبعض الباقي بعد التخصيص كتناوله بلا تخصيص ؛ وذلك التناولُ حقيقي اتفاقاً ، فليكن هذا التناول حقيقياً أيضا .

ومنها أن قرينة الأول عقلية ، والثاني لفظية .

ومنها أن قرينة الأول لا تنفك عنه ، وقرينة الثاني تنفك عنه .

ومنها أن الأول يصح أن يراد به واحد اتفاقاً ، وفي الثاني خلاف .

ومن أمثلة العام المراد به الخصوص قوله تعالى[1] : « الذين قال لهم الناسُ إنّ الناسَ قد جمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ فزادَهُمْ إيمانا » ، والقائل واحد نعيم ابن مسعود الأشجعي أو أعرابي من خُزَاعة ، كما أخرجه ابن مردويه من حديث أبي رافع ، لقيامه مقام كثير في تثبيطه المؤمنين عن ملاقاة أبي سفيان .

قال الفارسي : ومما يقوي أن المراد به واحد[2] : إنّمَا ذَلِكُمُ الشيطانُ ، [فوقعت الإشارة بقوله «ذلكم» إلى واحد بعينه ، ولو كان المعنىّ به جمعا لقال : إنما أولئكم الشيطان ؛][3] فهذه دلالة ظاهرة في اللفظ .

ومنها قوله تعالى[4] : «أم يَحْسُدُونَ الناسَ على ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِه » ؛ أي رسول الله صلى الله عليه وسلم لجمعه ما في الناس من الخصال الحميدة .

ومنها قوله[5]: « ثم أفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أفاضَ الناسُ » . أخرج ابن جرير من طريق الضحاك ، عن ابن عباس ، في قوله : « من حيثُ أفاض الناسُ » ؛ قال إبراهيم .

---

(١) آل عمران : ١٧٣ (٢) آل عمران : ١٧٥

(٣) من الانقان ، والبرهان : ٢ ــ ٢٢٠

(٤) النساء : ٥٤ (٥) البقرة : ١٩٩

ومن الغريب قراءةُ سعيد بن جُبير : من حيث أفاض الناسى . قال فى المحتسب : يعنى آدم ، لقوله : فنَسِىَ ولم نجد له عَزْماً .

ومنها قوله[1] : « فنادَتْه الملائكةُ وهو قائمٌ يصلِّى فى المِحْراب » ؛ أى جبريل ، كما فى قراءة ابن مسعود .

وأما المخصوص فأمثلته فى القرآن كثيرة جداً ، وهى أكثر من المنسوخ ؛ إذ ما من عام [فيه][2] إلا وقد خص ؛ ثم المخصص له إما متصل ، وإما منفصل ؛ فالمتصل خمسة وقعت فى القرآن :

أحدها : الاستثناء ؛ نحو[3] : « والذينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثم لم يَأْتوا بأربعة شهداء فاجْلِدُوهم ثمانين جلدة ولا تَقْبَلُوا لهم شهادةً أبداً وأولئك هم الفاسقون. إلا الذين تابوا » . « [4] والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهم الغَاوُون . أَلَمْ تَرَ أنهم فى كل وادٍ يَهِيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون . إلاّ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصالحات... » الآية . «[5] ومَنْ يَفْعَلْ ذلك يَلْقَ أثاماً ... » إلى قوله : « إلا مَنْ تاب » . «[6] والمُحْصَنَاتِ مِنَ النِّساءِ إلاّ ما ملكَتْ أيمانكم» . «[7] كلّ شىء هالكٌ إلاّ وَجْهَه » .

الثانى : الوصف ، نحو[8] « ورَبَائبكم اللاتى فى حُجُورِكم مِنْ نسائكم اللاتى دخلْتُم بهنّ » .

الثالث : الشرط ، نحو[9]: «والذين يَبْتَغُون الكتابَ مما ملكَتْ أيمانكم فكاتبُوهم إنْ علمتم فيهم خيراً» . «[10] كُتِبَ عليكم إذا حضر أحدكم الموتُ إنْ ترك خَيْراً الوصية » .

---

(١) آل عمران : ٣٩ (٢) ليس فى الاتقان . (٣) النور : ٤
(٤) الشعراء : ٢٢٤ — ٢٢٧ (٥) الفرقان : ٦٨
(٦) النساء : ٢٤ (٧) القصص : ٨٨ (٨) النساء : ٢٣
(٩) النور : ٣٣ (١٠) البقرة : ١٨٠

الرابع : الغاية ، نحو[1]: قاتِلُوا الذين لا يُؤْمِنُون بالله ولا باليوم الآخر... إلى قوله : « حتى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ » . «[2] ولا تَقْرَبُوهُنَّ حتى يَطْهُرْن » . «[3]ولا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُم حتى يَبْلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّه » . «[4] وكلوا واشربوا حتى يَتَبَيَّن ... » الآية .

الخامس: بدل البعض من الكل [١٣٧ ا] نحو[5] : «ولله على الناسِ حِجُّ البيتِ مَنِ استطاعَ إليه سبيلا » .

والمخصص[6] آية أخرى فى محل آخر ، أو حديث ، أو إجماع ، أو قياس .

فمن أمثلة ما خص بالقرآن قوله تعالى[7] : « والمطلَّقات يتربَّصْنَ بأنفسهنَّ ثلاثة قُرُوء » ، خص بقوله[8] : « إذا نكحتم المُؤْمنات ثم طلَّقْتموهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تمسُّوهنَّ فما لكم عليهنَّ مِنْ عدَّةٍ تعتدُّونها » ؛ وبقوله[9]: « وأُولَاتُ الأحمالِ أجلُهنَّ أَنْ يضَعْنَ حَمْلَهُنَّ » . وقوله[10] : « حُرِّمَتْ عليكم الميتة والدَّمُ ولحمُ الخنزير » . خص من الميتة السمك بقوله[11] : « أُحلَّ لكم صَيْدُ البَحْرِ وطعامُه متاعاً لكم وللسَّيَّارَةِ » . ومن الدم الجامد بقوله[12] : « أو دَماً مَسفوحاً » . وقوله[13]: « وآتَيْتُمْ إحْداهُنَّ قِنْطاراً فلا تأْخُذُوا منه شيئا ... » الآية . خص بقوله[14] : « فلا جُناحَ عليهما فيما افتدَتْ به » . وقوله[15] : « الزَّانيةُ والزانى فاجلِدوا كلَّ واحد منهما مائةَ جلدة » . خص بقوله[16] :

---

(١) التوبة : ٢٩ . (٢) البقرة : ٢٢٢ (٣) البقرة : ١٩٦
(٤) البقرة : ١٨٧ (٥) آل عمران : ٩٧
(٦) فى الإتقان : والمنفصل . (٧) البقرة : ٢٢٨
(٨) الأحزاب : ٤٩ (٩) الطلاق : ٤ (١٠) المائدة : ٣
(١١) المائدة : ٩٦ (١٢) الأنعام : ١٤٥ (١٣) النساء : ٢٠
(١٤) البقرة : ٢٢٩ (١٥) النور : ٢ (١٦) النساء : ٢٥

« فعليهنّ نصفُ ما على المُحصَنات من العذاب » . وقوله[١] : « فانكحوا ما طابَ لكم مِنَ النساء » . خص بقوله[٢] : « حُرِّمَتْ عليكم أُمهاتُكم ... » الآية .

ومن أمثلة ما خص بالحديث قوله تعالى : « وأَحلّ اللهُ البَيْعَ » . خص منه البيوع الفاسدة ، وهى كثيرة ، بالسنّة . وحرم الربا . خص العرايا[٣] منه بالسنّة . وآيات المواريث خص منها القاتل والمخالف فى الدين بالسنة .

وآية تحريم الميتة خص منها الجراد بالسنة . وآية ثلاثة قروء خص منها الأمَة بالسنة .

وقوله : ماءً طَهوراً ، خص منه المتغير بالسنّة . وقوله : « والسارِق والسارِقة» خص منهما مَنْ سرق دون ربع [دينار][٤] بالسنة .

ومن أمثلة ما خص بالإجماع آية المواريث ؛ خص منها الرقيق فلا يرث بالإجماع ، ذكره مكّى .

ومن أمثلة ما خص بالقياس آية الزنا[٥] : « فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جَلْدَة » خص منه العبد بالقياس على الأمة المنصوصة فى قوله[٦] : « فعَلَيْهِنَّ نِصْفُ ما على المُحْصَنَاتِ من العذاب » المخصص لعموم الآية ؛ ذكره مكىّ أيضاً .

---

(١) النساء : ٣ (٢) النساء : ٢٣

(٣) العرايا : واحدتها عرية ، وهى النخلة يعريها صاحبها رجلا محتاجاً . والإعراء أن يجعل له ثمرة عامها (اللسان) .

(٤) من الاتقان . (٥) النور : ٢ (٦) النساء : ٢٥

فصل

من خاص القرآن ما كان مخصصاً لعموم السنَّة ، وهو عزيز . ومن أمثلته قوله تعالى[1] : « حتى يُعطُوا الجزْيَةَ عن يَدٍ » . خص عموم قوله صلى الله عليه وسلم : أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتى يقولوا لا إله إلا الله .

وقوله[2] : « حافِظُوا على الصَّلَوَاتِ والصلاةِ الوُسْطَى » .خص عموم نَهْيِه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى الأوقات المكروهة بإخراج الفرائض .

وقوله[3] : « ومِنْ أصوافها وأوْبَارِها ... » الآية . خص عموم قوله صلى الله عليه وسلم : ما أُبِين مِنْ حَيّ فهو ميتة .

وقوله[4] : « والعامِلينَ عليها والمؤَلَّفَةِ قلوبُهم » . خص عموم قوله صلى الله عليه وسلم : لا تحلُّ الصدقةُ لِغَنِيّ ولا لذِى مِرّة سوِىّ .

وقوله[5] : « فقاتلوا التى تَبْغِى حتى تَفِيءَ إلى أمرِ الله » . خص عموم قوله صلى الله عليه وسلم : إذا الْتَقَى المسلمانِ بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار .

فروع

مثنورة تتعلق بالعموم والخصوص

الأول — إذا سِيقَ العام للمدح أو الذم فهل هو باق على عمومه ؟ فيه مذاهب :

(١) التوبة : ٢٩
(٢) البقرة : ٢٣٨
(٣) النحل : ٨٠
(٤) التوبة : ٦٠
(٥) الحجرات : ٩

أحدها : نعم ؛ إذ لا صارف عنه ، ولا تنافى بين العموم وبين المدح أو الذم .

والثانى : لا ؛ لأنه لم يُسَقْ للتعميم ؛ بل للمدح أو الذم .

والثالث — وهو الأصح : التفصيل ، فيعم إن لم يعارضه عام آخر لم يُسق لذلك ، ولا يعم إن عارضه ذلك جمعاً بينهما .

مثاله ، ولا مُعارِض ، قوله تعالى[1] : « إنَّ الأبرارَ لفى نعيم . وإنَّ الفجّار لفى جَحيم » . ومع المعارض قوله[2] : « والذين هُمْ لفُروجهم حافظون . إلّا على أزواجهم أو ما ملكَتْ أيمانهم » ؛ فإنه سِيقَ للمدح ، وظاهِرُهُ يَعُمُّ الأُخْتَيْن بملك اليمين جمعاً ؛ وعارضه فى ذلك[3] : « وأن تَجْمَعُوا بين الأختين » ، فإنه شامل لجمعهما بملك اليمين ، ولم يُسَق للمدح ؛ فحمل الأول على غير ذلك بأن لم يرد تناوله له .

ومثاله فى الذم[4] : « والذين يَكْنِزُونَ الذهبَ والفضّة ... » الآية — فإنه سيق للذم ، وظاهره يعم الحلى المباح . وعارضه فى ذلك حديث جابر : ليس فى الحلى زكاة ؛ فحمل الأول على غير ذلك .

الثانى — اختلف فى الخطاب الخاص به صلى الله عليه وسلم ؛ نحو : « يأيها النبى » . «يأيها الرسول » ؛ هل يشمل الأمّة ؟ [٣٧ ب] فقيل : نعم ؛ لأن أمر القدوة[5] أمر لأتباعه معـــه عرفاً . والأصح فى الأصول المنع لاختصاص الصفة[6] به .

---

(١) الانفطار : ١٤ (٢) المؤمنون . ٥ (٣) النساء : ٢٣

(٤) التوبة : ٣٤ (٥) فى ب : لأن الأمر للقدوة .

(٦) فى الإتقان : الصيغة .

الثالث — اختلف فى الخطاب بيأيها الناس ، هل يشمل الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ على مذاهب :

أصحها — وعليه الأكثرون : نعم ،لعموم الصفة[1] له ، أخرج ابن أبى حاتم عن الزهرى ، قال : إذا قال الله : يأيها الذين آمنوا افعلوا ، فالنبى صلى الله عليه وسلم منهم .

والثانى : لا ؛ لأنه ورد على لسانه لتبليغ غيره ، ولما له من الخصائص .

والثالث : إن اقترن بقُلْ لم يشمله ؛ لظهوره فى التبليغ ، وذلك قرينةُ عدم شموله ، وإلا فيشمله .

الرابع : الأصح فى الأصول أن الخطاب بيأيها الناس يشمل الكافر والعبد ؛ لعموم اللفظ . وقيل : لا يعم الكافر بناء على عدم تكليفه فى الفروع[2] ، ولا العبد لصَرْف منافعه لسيده شرعاً .

الخامس : اختلف فى « مَنْ » هل يتناول الأنثى ؟ فالأصح : نعم ، خلافاً للحنفية ؛ لنا قوله تعالى[3] : « ومَنْ يعمَلْ من الصالحات مِنْ ذكرٍ أو أنثى » — فالتفسير بهما دالٌّ على تناول « مَنْ » لهما . وقوله[4]: «ومن يَقْنُتْ مِنْكُنَّ للهِ ورسوله » .

واختلف فى جمع المذكر السالم هل يتناولها ؟ فالأصح لا . وإنما يدخلن فيه بقرينة . أما المكسّر فلا خلاف فى دخولهن فيه .

السادس : اختلف فى الخطاب بيأهل الكتاب ، هل يشمل المؤمنين ؟

---

(١) فى الاتقان : الصيغة .

(٢) فى الاتقان : بالفروع .

(٣) النساء : ١٢٤

(٤) الأحزاب : ٣١

فالأصحُّ لا ؛ لأن اللفظ قاصر على من ذكر . وقيل : إن شركوهم فى المعنى شملهم وإلا فلا .

واختلف فى الخطاب بيأيها الذين آمنوا — هل يشمل أهل الكتاب ؟ فقيل : لا — بناء على أنهم غير مخاطبين بالفروع . وقيل : نعم ، واختاره ابن السمعانى . وقيل قوله : يأيها الذين آمنوا خطاب تشريف لا تخصيص .

* * *

الوجه الخامس عشر من وجوه إعجازه

ورود بعض آياته مجملة وبعضها مبيّنة

وفى ذلك من حسن البلاغة ما يعجز عنه أولو الفصاحة ، لكن هل يجوز بقاؤه مجملا أم لا ؟ أقوال . أصحها لا يبقى المكلف بالعمل به بخلاف غيره .

وللإجمال أسباب :

أحدها — الاشتراك ، نحو[1] : « والليل إذا عَسْعَس » ، فإنه[2] موضوع لأقبل وأدبر . «[3] ثلاثة قُرُوء » ، فإن القُرْءَ موضوع للحَيْض والطهر . «[4] أو يَعْفُو الذى بيده عُقدة النكاح » — يحتمل الزوج والولىّ ؛ فإن كلا منهما بيده عقدة النكاح .

وثانيها — الحذف ، نحو[5] : « وترغَبُونَ أنْ تنكِحُوهنّ » ، يحتمل فى ، وعَنْ .

وثالثها — اختلاف مرجع الضمير ، نحو[6] : « إليه يَصعدُ الكَلِمُ الطيِّبُ

(١) التكوير : ١٧

(٢) فى البرهان (٢ — ٢٠٩) : قيل أقبل ، وأدبر .

(٣) البقرة : ٢٢٨ (٤) البقرة : ٢٣٧ (٥) النساء : ١٢٧

والعملُ الصالحُ يرفعه » . يحتمل عود ضمير الفاعل فى يرفعه إلى ما عاد عليه ضميرُ إليه ؛ وهو الله ، ويحتمل عَوْده على العمل . والمعنى إن العمل الصالح هو الذى يرفع الكلم الطيب.

ويحتمل عوده إلى الكلم الطيب ؛ أى أن الكلم الطيب — وهو التوحيد — يرفع العمل الصالح ؛ لأنه لا يصح العمل إلا مع الإيمان .

ورابعها — احتمال العطف والاستئناف ، نحو[1] : « إلا اللهُ والرّاسِخُونَ فى العلم يقولون » .

وخامسها — غرابةُ اللفظ ، نحو[2] : « فلا تَعْضُلُوهُنّ » .

وسادسها — عدم كثرة الاستعمال ، نحو[3] : « يُلْقُونَ السَّمْعَ » ؛ أى يسمعون . «[4] ثانى عِطْفِه » ؛ أى متكبِّراً . «[5] فأصبح يقَلِّبُ كفَّيْه » ؛ أى نادماً .

وسابعها — التقديم والتأخير ، نحو[6] : «ولولا كلمةٌ سبقَتْ مِنْ رَبِّكَ لكان لِزَاماً وأجلٌ مُسَمًّى » . [أى : ولولا كلمة وأجَل مسمى لكان لزاماً][7] . «[8] يسألونك كأنك حَفِيٌّ عنها » ، أى يسألونك عنها كأنك حَفِيّ .

وثامنها — قلب المنقول ، نحو[9] : « طُورِ سِينِينَ » ، أى . سيناء « على[10] إلْ يَاسين » . أى الياس[11] .

---

(١) آل عمران : ٧ (٢) البقرة : ٢٣٢ (٣) الشعراء : ٢٢٣

(٤) الحج : ٩ (٥) الكهف : ٤٢ (٦) طه : ١٢٩

(٧) من الاتقان : والبرهان . (٨) الأعراف : ١٨٧

(٩) التين : ٢ ، وفى البرهان : من جهة المنقول المنقلب .

(١٠) الصافات : ١٣٠ (١١) فى البرهان : الناس .

وتاسعها ـ التكرير القاطع لوصل الكلام فى الظاهر ، نحو[1] : « للَّذِينَ استُضْعِفُوا لمن آمَنَ منهم » .

فصل

قد يقع التبيين متصلا ؛ نحو[2] : « من الفَجْر » بعد قوله[2] : « الخيْط الأبيض من الخيْطِ الأسود » . ومنفصلا فى آية أخرى ، نحو[3] : « فإنْ طلَّقَهَا فلا تَحِلُّ له مِنْ بَعْدُ حتى تَنْكِحَ زَوْجاً غيره » [١٣٨] بعد قوله[3] : « الطلاقُ مرّتان » ، فإنها بينت أن المراد به الطلاق الذى تملك الرّجْعة بعده ؛ ولولاها لكان الكل منحصراً[4] فى الطلْقَتَيْن .

وقد أخرج أحمد وأبو داود فى ناسخه ، وسعيد بن منصور وغيرهم ، عن ابن[5] سعيد الأسدى ، قال : قال رجل : يا رسول الله ؛ الطلاق مرتان ، فأين الثالثة ؟ قال : [أو تسريح بإحسان .

وأخرج ابن مردويه عن أنس ، قال : قال رجل : يا رسول الله ، ذكر الله الطلاق مرتين ، فأين الثالثة ؟ قال :][6] «إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان» .

وقوله[7] : «وُجُوهٌ يَوْمئذٍ ناضِرَةٌ ، إلى ربّها ناظِرَةٌ » — دال على جواز الرؤية، ويفسر أن المراد بقوله : لا تدركه الأبصار: لا تحيط به دون لا تراه[8].

---

(١) الأعراف : ٧٥ (٢) البقرة : ١٨٧

(٣) البقرة : ٢٢٩ ، ٢٣٠

(٤) فى البرهان : لولا هذه القرينة . (٥) فى الإتقان : عن أبى رزين .

(٦) من الإتقان . (٧) القيامة : ٢٢ ، ٢٣

(٨) فى البرهان (٢ ـ ٢١٦) : فإنه دل على جواز الرؤية ويفسر به قوله تعالى : لا تدركه الأبصار . حيث كان متردداً بين نفى الرؤية أصلا وبين نفى الإحاطة والحصر دون أصل الرؤية .

وقد أخرج ابن جرير من طريق العَوْفى، عن ابن عباس، فى قوله : «لا تدركه الأبصار » ؟ قال : لا تحيط به .

وأخرج عن عكرمة أنه قيل له عند ذكر الرؤية : أليس قد قال : « لا تدركه الأبصار » ؟ فقال : أفلست ترى السماء أفكلها تُرى ؟

وقوله تعالى[١] : « أُحِلَّتْ لكم بَهِيمةُ الأنعام إلا ما يُتْلَى عليكم » — فسره قوله[٢]: « حُرِّمَتْ عليكم المَيْتَةُ ... » الآية .

وقوله[٣]: « مالك يَوْمِ الدِّين » . فسره قوله[٤] : « وما أَدْرَاكَ ما يومُ الدين . ثم ما أَدْرَاكَ ما يومُ الدين . يوم لا تملكُ نَفْس ... » الآية .

وقوله[٥] : « فتلَقّى آدمُ مِنْ رَبِّه كلماتٍ » . فسره قوله[٦]: « قالا ربنا ظلَمْنَا أَنْفُسَنا ... » الآية .

وقوله[٧] : « وإذا بُشِّرَ أَحَدُهم بما ضَرَب للرَّحْمٰن مَثَلًا » . فسره قوله فى آية النحل[٨] : « بالأنثى » .

وقوله[٩] : « وأَوْفوا بعَهدى أُوفِ بعَهْدِكم » . قال العلماء : بيانُ هذا العهد قوله[١٠] : « لَئِن أقَمْتُم الصلاةَ وآتيتُم الزكاةَ وآمنتُم برُسلى ... » الخ . فهذا عهده ، وعهدكم : « لأُكفرنّ عنكم سيئاتكم ... » الخ .

وقوله[١١] : « صراطَ الذين أنعمْتَ عليهم » — بيّنه قوله[١٢] : « فأولئك مع الذين أنْعَمَ اللهُ عليهم من النبيين ... » الآية .

---

(١) المائدة : ١ — (٢) المائدة : ٣ والآية التى قبلها رقم ١ من السورة نفسها .
(٣) الفاتحة : ٤ — (٤) الانفطار : ١٧ ، ١٨ ، ١٩
(٥) البقرة : ٣٧ — (٦) الأعراف : ٢٣ — (٧) الزخرف : ١٧
(٨) آية ٥٨ — (٩) البقرة : ٤٠ — (١٠) المائدة : ١٢
(١١) الفاتحة : ٧ — (١٢) النساء : ٦٩

وقد يقع التبيينُ بالسنّة ، مثل : وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . ولله على الناس حجُّ البيت . وقد بينت السنّةُ أفعال الصلاة والحج ومقادير نُصب الزكاة فى أنواعها .

تنبيه

اختلف فى آيات ؛ هل هى من قبيل المجمل أم لا ؟

منها آية السرقة ؛ قيل : إنها مجملة فى اليد ؛ لأنها تطلق على العضو إلى الكوع ، وإلى المرفق ، وإلى المنكب . وفى القطع ؛ لأنه يطلق على الإبانة ، وعلى الجرح ؛ ولا ظهور لواحد من ذلك . وإبانة الشارع إلى الكوع تبيّن أن المراد ذلك .

وقيل : لا إجمال فيها ؛ لأن القطع ظاهر فى الإبانة .

ومنها[1] : « وامسحوا برءوسكم » . قيل إنها مجملة ؛ لترددها بين مسح الكل والبعض ؛ ومسح الشارع الناصية مُبيِّنٌ لذلك .

وقيل : لا ؛ وإنما هى لمطلق المسح الصادق بأقل ما ينطلق عليه الاسم ويفيده .

ومنها[2] : « حُرِّمَتْ عليكم أمهاتكم » . قيل : إنها مجملة ؛ لأن إسناد التحريم إلى العين لا يصح ؛ لأنه إنما يتعلق بالفعل ، فلا بد من تقديره ، وهو محتمل لأمور لا حاجة إلى جميعها ولا مرجح لبعضها .

وقيل : لا ، لوجود المرجح ، وهو العرف ، فإنه يَقْضِى بأن المراد تحريم الاستمتاع بوطء أو نحوه ؛ ويجرى ذلك فى كل ما يجرى فيه التحريم والتحليل بالأعيان .

---

(١) المائدة : ٦ (٢) النساء : ٢٣

ومنها[1] : « وأحلَّ اللهُ البَيْعَ وحرَّمَ الربا » . قيل : إنها مجملة ؛ لأن الربا الزيادة ، وما من بيعٍ إلا وفيه زيادة ، فافتقر إلى بيان ما يحل وما يحرم .

وقيل : لا ؛ لأن البيع منقول شرعاً، فحمل على عمومه، ما لم يقم دليل التخصيص.

وقال الماوردى : للشافعى فى هذه الآية أربعة أقوال :

أحدها — أنها عامة ؛ فإن لفظها لفظُ عموم يتناول كل بيع ، ويقتضى إباحة جميعها إلا ما خصه الدليل . وهذا القول أصحها عند الشافعى وأصحابه ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام نهى عن بيوع كانوا يعتادونها ولم يبين الجائز ؛ فدل على أن الآية تناولت إباحةَ جميع البيوع إلا ما خص منها ، فبيَّن صلى الله عليه وسلم المخصوص .

قال : فعلى هذا فى العموم قولان: أحدهما أنه عموم أريد به العموم وإن دخله التخصيص . والثانى : أنه عموم أريد به الخصوص، قال : والفرق بينهما أن البيان فى الثانى متقدم على اللفظ ، وفى الأول متأخر عنه ومقترن به . قال : وعلى القولين يجوز الاستدلال بالآية فى المسائل المختلف فيها ما لم يَقُمْ دليل تخصيص .

والقول الثانى أنها مُجْمَلة لا يعقل [٣٨ ب] منها صحةُ بَيعٍ مِنْ فساده إلا ببيان النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ثم قال : هل هى مجملة بنفسها أم بعارض ما نُهى عنه من البيوع؟ وجهان . وهل الإجمال فى المعنى المراد دون لفظها ؛ لأن لفظ البيع اسم لغوى معناه معقول ، لكن لما قام بإزائه من السنّة ما يعارضه تدافع العمومان ولم يتعين المراد إلا ببيان السنة ؛ فصار مجملا لذلك دون اللفظ ، أو فى اللفظ أيضاً ؛ لأنه لما لم يكن المراد منه ما وقع عليه الاسم وكانت له شرائط غير معقولة فى اللغة كان مشكلا أيضاً ؟ وجهان .

---

(١) البقرة : ٢٧٥

قال : وعلى الوجهين لا يجوز الاستدلالُ بها على صحة بَيْع ولا فساده ، وإن دلت على صحة البيع من أصله . قال : وهذا هو الفرق بين العموم والمجمل حيث جاز الاستدلال بظاهر العموم ولم يجز الاستدلال بظاهر المجمل .

والقول الثالث أنها عامة مجملة معاً ؛ قال : واختُلِف فى وجه ذلك على أوجه :

أحدها : أن العموم فى اللفظ، والإجمال فى المعنى، فيكون اللفظ عاماً مخصوصاً ، والمعنى مجملا لحقَه التفسير .

والثانى : أن العموم فى : وأحلَّ اللهُ البَيْعَ ، والإجمال فى : وحرَّم الربا .

والثالث : أنه كان مجملا ، فلما بيَّنه النبى صلى الله عليه وسلم صارَ عامًّا ، فيكون داخلا فى المجمل قبل البيان ، وفى العموم بعد البيان ؛ فعلى هذا يجوز الاستدلال بظاهرها فى البيوع المختلف فيها .

والقول الرابع : أنها تناولت بيعاً معهوداً ، ونزلت بعد أن أحل النبىّ صلى الله عليه وسلم بيوعاً وحرم بيوعاً ، فاللام للعهد ؛ فعلى هذا لا يجوز الاستدلال بظاهرها .

ومنها الآيات التى فيها الأسماء الشرعية ، نحو[1] : « وأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاة » . «[2] فمن شهِدَ منكم الشَّهْرَ فلْيَصُمْه » . « [3] ولله على الناس حِجُّ البيتِ مَنِ استطاع إليه سبيلا » . قيل : إنها مجملة لاحتمال الصلاة لكل دعاء ، والصيام لكل إمساك ، والحج لكل قَصْد ؛ والمراد بها لا تدل عليه اللغة ؛ فافتقرت إلى البيان .

وقيل : لا ، بل تُحمل على كل ما ذُكر إلا ما خص بدليل .

---

(١) المزمل : ٢٠ (٢) البقرة : ١٨٥ (٣) آل عمران : ٩٧

تنبيه

قال ابن الحصّار : من الناس من جعل المجمل والمحتمل بإزاء شيء واحد . والصواب أن المجمل المبهم الذى لا يُفهم المراد منه . والمحتمل اللفظ الواقع باللفظ[1] الأول على معنيين مفهومين فصاعدا ، سواء كان حقيقة فى كلها أو فى بعضها . فالفرق بينهما أن المجمل يدل على أمور معروفة ، واللفظ مشترك متردد بينها . والمبهم لا يدل على أمر معروف مع القطع بأن الشارع لم يُفضِ[2] لأحد ببيان المجمل ، بخلاف المحتمل .

* * *

الوجه السادس عشر من وجوه إعجازه

الاستدلال بمنطوقه أو بمفهومه

وهو[3] ما دل عليه اللفظ فى محل النطق ، فإن أفاد معنى لا يحتمل غيره فالنص ؛ نحو[4] : « فَصِيَامُ ثلاثة أيام فى الحج وسبعةٍ إذا رجعْتُم تلك عَشرةٌ كاملة » . وقد نقل عن قوم من المتكلمين أنهم قالوا بندور النص جداً فى الكتاب والسنة . وقد بالغ إمام الحرمين وغيره فى الرد عليهم ؛ قال : لأن الغرض من النص الاستقلال بإفادة المعنى على قطعٍ ، مع انحسام جهات التأويل والاحتمال ، وهذا وإن عزّ حصوله بوضع الصيغ رداً إلى اللغة فما أكثره مع القرائن الحالية والمقالية . انتهى .

(١) فى الإتقان : بالوضع الأول .
(٢) فى الاتقان : يفوض بأن .
(٣) أي المنطوق .
(٤) البقرة : ١٩٦

أو مع احتمال غيره احتمالا مرجوحاً ؛ فالظاهر ، نحو[1] : « فَمَنِ اضْطُرَّ غير باغٍ ولا عَادٍ » . فإن الباغى يطلق على الجاهل وعلى الظالم ، وهو فيه أظهر وأغلب. ونحو[2] : « ولَا تَقْرَبُوهُنَّ حتى يَطْهُرْنَ » ؛ فإنه يقال الانقطاع[3] ظاهره الوضوء والغسل ، وهو فى الظاهر[4] أظهر .

وإن حمل على المرجوح لدليل فهو تأويل ، ويسمى المرجوح المحمول عليه مؤولا ، وهو كقوله[5] : « وهو مَعَكُمْ أَيْنَ ما كنتم » ؛ فإنه يستحيل حمل المعيّة على القُرب بالذات ، فتعين صَرْفُه عن ذلك ، وحمله على القدرة والعلم ، أو على الحفظ والرعاية .

وكقوله[6] : « واخْفِضْ لهما جَنَاحَ الذُّلِّ من الرحمة » ؛ فإنه يستحيل حمله على الظاهر ؛ لاستحالة [١٣٩ ا] أن يكون للانسان أجنحة ؛ فيُحمل على الخضوع وحسن الخلق .

وقد يكون مشتركا بين حقيقتين أو حقيقة ومجاز ويصلح حمله عليهما جميعاً ، فيُحمل عليهما سواء ، فلهذا قلنا هل يجوز استعمال اللفظ فى معنييه أم لا ؟ ووجهه على هذا أن يكون اللفظ قد خوطب به مرتين : مرة أريد هذا ، ومرة أريد هذا . ومن أمثلته أيضاً[7] : « ولَا يُضَارَّ كاتِبٌ ولا شَهِيد » ، فإنه يحتمل ولا يضار الكاتبُ والشهيد صاحبَ الحق بجَوْرٍ فى الكتابة والشهادة ، ولا يضارر —

---

(١) البقرة : ١٧٣ (٢) البقرة : ٢٢٢

(٣) أى انقطاع الدم . وفى الإتقان يقال للانقطاع طهر وللوضوء . . وفى القرطبى : وإنما الخلاف فى الطهر ما هو ؟ فقال قوم : هو الاغتسال بالماء . وقال قوم : هو وضوء كوضوء الصلاة . وقال قوم : هو غسل الفرج .

(٤) فى الإتقان : فى الثانى . (٥) الحديد : ٤

(٦) الإسراء : ٢٤ (٧) البقرة : ٢٨٢

بالفتح : أى لا يضرها صاحبُ الحق بإلزامهما ما لا يلزمهما وإجبارهما على الكتابة والشهادة .

ثم إن توقفت صحة دلالة اللفظ على إضمارٍ سُميت دلالة اقتضاء ؛ نحو[1] : « واسأل القرية » ، أى أهلها ، وإن لم تتوقف ودل اللفظ على ما لم يقصد به سميت دلالة إشارة ؛ كدلالة قوله تعالى[2] : « أُحِلَّ لكم ليلةَ الصيام الرَّفَثُ إلى نسائكم » — على صحة صَوْم من أصبح جُنُباً ؛ إذ إباحة الجماع إلى طلوع الفجر تستلزم كونه جنباً فى جزء من النهار . وقد حُكى هذا الاستنباط عن محمد بن كعب القُرَظى .

فصل

والمفهوم ما دل عليه اللفظ لا فى محل النطق ؛ وهو قسمان : مفهوم موافقة ، ومفهوم مخالفة .

فالأول : ما يوافق حكمه المنطوق ، فإن كان أولى سُمّى فحوى الخطاب ، كدلالة[3] : « فلا تَقُلْ لهما أُفّ » — على تحريم الضرب لأنه أشد . وإن كان مساوياً سمى لحن الخطاب ، أى معناه ، كدلالة[4] : « إن الذين يأكلون أموالَ اليتامَى ظُلْماً » — على تحريم الإحراق ؛ لأنه مساو للأكل فى الإتلاف .

واختلف هل دلالة ذلك قياسية أو لفظية ، مجازية أو حقيقية ؟ على أقوال بيناها فى كتبنا الأصولية .

والثانى : ما يخالف حكمه المنطوق ، وهو أنواع : مفهوم صفة ، نعتاً كان

---

(١) يوسف : ٨٢
(٢) البقرة : ١٨٧
(٣) الإسراء : ٢٣
(٤) النساء : ١٠

أو حالا أو ظرفاً أو عدداً ، نحو[1] : « إنْ جاءَكم فاسقٌ بِنَبأ فتبَيَّنُوا » ، مفهومه أن غير الفاسق لا يجب التبين[2] فى خبره ، فيجب قبول خبر الواحد العـدل . «[3] وَلا تباشِرُوهُنَّ وأنتم عاكِفُونَ فى المساجد » . «[4] الحجُّ أَشْهُرٌ معلومات » ، أى فلا يصح الإحرام به فى غيرها . «[5] فاذكروا اللهَ عند المَشْعَرِ الحرام » ، أى فالذكر عند غيره ليس محصلا المطلوب . «[6] فاجْلِدُوهم ثمانين جَلْدَةً » ، أى لا أقل ولا أكثر .

وشرط نحو : «[7] وإنْ كُنَّ أولاتُ حَمْلٍ فأَنْفِقُوا عليهنَّ » ، أى فغير أولات الحمل لا يجب الإنفاق عليهن .

وغاية ، نحو[8] : « فلا تَحِلُّ له مِنْ بَعْدُ حتى تنكحَ زَوْجاً غَيْرَه » ، أى فإذا نكحته تحل للأول بشرطه .

وحصر ، نحو : **لا إله إلا الله** . إنما إلهكم إله واحد ، أى فغيره ليس بإله . فالله هو الولى ، أى فغيره ليس بولى . لَإلى اللهِ تُحْشَرُون ، أى لا إلى غيره . إياك نعبد ، أى لا غيرك .

واختلف فى الاحتجاج بهذه المفاهيم على أقوال كثيرة . والأصح فى الجملة أنها كلها حجة بشروط :

منها : ألا يكون المذكور خرج للغالب ، ومن ثَمّ لم يعتبر الأكثرون مفهومَ قوله[9] : « ورَبَائِبُكم اللاتى فى حُجُوركم » ، فإن الغالب كون الربائب

---

(١) الحجرات : ٦ — (٢) فى ا : التمييز . — (٣) البقرة : ١٨٧

(٤) البقرة : ١٩٧ — (٥) البقرة : ١٩٨ — (٦) النور : ٤

(٧) الطلاق : ٦ — (٨) البقرة : ٢٣٠ — (٩) النساء : ٢٣

فى حجور الأزواج ، فلا مفهوم له ، لأنه إنما خُص بالذكر لغلبة حضوره فى الذهن .

وألا يكون موافقاً للواقع، ومن ثَمّ لامفهوم لقوله[١]: « ومن يَدْعُ مع اللهِ إلهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ له » . وقوله[٢] : « لا يتَّخِذ المؤمنونَ الكافرينَ أولياءَ مِنْ دون المؤمنين » . وقوله[٣]: « ولا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكم على البِغَاءِ إن أَرَدْنَ تَحَصُّنا » .

والاطلاع على ذلك من فوائد معرفة أسباب النزول .

فائدة

قال بعضهم : الألفاظ إما أن تدل بمنطوقها ، أو بفَحْواها ، أو بمفهومها، أو باقتضائها وضرورتها ، أو بمعقولها المستنبط منها ، حكاه ابن الحصار ، وقال : هذا كلام حسن .

قلت : فالأول دلالة المنطوق . والثانى دلالة المفهوم . والثالث دلالة الاقتضاء . والرابع دلالة [٣٩ ب] الإشارة .

* * *

(١) المؤمنون : ١١٧ (٢) آل عمران : ٢٨ (٣) النور : ٣٣

الوجه السابع عشر من وجوه إعجازه

وجوه مخاطباته

وهى ثلاثة أقسام : قسم لايصلح إلا للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقسم لايصلح إلا لغيره ، وقسم يصلح لهما .

قال بعض الأقدمين : أنزل القرآن على ثلاثين نحواً ، كل نحو منه غير صاحبه ، فمن عرف وجوهها ثم تكلم فى الدين أصاب ووُفق ، ومن لم يعرفها وتكلم فى الدين كان الخطأ إليه أقرب، وهى: المكى والمدنى ، والناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه ، والتقديم والتأخير ، والمقطوع والموصول ، والسبب والإضمار ، والخاص والعام ، والأمر والنهى ، والوعد والوعيد ، والحدود والأحكام ، والخبر والاستفهام ، والأبهة[1] والحروف المصرفة ، والإعـذار والإنذار ، والحجة والاحتجاج ، والمواعظ والأمثال ، والقسم .

قال : والمكى مثل[2] : « واهْجُرْهم هَجْراً جميلا » . والمدنى مثل[3] : « وقاتلوا فى سبيل الله » — والناسخ والمنسوخ واضح . والمحكم مثل[4] : « ومَنْ يَقْتُلْ مؤمناً مُتعَمِّداً » ... الآية . «[5] إن الذين يأ كُلُون أموالَ اليتامى ظُلْما » ، ونحوه مما أحكمه الله وبيّنه .

والمتشابه مثل[6] : « يأيها الذين آمَنُوا لا تَدْخُلوا بيوتا غَيْرَ بيوتِكم حتى تَسْتَأْنِسُوا ...» الآية . ولم يقل[7] : ومن يفعل ذلك عُدْوَانا وظلما فسوف نُصْليه ناراً . كما قال فى المحكم .

(١) هذا فى الأصول ، والإتقان .
(٢) المزمل : ١٠
(٣) البقرة : ١٩٠
(٤) النساء : ٩٣
(٥) النساء : ١٠
(٦) النور : ٢٧
(٧) النساء : ٣٠

وقد ناداهم فى هذه الآية بالإيمان ونهاهم عن المعصية ولم يجعل فيها وعيداً فشبّه على أهلها ما يفعل الله بهم .

والتقديم والتأخير مثل[١] : « كُتب عليكم إذا حضر أحدكم الموتُ [إن ترك خيراً الوصية » التقدير : كتب عليكم الوصية إذا حضر أحدكم الموت][٢] .

والمقطوع والموصول مثل[٣] : « لا أُقسِمُ بيوم القيامة » . فلا مقطوع من لا أقسم ، وإنما هو فى المعنى أقسم بيوم القيامة . «[٤] ولا أُقسم بالنَّفْسِ اللوّامة » ، ولم يقسم .

والسبب والإضمار ، مثل[٥] : « واسْألِ القريةَ » ، أى أهل القرية .

والخاص والعام ، مثل[٦] : « يأيها النبىّ » ، فهذا فى المسموع خاصاً — « إذا طلّقْتُمُ النساءَ » ، فصار فى المعنى عاماً .

والأمر وما بعده إلى الاستفهام ، أمثلتها واضحة .

والأبّهة نحو[٧] : « إنّا أرْسلنا » . «[٨] نحن قسّمْنا » . عبّر بالصيغة الموضوعة للجماعة للواحد تعالى ، تفخيما وتعظيما وأبهة .

والحروف المصرفة ، كالفتنة تطلق على الشرك ، نحو[٩] : « حتى لا تكون فِتْنَة » . وعلى المعذرة ، نحو[١٠] : « ثم لم تكن فِتْنَتُهم » ، أى معذرتهم . وعلى الاختيار نحو[١١] : « قد فَتَنّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ » . والإعذار نحو[١٢] :

---

(١) البقرة : ١٨٠ (٢) من الإتقان . (٣) القيامة : ١
(٤) القيامة : ٢ (٥) يوسف : ٨٢ (٦) الطلاق : ١
(٧) القمر : ١٩ ، ٣١ ، ٣٤ (٨) الزخرف : ٣٢
(٩) البقرة : ١٩٣ (١٠) الأنعام : ٢٣ (١١) طه : ٨٥
(١٢) المائدة : ١٣

« فبما نَقْضِهِم مِيثَاقَهم لَعَنَّاهم » . اعتذر أنه لم يفعل ذلك بهم إلا بمعصيتهم .

والبواقى أمثلتها واضحة .

قال ابن الجوزى فى كتابه « النفيس » : الخطاب فى القرآن على خمسة عشر وجهاً . وقال غيره : على أكثر من ثلاثين وجهاً .

أحدها : خطاب العام ، والمراد به العموم ، كقوله[1] : « اللهُ الذى خلقَكُم » .

والثانى : خطاب الخاص والمراد به الخصوص ، كقوله[2] : « أكفرتُم بعد إيمانكم » . «[3] يأيُّها الرسولُ بَلِّغْ » .

الثالث : خطاب العام والمراد به الخصوص، كقوله[4] : «يأيها الناسُ اتَّقوا ربَّكم » . لم يدخل فيه الأطفال والمجانين .

الرابع : خطاب الخاص والمراد به العموم ، كقوله[5] : « يأيها النبىّ إذا طلَّقتُم » . افتتح الخطاب بالنبى صلى الله عليه وسلم ، والمراد سائر مَنْ يملك الطلاق . وقوله[6] : « يأيها النبىُّ إنّا أحْلَلْنَا لكَ أزواجك ... » الآية . قال أبو بكر الصيرفى[7] : كان ابتداء الخطاب له ، فلما قال فى الموهوبة : « خالصةً لكَ من دون المؤمنين » — عُلم أن ما قبلها له ولغيره .

الخامس : خطاب الجنس ؛ كقوله : « يأيها الناس » .

السادس : خطاب النوع ؛ نحو : يا بنى إسرائيل .

---

(١) الروم : ٤٠ (٢) آل عمران : ١٠٦ (٣) المائدة : ٦٧

(٤) النساء : ١ (٥) الطلاق : ١ (٦) الأحزاب : ٥٠

(٧) هو أبو بكر محمد بن عبد الله الفقيه الشافعى المعروف بالصيرفى بغدادى ، له تصانيف فى أصول الفقه ، توفى سنة ٣٣٠ (اللباب : ٢ — ٦٦) .

السابع : خطاب العين، نحو[1]: «يا آدم اسكُنْ أنْتَ وزَوْجُكَ الجنّةَ» . «[2] يا نوح اهْبِطْ» . «[3] يا إبراهيم قد صدَّقْتَ الرُّؤْيَا» . «يا موسى لا تخَفْ» . «يا عيسى إنى [٤٠ ا] مُتَوَفِّيك» . ولم يقع فى القرآن الخطاب بيا محمد ؛ بل بيأيها النبى . يأيها الرسول ، تعظيما له وتشريفاً وتخصيصاً له بذلك عمّن سواه وتعليما للمؤمنين ألا ينادوه باسمه .

الثامن : خطاب المدح ، نحو : «يأيها الذين آمنوا» ، ولهذا وقع خطاباً لأهل المدينة : والذين آمنوا وهاجروا .

أخرج ابن أبى حاتم عن خَيْثَمة قال : ما تقرءون فى القرآن «يأيُّها الذين آمنوا» ، فإنه فى التوراة يأيها المساكين .

وأخرج البيهقى وأبو عُبيد وغيرهما ، عن ابن مسعود ، قال : إذا سمعتَ الله يقول : «يأيها الذين آمنوا» — فأَوْعِها سَمْعَك ؛ فإنه خير يأمر به أو شر يَنْهَى عنه .

والتاسع : خطاب الذم ، نحو[4] : «يأيها الذين كفروا لاتعتَذِرُوا اليوم» . «[5] قل يأيُّها الكافرون» . ولتضمنه الإهانة لم يقع فى القرآن فى غير هذين الموضعين . وكثر الخطاب بيأيها الذين آمنوا على المُوَاجهة ، وفى جانب الكفار جىء بلفظ الغيبة ، إعراضاً عنهم ، كقوله : «إنَّ الذين كفَرُوا» . «قل للذين كفروا» .

العاشر : خطاب الكرامة ، كقوله : يأيها النبىّ . يأيها الرسول. قال بعضهم : وتجد الخطاب بالنبى فى محل لا يليقُ به الرسول ، وكذلك العكس ، كقوله

---

(١) البقرة : ٣٥ (٢) هود : ٤٨ (٣) الصافات : ١٠٥
(٤) التحريم : ٧ (٥) الكافرون : ١

فى الأمر بالتشريع العام[1] : « يأيها الرسولُ بلِّغْ ما أُنزِلَ إليكَ مِنْ ربِّك » .
وفى مقام الخاص[2] : « يأيها النبىُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحلَّ اللهُ لك » . وقد يعبر بالنبى
فى مقام التشريع العام ، لكن مع قرينة إرادة التعميم ، كقوله[3] : « يأيها النبىُّ
إذا طلَّقتُم النساءَ » . ولم يقل طلقت .

الحادى عشر : خطاب الإهانة ، كقوله[4] : « فإنَّكَ رَجِيم » . «[5] اخْسَئُوا
فيها ولا تُكَلِّمون » .

الثانى عشر : خطاب التهكم ؛ نحو[6] : « ذُقْ إنَّكَ أنْتَ العــــزيزُ
الكريم » .

الثالث عشر : خطاب الجمع بلفظ الواحد ، كقوله[7] : « يأيها الإنسانُ ما غَرَّكَ
بربك الكريم » .

الرابع عشر : خطاب الواحد بلفظ الجمع ، نحو[8] : « يأيها الرُّسُلُ كلوا من
الطيِّبات ... » إلى قوله : « فَذَرْهُمْ فى غَمْرَتِهم حتى حِين » ؛ فهو خطاب له
صلى الله عليه وسلم وحده ؛ إذ لا نبى معه ولا بعده ، وكذا قوله[9] : « وإنْ
عاقَبْتُم فعاقِبُوا ... » الآية . خطاب له صلى الله عليه وسلم وحده ، بدليل قوله :
« واصْبِرْ وما صَبْرُكَ إلاَّ بالله... » الآية . وكذا قوله[10] : « فإنْ لَمْ يَسْتَجِيبوا
لكم فاعلَمُوا أنما أُنزل بعِلْمِ الله » ، بدليل قوله : « قل فأتُوا » . وجعل منه

---

(١) المائدة : ٦٧ (٢) التحريم : ١ (٣) الطلاق : ١
(٤) الحجر : ٣٤ (٥) المؤمنون : ١٠٨ (٦) الدخان : ٤٩
(٧) الانفطار : ٦ (٨) المؤمنون : ٥١ ، ٥٤ (٩) النحل : ١٢٦
(١٠) هود : ١٣ ، ١٤

بعضُهم[١] : « قال رَبِّ ارْجِعُونِ » ؛ أى ارجعنى . وقيل رب خطاب له تعالى . وارجعون للملائكة .

وقال السهيلى : هو قول من حضرته الشياطين وزبانية العذاب ؛ فاختلط ، فلا يدرى ما يقول من الشطط ؛ وقد اعتاد أمراً يقوله فى الحياة مِنْ ردّ الأمرْ إلى المخلوقين .

الخامس عشر : خطاب الواحد بلفظ الاثنين ، نحو[٢] : «أَلْقِيَا فى جهنّم » . والخطاب لمالك خازن النار ، وقيل لخزنة جهنم والزبانية ؛ فيكون من خطاب الجمع بلفظ الاثنين ، وقيل للملكين الموكلين به فى قوله[٣] : « وجاءَتْ كلُّ نَفْسٍ معها سائقٌ وشَهيد » . فيكون على الأصل . وجعل المهدوى من هذا النوع[٤] : « قال قد أُجيبَتْ دعوتكما » . [قال : الخطاب لموسى وحده ؛ لأنه الداعى . وقيل لهما ، لأن هارون أمّن على دعائه][٥] والمؤمِّنُ أحد الداعين .

السادس عشر : خطاب الاثنين بلفظ الواحد ، كقوله[٦] : « فَمَنْ رَبُّكما يا موسى » ؛ أى ويا هارون . وفيه وجهان :

أحدها — أنه أفرده بالنداء لإدْلاله عليه بالتربية .

والآخر — أنه صاحب الرسالة والآيات ، وهارون تَبَع له ؛ ذكره ابن عطية ، وذكر فى الكشاف[٧] آخر ؛ وهو أن هارون لما كان أفصح لساناً من موسى نكب فرعونُ عن خطابه حذراً من لسانه . ومثله[٨] : « فلا يُخْرِجَنَّكُمَا من الجنَّةِ فتَشْقَى » . قال ابن عطية : أفرده بالشقاء لأنه المخاطب أولا ، والمقصود

---

(١) المؤمنون : ٩٩ (٢) ق : ٢٤ (٣) ق : ٢١
(٤) يونس : ٨٩ (٥) من الإتقان ، والبرهان (٢ — ٢٤٠) .
(٦) طه : ٤٩ (٧) الجزء الثانى صفحة ٢٦
(٨) طه : ١١٧

فى الـكلام . وقيل : لأن الله تعالى جعل الشقاء فى معيشة الدنيا فى جانب الرجال . وقيل إغضاء عن ذكر المرأة ، كما قيل من الـكرم سَتْرُ الحرم .

السابع عشر : خطاب الاثنين بلفظ الجمع ، كقوله[1] : «أنْ تبوَّءَا لقومكما بمصْرَ بُيوتاً واجعلوا بيوتـكم قِبْلَة » .

الثامن عشر : خطاب الجمع بلفظ الاثنين ، كما تقدم فى « أَلْقِيَا » .

التاسع عشر : خطاب الجمع بعد الواحد ، كقوله[2] : « وما تـكونُ فى شأن [٤٠ ب] وما تَتْلُو منه مِنْ قرآن . ولا تَعْمَـلُون من عَمَل إلا كنّا ... » قال ابن الأنبارى : جمع فى الفعل الثالث ليدل على أن الأمة داخلون مع النبى صلى الله عليه وسلم . ومثله : « يأيها النبىُّ إذا طلقْـتُمُ النساء » .

العشرون : عكسه نحو[3] : « وأَقيموا الصلاة . وبَشِّر المؤمنين » .

الحادى والعشرون: خطاب الاثنين بعد الواحد، نحو[4] : « أجِئْتَنا لِتَلْفِتْنَا عمّا وجَدْنَا عليه آباءنا وتـكون لـكما الـكبرياء ... » الآية .

الثانى والعشرون : عكسه ؛ نحو : فمن رَبُّـكما يا موسَى.

الثالث والعشرون : خطاب العَيْن ، والمراد به الغير ؛ نحو[5] : « يأيها النبى اتَّقِ الله ولا تُطِـعِ الـكافرين والمنافقين» . الخطاب له، والمراد أمته صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه كان تقياً ، وحاشاه صلى الله عليه وسلم من طاعة الـكفار . ومنه[6] : « فإنْ كُنْتَ فى شَكّ مما أَنْزَلنَا إليكَ فاسْأَلِ الذين يقْرَءُون الـكتابَ من قبلك » . والمراد بالخطاب التعريض بالـكفار .

---

(١) يونس : ٨٧ (٢) يونس : ٦١ (٣) يونس : ٨٧
(٤) يونس : ٧٨ (٥) الأحزاب : ١ ، ٢ (٦) يونس : ٩٤

وأخرج ابن أبى حاتم ، عن ابن عباس فى هذه الآية ، قال : لم يشك صلى الله عليه وسلم .

ومثله[١] : « واسأَلْ مَنْ أرسلنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسلنا ... » الآية . «[٢] فلا تكونَنَّ من الجاهلين » ، وأنحاء ذلك .

الرابع والعشرون : خطاب الغير والمراد به العين ، نحو[٣] : « لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذِكْرُكُم » .

الخامس والعشرون : الخطاب العام الذى لم يُقصد به مخاطب معين ؛ نحو[٤] : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُد له » . «[٥] ولو تَرى إذ وقفوا على النار » . «[٦] ولو تَرى إذ المجرمُون نَاكِسُو رءُوسِهِم » . ولم يُقصد بذلك خطاب معين ؛ بل كل أحد ، وأخرج فى صورة الخطاب لقصد العموم ؛ يريد أن حالهم تناهت فى الظهور بحيث لا يختص بها راءٍ دون راء ؛ بل كل من أمكن منه الرؤية داخلٌ فى ذلك الخطاب .

السادس والعشرون : خطاب الشخص ثم العدول إلى غيره ؛ نحو[٧] : « فإنْ لم يَسْتَجِيبُوا لكم » ، خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال للكفار : « فاعْلَمُوا أنما أُنزل بعلمِ اللهِ » ، بدليل : « فهَلْ أنتُم مسلمون » .

ومنه[٨] : « إنّا أَرْسلناكَ شاهداً » إلى قوله : « لِتُؤْمِنُوا بالله » — إن قرئ بالفوقية .

السابع والعشرون : خطاب التلوين ، وهو الالتفات[٩] .

---

(١) الزخرف : ٤٥ (٢) الأنعام : ٣٥ (٣) الأنبياء : ١٠

(٤) الحج : ١٨ (٥) الأنعام : ٢٧ (٦) السجدة : ١٢

(٧) هود : ١٤ (٨) الفتح : ٨ ، ٩

(٩) مثل له فى البرهان بقوله تعالى : يأيها النبى إذا طلقتم النساء .

الثامن والعشرون: خطاب الجمادات خطاب مَنْ يعقل ؛ نحو[1] : « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً » .

التاسع والعشرون: خطاب التهييج ، نحو[2]: «وعلى الله فتوكلوا إنْ كنتم مؤمنين » .

الثلاثون : خطاب التحنن والاستعطاف؛ نحو[3]: « ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم» .

الحادى والثلاثون : خطاب التحبب ، نحو[4] : « يا أبتِ لم تعبد » . «[5] يا بنيّ إنها إنْ تكُ » . «[6] يا بن أمّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي » .

الثانى والثلاثون: خطاب التعجيز ، نحو[7]: « فأتوا بسورةٍ » .

الثالث والثلاثون : خطاب التشريف ؛ وهو كل ما فى القرآن مخاطبة بقل ؛ فإنه تشريف منه تعالى لهذه الأمة بأن يخاطبها بغير واسطة لتفوز بشرف المخاطبة .

الرابع والثلاثون : خطاب المعدوم ؛ ويصح ذلك تبعاً لموجود ؛ نحو[8] : « يا بنى آدم » ، فإنه خطاب لأهل ذلك الزمان ولكل مَنْ بعدهم .

قال ابن القيم : تأمل خطاب القرآن تجد مَلِكاً له الملك كله ، وله الحمد كله ؛ أزِمّةُ الأمور كلها بيده ، ومصدرها منه ، ومردها إليه ، مستوياً على العرش ، لا تخفى عليه خافية من أقطار مملكته ، عالماً بما فى نفوس عباده ، مطلعاً على أسرارهم وعلانيتهم ، منفرداً بتدبير المملكة ، يسمع ويرى ، ويعطى ويمنع ، ويثيب ويعاقب ، ويكرم ويهين ، ويخلق ويرزق ، ويميت ويحيى ، ويقدر ويقضى ،

---

(١) فصلت : ١١ — (٢) المائدة : ٢٣ — (٣) الزمر : ٥٣
(٤) مريم : ٤٢ — (٥) لقمان : ١٦ — (٦) طه : ٩٤
(٧) البقرة : ٢٣ — (٨) الأعراف : ٢٦

ويدبر الأمور ، نازلة من عنده دقيقها وجليلها ، وصاعدة إليه لا تتحرك ذرّة إلا بإذنه ، ولا تسقط من ورقة إلا بعلمه ؛ فتأمل كيف تجده يثنى على نفسه ، ويمجد نفسه ، ويحمد نفسه ، وينصح عباده ، ويدلهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم ، ويرغّبهم فيه ، ويحذرهم مما فيه هلاكهم ، ويتعرف إليهم بأسمائه وصفاته ، ويتحبب إليهم بنعمه عليهم ، ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها ، ويحذرهم من نقمه ، ويذكرهم بما أعد لهم من الكرامة إن أطاعوه ، وما أعد لهم من العقوبة إن عصوه ، ويخبرهم بصنعه فى أوليائه وأعدائه ، وكيف كانت عاقبة [٤١ ا] هؤلاء وهؤلاء ، ويثنى على أوليائه بصالح أعمالهم وأحسن أوصافهم ، ويذم أعداءه بسيىء أعمالهم وقبيح صفاتهم ، ويضرب الأمثال ، وينوّع الأدلة والبراهين ، ويجيب عن شُبَه أعدائه أحسن الأجوبة ، ويصدق الصادق ، ويكذب الكاذب ، ويقول الحق ، ويهدى السبيل ، ويدعو إلى دار السلام ، ويذكر أوصافها وحسنها ونعيمها ، ويحذر من دار البوار ، ويذكر عذابها وقُبْحها وألمها ، ويذكّر عباده فقرهم إليه ، وشدة حاجتهم إليه من كل وجه ، وأنهم لا غنى لهم عنه طرفة عين ، ويذكرهم غناه عنهم وعن جميع الموجودات ، وأنه الغنىّ بنفسه عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه بنفسه ، وأنه لا ينال أحـــد ذرةً من الخير فما فوقها إلا بعدله وحكمته ؛ ونشهد من خطابه عتابه لأحبابه ألطف عتاب ، وأنه مع ذلك يقيل عثراتهم ، ويغفر زَلّاتهم ، ويقبل أعذارهم ، ويصلح فسادهم . والمدافع عنهم ، والحامى عنهم ، والناصر لهم ، والكفيل بمصالحهم ، والمنجى لهم من كل كرب ، والموفى لهم بوعده ؛ وأنه وليُّهم الذى لا ولى سواه ؛ فهو مولاهم الحق . وينصرهم على عدوهم ، فنعم المولى ونعم النصير .

وإذا شهدت القلوب من القرآن مَلِكا عظيما رحيما جميلا هذا شأنه ، فكيف لا تحبه ، وتنافس فى القرب منه ، وتنفق أنفاسها فى التودد إليه ، ويكون أحب إليها

من كل ما سواه ، ورضاه أشهى[١] عندها من رضا كل مَنْ سواه ، وكيف لا تلهج بذكره ، وتصيِّر حُبه والشوق إليه والأنس به هو غذاؤها ، وقوتها ودواؤها ، بحيث إن فقدت ذلك فسدت وهلكت ولم تنتفع بهيا كلها[٢] .

* * *

الوجه الثامن عشر من وجوه إعجازه

ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات

وما لم يكن وما لم يقع فوُجد كما ورد على الوجه الذى أخبر ، كقوله[٣] : « لَتَدْخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إنْ شاءَ اللهُ آمِنِين » . وقوله[٤] : « وهم من بَعْدِ غَلَبِهِم سيَغْلِبُون فى بِضْعِ سنين » . وقوله[٥] : « ليُظْهِرَهُ على الدِّين كله » . وقوله[٦] : « وعَدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعمِلُوا الصالحات » . وقوله[٧] : « إذا جاء نَصْرُ اللهِ والفَتْح ... » الخ ؛ فكان جميع هذا كما قال ، فَغَلبت الروم فارس فى بعض سنين ، ودخل الناسُ فى الإسلام أفواجاً ، فما مات عليه السلام وفى بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام ، واستخلف المؤمنين فى الأرض ، ومكن لهم فيها دينهم ، وملكهم إياها من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب ، كما قال عليه السلام[٨] : زُوِيت لى الأرضُ فرأيتُ مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ مُلْكُ أمتى منها ما زُوِى لى منها . وقوله[٩] : « قاتِلُوهم يُعَذِّبهم اللهُ بأيديكم » .

---

(١) فى الإتقان : آثر .
(٢) فى الإتقان : بحياتها .
(٣) الفتح : ٢٧
(٤) الروم : ٣
(٥) التوبة : ٣٣
(٦) النور : ٥٥
(٧) النصر : ١
(٨) صحيح مسلم : ٢٢١٥ ، وزويت : جمعت .
(٩) التوبة : ١٤

وقوله[1] : « أرسل رسولَهُ بالهُدَى » . وقوله[2] : « لن يَضُرّوكم إلا أذًى وإنْ يُقاتلوكم ... » الآية ؛ فكان كل ذلك . وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم فى حلفهم وتقريعهم بذلك ، كقوله[3] : « ويقولون فى أنفسهم لولا يعذّبنا الله بما نقول » . وقوله[4] : « يُخفُون فى أنفسهم ما لا يُبْدون لك » . وقوله[5] : « إنا كفَيْناك المستهزئين » . ولما نزلت بشَّرَ النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بأن الله كفاهم إياهم ، وكان المستهزئون ينفرون الناس عنه ويؤذونه ، فهلكوا .

وقوله[6] : « والله يَعْصِمُك من الناس » ؛ فكان كذلك على كثرة مَنْ رام ضرّه وقصد قتله ، والأخبار بذلك معروفة معلومة .

* * *

الوجه التاسع عشر من وجوه إعجازه

إخباره بأحوال القرون السالفة والأمم البائدة[7] ، والشرائع الدائرة ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا القذ من أحبار أهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك ، فيورده النبى صلى الله عليه وسلم على وجهه ، ويأتى به على نصه؛ فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه . وإن مثله لم ينله بتعليم ، وقد علموا [٤١ ب] أنه صلى الله عليه وسلم أمى لا يقرأ ولا يكتب ، ولا اشتغل بمدارسة ولا بمثاقبة ، ولم يغب عنهم ولا جهل حالَه أحدٌ منهم ، وقد كان أهل الكتاب كثيراً ما يسألونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ، كقصص

---

(١) التوبة : ٣٣ (٢) آل عمران : ١١١ (٣) المجادلة : ٨

(٤) آل عمران : ١٥٤ (٥) الحجر : ٩٥ (٦) المائدة : ٦٧

(٧) فى ا : البائرة .

الأنبياء مع قومهم ، وبدء الخلق وما فى التوراة والإنجيل والزّبور ، وصحف إبراهيم وموسى مما صدّقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها ؛ بل أذعنوا لذلك؛ فمَنْ وفق آمن بما سبق له من خير ، ومن شقى فهو معاند حاسد ، ومع هذا فلم يُحك عن واحد من اليهود والنصارى على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما فى كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم ، وكثرة سؤالهم له عليه السلام وتعنيتهم إياه ، عن أخبار أنبيائهم ، وأسرار علومهم ، ومستودعات سيرهم ، وإعلامهم بمكنون شرائعهم ، ومضمّنات كتبهم ؛ مثل سؤالهم عن الروح ، وذى القرنين ، وأصحاب الكهف ، وعيسى ، وحكم الرجم ، وما حرّم إسرائيل على نفسه ، وما حرم عليهم من الأنعام ، ومن طيبات كانت أُحلت لهم ، فحُرِّمَتْ عليهم ببغيهم . وقوله[1] : « ذَلِكَ مَثَلُهم فى التَّوْرَاة ومَثَلُهم فى الإنجيل » . وغير ذلك من أمورهم التى نزل بها القرآن فأجابهم وعرّفهم بما أوحى إليه من ذلك — أنه أنكر ذلك أو كذب ، بل أكثرهم صرح بصحة نبوءته ، وصدق مقاله ، واعترف بعناده مع حسدهم إياه، كأهل نَجْرَان ، وأهل صوريا ، وابن أخطب ، وغيرهم .

ومَنْ باهت فى ذلك بعض[2] المباهتة ، وادعى أن فيها عندهم لما حكاه مخالفة دُعى إلى دليل ، وإقامة حجة ، وكشف دعوته ؛ فقيل له[3] : « فأتوا بالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إنْ كُنْتُمْ صادقين ... » إلى قوله : « الظالمون » ؛ فقرع ووبخ .

ودعا إلىَ إحْبار ممكن غير ممتنع ، فمن معترف ما جحده ، ومتواقح باق على فضيحته من كتابة يده، ولم يُؤْثر أنّ واحداً منهم أظهر خلاف قوله من كتبه، ولا بدأ

---

(١) الفتح : ٢٩ — (٢) فى ا : بعد — تحريف.

(٣) آل عمران : ٩٣

بدءاً صحيحاً ولا سقيماً من صحفه ، قال تعالى[١] : « يأهْلَ الكتابِ قد جاءكم رسولُنا يُبَيِّنُ لكم كثيراً مما كنتم تُخْفُون من الكتاب ويَعْفُو عن كثير قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين » .

* * *

الوجه العشرون من وجوه إعجازه

[روعته وهيبتـــه]

الروعة التى تلحق قلوبَ سامعيه وأسماعهم عند سماعه ، والهَيْبَة التى تعتَريهم عند تلاوته لقوة حاله وإبانة خطره ؛ وهى على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ، ويزيدهم نفوراً ، كما قال تعالى ؛ ويودُّون انقطاعه لكراهتهم له ؛ ولهذا قال عليه السلام : إن القرآن صعب مستَصْعَب على من كرهه وهو الحكم .

وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته تُوليه انجذاباً ، وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه ، وتصديقه به ؛ قال تعالى[٢] : « تقشَعِرُّ منه جلودُ الذين يَخْشَوْن رَبَّهم ... » الآية . وقال تعالى[٣] : « لو أنزلنا هـــذا القرآنَ على جَبَلٍ ... » الآية .

ويدل على هذا شىء خُصَّ به أنه يعتريه من لا يفهم معانيه ، ولا يعلم تفاسيره ، كما روى عن نصرانى أنه مر بقارىء فوقف يبكى ، فقيل له : مِمَّ بكيت ؟ قال : للشجاعة والنظم .

وهذه الروعة قد اعترف [بها][٤] جماعة قبل الإسلام وبعده ؛ فمنهم من أسلم

---

(١) المائدة : ١٥ (٢) الزمر : ٢٣ (٣) الحشر : ٢١

(٤) من الاتقان .

لما لأول وهلة وآمن به، ومنهم من كفر ؛ فحكى فى الصحيح عن جبير بن مطعم قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب : والطور ... فلما بلغ هذه الآية[1] : « أم خُلِقُوا من غَيْرِ شىء أمْ هُمُ الخالقون ... » إلى قوله : « المصيطرون » . كاد قلبى أن يطير . وفى رواية : وذلك أول ما دخل الإيمانُ قلبى .

وعن عتبة بن ربيعة ، أنه كلم النبى صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه ، فتلا عليهم : حم فصلت ... إلى قوله[2] : « صاعقةً مثْلَ صاعقةِ عادٍ وثمود » ؛ فأمسك عُتبة بيده على فى[3] النبى صلى الله عليه وسلم ، وناشده الرحم أن يكف . وفى رواية : فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مُصْغٍ مُلْقٍ يديه [٤٢ ا] خلف ظهره معتمداً عليهما حتى انتهى إلى السجدة[4] ، فسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، وقام عتبة لا يدرى بما يراجعه ، ورجع إلى أهله ، ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم ، وقال : لقد كلمنى بكلام والله ما سمعتْ أذُنَاى بمثله قط ، فما دريتُ ما أقول له .

وقد حُكى عن غير واحد ممن رام معارضته أنه اعترته روعة وهيبة كفّ بها عن ذلك . فروى أن ابن المقفع طلب ذلك ورامه ، وشرع فيه ، فمر بصبى يقرأ[5] : « وقيل يا أرضُ ابلعِى ماءَكِ » . فرجع ومحا ما عمل ، وقال : أشهد أن هذا لا يُعارض ، وما هو من كلام البشر . وكان أفصح أهل وقته .

وكان يحيى بن حكيم الغزال بليغَ الأندلس فى زمنه ، فحكى أنه رام شيئاً

---

(١) الطور : ٣٤ ــ ٣٧ (٢) فصلت : ١٣ (٣) فى : فم .
(٤) آية السجدة فى سورة فصلت هى الآية ٣٧ منها .
(٥) هود : ٤٤

من هذا ، فنظر فى سورة الإخلاص ليحذو على مثالها وينسج — بزعمه — على منوالها ، قال : فاعترتنى خشيةٌ ورقّة حملتنى على التوبة والأوبة .

وحكى عن بعضهم أنه كان إذا أخذ المصحف بيده يُغشى عليه من هيبته .

* * *

الوجه الحادى والعشرون من وجوه إعجازه

أن سامعه لا يمجّه وقارئه لا يَملّهُ فتلذ له الأسماع وتشغف له القلوب

فلا تزيده تلاوته إلا حلاوة ، ولا ترديده إلا محبة ، ولا يزال غضًا طريًا ، وغيره من الكلام — ولو بلغ فى الحسن والبلاغة مبلغه — يُمَلّ مع الترديد ، ويعادى إذا أعيد ؛ لأن إعادة الحديث على القلب أثقل من الحديد ، وكتابُنا بحمد الله يستلذّ به فى الخلوات ، ويؤنس به فى الأزمات ؛ وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك ، حتى أحدث لها أصحابها لحونًا وطرقًا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ؛ ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه[1] لا يَخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عـــبره، ولا تَفْنَى عجائبه ، ليس بالهزل ؛ لا يشبع منه العلماء ، ولا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، هو الذى لم تَنْتَهِ الجن حين سمعته أن قالوا[2] : « إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ » . مَنْ قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فلج[3] ، ومن قسم به أقسط ، ومن عمل به أُجِر ، ومن تمسك به هُدى إلى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ، ومن حكم بغيره قصمه الله ، هو الذكر

---

(١) فضائل القرآن : ٥ (٢) الجن : ١ (٣) فلج : فاز .

الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، وحَبْل الله المتين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، ولا يعوج فيقوّم، ولا يزيغ فيستعتب.

ونحوه عن ابن مسعود، وقال فيه: ولا يختلف ولا يَتَشانّ، فيه نبأ الأولين والآخرين.

وفى الحديث: قال الله لمحمد عليه السلام: إنى مُنَزّلٌ عليك توراةً حديثة، تفتحُ بها أعْيُنا عمياً، وآذاناً صُمّا، وقلوباً غلفاً، فيها ينابيع العلم، وفهم الحكمة.

* * *

الوجه الثانى والعشرون من وجوه إعجازه

تيسيره تعالى حفظه وتقريبه على متحفّظيه

قال تعالى[1]: «ولقد يسّرْنا القرآنَ للذِّكْر»، وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحدُ منهم، فكيف الجمّ على مرور السنين عليهم، والقرآن ميسر حفظه للغلمان فى أقرب مدة، حتى إن منهم من حفظه فى المنام.

وحكى أنه رفع إلى المأمون[2] صبى ابن خمس سنين وهو يحفظ القرآن.

قال ابن عطية: يسّر بما فيه من حسن النظم، وشرف المعانى؛ فله لَوْطة[3] بالقلوب، وامتزاج بالعقول؛ وهذا مشاهد بالعيان، فلا يحتاج فيه إلى برهان.

---

(١) القمر: ٢٢ (٢) فى ا: المأموم.

(٣) لاط الشىء بقلبى يلوط ويليط لوطا: حبب إلى وألصق.

وأعظم من هذا أن الله يُقْدِرُ بعض خلقِه على خَتْمه فى آن واحد مرات كثيرة .

قال بعضهم : كنت أستغربه حتى شاهدت بعضهم خَتَمَهُ فى دورة الطواف بالبيت الحرام ، فحققته مشاهدة .

قال الشيخ ولى الله المرجانى: وذلك أن الله أطلق كل شعرة فى الجسد لقراءته. والله أعلم .

وهذه أحوال يهبها الله لمن يشاء من عباده .

قال أبو عمران : من الناس [٤٢ ب] من أقدره الله على أن يختم القرآن فى الليلة الواحدة أربع مرات ثم يغتسل . وكان من الصحابة من يختمه مرة ، ومنهم من يختمه مرتين ، ومنهم من يختمه ثلاثاً .

* * *

الوجه الثالث والعشرون من وجوه إعجازه

وقوع الحقائق والمجاز فيه

وقد أنكر قوم وقوع المجاز فيه ، وقالوا : إنه أخو الكذب ، والقرآنُ منزَّه عنه ، وإن المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت الحقيقة فيستعير؛ وذلك محال على الله تعالى .

وهذه شبهة باطلة ، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شَطْرُ الحسن ، فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، ولو وجب خلو القرآن عن المجاز

وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتكنية[١] القصص وغيرها .

وقد أفرده بالتصنيف الإمام عز الدين[٢] بن عبد السلام ، ولخصته مع زيادات كثيرة فى كتاب سميته « مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن » .

[وهو قسمان :][٣]

الأول — المجاز فى التركيب ، ويسمى مجازَ الإسناد ، والمجاز العقلى ؛ وعلاقته الملابسة ؛ وذلك أن يسند الفعل أو شبهه إلى غير ما هو له أصالة لملابسته له ؛ كقوله تعالى[٤] : « وإذا تُلِيَتْ عليهم آياتُه زادَتْهُم إيماناً » : نسبت الزيادة ، وهى فعل الله تعالى ، إلى الآيات لكونها سبباً لها . «[٥] يُذَبِّح أبناءَهم » . «[٦] يا هامانُ ابْنِ لى » ؛ نسب الذبح ، وهو فعل الأعوان ، إلى فرعون ؛ والبناء ، وهو فعل العملة ، إلى هامان ؛ لكونهما آمرين به .

وكذا قوله[٧] : « وأَحَلُّوا قومَهم دارَ البَوَار » ، نسب الإحلال إليهم لتسببهم فى كفرهم بأمرهم إياهم به .

ومنه قوله تعالى[٨]: « يَوْماً يجعلُ الوِلْدَان شِيباً » ، نسب الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه . «[٩] عِيشَةٍ راضية » ؛ أى مرضيّة . «[١٠] فإذا عزم الأمر » : أى عزم عليه ، بدليل : «[١١] فإذا عزَمْتَ » .

وهذا القسم أربعة أنواع :

---

(١) فى ا : وتثنية .

(٢) هو الإمام عبد العزيز بن عبد السلام الشهير بالعز بن عبد السلام ، الشافعى الدمشقى المتوفى سنة ٦٦٠ هـ . وكتابه يسمى كتاب الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز .

(٣) من الإتقان . (٤) الأنفال : ٢ (٥) القصص : ٤

(٦) غافر : ٣٦ (٧) إبراهيم : ٢٨ (٨) المزمل : ١٧

(٩) القارعة : ٧ (١٠) محمد : ٢١ (١١) آل عمران . ١٥٩

أحدها : ما طرفاه حقيقيان ، كالآية المصدّر بهـا . وكقوله[1] : « وأخرجَتِ الأرضُ أثقالَها » .

والثانى : مجازيان ؛ نحو[2] : « فما رَبِحَتْ تجارَتُهم » ؛ أى ما ربحوا فيها . وإطلاق الربح والتجارة هنا مجاز .

ثالثها ورابعها : ما أحد طرفيه حقيقى دون الآخر ؛ إما الأول أو الثانى ؛ كقوله[3] : « أم أنزَلنَا عليهم سُلطانًا » ؛ أى برهانًا . «[4] كلاَّ إنها لظى نزّاعة للشَّوَى . تدْعو » . فإن الدعاء من النار مجاز . وكقوله[5]: « حتى تضَعَ الحرْبُ أوْزَارَها » . «[6] تُؤْتِى أُكُلَهَا كلَّ حِين » . فأمه هاوية ، فاسم الأم هاوية مجاز ؛ أى أن الأم كافلة لولدها وملجأ له ، كذلك النار للكافرين كافلة ومأوى ومرجع .

القسم الثانى — المجاز فى المفرد ، ويسمى المجاز اللغوى ، وهو استعمال اللفظ فى غير ما وُضع له أولا ؛ وأنواعه كثيرة :

أحدها : الحذف ، وسيأتى مبسوطاً فى نوع الإيجاز ، فهو به أجدر، خصوصاً إذا قلنا : إنه ليس من أنواع المجاز .

الثانى: إطلاق اسم الجزء على الكل ، نحو[7] : « ويبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ » ؛ أى ذاته . «[8] فوَلُّوا وُجُوهَكم شَطْرَهُ » ؛ أى ذواتكم ؛ إذ الاستقبال يجب بالصدر . «[9] وجوهٌ يومئذ باسرة » . «[10] وجوه يَوْمئذٍ خاشعة . عامِلَةٌ ناصبةٌ » . عبّر بالوجوه عن جميع الأجساد ؛ لأن التنعم والنصب حاصل لكلها . «[11] ذلك بما قدَّمَتْ يَدَاكَ » . «[12] فبما كسبَتْ أيديكم » ؛ أى قدمتم

(١) الزلزلة : ٢ (٢) البقرة : ١٦ (٣) الروم : ٣٠
(٤) المعارج : ١٥ (٥) محمد : ٤ (٦) إبراهيم : ٢٥
(٧) الرحمن : ٢٧ (٨) البقرة : ١٤٤ (٩) القيامة : ٢٤
(١٠) الغاشية : ٢ ، ٣ (١١) الحج : ١٠ (١٢) الشورى : ٣٠



وكسبتم. نَسب ذلك إلى الأيدى ؛ لأن أكثر الأعمال تُتناول بها . «[1] قُم الليل» . «[2] وقرآنَ الفَجْر » . «[3] ارْكَعُوا مع الرَّاكعين » . «[4] ومن الليل فاسْجُدْ له » . أطلق كلا من القراءة والقيام والركوع والسجود على الصلاة وهو بعضها . «[5] هَدْياً بالغ الـكعبة » ؛ أى الحرم كله ، بدليل أنه لا يذبح فيها[6] .

الثالث : إطلاق اسم الـكل على الجزء ، نحو : «[7] يَجْعَلُونَ أصابِعَهم فى آذانهم » ؛ أى أناملهم ، ونـكتة التعبير عنها بالأصابع الإشارةُ إلى إدخالها على غير المعتاد ، مبالغة من الفرار ، فـكأنهم جعلوا فيها الأصابع . «[8] وإذا رأيْتَهم تُعْجِبُكَ أجسامهم » ؛ أى وجوههم ؛ لأنه لم ير جملتهم . «[9] فمن شَهِد منكم الشَّهْرَ فلْيَصُمْه » . أطلق الشهر ، وهو اسم لثلاثين ليلة ، وأراد جزءاً منه ، كذا أجاب به الإمام فخر الدين عن استشكال أن الجزء إنما يكون بعد تمام الشرط ، والشرط [٤٣ ا] أن يشهد الشهر ، وهو اسم لـكله حقيقة ، فـكأنه أمر بالصوم بعد مضى الشهر ، وليس كذلك . وقد فسره على وابن عباس وابن عمر على أن المعنى من شهد أول الشهر فليصم جميعه ، وإن سافر فى أثنائه .

أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم وغيرهما، وهو أيضاً من هذا النوع ، ويصلح أن يكون من نوع الحذف .

---

(١) المزمل : ١ — (٢) الإسراء : ٧٨ — (٣) البقرة : ٤٣

(٤) الإنسان : ٢٦ — (٥) المائدة : ٩٥ — (٦) فيها : أى فى الـكعبة .

(٧) البقرة : ١٩ — (٨) المنافقون : ٤ — (٩) البقرة : ١٨٥

تنبيه

ألحق بهذين النوعين شيئان :

أحدها : وصف البعض بصفة الكل، كقوله[1] : « ناصِيَةٍ كاذبةٍ خاطئة » والخطأ صفة الكل ، وُصف به الناصية .

وعكسه : كقوله[2] : « إنّا منكم وَجِلُون » ، والوجَل صفة القلب . «[3] ولَمُلِئتَ مِنْهُم رُعْباً » . والرعب إنما يكون فى القلب .

والثانى : إطلاق لفظ بعض مراداً به الكل ، ذكره أبو عبيدة وخرّج عليه قوله[4] : « ولأُبَيِّنَ لكم بعضَ الذى تختلفون فيه » ؛ أى كله . «[5] وإنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكم بعضُ الّذِى يَعِدُ كم » . وتعقب بأنه لا يجب على النبى بيان ما اختلف فيه ، بدليل الساعة والروح ونحوها ، وبأن موسى كان وعدهم بعذاب ذكره فى الدنيا والآخرة ، فقال: يصبكم بعذاب فى الدنيا —وهو بعض الوعيد[6]— من غير نفى عذاب الآخرة . ذكره ثعلب .

قال الزركشى[7] : : ويحتمل أيضاً أن يقال: إن الوعيد مما لا يستنكر ترك جميعه ، فكيف بعضه ؟ ويؤيد ما قاله ثعلب قوله[8] : « فإما نُرِيَنّكَ بَعْضَ الذى نَعِدُهم أو نَتَوَفَّيَنّكَ فإلَيْنا يُرْجَعون » .

الرابع : إطلاق اسم الخاص على العام ؛ نحو : « إنّا رسولُ ربِّ العالمين » .

---

(١) العلق : ١٦ (٢) الحجر : ٥٢ (٣) الكهف : ١٨
(٤) الزخرف : ٦٣ (٥) المؤمن : ٢٨
(٦) فى الاتقان ، والبرهان : هذا العذاب .
(٧) البرهان : ٢ — ٢٦٩ (٨) المؤمن : ٧٧

الخامس : عكسه ؛ نحو[١] : « ويستغفرون لمن في الأرض » ؛ أي للمؤمنين ، بدليل قوله : «[٢] ويستغفرون للذين آمنوا » .

السادس : إطلاق اسم الملزوم على اللازم .

السابع : عكسه ؛ نحو[٣] : « هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة » ؛ أي هل يفعل — أطلق اسم الاستطاعة على الفعل ؛ لأنها لازمة له .

الثامن : إطلاق المسبب على السبب ، نحو[٤] : « ينزل لكم من السماء رزقاً » . «[٥] قد أنزلنا عليكم لباساً » ؛ أي مطراً يتسبب عنه الرزق واللباس . «[٦] لا يجدون نكاحاً » ، أي مئونة من مهر ونفقة وما لا بد للمتزوج منه .

التاسع : عكسه ، وهو نحو[٧] : « ما كانوا يستطيعون السمع » ؛ أي القبول والعمل به ، لأنه متسبب عن السمع .

تنبيه

من ذلك نسبة الفعل إلى سبب السبب ، كقوله[٨] : « فأخرجهما مما كانا فيه » . «[٩] كما أخرج أبويكم من الجنة » ، فإن المخرج في الحقيقة هو الله ، وسبب ذلك أكل الشجرة ، وسبب الأكل وسوسة الشيطان .

العاشر : تسمية الشيء باسم ما كان عليه ، نحو[١٠] : « وآتوا اليتامى أموالهم » ، أي الذين كانوا يتامى ؛ إذ لا يتم بعد البلوغ . «[١١] فلا تعضلوهن

(١) الشورى : ٥ (٢) المؤمن : ٧ (٣) المائدة : ١١٢
(٤) غافر : ١٣ (٥) الأعراف : ٢٦ (٦) النور : ٣٣
(٧) هود : ٢٠ (٨) البقرة : ٣٦ (٩) الأعراف : ٢٧
(١٠) النساء : ٢ (١١) البقرة : ٢٣٢

أنْ يَنكِحْنَ أزواجَهنّ » ؛ أى الذين كانوا أزواجهن . «[١] من يأتِ ربّه مُجْرِماً » . سماه مجرماً باعتبار ما كان[٢] عليه فى الدنيا من الإجرام .

الحادى عشر : تسميته باسم ما يؤول إليه ، نحو[٣] : « إنى أرانى أعْصِرُ خَمْراً» ؛ أى عنبا يؤول إلى الخمرية. «ولا[٤] يلدوا إلا فاجراً كفّاراً» ؛ أى صائراً إلى الكفر والفجور . «[٥] حتى تنكحَ زَوْجاً غَيْرَه » . سماه زوجاً لأن العقد يؤول إلى زوجية لأنها لا تنكح فى حال كونها زوجا . «[٦] فبشّرْناه بغُلَامٍ حليم » . «[٧] نُبَشِّرُكَ بغلام عَليم » . وصفه فى حال البشارة بما يؤول إليه من العلم والحلم .

الثانى عشر : إطلاق اسم الحال على المحل ، نحو[٨] : « فَفِي رَحْمَةِ الله هم فيها خالدون » ؛ أى فى الجنة ، لأنها محل الرحمة . «[٩] بل مَكْرُ اللّيل والنهار» ؛ أى فى الليل . «[١٠] إذ يُرِيكَهُمُ اللهُ فى مَنَامِكَ قَليلا » ؛ أى عينك، على قول الحسن .

الثالث عشر : عكسه ، نحو[١١] : « فلْيَدْعُ نادِيَه » ؛ أى أهل ناديه ؛ أى مجلسه .

ومنه التعبير باليد عن القدرة ؛ نحو[١٢] : « بِيَدِهِ المُلْك » . وبالقلب عن العقل ، نحو[١٣] : « لهم قُلُوبٌ لا يَفْقَهُون بها » ؛ أى عقول . وبالأفواه

---

(١) طه : ٧٤
(٢) ق ا : ما كانوا .
(٣) يوسف : ٣٦
(٤) نوح : ٢٧
(٥) البقرة : ٢٣٠
(٦) الصافات : ١٠١
(٧) الحجر : ٥٣
(٨) آل عمران : ١٠٧
(٩) سبأ : ٣٣
(١٠) الأنفال : ٤٣
(١١) العلق : ١٧
(١٢) الملك : ١
(١٣) الأعراف : ١٧٩

عن الألسن ، نحو[1]: «وتقولون بأفْوَاهِكم» . وبالقرية عن ساكنيها ، نحو[2]: «واسأَلِ القرية» .

وقد اجتمع هذا النوع وما قبله فى قوله تعالى[3]: « خُذُوا زِينَتَكم عند كلِّ مسجد » ، فإن أخْذَ الزينة غير ممكن ؛ لأنها مصدر ، فالمراد محلُّها ، فأطلق عليه اسم الحال [٤٣ ب] . وأخذها للمسجد نفسه لا يجب ؛ فالمراد به الصلاة ، فأطلق اسم المحل على الحال .

الرابع عشر : تسمية الشىء باسم آلته ، نحو[4] : « واجعلْ لى لسانَ صِدْقٍ فى الآخِرين » ؛ أى ثناء حسنا ؛ لأن اللسان آلته . «[5] وما أرسلنا مِنْ رسولٍ إلّا بِلِسانِ قَوْمه » ، أى بلغة قومه .

الخامس عشر : تسمية الشىء باسم ضده ، نحو[6] : « فبَشِّرْهُم بعذابٍ أليم » . والبشارة حقيقة فى الخبر السار .

ومنه تسمية الداعى إلى الشىء باسم الصارف عنه ، ذكره السكاكى وخرّج عليه قوله تعالى[7]: « ما منعَكَ ألّا تَسْجُدَ » . يعنى ما دعاك إلى ألا تسجد . وسَلِمَ بذلك من دعوى زيادة لا .

السادس عشر : إضافة الفعل إلى ما لا يصح منه تشبيها ، نحو[8]: « جِدَاراً يُريدُ أن يَنقَضَّ » ، وصفَه بالإرادة ، وهى من صفات الحى تشبيها لميله للوقوع بإرادته .

السابع عشر : إطلاق الفعل والمراد مشارفته ومقاربته وإرادته ؛ نحو[9]:

---

(١) النور : ١٥ (٢) يوسف : ٨٢ (٣) الأعراف : ٣١
(٤) الشعراء : ٨٤ (٥) إبراهيم : ٤ (٦) التوبة : ٣٤
(٧) الأعراف : ١٢ (٨) الكهف : ٧٧ (٩) الطلاق : ٢

« فإذا بَلَغْنَ أجلهُنّ فأمْسكوهُنّ » ، أى قاربن بلوغ الأجل ، أى انقضاء العدة ، لأن الإمساك لا يكون بعده ، وهو فى قوله[1] : « فبلغْنَ أجلهنّ فلا تَعضُلُوهنّ » — حقيقة . «[2] فإذا جاءَ أجَلُهم لا يَسْتَأخِرُون ساعةً ولا يستقدِمُون » ، أى فإذا قرب مجيئه . وبه يندفع السؤال المشهور فيها : إنه عند مجىء الأجل لا يتصور تقديم ولا تأخير . «[3] ولْيَخْشَ الذين لو تركُوا مِنْ خَلْفِهم ... » الآية ، أى لو قاربوا أن يتركوا خافوا ، لأن الخطاب للأوصياء ، وإنما يتوجه إليهم قبل الترك ، لأنهم بعده أموات . «[4] إذا قُمْتُم إلى الصّلاة فاغْسِلوا » ، أى أردتم القيام . «[5] فإذا قرأتَ القرآنَ فاستَعِذْ » ، أى أردت القراءة ، لتكون الاستعاذة قبلها . «[6] وكم مِنْ قَرْيَةٍ أهلكْنَاها فجاءَها بأْسنَا » ، أى أردنا إهلاكها ، وإلا لم يصح العطف بالفاء . وجعل منه بعضهم قوله[7] : « مَنْ يَهْدِ اللهُ فهو المهتدى » ، أى من يرد الله هدايته ، وهو حسن جداً لئلا يتحد الشرط والجزاء .

الثامن عشر : القلب ، وهو إما قلب إسناد ، نحو[8] « إنّ مفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ »، [أى لتنوء العصبةُ بها][9] . «[10] لِكُلِّ أجَلٍ كتاب »؛ [أى لكل كتاب أجل[10]] . «[11] وحرَّمْنا عليه المراضِعَ من قبْلُ »، أى حرمناه على المراضع . «[12] ويوم يُعْرَضُ الذين كفروا على النار » ، أى تعرض النار عليهم ؛ لأن المعروض عليه هو الذى له الاختيار . «[13] وإنه لِحُبِّ الخيْرِ لشديد » ، أى وإن

---

(١) البقرة : ٢٣٢ — (٢) النحل : ٦١ — (٣) النساء : ٩
(٤) المائدة : ٦ — (٥) النحل : ٩٨ — (٦) الأعراف : ٤
(٧) الأعراف : ١٧٨ — (٨) القصص : ٧٦ — (٩) من الإتقان .
(١٠) الرعد : ٣٨ — (١١) القصص : ١٢ — (١٢) الأحقاف : ٣٤
(١٣) العاديات : ٨

حبه للخير . «[1] وإن يُردْكَ بخير » ؛ أى يريد بك الخير . «[2] فتلَقّى آدمُ من ربِّه كلماتٍ » ؛ لأن المتلقى حقيقة هو آدم ، كما قرىء بذلك أيضاً .

أو قلب عطف ؛ نحو[3] : « ثم تَوَلَّ عنهم فانْظُرْ » ؛ أى فانظر ثم تولَّ . «[4] ثم دنا فتدلّى » ؛ أى تدلى فدنا ؛ لأنه بالتدلى مال إلى الدنو .

أو قلب تشبيه ، وسيأتى فى نوعه .

التاسع عشر : إقامة صيغة مقام أخرى ، وتحته أنواع كثيرة :

منها : إطلاق المصدر على الفاعل ، نحو[5] : « فإنهم عَدُوٌّ لى » ؛ ولهذا أفرده . وعلى المفعول ، نحو[6] : « ولا يُحِيطون بشىء من عِلْمِه » ؛ أى من معلومه . «[7] صُنْعَ اللهِ » ، أى مصنوعه . «[8] وجاءُوا على قَمِيصِه بدَمٍ كذب » ؛ أى مكذوب فيه ؛ لأن الكذب من صفات الأقوال لا الأجسام .

ومنه : إطلاق البُشرى على المبشَّر به ، والهوى على المهوى ، والقول على المقول .

ومنها : إطلاق الفاعل على المصدر ، نحو[9] : « ليس لِوَقْعَتِها كاذبة » ؛ أى تكذيب . [وإقامة المفعول مقام المصدر ، نحو :][10] «[11] بِأَيِّكم المَفْتُون » ؛ أى الفتنة ، على أن الباء غير زائدة .

ومنها : إطلاق فاعل على مفعول ، نحو[12] : «ماءٍ دافق » ، أى مدفوق .

---

(١) يونس : ١٠٧ (٢) البقرة : ٣٧ (٣) النمل : ٢٨
(٤) النجم : ٨ (٥) الشعراء : ٧٧ (٦) البقرة : ٢٥٥
(٧) النمل : ٨٨ (٨) يوسف : ١٨ (٩) الواقعة : ٢
(١٠) من البرهان ، والاتقان . (١١) القلم : ٦
(١٢) الطارق: ٦

«(١) لا عاصمَ اليَوْمَ من أمْر الله إلّا مَنْ رَحِم »؛ أى لا معصوم . «(٢) جعلنا حرَمًا آمِنًا » ، أى مأمونًا فيه .

وعكسه ، نحو(٣) : « إنه كان وَعْدُه مَأتيًا » ، أى آتيا . «(٤) حجابا مستوراً » ، أى ساتراً . وقيل : هو على بابه ، أى مستوراً عن العيون [لا يحس به أحد](٥) .

ومنها : إطلاق فعيل بمعنى مفعول ، نحو(٦) : « وكانَ الكافِرُ عَلَى رَبِّه ظَهِيراً » .

ومنها : إطلاق واحد من المثنى والمفرد والجمع على آخر منها. مثال إطلاق المفرد على المثنى ، نحو(٧) : « واللهُ ورسولُه أحَقُّ أنْ يُرضُوه » ، أى يرضوهما ، فأفرد لتلازم الرضاءين . وعلى الجمع(٨) « إن الإنسانَ لفى خُسْر » ، أى الأناس ، بدليل الاستثناء منه . «(٩) إن الإنسان خُلِق هَلُوعا » ؛ بدليل : « إلّا المصلين » [١٤٤] .

ومثال إطلاق المثنى على المفرد(١٠) : « أَلْقِيَا فى جهنم » ، أى ألق .

ومنه كل فعل نُسب إلى شيئين ، وهو لأحدهما فقط ، نحو(١١) : « يَخْرُج منهما اللؤلُؤُ والمَرْجان » ، وإنما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب . ونظيره : «(١٢) ومِنْ كلٍّ تأكُلونَ لَحْما طَرِيا وتستخرجُون حِلْيةً تلبَسُونَها » ، وإنما تخرج الحلية من الملح . «(١٣) وجعل القمر فيهن نوراً » ،

(١) هود : ٤٣ — (٢) العنكبوت : ٦٧ — (٣) مريم : ٦١
(٤) الإسراء : ٤٥ — (٥) من البرهان . — (٦) الفرقان : ٥٥
(٧) التوبة : ٦٢ — (٨) العصر : ٢ — (٩) المعارج : ١٩
(١٠) ق : ٢٤ — (١١) الرحمن : ٢٢ — (١٢) فاطر : ١٢
(١٣) نوح : ١٦

أى فى إحداهن . «[1] نَسِيَا حُوتَهما » ؛ والناسى يوشع ، بدليل قوله لموسى : « إنّى نَسِيت الحوتَ » ؛ وإنما أُضيف النسيان إليهما معاً ، لسكوت موسى عنه . «[2] فمَنْ تعجَّل فى يومَيْنِ فلا إثْمَ عليه » ؛ والتعجيل فى اليوم الثانى . «[3] على رَجُلٍ من القَرْيتَيْنِ عَظِيم » ، قال الفارسى : أى من إحدى القريتين .

وليس منه[4] : « ولمن خافَ مقامَ رَبّه جنَّتان » . وإن المعنى جنة واحدة ، خلافاً للفراء . وفى كتاب « ذا القدّ[5] » لابن جنّى : أن منه[6] : « أأنْتَ قُلْتَ للناس اتخذونى وأُمّىَ إلهيْنِ من دونِ الله » ؛ وإنما المتخذ إلهاً عيسى دون مريم .

ومثال إطلاقه على الجمع[7] : « ثم ارْجِع البَصَر كرّتين » ؛ أى كرّات ؛ لأن البصر لا يحسر إلا بها . وجعل منه بعضهم[8] : « الطلاقُ مرّتان » .

ومثال إطلاق الجمع على المفرد[9] : « قال ربِّ ارْجِعون » ؛ أى ارجعنى . وجعل منه ابن فارس[10] : فناظِرةٌ بِمَ يَرْجِع المرسلون » . والرسول واحد ، بدليل : ارجع إليهم . وفيه نظر ؛ لأنه يحتمل أنه خاطب رئيسهم ، لا سيما وعادة الملوك جارية ألا يرسلوا واحدا . وجعل منه : « فنادَتْه الملائكة » . ينزّل الملائكةَ بالرُّوح » ؛ أى جبريل . «[11] وإذ قتلْتُم نَفْساً فادّارأْتم فيها » . والقاتل واحد .

---

(١) الكهف : ٦١ — (٢) البقرة : ٢٠٣ — (٣) الزخرف : ٣١

(٤) الرحمن : ٤٦

(٥) فى البرهان : هذا القد . وقال فى هامشه : ويسميه بعضهم كتاب ذى القد . وفى ا : ذا العدا .

(٦) المائدة : ١١٦ — (٧) الملك : ٤ — (٨) البقرة : ٢٢٩

(٩) المؤمنون : ٩٩ — (١٠) النمل : ٣٥ — (١١) البقرة : ٧٢

ومثال إطلاقه على المثنى(١) : « قالَتَا أتَيْنَا طائعين » . «(٢) قالوا لا تخَفْ خَصْمَان » . «(٣) فإنْ كان له إخوة فلأمِّه السدس » ، أى أخوان . «(٤) فقد صَغَتْ قلوبُكما » ، أى قلباكما . «(٥) ودَاوُد وسُليمان إذ يَحْكُمَانِ فى الحَرْثِ ... » إلى قوله : « وكُنَّا لحكمهم شاهِدين » .

ومنها إطلاق الماضى على المستقبل لتحقق وقوعه ، نحو(٦): « أتى أمْرُ اللهِ » ، أى الساعة ، بدليل : « فلا تستعجلوه » . «(٧) ونُفِخَ فى الصُّورِ فصعِقَ مَنْ فى السموات ومَنْ فى الأرض » . «(٨) وإذ قال اللهُ يا عيسى ابنَ مريم أأنْتَ قُلْتَ للناس ... » الآية . «(٩) وبَرَزُوا للهِ جميعاً » . «(١٠) ونادَى أصحابُ الأعراف » .

وعكسه لإفادة الدوام والاستمرار ؛ فكأنه وقع واستمر ؛ نحو(١١) : « أتأمُرون الناسَ بالبرِّ وتنْسَوْنَ أنفُسَكم » . «(١٢) واتَّبَعُوا ما تَتْلُو الشياطينُ على مُلْكِ سُليمان » ؛ أى تلت . «(١٣) ولقد نعْلَمَ » ؛ أى علمنا . «(١٣) قد يعلم ما أنْتم عليه » ؛ أى علم . «(١٤) فلِمَ تقتلُونَ أنبياءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ » ؛ أى قتَلْتُم . وكذا : «(١٥) فريقاً كذَّبْتُم وفريقاً تَقْتُلون » . « ويقول(١٦) الذين كفروا لسْتَ مُرْسلا » ؛ أى قالوا .

ومن لواحق ذلك التعبير عن المستقبل باسم الفاعل أو المفعول ؛ لأنه حقيقة

---

(١) فصلت : ١١ (٢) ص : ٢٢ (٣) النساء : ١١
(٤) التحريم : ٤ (٥) الأنبياء : ٧٨ (٦) النحل : ١
(٧) الزمر : ٦٨ (٨) المائدة : ١١٦ (٩) إبراهيم : ٢١
(١٠) الأعراف : ٤٨ (١١) البقرة : ٤٤ (١٢) البقرة : ١٠٢
(١٣) النور : ٦٤ (١٤) البقرة : ٩١ (١٥) البقرة : ٨٧
(١٦) الرعد : ٤٣

فى الحال لا فى الاستقبال ؛ نحو : «[1] وإنَّ الدِّينَ لواقع » . «[2] ذلك يومٌ مجموعٌ له الناس » .

ومنها إطلاق الخبر على الطلب أمراً أو نهياً أو دعاء ، مبالغة فى الحث عليه ، حتى كأنه وقع وأخبر عنه ؛ قال الزمخشرى[3] : ورودُ الخبر ، والمراد به الأمر أو النهى أبلغ من صريح الأمر أو النهى كأنه سورع[4] فيه إلى الامتثال ، وأخبر عنه ، نحو[5] : « والوالداتُ يرضعن أولادَهُنَّ » . «[6] والمطلَّقاتُ يتربَّصن » . «[7] فلا رفثٌ ولا فُسوق ولا جِدَال فى الحجّ » — على قراءة الرفع . «[8] وما تُنْفِقون إلا ابتغاءَ وجْه الله » [؛ أى لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله][9] . «[10] لا يمسّــــه إلا المطَهَّرون » . «[11] وإذ أخذنا ميثاقَ بنى إسرائيل لا تَعْبُدُونَ إلا الله » ، أى لا تعبدوا ، بدليل قوله : « وقولوا للناس حسناً » . «[12] لا تَثْرِيبَ عليـكم اليَوْمَ يَغْفِر اللهُ لـكم » ، أى اللهم اغفر لهم .

وعكسه ، نحو[13] « فليَمْدُدْ له الرحْمٰنُ مَدًّا » ، أى يمد . «[14] اتَّبِعوا سبيلَنا ولْنَحْمِلْ خَطَايَاكم » ، أى ونحن حاملون[15] ، بدليل : « وإنهم لـكاذِبُون » . والـكذِبُ إنما يرِدُ على الخبر . «[16] فَلْيَضْحَكوا قليلا ولْيَبْكوا كثيراً » .

---

(١) الذاريات : ٦
(٢) هود : ١٠٣
(٣) الـكشاف ١ ـ ١٠٦
(٤) فى ا : تنوزع فيه .
(٥) البقرة : ٢٣٣
(٦) البقرة : ٢٢٨
(٧) البقرة : ١٩٧
(٨) البقرة : ٢٧٢
(٩) من الإتقان .
(١٠) الواقعة : ٧٩
(١١) البقرة : ٨٣
(١٢) يوسف : ٩٢
(١٣) مريم : ٧٥
(١٤) العنـكبوت : ١٢
(١٥) فى ا : ونحن خاطئون .
(١٦) التوبة : ٨٢

وقال الكواشي(١) في الآية الأولى : الأمر بمعنى الخبر أبلغ من الخبر ، لتضمّنه اللزوم ، نحو : إن زرتنا فلنكرمك ، يريدون تأكيد إيجاب الإكرام عليهم . وقال ابن عبد السلام : لأن الأمر للإيجاب [٤٤ ب] فأشبه الخبرية لإيجابه .

ومنها : وضع النداء موضع التعجب ، نحو(٢) : «يا حسرة على العباد» . قال الفراء : معناه يا لها من حسرة . وقال ابن خالويه : هذه من أصعب مسألة في القرآن ، لأن الحسرة لا تنادى ، وإنما ينادى الأشخاص ، لأن فائدته التنبيه ، ولكن المعنى على التعجب .

ومنها : وضع جموع القلة موضع الكثرة ، نحو(٣) : « وهم في الغُرفَاتِ آمِنُون » . وغرف الجنة لا تحصى . «(٤) هم دَرَجاتٌ عند الله » ، ورتب الناس في علم الله أكثر من العشرة لا محالة . «(٥) يتوفى الأنْفُس » . «(٦) أيّاما مَعْدُودات » . ونكتة التقليل في هذه الآية التسهيل على المكلفين .

وعكسه ، نحو(٧) : « يتَرَبَّصْنَ بأَنْفُسِهِنّ ثلاثة قروء » .

ومنها : تذكير المؤنث على تأويله بمذكر ، نحو(٨) : «فمن جاءه موعظةٌ من ربه » ، أي وعظ . «(٩) وأحْيَيْنَا به بلدةً مَيْتاً » ، على تأويل البلدة بالمكان . «(١٠) فلما رأى الشمس بازِغَةً قال هذا ربى » ، أي الشمس أو الطالع . «(١١) إنّ رحمةَ اللهِ قريبٌ من المحسنين » . قال الجوهري : ذُكّرت على معنى

---

(١) البرهان : (٢ — ٢٩٠) هو أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع موفق الدين الكواشي الموصلي الشافعي ، توفى سنة ٦٨٠ ، وله كتابان في التفسير ، أحدهما التبصرة ، والآخر التلخيص .

(٢) يس : ٣٠ (٣) سبأ : ٣٧ (٤) آل عمران : ١٦٣
(٥) الزمر : ٤٢ (٦) البقرة : ١٨٤ (٧) البقرة : ٢٢٨
(٨) البقرة : ٢٧٥ (٩) ق : ١١ (١٠) الأنعام : ٧٨
(١١) الأعراف : ٥٦

الاستحسان[1] . وقال الشريف المرتضى فى قوله[2] : « ولا يزالون مُختلفين إلا مَنْ رَحِم ربك ولذلك خلقَهم » : إن الإشارة للرحمة ، وإنما لم يقل «ولتلك» لأن تأنيثها غير حقيقى ، ولأنه يجوز أن يكون فى تأويل أن رحم .

ومنها: تأنيث المذكر، نحو[3]: «والذين يَرِثونَ الفِردَوْسَ همفيهاخالدون»، أنث الفردوس — وهو مذكر — حملا على معنى الجنة . «[4] مَنْ جاءَ بالحسنة فله عَشْرُ أمثالها » ، أنث عشراً حيث حذف الهاء مع إضافتها إلى الأمثال وواحدها مذكر ، فقيل لإضافة الأمثال إلى مؤنث ، وهو ضمير الحسنات ، فاكتسب منها التأنيث . وقيل : هو من باب مراعاة المعنى ، لأن الأمثال فى المعنى مؤنثة ، لأن مثل الحسنة [حسنة ، والتقدير : فله عشر][5] حسنات أمثالها . وسيأتى فى آخر الكتاب فى القواعد المهمة قاعدة فى التذكير والتأنيث .

ومنها : التغليب ، وهو إعطاء شيء حكم غيره . وقيل ترجيح أحد المغلوبين على الآخر ، وإطلاق لفظه عليهما ؛ إجراء للمختلفين مجرى المتفقين ، نحو[6] : « وكانت من القانتين » . «[7] إلا امرأته كانَتْ مِن الغابرين » . والأصل من القانتات والغابرات، فعدت الأنثى من المذكر بحكم التغليب . «[8] بل أنتم قومٌ تَجْهَلون » ؛ أتى بتاء الخطاب تغليباً لجانب أنتم على جانب قوم . والقياس أن يؤتى بياء الغيبة ؛ لأنه صفة لقوم ، وحسّن العدول عنه وقوع الموصوف خبراً عن ضمير المخاطبين . «[9] اذهَبْ فمن تبِعَك منهم فإن جهنَّم جزاؤكم » ؛ غلّب فى الضمير المخاطبين وإن كان « منْ تبعك » يقتضى الغيبة ، وحسّنه لأنه لما كان الغائب

---

(١) فى الإتقان : على معنى الإحسان .
(٢) هود : ١١٩ ، وانظر أمالى المرتضى : ١ — ٧٠ .
(٣) المؤمنون : ١١ (٤) الأنعام : ١٦٠ (٥) من الإتقان .
(٦) التحريم : ١٢ (٧) الأعراف: ٨٣ (٨) النمل : ٥٥
(٩) الإسراء : ٦٣

تبعاً المخاطب فى المعصية والعقوبة جُعل تبعاً له فى اللفظ أيضاً ، وهو من محاسن ارتباط اللفظ بالمعنى . «[1] ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض » ، غلّب غير العاقل حيث أتى « بما » لكثرته . وفى آية أخرى عبّر بمَنْ ، فغلب العاقل لشرفه . «[2] لنُخْرِجنّك يا شُعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودُن فى ملّتنا » . أدخل « شعيب » فى لتعودن بحكم التغليب ؛ إذ لم يكن فى ملتهم أصلا حتى يعود فيها . وكذا قوله : «[3] إنْ عُدْنا فى مِلّتِكم » . «[4] فسجد الملائكةُ كلُّهم أجمعونَ إلا إبليس » . عُدّ منهم بالاستثناء تغليباً لكونه كان بينهم . «[5] يا لَيْتَ بَيْنِى وبيْنَك بُعْدَ المَشْرِقين » ، أى المشرق والمغرب . قال ابن الشجرى : وغلب المشرق لأنه أشهر الجهتين . «[6] مَرَجَ البَحْرَيْنِ » ، أى الملح والعذب ، والبحر خاص بالملح ، فغلّب لكونه أعظم . «[7] ولكل درجاتٌ » ، أى من المؤمنين والكفار ، والدرجات للعلو والدركات للسفل ، فاستعمل الدرجات فى القسمين تغليباً للأشرف .

قال فى البرهان : وإنما كان التغليب من باب المجاز ؛ لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له ، ألا ترى أن القانتين موضوع للذكور الموصوفين بهذا الوصف ، فإطلاقه على الذكور والإناث إطلاق على غير ما وُضع له ، وكذا باقى الأمثلة .

ومنها : استعمال حروف الجر فى غير معانيها الحقيقية كما تقدم .

ومنها : [١٤٥] استعمال صيغة افْعَلْ لغير الوجوب وصيغة « لا تفعل » لغير التحريم ، وأدوات الاستفهام لغير طلب التصور أو التصديق ، وأدوات التمنى والترجى والنداء لغيرها ، كما سيأتى .

---

(١) النحل : ٤٩ — (٢) الأعراف : ٨٨ — (٣) الأعراف : ٨٩
(٤) الحجر : ٣٠ — (٥) الزخرف : ٣٨ — (٦) الرحمن : ١٩
(٧) الأنعام : ١٣٢

ومنها : التضمين ، وهو إعطاء الشيء معنى الشيء ، ويكون فى الحروف والأفعال والأسماء . وسيأتى فى حروف الجر .

وأما الأفعال فإنه تضمين فعل معنى فعل آخر ، ويكون فيه معنى الفعلين معاً ، وذلك بأن يأتى الفعل متعدياً بحرفٍ ليس من عادته التعدى به ، فيحتاج إلى تأويله أو تأويل الحرف ليصح التعدى به ؛ الأول تضمين الفعل ، والثانى تضمين الحرف .

واختلفوا أيهما أولى ؟ فقال أهل اللغة وقوم من النحاة : التوسع فى الحرف . وقال المحققون : التوسع فى الفعل ؛ لأنه فى الأفعال أكثر ؛ مثاله : «(١) عَيْناً يشربُ بها عبادُ الله » . فيشرب إنما يتعدى بمِن ، فتعديتُه بالباء إما على تضمينه معنى يروى ويلتذ ، أو بتضمين البـاء معنى من . «(٢) أُحِلَّ لكم ليلةَ الصيام الرفَثُ إلى نسائكم » . فالرفث لا يتعدى بإلى إلا على تضمين معنى الإفضاء . «(٣) هل لك إلى أنْ تزكّى » . والأصل فى ، أو تضمين معنى أدعـوك . «(٤) يقْبَلُ التوبةَ عن عباده » . عُدّيت بعَن لتضمينها معنى العفو والصفح .

وأما فى الأسماء فإنه تضمين اسم معنى اسم لإفادة معنى الاسمين معا ، نحو(٥): « حقيق على ألّا أقُولَ على الله إلا الحق » ، ضمّن حقيق معنى حريص ، ليفيد أنه محقوق بقول الحق وحريص عليه ، وإنما كان التضمين مجازاً ؛ لأن اللفظ لم يوضع للحقيقة والمجاز معا ، فالجمع بينهما مجاز .

(١) الإنسان : ٦ (٢) البقرة : ١٨٧ (٣) النازعات : ١٨
(٤) التوبة : ١٠٤ (٥) الأعراف : ١٠٥

فصل

فى أنواع مختلف فى عدها من المجاز

وهى ستة :

أحدها — الحذف ، فالمشهور أنه من المجاز ، وأنكره بعضهم ، لأن المجاز استعمال اللفظ فى غير موضعه ، والحذف ليس كذلك .

وقال ابن عطية : حذف المضاف هو عين المجاز ومعظمه ، وليس كل حذف مجازاً .

وقال القراء[1] : فى الحذف أربعة أقسام :

قسم يتوقف عليه صحة اللفظ ومعناه من حيث الإسناد ، نحو[2] : « واسأَلِ القَرْيَةَ » ، أى أهلها ، إذ لا يصح إسناد السؤال إليها .

وقسم يصح بدونه ، لكن يتوقف عليه شرعا [كقوله[3] : « فمن كان منكم مَرِيضا أو على سفَرٍ فعِدَّةٌ من أيام أُخَر » . أى فأفطر فعدة .

وقسم يتوقف عليه عادة لا شرعا][4] ، نحو[5] : « اضرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فانفَلَقَ » ، أى فضربه .

وقسم يدل عليه دليل غير شرعى ولا هو عادة ، نحو[6] : « فقبضْتُ قبضةً من أثر الرسول » [دل الدليل على أنه إنما قبض قبضة من أثر حافر فرس الرسول][4] .

وليس فى هذه الأقسام مجاز إلا الأول .

(١) فى الإتقان : القراق .
(٢) يوسف : ٨٢
(٣) البقرة : ١٨٤
(٤) من الإتقان .
(٥) الشعراء : ٦٣
(٦) طه : ٩٦

وقال الزنجانى[1] فى المعيار : إنما يكون مجازاً إذا تغير حكم ، فأما إذا لم يتغير كحذف خبر المبتدأ المعطوف على جملة فليس مجازاً ؛ إذ لم يتغير حكم ما بقى من الكلام .

وقال القزوينى فى الإيضاح : متى تغيّر إعراب الكلمة بحذف أو زيادة فهو مجاز ، نحو : « واسأل القرية » . «[2]ليس كَمِثْلِهِ شىء » . فإن كان الحذف والزيادة لا يوجب تغيّر الإعراب ، نحو : «[3]أو كَصَيِّبٍ من السماءِ » . «[4]فَبِمَا رحمةٍ » ؛ فلا توصف الكلمة بالمجاز .

الثانى — التأكيد ، زعم قوم أنه مجاز ، لأنه لا يفيد إلا ما أفاده الأول . والصحيح أنه حقيقة .

قال الطرطوسى[5] فى العمدة : ومَنْ سماه مجازاً قلنا له : إذا كان التأكيد بلفظ الأول ، نحو : عجل عجل ونحوه ، فإن جاز أن يكون الثانى مجازاً جاز فى الأول ؛ لأنهما فى لفظ واحد ، إذا بطل حمل الأول على المجاز بطل حمل الثانى عليه ، لأنه مثل الأول .

الثالث — التشبيه : زعم قوم أنه مجاز ، والصحيح أنه حقيقة .

قال الزنجانى فى « المعيار » : لأنه معنى من المعانى ، وله ألفاظ تدل عليه وضعاً ، فليس فيه نقلُ اللفظ عن موضوعه .

---

(١) فى ا ، ب : ابن الزنجانى . والزنجانى هو عبد الوهاب بن ابراهيم الخزرجى ، من علماء العربية ، وكتابه معيار النظار فى علوم الأشعار . توفى سنة ٦٥٥ (بغية الوعاة : ٢ — ١٢٢) .

(٢) الشورى : ١١ (٣) البقرة : ١٩ (٤) آل عمران : ١٥٩

(٥) هو القاضى نجم الدين ابراهيم بن على الطرطوسى المتوفى سنة ٧٥٨ ، وكتابه «أعمدة الحكام فيما لا ينفذ من الأحكام . وفى ا ، ب : الطرطوشى .

وقال عز الدين : إن كان بحرف فهو حقيقة أو بحذف[1] فهو مجاز بناء على أن الحذف من باب المجاز .

الرابع — الكناية ، وفيها أربعة مذاهب :

أحدها : أنها حقيقة . قال ابن عبد السلام : وهو الظاهر ؛ لأنها استعملت فيما وضعت له ، وأريد به الدلالة على غيره .

الثانى : أنها مجاز .

الثالث: أنها لا حقيقة ولا مجاز ؛ وإليه ذهب صاحب التلخيص لمنعه فى المجاز أن يراد المعنى الحقيقى مع المجازى وتجويزه ذلك فيها .

الرابع : وهو اختيار الشيخ تقى الدين السبكى أنها تنقسم إلى حقيقة ومجاز ، فإن استعملتَ اللفظ فى معناه مراداً منه لازم المعنى أيضاً فهو حقيقة ، وإن لم يرد المعنى ، بل عبّر بالملزوم عن اللازم [٤٥ ب] فهو مجاز لاستعماله فى غير ما وُضع له .

والحاصل أن الحقيقة منها أن يُستعمل اللفظ فيما وضع له ليفيد غير ما وضع له ، والمجاز منها أن يريد بها غير موضوعها استعمالا وإفادة .

الخامس — التقديم والتأخير : عده قوم من المجاز ، لأن تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول ، وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل — نَقْلٌ لكل واحد منهما عن رتبته وحقه .

قال فى البرهان[2] : والصحيح أنه ليس منه ، فإن المجاز نقل ما وضع إلى ما لم يوضع له .

---

(١) فى ا : أو بحذفه فمجاز .

(٢) البرهان : ٢ — ٤١٥

السادس — الالتفات ، قال الشيخ بهاء الدين السبكى : لم أر مَنْ ذكر هل هو حقيقة أو مجاز . قال : وهو حقيقة حيث لم يكن معه تجريد .

فصل

فيما يوصف بأنه حقيقة أو مجاز باعتبارين

هو الموضوعات الشرعية ، كالصلاة، والزكاة ، والصوم ، والحج؛ فإنها حقائق بالنظر إلى الشرع مجازات بالنظر إلى اللغة .

فصل

فى الواسطة بين الحقيقة والمجاز

قيل بها فى ثلاثة أشياء :

أحدها : اللفظ قبل الاستعمال ، وهذا القسم مفقود فى القرآن ، ويمكن أن يكون منه أوائل السور على القول بأنها للإشارة إلى الحروف التى يتركب منها الكلام .

ثانيها : الأعلام .

ثالثها : اللفظ المستعمل فى المشاكلة ، نحو[1] : « ومَكَرُوا ومَكَرَ الله » . «[2]وجَزَاء سيِّئةٍ سيئةٌ مِثْلها » . ذكر بعضهم أنها واسطة بين الحقيقة والمجاز ،

---

(١) آل عمران : ٥٤ (٢) الشورى : ٤٠

قال : لأنه لم يوضع فيما استعمل فيه ، فليس حقيقة ؛ ولا علاقة معتبرة ، فليس مجازاً ، كذا فى شرح بديعية ابن جابر لرفيقه .

قلت : والذى يظهر أنها مجاز ، والعلاقة المصاحبة .

خاتمة

[مجاز المجاز]

لهم مجاز المجاز ؛ وهو أن يُجْعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر ، فيتجوّز بالمجاز الأول عن الثانى لعلاقة بينهما ، كقوله تعالى[1] : «ولكن لا تُوَاعِدُوهُنَّ سرًّا» ؛ فإنه مجاز عن مجاز ؛ فإن الْوَطْءَ تجوز عنه بالسر ؛ لكونه لا يقع غالباً إلا فى السر ، وتجوز به عن العقد ؛ لأنه مسبب عنه ، فالمصحح للمجاز الأول الملازمة والثانى السببية . والمعنى لا تواعدوهن عقد نكاح .

وكذا قوله[2] : « ومَنْ يكفر بالإيمانِ فقد حَبِطَ عَمَلُه » ، فإن قول : «لا إله إلا الله» مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ ، والعلاقة السببية ؛ لأن توحيد اللسان مسبب عن توحيد الجنان ، والتعبير بلا إله إلا الله عن الوحدانية من مجاز التعبير بالقول عن المقول فيه .

وجعل منه ابن السيد[3] قوله[4]: « أنزلنا عليكم لباساً » ، فإن المنزل عليهم ليس هو نفس اللباس ، بل الماء المنبت للزرع المتخذ منه الغزل المنسوج منه اللباس .

* * *

(١) البقرة : ٢٣٥ (٢) المائدة : ٥

(٣) هو عبد الله بن محمد بن السيد البطليوس صاحب الاقتضاب فى شرح أدب الكاتب وغيره من كتب اللغة. توفى سنة ٤٤٤ (إنباه الرواة : ٢–١٤١) . (٤) الأعراف : ٢٦

الوجه الرابع والعشرون من وجوه إعجازه

تشبيهه واستعاراته وهو من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها

قال المبرد فى الكامل : لو قال قائل هو أكثر كلام العرب لم يبعد.

وقد أفرد تشبيهات القرآن بالتصنيف أبو القاسم بن البندار[1] البغدادى فى كتاب سماه « الجمان » .

وعرفه جماعة منهم السكاكى بأنه الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى .

وقال ابن أبى الإصبع[2] : هو إخراج الأغمض إلى الأظهر .

وقال غيره : هو إلحاق شىء بذى وصف فى وصفه .

وقال بعضهم : هو أن تثبت للمشبه حكما من أحكام المشبه به .

والغرض منه تأنيس النفس بإخراجها من خفى إلى جَلِىّ ، وإدنائه البعيد من القريب ليفيد بياناً .

وقيل: الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار .

وأدواته حروف وأسماء وأفعال :

فالحروف : الكاف ، نحو[3] « كَرَمَادٍ » . وكأنّ ، نحو[4] : « كأنّه رُءوسُ الشياطين » .

والأسماء : مثل، وشبه ، ونحوها مما يشتق من المماثلة والمشابهة. قال الطيبى :

---

(١) هو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين الأديب الشاعر اللغوى المتوفى سنة ٤١٠ . وكتابه يسمى « الجمان فى تشبيهات القرآن » .

(٢) بديع القرآن : ٥٨ (٣) إبراهيم : ١٨ (٤) الصافات : ٦٥

ولا تستعمل مثل إلا فى حال أو صفة لها شأن وفيها غرابة ، نحو[1] : « مَثَلُ ما يُنفِقُون فى هذه الحياة الدنيا كمثل رِيحٍ فيها صِرٌّ » .

والأفعال ، نحو[2]: « يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً » . «[3] يُخَيَّلُ إليه من سِحْرِهِم أنها تَسْعَى » . قال فى التلخيص — تبعاً للسكاكى : وربما يُذكر فعلٌ يُنْبِئُ عن التشبيه فيؤتى بالتشبيه القريب ، بنحو : علمت زيداً أسداً الدال على التحقيق. وفى البعيد بنحو : حسبتُ[4] زيداً أسداً الدال على الظن وعدم التحقيق .

وخالفه جماعة منهم الطيبى فقالوا فى كون هذه الأفعال تنبئ عن التشبيه نوع خفاء . والأظهر أن الفعل ينبئ عن حال التشبيه فى القرب والبعد ، وأن الأداة محذوفة مقدّرة لعدم استقامة المعنى بدونه .

ذكر أقسامه

[تقسيمه باعتبار طرفيه]

ينقسم التشبيه باعتبارات :

الأول — باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام ، لأنهما إما حسّيان ، أو عقليّان ، أو المشبه به حسى والمشبه عقلى ، أو عكسه .

مثال الأول[5] : « والقمرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حتى عادَ كالعُرْجُونِ القديم » . «[6] كأنَّهم أعجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ » .

ومثال الثانى[7]: « ثم قَسَتْ قلوبُكم من بَعْدِ ذلك فهى كالحجارةِ أو أشدُّ قَسْوة » . وكذا مثّل به فى البرهان[8] ، وكأنه ظن أن التشبيه واقع فى القسوة ، وهو غير ظاهر ؛ بل هو واقع بين القلوب والحجارة ، فهو من الأول .

---

(١) آل عمران : ١١٧ (٢) النور : ٣٩ (٣) طه : ٦٦

(٤) فى ا : علمت . (٥) يس : ٣٩ (٦) القمر : ٢٠

(٧) البقرة : ٧٤ (٨) البرهان : ٢ — ٤٢٠

ومثال الثالث[1]: « مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ » .

ومثال الرابع لم يقع فى القرآن ؛ بل منعه الإمام أصلا ؛ لأن العقل مستفاد من الحس ، فالمحسوس أصل المعقول ، وتشبيهه به يستلزم جعل الأصل فرعاً والفرع أصلا ، وهو غير جائز .

وقد اختلف فى قوله تعالى[2] : « هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ » .

[تقسيمه باعتبار وجهه]

الثانى — ينقسم باعتبار وجهه إلى مفرد ومركب، والمركب أن ينتزع وجه الشبه من أمور مجموع بعضها إلى بعض ، كقوله[3] : « كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً » ، فالتشبيه مركب من أحوال الحمار ، وهو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمُّل التعب فى استصحابه . وقوله[4] « إنما مثلُ الحياةِ الدُّنيا كماءٍ أنزلناهُ من السماء ... » إلى قوله : « كأنْ لم تَغْنَ بالأمس » ، فإنَّ فيه عشر جمل وقع التركيب من مجموعها بحيث لو سقط منها شىء اختل التشبيه ؛ إذ المقصود تشبيه حال الدنيا فى سرعة تقضّيها، وانقراض نعيمها، واغترار الناس بها — بحال ماء نزل من السماء، وأنبت أنواع العشب ، وزين بزخرفها وجه الأرض ، كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة ، حتى إذا طمع أهلها فيها ، وظنوا أنها مسلّمة من الجوائح أتاها بأس الله فجأة ، فكأنها لم تكن بالأمس .

وقال بعضهم : وجه تشبيه الدنيا بالماء أمران :

أحدهما : أن الماء إذا أخذت منه فوق حاجتك تضررت ، وإن أخذت قدر الحاجة انتفعت به ، فكذلك الدنيا .

---

(١) إبراهيم : ١٨ (٢) البقرة : ١٨٧ (٣) الجمعة : ٥ (٤) يونس : ٢٤

والثانى أن الماء إذا أطبقت عليه كفك لتحفظه لم يحصل فيه شىء ، فكذلك الدنيا .

وقوله[1] : « مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فيها مصباح ... » الآية — شبه نورهُ الذى يلقيه فى قلب المؤمن بمصباح اجتمعت فيه أسباب الإضاءة إما بوضعه فى مشكاة — وهى الطاقة التى لا تنفذ ، وكونها لا تنفذ لتكون أجمع للبصر[2] . وقد جعل فيها مصباح فى داخل زجاجة تشبه الكوكب الدُّرِّى فى صفائها ، ودهن المصباح من أصفى الأدهان وأقواها وقوداً ، لأنه من زيت شجرة فى وسط السراج[3] ، لا شرقية ولا غربية ، فلا تصيبها الشمس فى أحد طرفى النهار ؛ بل تصيبها الشمس أعدل إصابة .

وهذا مثل ضربه الله للمؤمن ، ثم ضرب للكافر مثلين : أحدهما[4] : « كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُه الظمآنُ ماءً » . والآخر[5] : « كظُلُمَاتٍ فى بَحْرٍ لُجِّىّ ... » الخ . وهو أيضاً تشبيه مركب .

[تقسيم آخر]

الثالث — ينقسم باعتبار آخر إلى أقسام :

أحدها : تشبيه ما تقع عليه الحاسة بما لا تقع ، اعتمادا على معرفة النقيض والضد ؛ فإن إدراكهما أبلغ من إدراك الحاسة ، كقوله[6] : « طَلْعُهَا كأنه رءُوسُ الشياطين » . شبّه بما لا يُشك أنه منكر قبيح لما حصل فى نفوس الناس من بشاعة صور الشياطين وإن لم ترها عيانا .

الثانى : عكسه ؛ وهو تشبيه ما لا تقع عليه الحاسه بما تقع عليه ، كقوله[7] :

(١) النور : ٣٥ (٢) فى البرهان : للتبصر . (٣) فى ا : فى أوسط الريح .
(٤) النور : ٣٩ (٥) النور : ٤٠ (٦) الصافات : ٦٥
(٧) النور : ٣٩

« والذين كفروا أعمالُهم كسَرَابٍ بقيعةٍ ... » الآية. أخرج ما لا يحس — وهو الإيمان — إلى ما يحس وهو السراب . والمعنى الجامع بطلان التوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة .

الثالث: إخراج ما لا تجرى العادة به [إلى ما جرت ؛][1] كقوله تعالى[2] : « وإذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهم كأنه ظُلَّةٌ » . والجامع بينهما الارتفاع فى الصورة .

الرابع : إخراج ما لا يعـــلم بالبديهة إلى ما يعلم بها ، كقوله[3] : «وجنةٍ عَرْضُها كعَرْض السماء والأرض » . والجامع العظم ، وفائدته التشويق إلى الجنة بحسن الصفة وإفراط السعة .

الخامس : إخراج ما لا قوة له فى الصفة إلى ما له قوة فيها ، كقوله تعالى[4]: « ولَهُ [٤٦ ب] الجَوارِ المُنْشَآتُ فى البَحْرِ كالأعلام » . والجامع فيهما العظم ، ولفائدته إبانة القدرة على تسخير الأجسام العظام فى ألطف[5] ما يكون من المـاء ، وما فى ذلك من انتفاع الخلق بحمل الأثقال وقطعها الأقطار البعيدة فى المسافة القريبة ، وما يلازم ذلك من تسخير الرياح للإنسان ، فتضمّن ذلك نبأ عظيما من الفخر وتعداد النعم ؛ وعلى هذه الأوجه الخمسة تجرى تشبيهات القرآن .

[تقسيم آخر]

الرابع — ينقسم باعتبار آخر إلى مؤكد ؛ وهو ما حذفت فيه الأداة ، نحو[6]: « وهى تَمُرُّ مَرَّ السحاب » ؛ أى مثل مر السحاب . «[7] وأَزْوَاجُه أُمّهَاتُهم ». «[8] وجنةٍ عَرْضُها السمواتُ والأرض » .

ومرسل ؛ وهو ما لم يحذف ، كالآيات السابقة .

والمحذوف الأداة أبلغ ؛ لأنه نُزّل فيه الثانى منزلة الأول تجوّزاً .

---

(١) من البرهان ، والإتقان .
(٢) الأعراف : ١٧١
(٣) الحديد : ٢١
(٤) الرحمن : ٢٤
(٥) فى البرهان : فى أعظم...
(٦) النمل : ٨٨
(٧) الأحزاب : ٦
(٨) آل عمران : ١٣٣

قاعدة

الأصل دخول أداة التشبيه على المشبَّه به ، وقد تدخل على المشبه ؛ إما لقصد المبالغة فيُقلب التشبيه ويجعل المشبه هو الأصل ، نحو[١] : « قالوا إنَّمَا البَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا » ؛ كان الأصل أن يقولوا إنما الربا مثل البيع ؛ لأن الكلام فى الربا لا فى البيع ، فعدلوا عن ذلك وجعلوا الربا أصلا ملحقاً به البيع فى الجواز ، وأنه الخليق بالحِلّ .

ومنه قوله تعالى[٢] : « أفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ » ؛ فإن الظاهر العكس ؛ لأن الخطاب لعبدة الأوثان الذين سموها آلهة تشبيهاً بالله سبحانه ، فجعلوا غير الخالق مثل الخالق ؛ فخولف فى خطابهم ، لأنهم بالغوا فى عبادتهم ، وغلوا حتى صارت عندهم أصلا فى العبادة ؛ فجاء الرد على وفق ذلك .

وإما لوضوح الحال ، نحو[٣] : « وليس الذَّكَرُ كالأنثى » ؛ فإن الأصل : وليس الأنثى كالذكر ، وإنما عدل عن الأصل ؛ لأن المعنى : وليس الذكر الذى طلبت كالأنثى التى وُهبت . وقيل : لمراعاة الفواصل ؛ لأن قبله : إنى وضعتها أنثى.

وقد تدخل على غيرهما اعتماداً على فَهْم المخاطب ، نحو[٤] : « كونوا أنصارَ اللهِ كما قال عيسى ابنُ مريم ... » الآية . المراد كونوا أنصار الله خالصين فى الانقياد كشأن مخاطبى عيسى إذ قالوا .

---

(١) البقرة : ٢٧٥ (٢) النحل : ١٧ (٣) آل عمران : ٣٦
(٤) الصف : ١٤

قاعدة أخرى

القاعدة فى الذم تشبيه الأعلى بالأدنى ؛ لأن الذم مقام الأدنى . وفى المدح تشبيه الأدنى بالأعلى ؛ لأن الأعلى ظاهر[1] عليه ، فيقال فى المدح: حصى كالياقوت. وفى الذم : ياقوت كالزجاج ، وكذا فى السلب . ومنه[2] : « يا نِسَاءَ النبىِّ لَسْتُنَّ كأحَدٍ من النساء » ؛ أى فى النزول لا فى العلو . «[3] أم نَجْعَلُ الذين آمنُوا وعَمِلوا الصالحات كالمُفْسِدينَ فى الأرْض أم نجعلُ المتّقِين كالفُجَّار » ؛ أى فى سوء الحال ؛ أى لا نجعلهم كذلك . نعم أورد على ذلك[4] : « مثَلُ نُورِهِ كمِشْكَاةٍ فيها مِصْبَاحٌ » . شبه فيه الأعلى بالأدنى لا فى مقام السلب . وأجيب بأنه للتقريب إلى أذهان المخاطبين ؛ إذ الأعلى من نوره فيشبه به .

فائدة

قال ابن أبى الإصبع[5] : لم يقع فى القرآن تشبيه شيئين بشيئين ولا أكثر من ذلك ، وإنما وقع فيه تشبيه واحد بواحد .

فصل

زُوِّج المجاز بالتشبيه فتولد بينهما الاستعارة ، فهى مجاز علاقته المشابهة . ويقال فى تعريفها : اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلى .

والأصح أنها مجاز لغوى ؛ لأنها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ،

(١) فى ا : طارىء عليه .
(٢) الأحزاب : ٣٢
(٣) ص : ٢٨
(٤) النور : ٣٥
(٥) بديع القرآن : ٦٠

ولا لأعم منهما؛ فأسد فى قوله : رأيت أسداً يرمى — موضوع للأسد لا للشجاع ، ولا لمعنى أعم منهما ، كالحيوان الجرىء مثلا ؛ ليكون إطلاقه عليهما حقيقة كإطلاق الحيوان عليهما .

وقيل مجاز عقلى، بمعنى أن التصرف فيها فى أمر عقلى لا لغوى؛ لأنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به ، فكأن استعمالها فيما وُضعت له فتكون حقيقة لغوية ، ليس فيها غير نقل الاسم وحده .

وليس نقل الاسم المجرد استعارة ، لأنه لا بلاغة فيه ، بدليل الأعلام المنقولة؛ فلم يبق إلا أن يكون مجازاً عقلياً .

وقال بعضهم : حقيقة الاستعارة أن تستعار الكلمة من شىء معروف بها إلى شىء لم يعرف بها ؛ وحكمة ذلك إظهار الخفى وإيضاح الظاهر الذى ليس بجلى، أو حصول المبالغة، أو المجموع ؛ مثال إظهار الخفى[١] : «وإنه فى أُمِّ الكِتَابِ» ؛ فإن حقيقته : وإنه فى أصل الكتاب ، فاستعير لفظ الأم للأصل ؛ لأن الأولاد تنشأ من الأم كما تنشأ الفروع من الأصول . وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمرئى حتى يصير مرئيا ، فينتقل السامع من حد السماع إلى حد العيان ، وذلك أبلغ فى البيان .

ومثال إيضاح ما ليس بجلى ليصير جليّا[٢] : « واخْفِضْ لهما جنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَة » ، فإن المراد أمر الولد بالذل لوالديه رحمة ، فاستعير للذل[٣] أولا جانب ثم للجانب جناحاً . وتقدير الاستعارة القريبة : واخفض لهما جناح الذل ، أى اخفض جانبك ذلا .

(١) الزخرف : ٤ (٢) الإسراء : ٢٤
(٣) فى البرهان : للولد .

وحكمة الاستعارة فى هـذا جعل ما ليس بمرئى مرئياً لأجل حسن البيان .
ولما كان المراد خفض جانب[1] الولد للوالدين بحيث لا يُبقى الولد من الذل لهما والاستكانة ممكناً[2] احتيج فى الاستعارة إلى ما هو أبلغ من الأولى ، فاستعير لفظ الجناح لما فيه من المعانى التى لا تحصل من خفض الجانب ؛ لأن مَنْ مَال جانبه إلى جانب السفل أدنى ميل صدق عليه أنه خفض جانبه . والمراد خفضٌ يلصق الجنب بالأصل[3] ولا يحصل ذلك إلا بذكر الجناح[4] كالطائر .

ومثال المبالغة[5] : « وفَجَّرْنَا الأرضَ عُيوناً » . وحقيقته : وفجرنا عيون الأرض ، ولو عبر بذلك لم يكن فيه من المبالغة ما فى الأول المشعر بأن الأرض كلها صارت عيوناً .

فـــرع

أركان الاستعارة ثلاثة : مستعار ، وهو اللفظ المشبه به . ومستعار منه ، وهو اللفظ المشبه . ومستعار له ، وهو المعنى الجامع .

وأقسامها كثيرة باعتبارات ، فتنقسم باعتبار الأركان الثلاثة إلى خمسة أقسام :

أحدها — استعارة محسوس لمحسوس بوجه محسوس ، نحو[6] : « واشْتَعَلَ الرأسُ شَيْباً » ؛ فالمستعار منه هو النار ، والمستعار له الشيب ، والوجه

---

(١) فى البرهان : جناح . (٢) فى البرهان : مركباً .
(٣) فى الإتقان : بالأرض . وفى البرهان : بالإبط .
(٤) فى البرهان : إلا بخفض الجناح .
(٥) القمر : ١٢ (٦) مريم : ٤

هو الانبساط ، ومشابهة ضوء النار لبياض الشيب ، وكل ذلك محسوس . وهو أبلغُ مما لو قيل : اشتعل شيب الرأس ؛ لإفادته عموم الشيب لجميع الرأس .

ومثله[1] : « وتركْنا بعضَهم يومئذٍ يَمُوجُ فى بَعْض » . أصل الموج حركة الماء ، فاستعمل فى حركتهم على سبيل الاستعارة . والجامع سرعة الاضطراب وتتابعه من الكثرة . «[2] والصبح إذا تنفَّس » . استعير خروج النفَس شيئاً فشيئاً لخروج النور من المشرق عند انشقاق الفجر قليلا قليلا ، بجامع التتابع على طريق التدريج . وكل ذلك محسوس .

الثانى — استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلى ؛ قال ابن أبى الإصبع[3] : وهى ألطف من الأولى ، نحو[4] : « وآيةٌ لهم الليلُ نَسْلَخُ منه النهارَ » . فالمستعار منه السلخ الذى هو كشط الجلد عن الشاة ، والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل ، وهما حسيان ؛ والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر وحصوله عقب حصوله ، كترتب ظهور اللحم على الكشط ، وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل . والترتبُ أمر عقلى .

ومثله[5] : « فجعلْناها حَصِيداً كأنْ لم تَغْنَ بالأمْسِ » . أصل الحصيد النبات ، والجامع الهلاك ، وهو أمر عقلى .

الثالث — استعارة معقول لمعقول بوجه عقلى . قال ابن أبى الإصبع[6] : وهى ألطف الاستعارات ، نحو[7] : « مَنْ بعثَنا مِنْ مَرْقَدِنا » . المستعار منه

---

(١) الكهف : ٩٩ (٢) التكوير : ١٨ (٣) بديع القرآن : ٢١

(٤) يس : ٣٧ (٥) يونس : ٢٤ (٦) بديع القرآن : ٢١

(٧) يس : ٥٢

الرقاد ؛ أى النوم ؛ والمستعار له الموت ، والجامع عـــــدم ظهور الفعل .
والـكل عقلى .

ومثله[1] : « ولمّا سكت عن مُوسى الغَضَب » . والمستعار السكوت ، والمستعار منه الساكت ، والمستعار له الغضب .

الرابع — استعارة محسوس لمعقول بوجه عقلى أيضاً ؛ نحو[2] : « مسّتْهم البَأساءُ والضَّرّاءُ » . استعير المس ، وهو حقيقة فى الأجسام ، وهو محسوس ، لمقاساة الشدة ؛ والجامع اللحوق ؛ وهما عقليان . «[3] بل نَقْذِفُ بالحقّ على الباطل فيَدْمَغُه » . فالقذف والدمْغ مستعاران ، وهما محسوسان . والحق والباطل مستعار لهما ، وهما معقولان . «[4] ضُرِبَتْ عليهم الذِّلّةُ أيْنَما ثُقِفُوا إلّا بحَبْلٍ من الله وحَبْلٍ من الناس » . استعير الحبل المحسوس للعهد وهو معقول . «[5] فاصْدَعْ بما تُؤْمَر » استعير الصدع ، وهو كسر الزجاجة ، وهو محسوس ، للتبليغ وهو معقول . والجامع التأثير وهو أبلغ من بلّغ ، وإن كان بمعناه ؛ لأن تأثير الصدع أبلغ من تأثير التبليغ ، فقد لا يؤثر التبليغ ، والصدع يؤثر جزماً . «[6] واخفِضْ لهما جناحَ الذُّل » . قال الراغب[7] : لما كان الذل على ضربين : ضرب يَضَع الإنسان ، وضربٌ يرفعه ، وقصد فى هذا المكان إلى ما يرفع استعير [٤٧ ب] لفظ الجناح ؛ فكأنه قيل استعمل الذل الذى يرفعك عند الله . وكذا قوله[8] : الذينَ يَخُوضونَ فى آياتنا » . «[9] فنَبَذُوه وراءَ ظُهورِهم » . «[10] أفمن أسَّسَ

(١) الأعراف : ١٥٤ (٢) البقرة : ٢١٤ (٣) الأنبياء : ١٨
(٤) آل عمران : ١١٢ (٥) الحجر : ٩٤ (٦) الإسراء : ٢٤
(٧) المفردات : ١٠٠ (٨) الأنعام : ٦٨ (٩) آل عمران : ١٨٧
(١٠) التوبة : ١٠٩

بُنْيَانَه على تَقْوَى من الله ورضوانٍ خَيْرٌ أمْ مَنْ أسَّسَ بُنْيانَه » . «[1] ويبغونها عِوَجاً » . «[2] لِتُخْرِجَ الناسَ من الظلمات إلى النور » . «[3] فجعلناه هَبَاءً مَنْثُوراً » . «[4] فى كلِّ وَادٍ يَهِيمُون » . «[5] ولا تجعلْ يَدَكَ مغلولةً إلى عنُقك » . كلها من استعارة المحسوس للمعقول . والجامع عقلى .

الخامس — استعارة معقول لمحسوس ، والجامع عقلى أيضاً ، نحو[6] : « إنّا لَمَّا طغَى المـاءُ حَمَلْنَاكُم فى الجارِيَة » . المستعار منه التكبر وهو عقلى ، والمستعار له كثرة الماء وهو حسى ، والجامع الاستعلاء وهو عقلى أيضاً . ومنه[7] : « تـكادُ تَمَيَّزُ منَ الغَيْظ » . «[8] وجعَلْنَا آيةَ النهارِ مُبْصِرَةً » .

* * *

وتنقسم باعتبار اللفظ إلى :

أصلية ؛ وهى ما كان اللفظ المستعار فيهـا اسم جنس كآية : بحبل الله . من الظلمات إلى النور . فى كل وَادٍ .

وتبعية ، وهى ما كان اللفظ فيها غير اسم جنس ، كالفعل والمشتقات ، كسائر الآيات السابقة ، وكالحروف ، نحو[9] : « فالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعون لِيكونَ لهم عَدُوًّا وحَزَنًا» . شبه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب غلبة الغائية عليه ، ثم استعير فى المشبه اللام الموضوعة للمشبه به .

* * *

---

(١) هود : ١٩ (٢) إبراهيم : ١ (٣) الفرقان : ٢٣

(٤) الشعراء : ٢٢٥ (٥) الإسراء : ٢٩ (٦) الحاقة : ١١

(٧) الملك : ٨ (٨) الإسراء : ١٢ (٩) القصص : ٨

وتنقسم باعتبار آخر إلى مرشحة ، ومجرَّدة ، ومطلَقة :

فالأولى — وهى أبلغها — أن تقترن بما يلائم المستعار منه ، نحو[1] : « أولئكَ الذين اشتَرَوُا الضلالةَ بالهُدَى فما رَبِحَتْ تجارتُهم » . استعير الاشتراء للاستبدال والاختيار ، ثم قُرن بما يلائمه من الربح والتجارة .

والثانية — أن تقترن بما يلائم المستعار له ، نحو[2] : « فأَذَاقَها اللهُ لِباسَ الجوعِ والخوْف » . استعير اللباس للجوع ، ثم قُرن بما يلائم المستعار له من الإذاقة ، ولو أراد الترشيح لقال : فكساها ؛ لكن التجريد أبلغ لما فى لفظ الإذاقة من المبالغة فى الألم باطناً .

والثالثة — ألا تقترن بواحد منهما .

* * *

وتنقسم باعتبار آخر إلى : تحقيقية ، وتخييلية ، ومكنية ، وتصريحية :

فالأولى : ما تحقق معناها حسا ، نحو[3] : « فأذاقهاَ اللهُ لباسَ الجوع والخوف ... » الآية . أو عقلا ، نحو[4] : « وأَنْزَلنَا إليكم نُوراً » ، أى بياناً واضحاً وحجة دامغة . «[5] اهدِنا الصراطَ المستقيم » ، أى الدين الحق ، فإن كلا منهما متحقق عقلا .

والثانية : أن يضمر التشبيه فى النفس فلا يصرح بشىء من أركانه سوى المشبه ؛ ويدل على ذلك التشبيه المضمر فى النفس بأن يَثْبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به ، ويسمى ذلك التشبيه المضمر استعارة بالكناية ومكنيا عنها ، لأنه لم يصرح به ، بل دل عليه بذكر خواصه .

(١) البقرة : ١٦ (٢) النحل : ١١٢ (٣) النحل : ١١٢
(٤) النساء : ١٧٣ (٥) الفاتحة : ٦

ويقابله التصريحية . ويسمى إثبات ذلك الأمر المختص بالمشبه به المشبه استعارة تخييليـــــة ؛ لأنه قد استعير للمشبه ذلك الأمر المختص بالمشبه به ، وبه يكون كال المشبه وقوامه فى وجه الشبه ؛ لتخيل أن المشبَّه من جنس المشبه به .

ومن أمثلة ذلك[1] : «الذين ينقضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ ميثاقِه» . شبه العهد بالحبل ، وأضمر فى النفس ؛ فلم يصرح بشىء من أركان التشبيه سوى العهد المشبه ، ودل عليه بإثبات النقيض الذى هو من خواص المشبه به ، وهو الحبل . وكذا[2]: « واشتعل الرأسُ شَيْباً » . طوى ذكر المشبه به وهو النار ، ودل عليه بلازمه وهو الاشتعال . « [3] فأذاقها اللهُ ... » الآية . شبه ما يدرك من أثر الضر والألم بما يدرك من طعم المر فأوقع عليه الإذاقة . «[4]ختم اللهُ على قلوبهم» . شبهها فى ألا تقبل الحق بالشىء الموثوق المختوم ، ثم أثبت لها الختم . «[5]جداراً يُريدُ أنْ يَنقَضَّ» . شبه ميلانه للسقوط بانحراف الحى ، فأثبت له الإرادة التى هى من خواص العقلاء .

ومن التصريحية آية : «[6] مسَّتْهُم البأساءُ والضرَّاءُ» . « [7] مَنْ بعثَنَا مِنْ مَرْقَدِنا » .

* * *

وتنقسم باعتبار آخر إلى وفاقية ؛ بأن يكون اجتماعهما فى شىء ممكناً ، نحو[8]: « أوَمَنْ كان مَيْتاً فأحييناه » ، أى ضالا فهديناه . استعير الإحياء من جعل

(١) البقرة : ٢٧ (٢) مريم : ٤ (٣) النحل : ١١٢
(٤) البقرة : ٧ (٥) الكهف : ٧٧ (٦) البقرة : ٢١٤
(٧) يس : ٥٢ (٨) الأنعام : ١٢٢

الشيء حيا – للهداية التي هي الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب ؛ والإحياء والهداية مما يمكن اجتماعهما في شيء .

وعنادية ؛ وهي ما لا يمكن اجتماعهما في شيء ، كاستعارة اسم المعدوم للموجود لعدم نفعه ، واجتماع الوجود والعدم في شيء ممتنع [٤٨ ا] . ومن العنادية التهكمية والتمليحية ؛ وهما ما استعمل في ضد أو نقيض ، نحو(١) : « فَبَشِّرْهُم بعذابٍ أليم » ؛ أي أنذرهم . استُعيرت البشارة وهي في الإخبار بما يسرّ للإنذار الذي هو ضده بإدخاله في جنسها على سبيل التهكم والاستهزاء ، ونحو(٢) : « إِنَّكَ لَأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيد » . عنوا الغوي السفيه تهكما . « (٣) ذُقْ إنكَ أنْتَ العزيزُ الكريم » .

* * *

وتنقسم باعتبار آخر إلى : تمثيلية ؛ وهي أن يكون وجه الشبه فيها منتزعاً من متعدد ، نحو(٤) : « واعتصموا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً » . شبه استظهار العبد بالله ووثوقه بحمايته والنجاة من المكاره باستمساك الواقع في مَهْوَاةٍ بحبل وثيق مدلى من مكان مرتفع يؤمَن انقطاعه .

تنبيه

قد تكون الاستعارة بلفظين ، نحو(٥) : « قَوَارِير . قَوَارِير مِنْ فضّة » . يعني تلك الأواني ليست من الزجاج ولا من الفضة ؛ بل في صفاء القارورة وبياض

(١) آل عمران : ٢١ (٢) هود : ٨٧ (٣) الدخان : ٤٩
(٤) آل عمران : ١٠٣ (٥) الانسان : ١٥ ، ١٦

الفضة . «[1]فَصَبَّ عليهم ربُّكَ سَوْطَ عَذَاب» . فالصبُّ كناية عن الدوام ، والسوط عن الإيلام ؛ فالمعنى عذبهم عذاباً دائماً مؤلماً .

فائدة

أنكر قوم الاستعارة بناء على إنكارهم المجاز ، وقوم إطلاقها فى القرآن ، لأن فيها إيهاماً للحاجة ، ولأنه لم يرد فى ذلك إذنٌ من الشرع ، وعليه القاضى عبد الوهاب المالكى . وقال الطرطوسى[2] : إن أطلق المسلمون الاستعارة فيه أطلقناها ، وإن امتنعوا امتنعنا ، ويكون هذا من قبيل أن الله عالم ، والعلم هو العقل ، ثم لا نَصِفُه به لعدم التوقيف . انتهى .

فائدة ثانية

تقدم أن التشبيه من أعلى أنواع البلاغة وأشرفها . واتفق البلغاء على أن الاستعارة أبلغ منه ؛ لأنها مجاز وهو حقيقة . والمجاز أبلغ ، فإذاً الاستعارة أعلى مراتب الفصاحة ، وكذا الكناية أبلغ من التصريح . والاستعارة أبلغ من الكناية كما قال فى عروس الأفراح : إنه الظاهر ؛ لأ[نها] كالجامعة بين كناية واستعارة ، ولأنها مجاز قطعاً . وفى الكناية خلاف .

وأبلغ أنواع الاستعارة التمثيليةُ ، كما يؤخذ من الكشاف ، ويليها المكنية ، صرح به الطِّيبى لاشتمالها على المجاز العقلى . والترشيحية أبلغ من المجردة والمطلقة .

(١) الفجر : ١٣

(٢) صاحب كتاب عمدة الأحكام ـ كما تقدم . وفى ب : الطرطوشى ـ بالشين المعجمة .

والتخيلية أبلغ من التحقيقية . والمراد بالأبلغية إفادة زيادة التأكيد والمبالغة فى كمال التشبيه ، لا زيادة فى المعنى لا توجد فى غير ذلك .

خاتمة

من المهم تحرير الفرق بين الاستعارة والتشبيه المحذوف الأداة ، نحو : زيد أسد . قال الزمخشرى[1] : فى قوله تعالى[2]: « صمٌّ بُكْمٌ عُمْى » . فإن قلت : فهل يسمى ما فى الآية استعارة ؟ قلت : مختلف فيه . والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة ؛ لأن المستعار له مذكور ، وهم المنافقون ؛ وإنما تطلق الاستعارة حيث يُطوى ذكر المستعار له، ويجعل الكلام خِلْواً عنه صالحا لأن يراد المنقول عنه والمنقول له لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام . ومن ثَمَّ ترى المُفْلِقِين المهرة[3] يتناسَوْن التشبيه ، ويضربون عنه صفحا .

وعلله السكاكى بأن من شرط الاستعارة إمكانَ حمل الكلام على الحقيقة فى الظاهر وتَنَاسِى التشبيه ، و « زيد أسد » لا يمكن كونه حقيقة ، فلا يجوز أن يكون استعارة . وتابعه صاحب الإيضاح .

وقال فى عروس الأفراح : وما قالاه ممنوع ، وليس من شرط الاستعارة صلاحيةُ الكلام لصرفه إلى الحقيقة فى الظاهر . قال : بل لو عكس ذلك ، وقال : لا بد من صلاحيته لكان أقرب ؛ لأن الاستعارة مجاز لا بد له من قرينة ، فإن لم تكن له قرينة امتنع صرفُه إلى الاستعارة ، وصرفناه إلى حقيقته ، وإنما نصرفه إلى الاستعارة بقرينة : إما لفظية أو معنوية ؛ نحو : زيد أسد . فالإخبار به عن زيد قرينة صارفة عن إرادة حقيقته .

---

(١) الكشاف : ١ ـ ٣٢ (٢) البقرة : ١٨

(٣) فى الكشاف ، والإتقان : السحرة .

قال : والذى [٤٨ ب] نختاره فى نحو « زيد أسد » أنه قسمان : تارة يُقصد به [التشبيه ، فتكون أداة التشبيه مقدرة ، وتارة يقصد به][1] الاستعارة فلا تكون مقدّرة ، ويكون الأسد مستعملا فى حقيقته ، وذكر « زيد » والإخبار عنه بما لا يصلح له حقيقةً قرينةٌ — صارفة إلى الاستعارة دالة عليها ؛ فإن قامت قرينة على حذف الأداة صرنا إليه ، وإن لم تكن[2] فنحن بين إضمار واستعارة ؛ والاستعارة أولى ، فيصار إليها .

وممّن صرح بهذا الفرق عبد اللطيف البغدادى فى قوانين البلاغة ، وكذا قال حازم : الفرق بينهما أن الاستعارة وإن كان فيها معنى التشبيه فتقدير حرف التشبيه لا يجوز فيها ، والتشبيه بغير حرف على خلاف ذلك ؛ لأن تقدير حرف التشبيه واجب فيه .

* * *

الوجه الخامس والعشرون من وجوه إعجازه

وقوع الكناية والتعريض

وقد قدمنا آنفاً أن الكناية أبلغ من التصريح ، وهما من أنواع البلاغة وأساليبِ الفصاحة . وعرّفها أهل البيان بأنها لفظ أُريد به لازم معناه .

وقال الطيبى : ترك التصريح بالشىء إلى ما يساويه فى اللزوم ، فينتقل منه إلى الملزوم . وأنكر وقوعها فى القرآن من أنكر المجاز فيه بناء على أنها مجاز . وقد تقدم الخلاف فى ذلك .

---

(١) من ب .

(٢) فى الإتقان : وإن لم تقم .

[أسباب الكناية]

وللكناية أسباب :

أحدها : التنبيه على عظم القدرة ، نحو[1] : « هو الذى خلقكم مِنْ نَفْسٍ واحدةٍ » ؛ كناية عن آدم .

وثانيها : ترك اللفظ إلى ما هو أجمل ، نحو[2] : « إنَّ هذا أَخِى له تِسْعٌ وتسعون نَعْجَةً ولى نعجةٌ واحِدة » ، فكنى بالنعجة عن المرأة كعادة العرب فى ذلك ، لأن ترك التصريح بذكر المرأة أجمل منه ، ولهذا لم تذكر فى القرآن امرأة باسمها إلا مريم . قال السهيلى : وإنما ذُكرت مريم باسمها على خلاف عادة الفصحاء لنكتة ؛ وهى أن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم فى ملأ ، ولا يبتذلون أسماءهن ؛ بل يكنون عن الزوجة بالفرس والعيال ونحو ذلك ؛ فإذا ذكروا الإماء لم يكنوا عنهن ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر ، فلما قالت النصارى فى مريم ما قالوا صرَّح الله باسمها ، ولو لم يكن تأكيداً للعبودية التى هى صفة لها ، وتأكيداً ؛ لأن عيسى لا أب له وإلا لَنُسب إليه .

ثالثها : أن يكون الصريح مما يستقبح ذكره ؛ ككناية الله عن الجماع بالملامسة والمباشرة ، والإفضاء والرفَث ، والدخول ، والسر فى قوله[3] : « ولكِنْ لا تُوَاعِدُوهنّ سِرّا » . والغشيان فى قوله[4] : « فلما تغَشَّاها » .

أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس ، قال : المباشرة الجماع ، ولكن الله يكنى .

وأخرج عنه ، قال : إنّ الله كريم يكنى ما شاء ، وإن الرفَث هو الجماع .

(١) الأعراف : ١٨٩ (٢) ص : ٢٣ (٣) البقرة : ٢٣٥
(٤) الأعراف : ١٨٩

وكني عن طلبه بالمراودة فى قوله[1] : « ورَاوَدَتْهُ التى هُوَ فى بيتِها عن نَفْسِه » .
وعنه أو عن المعانقة باللباس فى قوله[2]: « هُنّ لِباسٌ لكم وأنتُم لِباسٌ لَهُنّ » .
وبالحرث فى قوله[3] : « نِساؤُكم حَرْثٌ لكم » .

وكنى عن البول ونحوه بالغائط فى قوله[4]: «أو جاء أحَدٌ منكم مِنَ الغائط».
وأصله المكان المطمئن من الأرض .

وكنى عن قضاء الحاجة بأكل الطعام فى قوله فى مريم وابنها[5] : « كانَا يأْكُلَانِ الطعامَ » .

وكنى عن الأستاه بالأدبار فى قوله[6]: « يضربُونَ وُجُوهَهم وأدْبَارَهم » .
أخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد فى هذه الآية قال : يعنى أستاههم ، ولكن الله يكنى ما شاء .

وأورد على ذلك التصريح بالفَرْج فى قوله[7] : « والتى أحصنَتْ فَرْجَها » .

وأجيب بأن المراد به فرج القميص ، والتعبير به من لطيف الكنايات وأحسنها ؛ أى لم يعلق ثوبها ريبة ، فهى طاهرة الثوب ، كما يقال نقىّ الثوب ، وعفيف الذيل — كناية عن العفة . ومنه[8] : « وثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » . وكيف يظن أن نفخ جبريل وقع فى فرجها ، وإنما نفخ فى جيب دِرْعها . ونظيره أيضاً[9] : « ولا يَأْتِين بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَه بين أيديهنّ وأرجلهن » .

قلت : وعلى هذا ففى الآية كناية عن كناية ، ونظيره [٤٩ ا] ماتقدم من مجاز المجاز .

(١) يوسف : ٢٣ (٢) البقرة : ١٨٧ (٣) البقرة : ٢٢٣
(٤) المائدة : ٦ (٥) المائدة : ٧٥ (٦) الأنفال : ٥٠
(٧) الأنبياء : ٩١ (٨) المدثر : ٤ (٩) الممتحنة : ١٢

رابعها : قصد المبالغة والبلاغة ، نحو[1] : « أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وهو في الخصامِ غيرُ مُبين » . كنى عن النساء بأنهنّ ينشأن في الترفه والتزيّن والشواغل عن النظر في الأمور ودقيق المعاني ، ولو أتى بلفظ النساء لم يشعر بذلك ، والمراد نفي ذلك عن الملائكة . وقوله[2] : « بل يَدَاهُ مَبْسُوطَتَان » . كناية عن سعة جوده وكرمه جداً .

خامسها : قصد الاختصار ، كالكناية عن ألفاظ متعددة بلفظ « فعل » ، نحو[3] : « لَبِئْسَ ما كانوا يَفْعَلُون » . « [4] فإنْ لم تَفْعَلوا ولَنْ تَفْعلوا » ؛ أي فإن لم تأتوا بسورة من مثله .

سادسها : التنبيه على مصيره ، نحو[5] : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ » ، أي جهنّمي مصيره إلى اللهب . حَمَّالة الحطب في جيدها حبل ؛ أي نمّامة ، مصيرها إلى أن تكون حطباً لجهنم في جيدها غُل .

قال بدر الدين بن مالك في المصباح[6] : إنما يعدل عن الصريح إلى الكناية لنكتة ؛ كالإيضاح ، أو بيان حال الموصوف، أو مقدار حاله ، أو القصد إلى المدح أو الذم ، أو الاختصار ، أو الستر أو الصيانة ، أو التعمية أو الإلغاز ، أو التعبير عن الصعب بالسهل ، أو عن المعنى القبيح باللفظ الحسن .

واستنبط الزمخشري[7] نوعاً من الكناية غريبا ، وهو أن تعمد إلى جملة معناها على خلاف الظاهر ، فتأخذ الخلاصة من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة والمجاز ،

---

(١) الزخرف : ٧٨ (٢) المائدة : ٦٤ (٣) المائدة : ٧٩
(٤) البقرة : ٢٤ (٥) اللهب : ١
(٦) المصباح في تلخيص المفتاح لمحمد بن عبد الله بن مالك الملقب بابن الناظم أحد أئمة النحو والمعاني والبديع ، توفي سنة ٦٨٦ (طبقات الشافعية : ٥ — ٤١) .
(٧) الكشاف : ٢ — ٢٠

فتعبّر بها عن المقصود ، كما تقول فى نحو[1] : « الرَّحْمٰن عَلَى العَرْشِ استوى » . إنه كناية عن الملك ؛ فإن الاستواء على السرير لا يكون إلا مع الملك ؛ فجُعل كناية عنه . وكذا قوله[2] : « والأَرْضُ جميعاً قَبْضَتُه يَوْمَ القيامة والسموات مَطْوِيّاتٌ بيمينه » — كناية عن عظمته وجلاله من غير ذهاب بالقبض واليمين إلى جهتين : حقيقة ومجاز .

تذنيب

من أنواع البديع التى تشبه الكناية الإرداف ؛ وهو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبّر عنه بلفظه الموضوع له ، ولا بدلالة الإشارة ؛ بل بلفظ يرادفه ؛ كقوله تعالى[3] : « وقُضِيَ الأَمْر » . والأصل : وهلك من قضى الله هلاكه ، ونجا من قضى الله نجاته ، وعدل عن لفظ ذلك إلى الإرداف ، لما فيه من الايجاز والتنبيه على أن هلاك الهالك ونجاة الناجى كان بأمر آمر مطاع ، وقضاء من لا يُرد قضاؤه ؛ والأمر يستلزم آمرا ، فقضاؤه يدل على قدرة الآمر به وقهره ؛ وأن الخوف من عقابه ورجاء ثوابه يحضّان على طاعة الآمر ؛ ولا يحصل ذلك كله من اللفظ الخاص .

وكذا قوله[4] : «واستَوَتْ عَلَى الجودِيّ» — حقيقة ذلك : جلست ، فعدل عن اللفظ الخاص بالمعنى إلى مرادفه ، لما فى الاستواء من الإشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل ؛ وهذا لا يحصل من لفظ الجلوس .

وكذا[5] : « فيهنَّ قاصِرَاتُ الطَّرْفِ » ؛ عفيفات ، وعدل عنه للدلالة

---

(١) طه : ٥ (٢) الزمر : ٦٧ (٣) البقرة : ٢١٠

(٤) هود : ٤٤ (٥) الرحمن : ٥٦

على أنهن مع العفة لا تطمح أعينهن إلى غير أزواجهن ، ولا يشتهين غيرهم . ولا يؤخذ ذلك من لفظ العفة .

قال بعضهم : والفرق بين الكناية والإرداف أن الكناية انتقال من لازم إلى ملزوم . والإرداف من مذكور إلى متروك .

ومن أمثلته أيضاً : «[1] لِيَجْزِيَ الذين أساءُوا بما عَمِلوا وَيَجْزِيَ الذين أحسنُوا بالحُسْنَى » . عدل فى الجملة الأولى عن قوله « بالسوءى » مع أن فيه مطابقة كالجملة الثانية — إلى بما عملوا ، تأدّباً أن يُضاف السوء إلى الله تعالى .

فصل

للناس فى الفرق بين الكناية والتعريض عبارات متقاربة ، فقال الزمخشرى : الكناية ذكر الشىء بغير لفظه الموضوع له . والتعريض أن يذكر شيئاً يدل به على شىء لم يذكره .

وقال ابن الأثير[2] : الكناية ما دل على معنى يجوز حمله على الحقيقة والمجاز بوصفٍ جامع بينهما . والتعريض: اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقى أو المجازى كقول مَنْ يتوقع صلة : والله إنى محتاج ؛ فإنه تعريض بالطلب ، مع أنه لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً ، وإنما فهم [٤٩ ب] من عُرض اللفظ ، أى جانبه .

وقال السبكى فى كتاب الإغريض فى الفرق بين الكناية والتعريض : الكناية لفظ استعمل فى معناه مراداً منه لازم المعنى ، فهو بحسب استعمال اللفظ فى المعنى

---

(١) النجم : ٣١ (٢) المثل السائر : ٣ — ٥٢

حقيقة ، والتجوّز فى إرادة إفادة ما لم يوضع له ؛ وقد لا يراد منها المعنى ، بل يعبّر باللزوم عن اللازم ، وهى حينئذ مجاز .

ومن أمثلته [١] : « قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا » ، فإنه لم يقصد إفادة ذلك ، لأنه معلوم ، بل إفادة لازمه وهو أنهم يرِدُونها ويجدون حرها إن لم يجاهدوا .

وأما التعريض فهو لفظ استعمل فى معناه للتلويح بغيره ، نحو [٢] : « بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هذا » . نسب الفعل إلى كبير الأصنام المتخذة آلهة ، كأنه غضب أن تُعْبَد الصغار معه ؛ تلويحاً لعابيدها بأنها لا تصلح أن تكون آلهة لما يعلمون — إذا نظروا بعقولهم — من عجز كبيرها عن ذلك الفعل ، والإله لا يكون عاجزاً ، فهو حقيقة أبدا .

وقال السكاكى : التعريض ما سيق لأجل موصوف غير مذكور ، ومنه أن يخاطَب واحد ويُراد غيره ؛ وسمى به لأنه أُميل الكلام إلى جانب مشاراً به إلى آخر ، يقال : نظر إليه بعُرض وجهه ، أى جانبه .

قال الطِّيبى : وذاك يفعل إما لتنويه جانب الموصوف ، ومنه [٣] : « ورَفَع بَعْضَهم درَجاتٍ » ؛ أى محمداً صلى الله عليه وسلم إعلاءً لقدره ؛ أى أنه العلَم الذى لا يشتبه . وإما التلطُّف به واحترازاً عن المخاشنة ، نحو [٤] : « ومالى لا أَعْبُدُ الذى فَطَرَنى » : أى ومالكم لا تعبدون ، بدليل قوله : وإليه ترجعون . وكذا قوله [٥] : «أأتَّخِذُ مِنْ دُونِه آلهةً » . ووجهُ حسنه إسماع من يقصد خطابه الحقَّ على وجه يمنع غضبه، إذ لم يصرح بنسبته للباطل ، والإعانة على قبوله ؛ إذ لم يُرد له إلا ما أراد لنفسه .

---

(١) التوبة : ٨١ (٢) الأنبياء : ٦٣ (٣) البقرة : ٢٥٣
(٤) يس : ٢٢ (٥) يس : ٢٣

وإما لاستدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم ، ومنه[1] : « لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ » . خوطب النبي صلى الله عليه وسلم وأريد غيره ، لاستحالة الشرك عليه شرعاً .

وإما للذمّ ، نحو[2] : « إنما يتذكَّرُ أولُو الألباب » ، فإنه تعريض بذم الكفار ، وأنهم فى حكم البهائم الذين لا يتذكرون .

وإما للإهانة والتوبيخ ، نحو[3] : « وإذا الْمَوْءُودةُ سُئِلَتْ . بأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ » ، فإن سؤالها لإهانة قاتلها وتوبيخه .

قال السبكى : التعريض قسمان :

قسم يُراد به معناه الحقيقى ، ويُشار به إلى المعنى الآخر المقصود كما تقدم .

وقسم لا يُراد ، بل يضرب مثلا للمعنى الذى هو مقصود التعريض ، كقول إبراهيم[4] : « بل فَعلَهُ كَبِيرُهم هذا » .

* * *

الوجه السادس والعشرون من وجوه إعجازه

إيجازه فى آية وإطنابه فى أخرى

وهما من أعظم أنواع البلاغة

واختلف ؛ هل بينهما واسطة — وهى المساواة — أوْلاَ ؛ وهى داخلة فى قسم الإيجاز ؟ فالسكاكى وجماعة على الأول ؛ لكنهم جعلوا المساواة غير محمودة

---

(١) الزمر : ٦٥ (٢) الزمر : ٩ (٣) التكوير : ٨ ، ٩
(٤) الأنبياء ٦٣

ولا مذمومة ؛ لأنهم فسروها بالمتعارف من كلام أوساط الناس الذين ليسوا فى رتبة البلاغة ، وفسروا الإيجاز بأداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف .

والإطناب أداؤه بأكثر منها لكون المقام حقيقاً بالبسط .

وابن الأثير[1] وجماعة على الثانى ؛ فقالوا : الإيجاز التعبير عن المراد بلفظ غير زائد . والإطناب بلفظ أزيد .

وقال القَزْوينى : الأقرب أن يُقال إن المقبول[2] من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله ، إما بلفظ مساو للأصل المراد ، أو ناقص عنه واف ، أو زائد عليه لفائدة . والأول المساواة ، والثانى الإيجاز ، والثالث الإطناب . واحترز بواف عن الإخلال ، وبقوله لفائدة — عن الحشو والتطويل ، فعنده ثبوت المساواة واسطة ، وأنها من قسم المقبول .

فإن قلت : عدمُ ذكرك المساواة فى الترجمة لماذا ؟ هل هو لرجحان نَفْيها ، أو عدم قبولها ، أو لأمر غير ذلك ؟

قلت : لهما ، ولأمر ثالث ، وهو أن المساواة لا تكاد توجد خصوصاً فى القرآن . وقد مثّل لها فى التلخيص بقوله تعالى[3]: « ولا يَحِيقُ المَكْرُ السيِّءُ إلّا بأهله » .

وفى الإيضاح بقوله تعالى[4] : « وإذا رأيْتَ الذين يَخُوضُونَ فى آياتنا فأعْرِضْ عنهم » [٥٠ ا] .

وتُعقّب بأن فى الآية الثانية حذف موصوف الذين ، وفى الأولى إطناب بلفظ السيء ، لأن لفظ المكر لا يكون إلا سيئاً ، وإيجاز بالحذف إن كان

---

(١) المثل السائر : ٢ — ٢٧٠
(٢) فى الإتقان : المنقول .
(٣) فاطر : ٤٣
(٤) الأنعام : ٦٨

الاستثناء غير مفرّغ ، أى بأحد ، وبالقِصَر[1] فى الاستثناء وبكونها حائقة على كف الأذى عن جميع النـاس ، محذرة عن جميع ما يؤدى إليه ، وبأن تدبيرها يضر بصاحبه مَضَرة بليغة ، فأخرج الـكلام مخرج الاستعارة التبعية الواقعة على سبيل التمثيلية[2] ، لأنّ يحيق بمعنى يحيط فلا يستعمل إلا فى الأجسام .

تنبيه

الايجاز والاختصار بمعنى واحد ، كما يؤخذ من المفتاح ، وصرح به الخطيبى[3] .

وقال بعضهم : الاختصار خاص بحذف الجمل فقط ، بخلاف الإيجاز . قال الشيخ بهاء الدين : وليس بشىء .

والإطناب قيل بمعنى الإسهاب ، [والحق أنه أخص منه ، فإن الإسهاب][4] التطويل لفائدة أو لغير فائدة ، كما ذكره التنوخى وغيره .

فصل

الإيجاز قسمان : إيجاز قصر ، وإيجاز حذف

فالأول هو الوجيز بلفظه . قال الشيخ بهاء الدين : الـكلام القليل إن كان بعضاً من كلام أطول منه فهو إيجاز حذف ، وإن كان كلاماً يعطى معنى أطول منه فهو إيجاز قصر .

---

(١) فى ا : وفى القصر .　　(٢) فى الاتقان : التمثيل .

(٣) فى الإتقان : الطيبى . والخطيبى إمام فى العلوم العقلية والنقلية ، وقد شرح التلخيص ، مات سنة ٧٤٥ (بغية الوعاة : ١٩٦) .

(٤) من الإتقان .

وقال بعضهم : إيجاز القصر هو تكثير المعنى بتقليل اللفظ .

وقال آخر : هو أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقل من القدر المعهود عادة .

وسببُ حسنه أنه يدل على التمكن فى الفصاحة ؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : أُوتيتُ جوامعَ الكلم .

وقال الطيبى فى التبيان [١] : الإيجاز الخالى من الحذف ثلاثة أقسام :

أحدها : إيجاز القصر ، وهو أن يُقصر اللفظ على معناه ؛ كقوله تعالى [٢] : « إنه مِنْ سُليمان ، وإنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرحمن الرحيم ... » إلى قوله : « وأتُونى مُسْلمين » — جمع فى أحرف العنوان والكتاب والحاجة .

وقيل فى وصف بليغ : كانت ألفاظه قوالبَ معناه . قلت : وهذا رأى من يدخِل المساواة فى الإيجاز .

الثانى : إيجاز التقدير ، وهو أن يقدر معنى زائداً على المنطوق ، ويسمى بالتضييق أيضاً ؛ وبه سماه بدر الدين بن مالك فى المصباح ؛ لأنه نقص من الكلام ما صار لفظه أضيق من قدر معناه ، نحو [٣] : « فَمَنْ جاءَهُ موعظةٌ من رَبِّهِ فانْتَهى فلَهُ ما سلَف » ؛ أى خطاياه غُفرت ؛ فهى له لا عليه . « [٤] هُدًى للمتقين » ؛ أى الضالين الصائرين بعد الضلال إلى التقوى .

الثالث : الإيجاز الجامع ؛ وهو أن يحتوىَ اللفظُ على معان متعددة ، نحو [٥] : « إنّ اللهَ يأمرُ بالعَدْلِ والإحسان ... » الآية ؛ فإن العدل هو الصراط المستقيم

---

(١) التبيان فى البيان لشرف الدين محمد بن عبد الله الطيبى المتوفى سنة ٧٤٣ .

(٢) النمل : ٣١ (٣) البقرة : ٢٧٥ (٤) البقرة : ٢

(٥) النحل : ٩٠ ، وانظر تحرير التحبير : ٤٦٥

المتوسط بين طرفى الإفراط والتفريط المؤدى[1] به إلى جميع الواجبات فى الاعتقاد والأخلاق والعبودية . والإحسان هو الإخلاص فى واجبات العبودية لتفسيره فى الحديث بقوله : أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاه ؛ أى تعبده مخلصاً فى نيتك ، وواقفاً فى الخضوع ، آخذاً أُهْبَة الحذر إلى ما لا يُحصى ، «وإيتاءِ ذى القُرْبى» هو الزيادة على الواجب من النوافل ؛ هذا فى الأوامر .

وأما النواهى فبالفحشاء الإشارة إلى القوة الشهوانية ؛ وبالمنكر إلى الإفراط الحاصل من آثار الغضبية أو كل محرم شرعاً ؛ وبالبغى إلى الاستعلاء الفائق[2] من ألوهيته .

قلت : ولهذا قال ابن مسعود : ما فى القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية . أخرجه فى المستدرك . وروى البيهقى فى شعب الإيمان عن الحسن أنه قرأها ثم وقف فقال : إن الله جمع لكم الخير والشر كله فى آية واحدة ؛ فوالله ما ترك العدلُ والإحسان من طاعة الله شيئاً إلا جمعه ، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغى من معصية الله شيئاً إلا جمعه .

وروى أيضاً عن ابن شهاب فى معنى حديث الشيخين : بُعثت بجوامع الكلم ، قال : بلغنى أن جوامع الكلم أن الله يجمع لكم الأمور الكثيرة التى كانت تُكتب فى الكُتُب قبله فى الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك .

ومن ذلك قوله تعالى[3] : « خُذِ العَفْوَ ... » الآية ؛ فإنها جامعة لمكارم الأخلاق ؛ لأن فى أخذ العفو التساهل والتسامح فى الحقوق ، واللين والرفق فى الدعاء

---

(١) فى الإتقان : الومى به إلى جميع .

(٢) فى الإتقان : الفائض عن الوهمية .

(٣) الأعراف : ١٩٩

إلى الدين . وفى الأمر بالعرف كفُّ الأذى وغضُّ البصر وما شاكلها من المحرمات . وفى الإعراض الصبر والحلم والتؤدة .

ومن بديع الإيجاز قوله تعالى[1] [٥٠ ب] : « قل هو الله أحَد ... » الخ فإنه نهاية التنزيه . وقد تضمنت الرد على نحو أربعين فرقة ، كما أفردها بالتصنيف بهاء الدين بن شداد .

وقوله[2] : « أخرج منها ماءَها ومرْعَاها » — دلّ بهاتين الكلمتين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للأنعام[3] من العشب والشجر ، والحب والثمر ، والعصف والحطب ، واللباس والنار والملح ؛ لأن النار من العيدان ، والملح من الماء .

وقوله[4] : « لا يُصَدَّعُون عنها ولا يُنْزِفُون » . جمع فيه عيوب الخمر من الصداع ، وعدم العقل ، وذهاب المال ، ونفاد الشراب .

وقوله[5] : « يا أرضُ ابْلَعِي ماءَكِ ... » الآية ، أمر فيها ونَهَى ، وأخبر ونادى ، ونعت وسمّى ، وأهلك وأبقى ، وأسعد وأشقى ، وقص من الأنباء ما لو شُرِح ما اندرج فى هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان — لجفت الأقلام .

وقد أفردت بلاغة هذه الآية بالتأليف .

وفى العجائب للكرْماني : أجمع المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هـذه الآية بعد أن فتّشوا جميع كلام العرب والعجم فلم يجدوا مثلها

---

(١) الإخلاص : ١ (٢) النازعات : ٣١ (٣) فى الإتقان : للأنام

(٤) الواقعة : ١٩ (٥) هود : ٤٤

فى فخامة ألفاظها ، وحسن نظمها ، وجودة معانيها فى تصوير الحال مع الإيجاز من غير إخلال .

وقوله[1] : « يأيُّها النَّمْلُ ادخُلُوا مَساكِنَكم ... » الآية ، جمع فى هذه اللفظة أحد عشر جنساً من الكلام ؛ نادت وكنَتْ ، ونبّهت وسمت ، وأمرت وقصّت ، وحذّرت ، وخصّت وعمّت ، وأشارت وأعذرت .

فالنداء يا . والكناية أى . والتنبيه ها . والتسمية النمل . والأمر ادخلوا . والقصص مساكنكم . والتحذير لا يحطمنكم . والتخصيص سليمان . والتعميم جنوده . والإشارة وهم . والعذر لا يشعرون . فأدت خمسة حقوق : حق الله ، وحق رسوله ، وحقها ، وحق رعيتها ، وحق جنود سليمان .

وقوله[2] : « يا بَنِي آدمَ خُذُوا زِينَتَكم عند كل مَسْجِد ... » الآية ، جمع فيها أصول الكلام : النداء ، والعموم ، والخصوص ، والأمر ، والإباحة ، والنهى ، والخبر .

وقال بعضهم : جمع الله الحكمة فى شطر آية[2] : « كلُوا واشرَبُوا ولا تُسْرِفوا » .

وقوله[3] : « وأوْحينا إلى أمّ موسى أن أرْضِعِيه ... » الآية . قال ابن العربى[4] : هى من أعظم آى القرآن فى الفصاحة ؛ إذ فيها أمران ونهيان ، وخبران وبشارتان .

وقوله[5] : « فاصْدَعْ بما تُؤمَر » . قال ابن أبى الإصبع[6] : المعنى صرّح

---

(١) النمل : ١٨
(٢) الأعراف : ٣١
(٣) القصص : ٧
(٤) أحكام القرآن (٣ ـ ١٤٥٢) .
(٥) الحجر : ٩٤
(٦) بديع القرآن : ٢

بجميع ما أُوحى إليك ، وبلِّغ[١] كل ما أُمِرت ببيانه ، وإن شقّ بعضُ ذلك على بعض القلوب فانصدعت، والمشابهةُ بينهما فيما يؤثره التصريح[٢] فى القلوب، فيظهر أثر ذلك على ظاهر الوجوه من القبض والانبساط ، ويلوح عليها من علامات الإنـكار أو الاستبشار ، كما يظهر على ظاهر الزجاجة المصدوعة ، فانظر إلى جليل هذه الاستعارة ، وعظيم إيجازها ، وما انطوت عليه من المعانى الـكثيرة .

وقد حُكى عن بعض الأعراب أنه لما سمع هذه الآية سجد وقال : سجدت لفصاحة هذا الـكلام .

وقوله تعالى[٣] : « وفيها ما تَشْتَهِيه الأنْفُس وتلذّ الأعين » . قال بعضهم : جمع بهاتين اللفظتين ما لو اجتمع الخَلْقُ كلهم على وصف ما فيها على التفصيل لم يخرجوا عنه .

وقوله[٤] : « ولـكم فى القِصَاص حَيَاةٌ » — قال : معناه كثير ، ولفظه يسير ؛ لأن معناه أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَل قُتِلَ به كان ذلك داعياً إلى ألا يُقْدِم على القتل ؛ فارتفع بالقتل الذى هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض ، وكان ارتفاع القتل حياة لهم .

وقد فُضِّلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب فى هذا المعنى ، وهو قولهم : القتل أَنْفَى[٥] للقتل — بعشرين وجها أو أكثر .

وقد أشار ابن الأثير[٦] إلى إنكار هذا التفضيل ، وقال : لا تشبيه بين كلام الخالق وكلام المخلوق ، وإنما العلماء يقدحون أفهامهم فيما يظهر لهم من ذلك .

---

(١) فى بديع القرآن : وبين . . (٢) فى بديع القرآن : التصديع .
(٣) الزخرف : ٧١ (٤) البقرة : ١٧٩
(٥) قال فى البرهان : بنون وفاء ، ويروى بتاء وقاف . ويروى : أوقى .
(٦) المثل السائر : (٢ ـ ٣٥٢) .

الأول[1] : أن ما يُناظره من كلامهم ، وهو قوله : « القصاص حياة » أقل حروفاً ؛ فإن حروفها عشرة ، وحروف : القتل أنفى للقتل — أربعة عشر .

الثانى : أن نفى القتل لا يستلزم الحياة ، والآية ناصّة على ثبوتها التى هى الغرض المطلوب منه .

الثالث : أن تنكير حياة تفيد تعظيما، فتدل على أن فى القصاص حياة متطاولة، [٥١ ا] كقوله[2] : « ولتجدنّهم أحْرَصَ الناسِ على حياةٍ » ، ولا كذلك المثل ؛ فإن اللام فيه للجنس ، ولذا فسروا الحياة فيها بالبقاء .

الرابع : أن الآية مطردة بخلاف المثل ، فإنه ليس كل قتل أنفى للقتل ، بل قد يكون أدعى له ، وهو القتل ظلماً ، وإنما ينفيه قتل خاص ، وهو القصاص ، ففيه حياة أبداً .

الخامس : أن الآية خالية من تكرار لفظ «القَتْل» الواقع فى المثل ، والخالى من التكرار أفضلُ من المشتمل عليه ، وإن لم يكن مخلا بالفصاحة .

السادس : أن الآية مستغنية عن تقدير محذوف ، بخلاف قولهم ، فإن فيه حذف « من » التى بعد أفعل التفضيل وما بعدها ، وحذف قصاصاً مع القتل الأول وظلماً مع القَتْل الثانى ، والتقدير : القتل قصاصاً أنفى للقتل ظلماً من تركه .

السابع : أن فى الآية طباقاً ؛ لأن القصاص مشعر بضد الحياة ، بخلاف القتل .

الثامن : أن الآية اشتملت على فن بديع ، وهو جعل أحد الضدين الذى هو الفَناء والموت محلا ومكاناً لضده الذى هو الحياة ، واستقرارُ الحياة فى الموت مبالغة

---

(١) من الوجوه العشرين   (٢) البقرة : ٩٦

عظيمة ، ذكره [1] فى الكشاف وعبّر عنه صاحب الإيضاح بأنه جعل القصاص كالمنبع للحياة والمعدن لها بإدخال « فى » عليه .

التاسع : أن فى المثل توالى أسباب كثيرة خفيفة ، وهو السكون بعد الحركة وذلك مستكرَه ، فإن اللفظ المنطوق به إذا توالت حركاته تمكن اللسان من النطق به ، وظهرت فصاحته بخلاف ما إذا تعقب كل حركة سكون ؛ فالحركات تنقطع بالسكنات ، نظيره إذا تحركت الدابة أدنى حركة فجثت [2] ثم تحركت فجثت [2] لا يتبين انطلاقها ، ولا تتمكن من حركتها على ما تختاره ؛ فهى كالمقيدة .

العاشر : أن المثل كالمتناقض من حيث الظاهر ؛ لأن الشىء لا ينفى نفسه .

الحادى عشر : سلامةُ الآية من تكرير قلقلة القاف الموجب للضغط والشدة، وبُعدها عن غُنّة النون .

الثانى عشر : اشتمالها على حروف متلائمة ، لما فيها من الخروج من القاف إلى الصاد ؛ إذ القاف من حروف الاستعلاء ، والصاد من حروف الاستعلاء والإطباق ، بخلاف الخروج من القاف إلى التاء التى هى حرف منخفض ؛ فهو غير ملائم للقاف ، وكذا الخروج من الصاد إلى الحاء أحسنُ من الخروج من اللام إلى الهمزة ، لبُعد ما دون طرف اللسان وأقصى الحلق .

الثالث عشر : فى النطق بالصاد والحاء والتاء حسن الصوت ، ولا كذلك تكرير القاف والتاء .

الرابع عشر : سلامتها من لفظ القتل المشْعِر بالوحشة ؛ بخلاف لفظ الحياة ؛ فإن الطباع أقبل له من لفظ القتل .

---

(١) الكشاف : ١ ـ ٨٦ (٢) فى الاتقان : فحبست . وفى البرهان : فخنست .

الخامس عشر : أن لفظ القصاص مُشْعِر بالمساواة ، فهو منبىء عن العدل ، بخلاف مطلق القتل .

السادس عشر : الآية مبنية على الإثبات والمثَل على النفى ؛ والإثباتُ أشرف ، لأنه أول ، والنفى[1] ثان عنه .

السابع عشر : أن المثل لا يكاد يُفْهَم إلا بعد فهم أن القصاص هو الحياة . وقوله : ولكم فى القصاص حياة مفهوم من أول وَهْلة .

الثامن عشر : أن فى المثل بناء أفعل التفضيل من فعل متعد ، والآية سالمة منه .

التاسع عشر : أن أفعل فى الغالب تقتضى الاشتراك ؛ فيكون ترك القصاص نافياً للقتل ، ولكن القصاص أكثر نفياً ، وليس الأمر كذلك ، والآية سالمة من ذلك .

العشرون : أن الآية رادعة عن القتل والجرح معاً لشمول القصاص لهما ، والحياة أيضاً فى قصاص الأعضاء ؛ لأن قطع العضو ينقص مصلحة الحياة ، وقد يسرى إلى النفس فيزيلها ، ولا كذلك المثل .

ثم فى أول الآية : « ولكمْ » . وفيها لطيفة ؛ وهى بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص ، وأنهم المراد حياتهم لا غيرهم ؛ لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمَنْ سواهم .

---

(١) فى ا : والمنفى .

تنبيهات

الأول — ذكر قُدامة(١) من أنواع البديع الإشارة، وفَسَّرَها بالإتيان بكلام قليل ذي معان جَمَّة، وهـــذا هو إيجاز القِصَر بعينه؛ لـكن فرق بينهما ابن أبي الإصبع(٢) بأن الإيجاز دلالته مطابقة، ودلالة الإشارة إما تضمين أو التزام؛ فعُلِم منه أن المراد بها ما تقدم في مبحث [٥١ ب] المنطوق.

الثاني — ذكر القاضي أبو بكر في إعجاز القرآن(٣) أن من الإيجاز نوعاً يسمى التضمين، وهو حصول معنى في لفظ من غير ذكرٍ له باسم [أو صفة](٤) هي عبارة عنه؛ قال: وهو نوعان: أحدهما ما يُفهم من البنية، كقولك: معلوم. فإنه يوجب أنه لا بد من عالم. والثاني من معنى العبارة(٥)، كبسم الله الرحمن الرحيم، فإنه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله والتبرك باسمه.

الثالث — ذكر ابن الأثير(٦) وصاحب عروس الأفراح وغيرهما أن من أنواع إيجاز القِصَر باب الحصر، سواء كان بإلا أو بإنما أو غيرهما من أدواته؛ لأن الجملة فيها نابت مناب جملتين. وباب العطف؛ لأن حرفه وضع للإغناء عن إعادة العوامل. وباب النائب عن الفاعل؛ لأنه دل على الفاعل بإعطائه حكمه. وعلى المفعول بوضعه. وباب الضمير؛ لأنه وضع للاستغناء عن الظاهر اختصاراً، ولهذا لا يُعْدَل

---

(١) نقد الشعر: ١٧٤ (٢) بديع القرآن: ٨٢
(٣) إعجاز القرآن: ٢٧٢ (٤) من إعجاز القرآن.
(٥) في إعجاز القرآن: وتضمين يوجبه معنى العبارة من حيث لا يصح إلا به، كالصفة بضارب على مضروب...
(٦) المثل السائر: ٢ — ٢٧٥

إلى المنفصل مكان[1] المتصل .

وباب ، علمت أنك قائم ؛ لأنه محل لاسم واحد سدمسد المفعولين من غير حذف .

ومنها باب التنازع إذا لم تقدر على رأى الفراء .

ومنها طرح المفعول اختصاراً[2] على جعْل المتعدى كاللازم ، وسيأتى تحريره .

ومنها جميع أدوات الاستفهام والشرط ؛ فإنّ « كم مالك؟ » يغنى عن قولك : أهو عشرون أم ثلاثون ؟ وهكذا إلى ما لا يتناهى .

ومنها الألفاظ الملازمة للعموم كأحد .

ومنها لفظ التثنية والجمع ، فإنه يغنى عن تكرير المفرد ، وأقيم الحرفُ فيها مقامه اختصاراً .

ومما يصلح أن يعد من أنواعه المسمى بالاتساع[3] من أنواع البديع ؛ وهو أن يأتى بكلام يتسع فيه التأويل بحسب ما تحتمله ألفاظه من المعانى ، كفواتح السور ، ذكره ابن أبى الإصبع[4] .

* * *

القسم الثانى من قسمى الإيجاز إيجاز الحذف ، وله فوائد .

ذكر أسبابه :

منها : مجرّد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره .

ومنها : التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف ، وأن الاشتغال بذكره يُفضى إلى تفويت المهم ، وهذه هى فائدة باب التحذير والإغراء ،

---

(١) فى الاتقان : مع إمكان .
(٢) فى الاتقان : اقتصاراً
(٣) فى ب : بالإشباع .
(٤) بديع القرآن : ١٧٣

وقد اجتمعا فى قوله[1] : « نَاقَةَ اللهِ وسُقْيَاهَا » ؛ فناقة الله تحذير بتقدير ذَرُوا . وسقياها إغراء بتقدير الزموا .

ومنها : التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام . قال حازم فى « منهاج البلغاء » : إنما يحسن الحذفُ لقوة الدلالة عليه ، أو يقصد به تعديد أشياء ، فيكون فى تعدادها طولٌ وسآمة ، فيحذف ويكتفى بدلالة الحال وتُتْرك النفس تجول فى الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها . قال : ولهذا القصد يؤثر فى المواضع التى يراد بها التعجب والتهويل على النفوس . ومنه قوله فى وصف أهل الجنة[2] : « حتى إذا جاءُوها وفُتِحَتْ أبوابُها » . فحذف الجواب إذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى ؛ فجُعِل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه وتَرْك[3] النفوس تقدر ما شاءته ، ولا تبلغ مع ذلك كنه ما هنالك .

وكذا قوله[4] : « وَلَوْ تَرَى إذ وُقِفُوا على النَّار » ، أى لرأيت أمراً فظيعاً لا تكاد تحيط به العبارة .

ومنها : التخفيف لكثرة دورانه فى الكلام ، كما فى حذف حرف النداء ، نحو[5] : « يُوسُفُ أعْرِض عن هذا » . ونون لم يك ، والجمع السالم . ومنه قراءة[6] : والمقيمى الصلاة . وياء[7] : « واللَّيْلِ إذا يَسْرِ » .

---

(١) الشمس : ١٣ (٢) الزمر : ٧٣
(٣) فى الإتقان والبرهان : وتركت . (٤) الأنعام : ٢٧
(٥) يوسف : ٢٩
(٦) الحج : ٣٥ . وهذه القراءة ـ بالنصب ـ قراءة أبى عمرو . (القرطبى : ١٢ ـ ٥٩).
(٧) الفجر : ٤

وسأل المؤرِّج السدوسى الأخفش عن هذه الآية ، فقال : عادةُ العرب أنها إذا عدلت بالشىء عن معناه نقصت حروفه ، والليل لما كان لا يَسْرِى ، وإنما يُسرى فيه ، نقص منه حرف ، كما قال تعالى[1] : « وما كانت أمّكِ بغِيًّا » . الأصل بغية ، فلما حوّل عن فاعل نقص منه حرف .

ومنها : كونه لا يصلح إلا له ؛ نحو[2]: «عالم الغَيْبِ والشهادة» . «[3] فعَّال لما يُرِيد » .

ومنها : شهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء ؛ قال الزمخشرى : وهو نوع من دلالة الحال التى لسانها أنطق من لسان المقال ؛ وحمل عليه قراءة حمزة[4] : «تَسَاءَلُونَ بهِ والأرْحَامِ » ؛ لأن هذا مكان شهر بتكرير الجار ؛ فقامت الشهرة مقام الذكر .

ومنها : [١٥٢ ا] صيانته عن ذكره تشريفاً ، كقوله[5] : « قال فِرْعَوْن وما ربُّ العالمين . قال ربّ السموات والأرض ... » الآيات . حذف فيها المبتدأ فى ثلاثة مواضع قبل ذكر الرب ؛ أى هو رب . والله ربكم . والله رب المشرق ؛ لأن موسى استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال فأضمر اسم الله تعظيما وتفخيما .

ومثله فى عروس الأفراح[6] : « ربِّ أرِنى أنظُرْ إليكَ » ؛ أى ذاتك .

ومنها : صيانة اللسان عنه تحقيراً له ؛ نحو[7] : « صمٌّ بكمٌ » . أى هم . أو المنافقون .

---

(١) مريم : ٢٨ (٢) المؤمنون : ٩٢ (٣) هود : ١٠٧
(٤) النساء : ١ (٥) الشعراء : ٢٣ ـ ٢٨ (٦) الأعراف : ١٤٢
(٧) البقرة : ١٨

ومنها : قصد العموم ؛ نحو[1] : « وإياك نستعين » ؛ أى على العبادة وعلى أمورنا كلها . «[2] والله يَدْعُو إلى دار السَّلام » ؛ أى كل واحد .

ومنها : رعاية الفاصلة ، نحو[3] : «ما ودَّعك ربُّك وما قَلَى» ؛ أى وما قلاك .

ومنها : قصد البيان بعد الإبهام ، كما فى فعل المشيئة ، نحو[4] : « فلَوْ شاءَ لهدَاكم » ؛ أى فلو شاء هدايتكم ، فإنه إذا سمع السامع « فلو شاء » تعلقت نفسه بما شاء ، انبهم عليه ، لا يدرى ما هو . فلما ذكر الجواب استبان بعد ذلك .

وأكثر ما يقع ذلك بعد أداة شرط ؛ لأن مفعول المشيئة مذكور فى جوابها ، وقد يكون مع غيرها استدلالا بغير الجواب ، نحو[5]: « ولا يُحِيطونَ بشىء مِنْ عِلْمه إلا بما شاء » .

وقد ذكر أهلُ البيان أن مفعول المشيئة والإرادة لا يذكر إلا إذا كان غريبا أو عظيما ، نحو[6] : « لمن شاء منكم أنْ يَسْتَقِيم » . «[7] لو أَرَدْنَا أَنْ نتّخذ لَهواً » .

وإنما اطرد أو كثر حذفُ مفعول المشيئة دون سائر الأفعال ؛ لأنه لا يلزم من وجود المشيئة وجود المشاء ، فالمشيئة المستلزمة لمضمون الجواب لا يمكن أن تكون إلا مشيئة[8] الجواب ؛ ولذلك كانت الإرادة مثلها فى اطراد حذف مفعولها . ذكره الزملكانى والتنوخى فى الأقصى القريب ؛ قالوا : إذا حذف بعد « لو » فهو المذكور فى جوابها أبدا . وأورد فى عروس الأفراح[9] : « قالوا

---

(١) الفاتحة : ٥ (٢) يونس : ٢٥ (٣) الضحى : ٣
(٤) الأنعام : ١٤٩ (٥) البقرة : ٢٥٥ (٦) التكوير : ٢٨
(٧) الأنبياء : ١٧ (٨) فى البرهان : إلا مثيلة .
(٩) فصلت : ١٤

لو شاءَ رَبُّنا لأنزل ملائِـكة » . فإن المعنى لو شاء ربنا إرسالَ الرسل لأنزل الملائـكة ؛ لأن المعنى معين على ذلك .

فائـدة

قال الشيخ عبد القاهر : ما من اسم حُذف فى الحالة التى ينبغى أن يحذف فيها إلا وحَذْفُه أحسن من ذكره .

وسمى ابن جِنّى الحذف شجاعة العربية ، لأنه يشجع على الكلام .

قاعـــدة

فى حذف المفعول اختصاراً واقتصاراً

قال ابن هشام[1] : جرت عادة النحويين أن يقولوا بحذف المفعول اختصاراً واقتصاراً ، ويريدون بالاختصار الحذف لدليل ، وبالاقتصار الحذف لغير دليل ، ويمثلونه بنحو[2] : « كلُوا واشْرَبُوا » ؛ أى أوقعوا هذيْنِ الفعليْن .

والتحقيق أن يقال — يعنى كما قال أهل البيان : تارة يتعلق الغرض بالإعلام بمجرد وقوع الفعل من غير تعيين مَنْ أوقعه ومن أوقع عليه ، فيجاء بمصدره مسنداً إلى فعل كون عام ، فيقالُ حصل حريق أو نهب . وتارة يتعلق بالإعلام بمجرد إيقاع الفعل للفاعل ، فيقتصر عليهما ولا يذكر المفعول ولا ينوى ؛ إذ المنوى كالثابت ، ولا يسمى محذوفاً ؛ لأن الفعل ينزل لهذا القصد منزلة ما لا مفعول معه ،

---

(١) المغنى (٢ — ١٥٣) . (٢) البقرة : ٦٠

ومنه(١) : « رَبِّى الذى يُحْيِي ويُميت » . «(٢) هل يَستَوى الذين يَعْلَمُون والذينَ لا يَعْلمون » . « كلُوا(٣) واشربُوا ولا تسرِفُوا » . « وإذا(٤) رأيتَ ثَمَّ » ؛ إذ المعنى ربى الذى يفعل الإحياء والإماتة . وهل يستوى مَنْ يتصف بالعلم ومن ينتفى عنه العلم ؟ وأوْقِعُوا الأكل والشرب وذَرُوا الإسراف . وإذا حصلت منك رؤية .

ومنه(٥) : « ولما(٦) وَرد ماءَ مَدْيَن ... » الآية . ألا ترى أنه عليه السلام رحمهما إذ كانتا على صفة الذياد وقومهما على السقى لا لكون مذودهما غنما ومسقيّهم إبلا ، وكذلك المقصود من « لا نسقى » السقى لا المَسْقِىّ . ومن لم يتأمل قدّر : يسقون إبلهم ، وتذودان [٥٢ ب] غنمهما ، ولا نسقى غنما .

وتارة يُقصد إسناد الفعل إلى فاعله وتعليقه بمفعوله ، فيذكران ، نحو : لا تَأْكُلُوا الرِّبَا . ولا تَقْرَبوا الزنا . وهذا النوْع الذى إذا لم يذكر محذوفه(٧) قيل محذوف ، وقد يكون فى اللفظ ما يستدعيه فيحصل الجزم بوجود تقديره ، نحو : «(٨) أهذا الذى بَعثَ اللهُ رسولا » . «(٩) وكُلاًّ وعدَ اللهُ الْحُسْنَى » .

وقد يشتبه الحال فى الحذف وعدمه ، نحو(١٠) : « قل ادْعُوا اللهَ أو ادْعُوا الرحمن » . قد يتوهم أن معناه نادوا فلا حذف ، أو سمُّوا فالحذف واقع .

---

(١) البقرة : ٢٥٨ (٢) الزمر : ٩ (٣) الأعراف : ٣١
(٤) الإنسان : ٢٠ (٥) من كلام ابن هشام أيضاً .
(٦) القصص : ٢٣ (٧) فى المغنى : مفعوله . (٨) الفرقان : ٤١
(٩) النساء : ٩٥ (١٠) الإسراء : ١١٠

ذكر شروطه

هى ثمانية :

أحدها – وجود دليل إما حالىّ ؛ نحو[1] : « قالوا سلاما » . أى سلمنا سلاما . أو مقالىّ ؛ نحو[2] : « وقيل للذين اتَّقَوْا ماذا أنزل ربُّكم قالوا خيراً » . أى أنزل خيراً . «[3] قال سلامٌ قومٌ مُنْكَرُون » . أى سلام عليكم ، أنتم قوم منكرون .

ومن الأدلة العقل حيث تستحيل صحة الكلام عقلا إلا بتقدير محذوف .

ثم تارة يدل على أصل الحذف من غير دلالة على تعيينه ؛ بل يستفاد التعيين من دليل آخر ؛ نحو[4] : « حُرِّمَتْ عليكم المَيْتَة » ؛ فإن العقل يدل على أنها ليست المحرمة ؛ لأن التحريم لا يضاف إلى الإحرام ، وإنما هو والحل مضافان إلى الأفعال ، فعُلم بالعقل حذف شىء . وأما تعيينه وهو التناول فمستفاد من الشرع، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : إنما حرم أكلُه لأن العقل لا يدرك محل الحرام[5] ولا الحرمة .

وأما قول صاحب التلخيص إنه من باب دلالة العقل أيضاً فتابَعَ فيه السكاكى من غير تأمل أنه مبنى على أصول المعتزلة .

وتارة يدل العقل أيضاً على التعيين ، نحو[6]: « وجاءَ ربُّك » ؛ أى أمره . بمعنى عذابه ، لأن العقل دل على استحالة مجىء البارى ، لأنه من سمات الحادث ،

---

(١) هود : ٦٩ (٢) النحل : ٣٠ (٣) الذاريات : ٢٥

(٤) المائدة : ٣ (٥) فى الإتقان : محل الحل ولا الحرمة .

(٦) الفجر : ٢٢

وعلى أن الجانى أمره . «[1] أوفوا بالعقود» . «[2] وأوفوا بعهد الله» . أى بمقتضى العقود وبمقتضى عهد الله ؛ لأن العقد والعهد قولان قد دخلا فى الوجود وانقضيا، فلا يتصور فيهما وفاء ولا نقض ؛ وإنما الوفاء والنقض بمقتضاهما وماترتب عليهما من أحكامهما .

وتارة يدل على التعيين العادةُ ، نحو[3] : « فذلكنّ الذى لمتُنّنى فيه » . دلّ العقل على الحذف ؛ لأن يوسف لا يصح ظرفاً للوم ؛ ثم يحتمل أن يقدر لمتننى فى حبه ؛ لقوله : قد شغفها حبًّا ، أو فى مراودته ، لقوله : «تراود فتاها» . والعادةُ دلت على الثانى ، لأن الحب المفرط لا يلام صاحبه عليه عادة ، لأنه ليس اختيارياً ، بخلاف المراودة للقدرة على دفعها .

وتارة يدل عليه التصريح به فى موضع آخر ، وهو أقواها ، نحو[4] : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله » أى أمره ، بدليل : أو يأتى أمر ربك . «[5] وجنّة عرضها السموات» . أى كعرض؛ بدليل التصريح به فى آية الحديد[6] . «[7] رسول من الله » ؛ أى من عند الله بدليل : «[8] ولما جاءهم رسولٌ مِنْ عند الله مصدقٌ لما معهم » .

ومن الأدلة على أصل الحذف العادة ، بأن يكون العقل غير مانع من إجراء اللفظ على ظاهره من غير حذف ، نحو[9] : « لو نعلم قتالا لاتبعناكم » ؛ أى مكان قتال ، والمراد مكاناً صالحاً للقتال ، وإنما كان كذلك لأنهم كانوا أخبر الناس بالقتال ، ويتعيرون بأن يتفوهوا بأنهم لا يعرفونه ، فالعادةُ تمنع

---

(١) المائدة : ١ (٢) النحل : ٩١ (٣) يوسف : ٣٢

(٤) البقرة : ٢١٠ (٥) آل عمران : ١٣٣ (٦) فى الإتقان : آية البينة .

(٧) البينة : ٢ (٨) البقرة : ١٠١ (٩) آل عمران : ١٦٧

أن يريدوا لو نعلم حقيقةَ القتال ، فلذلك قدّره مجاهد مكان قتال . ويدل عليه أنهم أشاروا على النبي صلى الله عليه وسلم ألا يخرج من المدينة .

ومنها الشروع فى الفعل ، نحو : « بسم الله » . فيقدر ما جعلت التسميةُ مبدأ له ، فإن كانت عند الشروع فى القراءة قدرت أقرأ ، أو الأكل قدرت آكل . وعلى هذا أهلُ البيان قاطبة ، خلافاً لقول النحاة : إنه يقدر ابتدأت ، أو ابتدائى كائن بسم الله .

ويدل على صحة الأول التصريح به فى قوله[1] : « وقال اركَبُوا فيها بسم الله مَجْراها ومُرْساها » . وفى الحديث : باسمك اللهم[2] وضعتُ جَنْبى .

ومنها الصناعة النحوية ، كقولهم فى لا أُقسم : التقدير لأنا أقسم ؛ لأن فعل الحال لا يقسم عليه . وفى[3] : « تاللهِ تَفْتَأ » : التقدير لا تفتأ ، لأنه لو كان الجواب مثبتاً لدخلت اللام والنون كقوله[4] : « تاللهِ لأَكِيدَنّ أصنامَكم » .

وقد تُوجب الصناعة التقدير وإن كان المعنى غير متوقف عليه ، كقولهم فى لا إله إلا الله : إن الخبر محذوف ، أى موجود .

وقد أنكره الإمام فخر الدين ، وقال : هذا كلام لا يحتاج إلى تقدير ، وتقديرُ النحاة فاسد ، لأن نفى الحقيقة مطلقة أتم[5] من نفيها مقيدة ، فإنها إذا انتفت مطلقة كان ذلك دليلا على سلب الماهية مع القيد . وإذا [٥٣ ا] انتفت مقيدة بقيد مخصوص لم يلزم نفيها مع قيد آخر .

ورد بأن تقديرهم موجود يستلزم نفى كل إله غير الله قطعاً ، فإن العدم لا كلام فيه ، فهو فى الحقيقة نفى للحقيقة مطلقة لا مقيدة . ثم لا بد من تقدير

---

(١) هود : ٤١ (٢) فى الإتقان : ربى . (٣) يوسف : ٨٥

(٤) الأنبياء : ٥٧ (٥) فى الإتقان : أعم .

خبر لاستحالة مبتدأ بلا خبر ظاهر أو مقدر ، وإنما يقدر النحوىّ ليعطى القواعد حقّها وإن كان المعنى مفهوماً .

تنبيه

قال ابن هشام[١] : إنما يشترط الدليل فيما إذا كان المحذوف الجملة بأسرها ، أو أحد ركنيها ، أو يفيد معنى فيها هى مبنية عليه ، نحو[٢] : « تاللهِ تَفْتَأُ » ، أما الفضلةُ فلا يشترط لحذفها وجدان دليل ؛ بل يشترط ألا يكون فى حذفها ضرر معنوى أو صناعى .

قال[٣] : ويشترط فى الدليل اللفظى أن يكون طبق المحذوف . ورد قول الفراء فى[٤] : « أيحسبُ الإنسانُ أنْ لن نَجْمَعَ عظامَه . بَلَى قادِرين » . إن التقدير : بل ليحسبنا قادرين؛ لأن الحسبان المذكور بمعنى الظن، والمقدر بمعنى العلم ، إذ التردد فى الإعادة كفر ، فلا يكون مأموراً به .

قال : والصواب فيها قول سيبويه : إن « قادرين » حال ؛ أى بلى نجمعها قادرين ؛ لأن فعل الجمع أقرب من فعل الحسبان ، ولأن « بلى » لإيجاب المنفى ، وهو فيها[٥] فعل الجمع .

* * *

الشرط الثانى : ألا يكون المحذوف كالجزء ، ومن ثم لم يحذف الفاعل ولا نائبه ، ولا اسم كان وأخواتها .

قال ابن هشام[٦] : وأما قول ابن عطية فى[٧] : « بئس مَثَلُ القوم » :

---

(١) المغنى : ٢ — ١٥٠
(٢) يوسف : ٨٥
(٣) المغنى : ٢ — ١٥١
(٤) القيامة : ٣ ، ٤
(٥) أى فى الآية .
(٦) المغنى : ٢ — ١٥٢
(٧) الجمعة : ٥

إن التقدير بئس المثل مثل القوم . فإن أراد هذا[1] الإعراب ، وأن الفاعل لفظ المثل محذوفاً فمردود ، وإن أراد تفسير المعنى وأن فى بئس ضمير المثل مستتر فسهل[2] .

الثالث : ألا يكون مؤكداً ؛ لأن الحذف مناف للتأكيد ؛ إذ الحذف مبنى على الاختصار والتأكيد مبنى على الطول ، ومن ثم رد الفارسى على الزجاج فى قوله[3] : « إنْ هَذَانِ لساحِرَان » — إن التقدير : إن هذان لهما ساحران ، فقال :الحذف والتوكيد باللام متنافيان. وأما حذف الشىء لدليل وتوكيده فلا تنافى بينهما ، لأن المحذوف لدليل كالثابت .

الرابع : ألا يؤدى حذفه إلى اختصار المختصر ، ومن ثم لم يُحذف اسم الفعل لأنه اختصار للفعل .

الخامس : ألا يكون عاملا ضعيفاً ، فلا يحذف الجار والناصب للفعل والجازم إلا فى مواضع قَوِيت فيها الدلالة ، وكثر فيها استعمال تلك العوامل .

السادس : ألا يكون عوضاً عن شىء ، ومن ثم قال ابن مالك : إن حرف النداء ليس عوضاً من أدعو ، لإجازة العرب حذفه ، ولذا أيضاً لم تحذف التاء من إقامة واستقامة . وأما[4] : « وإقامَ الصلاةِ » فلا يقاس عليه ؛ ولا خبر كان، لأنه عوض أو كالعوض من مصدرها .

السابع[5] : ألا يؤدى حذفه إلى تهيئة العامل [للعمل وقطعه عنه ، ولا إلى

---

(١) فى الاتقان : تفسير الإعراب .

(٢) فى المغنى (٢ ـ ١٥٢) : وإن أراد تفسير المعنى وأن فى بئس ضمير المثل مستتراً فأين تفسيره ؟

(٣) طه : ٦٣ (٤) الأنبياء : ٧٣ (٥) لم يذكر الثامن فى كل النسخ .

إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل][1] القوى ، ومن ثم لم يقس على قراءة : «[2] وكلٌ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى » .

فائـــدة

اعتبر الأخفش فى الحذف التدريج حيث أمكن ، ولهذا قال فى قوله[3] : « واتقُوا يَوْماً لا تَجْزِى نفسٌ عن نفس شيئاً » — إن الأصل لا تجزى فيه ، فحذف حرف الجر فصار تجزيه ، فحذف الضمير فصار تجزى . وهذه ملاطفة فى الصناعة . ومذهب سيبويه أنهما حذفا معا . قال ابن جنى : وقول الأخفش فى النفس أوفق وآنس من أن يحذف الحرفان معاً فى وقت واحد .

قاعـــدة

الأصل[4] أن يقدر الشىء فى مكانه الأصلى ، لئلا يخالف الأصل من وجهين: الحذف ، ووضع الشىء فى غير محله ، فيقدر المفسر فى نحو : زيداً رأيتـــه ، مقدماً عليه . وجوّز البيانيون تقديره مؤخراً عنه ، لإفادة الاختصاص ، كما قاله النحاة إذا منع منه مانع ، نحو[5] : « وأمّا ثَمُودَ فهدَيناهم » ، إذ[6] لا يلى أما فعل .

---

(١) من المغنى (٢ — ١٥٣) .

(٢) الحديد : ١٠ ، وهى قراءة ابن عامر ، كما فى القرطبى (١٧ — ٢٤٢) .

(٣) البقرة : ٤٨

(٤) المغنى : (٢ — ١٥٤)

(٥) فصلت : ١٧

(٦) فى المغنى : فيمن نصب ، إذ لا يلى ...

قاعـــدة

ينبغى[١] تقليل المقدر ما أمكن ، لتقل مخالفة الأصل ، ومن ثم ضعف قول الفارسى فى[٢] : « واللّائى لم يَحِضْنَ » — إن التقدير فعدتهن ثلاثة أشهر . والأولى أن يقدر كذلك .

قال الشيخ عز الدين : ولا يقدر من المحذوفات إلا أشدها موافقة للغرض وأفصحها ؛ لأن العرب لا يقدّرون إلا ما لو لفظوا به لكان أنسب وأحسن لذلك الكلام ، كما يفعلون ذلك فى الملفوظ به ؛ نحو[٣] : « جعلَ اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قِياماً للناس » — قدّر أبو على جعل الله نُصْبَ الكَعْبَة [٥٣ ب] . وقدر غيره حُرْمةَ الكعبة وهو أولى ؛ لأن تقدير الحرمة فى الهَدْى والقلائد والشهر الحرام لا شك فى فصاحته ، وتقدير النصب فيها بعيد من الفصاحة . قال : ومهما تردد المحذوف بين الحسَن والأحسن وجب تقدير الأحسن ؛ لأن الله وصف كتابه بأنه أحسن الحديث ، فليكن محذوفه أحسن المحذوفات ، كما أن ملفوظه أحسن الملفوظات . قال : ومتى تردد بين أن يكون مجملا أو مبيناً فتقدير المبين أحسن ؛ نحو[٤] : « وداودَ وسُلَيْمان إذ يحكُمان فى الحَرْثِ » — لك أن تقدر « فى أمر الحرث » « وفى تضمين الحرث » ، وهو أولى لتعينه ، والأمر مجمل لتردده بين أنواع .

---

(١) المغنى : ٢ — ١٥٥ (٢) الطلاق : ٤ (٣) المائدة : ٩٧
(٤) الأنبياء : ٧٨

قاعــدة

إذا[1] دار الأمر بين كون المحذوف فعلا والباقي فاعلا ، وكونه مبتدأ والباقي خبراً ، فالثاني أولى ؛ لأن المبتدأ عين الخبر فالمحذوف عين الثابت ، فيكون حذفه[2] كلا حذف . فأما الفعل فإنه غير الفاعل ، اللهم إلا أن يعتضد الأول برواية أخرى في ذلك الموضع ، أو بموضع آخر يشبهه ، فالأول كقراءة[3] : « يُسَبَّح له فيها بالغُدُوِّ والآصال » — بفتح الباء . «[4] كذلك يُوحَى إليك وإلى الذين مِنْ قبلك الله » — بفتح الحاء ، فإن التقدير يسبحه رجال ويوحيه الله ، ولا يقدران مبتدأين حُذِف خبرهما لثبوت فاعلية الاسمين في رواية مَنْ بنى الفعل للفاعل . والثاني ، نحو[5] : « ولئن سألْتَهُم مَنْ خلقهم ليقولُنّ الله » فتقدير « خلقهم الله » أولى من « الله خلقهم » لمجيء : خلقهنّ العزيز العليم .

قاعــدة

إذا[6] دار الأمر بين كون المحذوف أولا أو ثانياً فكونه ثانياً أولى . ومن ثَمّ رجح أن المحذوف في نحو[7] : « أتُحَاجُّونّي في الله » — نون الوقاية لا نون الرفع . وفي : « ناراً تَلَظّى » التاء للتأنيث[8] لا تاء المضارعة .

---

(١) المغنى : ٢ — ١٥٦ (٢) في المغنى : حذفا . (٣) النور : ٣٦
(٤) الشورى : ٣ (٥) الزخرف : ٩ (٦) المغنى : ٢ — ١٥٦
(٧) الأنعام : ٨٠ ، قال في المغنى : فيمن قرأ بنون واحدة ، وهو قول أبي العباس وأبي سعيد وأبي علي ، وأبي الفتح ، وأكثر المتأخرين .
(٨) في الاتقان : التاء الثانية .

وفى[1] : « واللهُ ورسولُه أحقُّ أنْ يُرْضُوه » ـ إن المحذوف خبر الثانى لا الأول .

وفى نحو[2]: « الحجّ أشْهُر » ـ أن المحذوف مضاف للثانى أى حج أشهر، لا إلى الأول ، أى أشهر الحج .

وقد يجب كونه من الأول ، نحو[3] : « إنّ اللهَ وملائكته يُصَلُّون على النبيّ » فى قراءة من رفع ملائكته ، لاختصاص الخبر بالثانى ، لوروده بصيغة الجمع .

وقد يجب كونه من الثانى ، نحو[4] : « إنّ اللهَ بَرِيءٌ من المشركين ورسولُه » ، أى برىء أيضاً ، لتقدم الخبر على الثانى .

فصل

الحذف على أنواع

أحدها : ما يسمى بالاقتطاع ، وهو حذف بعض أحرف الكلمة . وأنكر ابن الأثير ورود هذا النوع فى القرآن . ورد بأن بعضهم جعل منه فواتح السور على القول بأن كل حرف منها من اسم من أسمائه تعالى كما تقدم . وادعى بعضُهم أن الباء فى قوله[5] : « وامْسَحُوا برءُوسكم » أول كلمة « بعض » ثم حذف الباقى . ومنه قراءة بعضهم[6] : « ونادَوْا يا مَالِ » ـ بالترخيم ، ولما سمعها بعضُ السلف ، قال : ما أغْنَى أهلَ النار عن الترخيم .

---

(١) التوبة : ٦٢ (٢) البقرة : ١٩٧ (٣) الأحزاب : ٥٦
(٤) التوبة : ٣ (٥) المائدة : ٦ (٦) الزخرف : ٧٧

وأجاب بعضهم بأنهم لشدة ما هم فيه عجزوا عن إتمام الكلمة .

ويدخل فى هذا النوع حذف همزة « أنا » فى قوله[1] : « لكنّا هُوَ اللهُ رَبِّى » ، إذ الأصل « لكن أنا » ، حذفت همزة أنا تخفيفاً وأدغمت النون فى النون .

ومثله : ما قرىء : ويمسك السماء أن تقع علرّض . بما أنزلّيك . فمن تعجّل فى يومين فلَثْم عليه . إنها لَحْدَى الكُبَر .

النوع الثانى : ما يسمّى بالاكتفاء ، وهو أن يقتضى المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط ، فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة . ويختص غالبا بالارتباط العطفى ، كقوله تعالى[2] : « سَرَابِيل تَقِيكم الحرَّ » ، أى والبرد ؛ وخصص الحر بالذكر ، لأن الخطاب للعرب وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم عندهم ، لأنه أشد من البرد . وقيل لأن البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته صريحا فى قوله[3] : « ومِنْ أصوافها وأَوْبارِها وأشعارِها أثاثا » . وفى قوله[4] : « وجعل لكم مِنَ الجِبَال أكنانا » . وفى قوله[5] : « والأنعام خلقَها لكم فيها دِفْءٌ ومنافع » .

ومن أمثلة هذا النوع[6] : « بِيَدِكَ الخير » ، أى والشر . وإنما خص الخير بالذكر ، لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم ، أو لأنه أكثر وجوداً فى العالم ، أو لأن إضافة الشر إلى الله تعالى ليس من باب الآداب ، كما قال صلى الله عليه وسلم : والشر ليس إليك .

ومنها[7] : « ولَهُ ما سكن فى الليلِ والنّهار وهو السميعُ العَلِيم » .

---

(١) الكهف : ٣٨ (٢) النحل : ٨١ (٣) النحل : ٨٠
(٤) النحل : ٨١ (٥) النحل : ٥ (٦) آل عمران : ٢٦
(٧) الأنعام : ١٣

بهذا ؛ وإذا تقرر هذا نورود جمع السلامة فى قوله [٢٧٥ ا] فى سورة البقرة : «ويقتلون[1] النبيين بغير الحق» مناسب من جهتين : إحداهما شرفُ الجمع لشرفِ المجموع . والثانية مناسبةُ زيادةِ المدّ لزيادة أداة التعريف فى لفظ الحق وأما الآية الأولى من سورة آل عمران فمِثْلُ الأولى فى مناسبة الشرف ومناسبة زيادة المد للزيادة فى الفعل العامل فى اللفظ المجموع فى قراءة مَنْ قرأ : ويقاتلون . ولما لم يكن فى الآية الثالثة سوى شَرَف الجموع ، وكانت العرب تتّسع فى جموع التكسير فتُوقِعُها على أولى العلم وغيرهم أتى بالجمع هنا مكسرا لتحصلَ اللغتان ، حتى لا يبقى لمن يتحدّى القرآن حجة ؛ إذ هم مخاطبون بما فى لغاتهم ، فلا يقتصر فى شىء من خطابهم على أحد الجائزين دون الآخر إلا أن يتكرر ، فإذ ذاك يَرِد على وَجْهٍ واحد مما يجوز فيه .

فتأمّل ما أجملته ، فسوف يتّضح لك به إذا استوفيته ما يُغنيك على فهم الإعجاز .

(وأُخْرِجُوا[2] مِنْ دِيَارِهم) : هذه الآيات فى الذين آذاهم الكفار بمكة حتى خرجوا منها ، ولحقوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وقاتلوا معه .

(وإنّ[3] مِنْ أهلِ الكتاب لَمَنْ يؤْمِن بالله ..) الآية : نزلت فى النجاشى ملك الحبشة ، والجمهورُ أنها عامّةٌ فى كل من أسلم من اليهود أو النصارى .

(وَجْهَ[4] النهارِ واكْفُرُوا آخِرَه) : هذه مقالة قوم من اليهود قالوها لإخوانهم ليخدعوا المسلمين فيقولوا : ما رجع هـــؤلاء عن دين الإسلام إلا عن علم .

---

(١) البقرة ٦١ (٢) آل عمران ١٩٥ (٣) آل عمران ١٩٩ (٤) آل عمران ٧٢

وقال السهيلي : إنّ هذه الطائفة هم عبد الله بن الضَّيف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف .

(ولا تَقْتلوا[1] أنفسكم) : أجمع المفسرون أنّ المعنى : لا يَقْتل بعضكم بعضا ، ولَفْظها يتناول قَتْل الإنسان لنفسه ؛ وقد حملها عمرو بن العاص على ذلك ، ولم ينكره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لمّا سمعه ؛ وسكوته صلى الله عليه وسلم دليلٌ على صحة قوله .

(ومَنْ[2] يَفْعَلْ ذلك) : إشارة إلى القتل ؛ لأنه أقرب مذكور . وقيل إليه وإلى أكل المال بالباطل . وقيل إلى كل ما تقدّم من المنهيّات من السورة .

(ولِكلٍّ[3] جعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرك الوالدانِ والأَقْرَبون) : فى معنى هذه الآية وجهان : أحدهما لكل شيء من الأموال جعلنا موالى يرثونه ، فمِمَّا ترك على هذا بيان لكل . والآخر لكل أحد جعلنا موالى يرثون مما ترك الوالدان والأقربون ؛ فما ترك على هذا يتعلق بفعل مضمر ، والموالى هنا : العصبة والورثة .

(والذين[4] عَقَدَتْ أيمانُكم فآتُوهم نَصِيبَهم) : اختلف ؛ هل هى منسوخة أو مُحْكَمة ؛ فالذين قالوا : إنها منسوخة قالوا معناها الميراث بالحلف الذى كان فى الجاهلية . وقيل بالمؤاخاة التى آخَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ، ثم نسخَتْها «[5] وأولو الأرحام بعضُهم أوْلَى ببعض » ، فصار الميراث للأقارب .

والذين قالوا إنها محكمة اختلفوا ؛ فقال ابن عباس : هى فى الموازرة والنصرة بالحلف لا فى الميراث . وقال أبو حنيفة : هى فى الميراث ، وإن الرجلين

---

(١) النساء : ٢٩ (٢) النساء : ٣٠ (٣) النساء : ٣٣
(٤) النساء : ٣٣ (٥) الأنفال : ٧٥

أى فئة مؤمنة تقاتل فى سبيل الله ، وأخرى كافرة تقاتل فى سبيل الطاغوت .

وفى الغرائب للكرمانى : فى الآية الأولى التقدير : مثل الذين كفروا معك يا محمد كمثل الناعق مع الغنم ، فحذف من كل طرف ما يدل عليه الطرف الآخر . وله فى القرآن نظائر ، وهو أبلغ ما يكون من الكلام . انتهى .

ومأخَذُ هذه التسمية من الحبك الذى معناه الشد والإحكام ، وتحسين أثر الصنعة فى الثوب ؛ فحبك الثوب سدُّ ما بين خيوطه من الثوب وشده وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق .

وبيان أخذه منه أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفُرج من الخيوط ، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر فى نظمه وحوكه ، فوضع المحذوف موضعه ، كان حابكا له ، مانعاً من خلل يطرقه ، فسد بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق .

النوع الرابع : ما يسمى بالاختزال ، وهو ما ليس واحداً مما سبق . وهو أقسام ؛ لأن المحذوف إما كلمة اسم ، أو فعل ، أو حرف ، أو أكثر .

أمثلة حذف الاسم :

حذف المضاف : وهو كثير جداً فى القرآن حتى قال ابن جنى : فى القرآن منه زُهاء ألف موضع ، وقد سردها الشيخ عز الدين فى كتابه المجاز على ترتيب السور والآيات ، ومنه[1] : « الحجُّ أشهر » ، أى حج أشهر ، أو أشهر الحج . «[2] ولَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ » ، أى ذا البر ، أو بر من . «[3] حُرِّمَتْ عليكم أُمَّهَاتُكم » ، أى نكاح أمهاتكم . «[4] لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحياة وضِعْفَ

---

(١) البقرة : ١٩٧ — (٢) البقرة : ١٧٧
(٣) النساء : ٢٣ — (٤) الإسراء : ٧٥

الممات » ؛ أى ضعف عذاب . «[1] وفى الرِّقَابِ » ؛ أى وفى تحرير الرقاب .

حذف المضاف إليه : يكثر فى ياء المتكلم ، نحو[2] : « رَبِّ اغْفِرْ لى » . وفى الغايات ، نحو[3] : « لِلَّهِ الأَمْرُ من قَبْلُ ومن بَعْدُ » ، أى من [٥٤ ب] قبل الغلب ومن بعده .

وفى أىّ ، وكلّ ، وبعض ، وجاء فى غيرهن كقراءة[4] : « فلا خوفُ عليهم » - بضم بلا تنوين ، أى فلا خوف شىء عليهم .

حذف المبتدأ : يكثر فى جواب الاستفهام ، نحو[5] : « وما أدْرَاكَ ماهِيه . نارٌ حامِيَةٌ » ، أى هى نار . وبعد فاء الجواب ، نحو[6] : « ومَنْ عمِلَ صالحاً فَلِنفْسِهِ » ؛ أى فعمله لنفسه ، « ومَنْ أساء فعلَيْها » ، أى فإساءته عليها . وبعد القول ، نحو[7] : « قالوا أساطيرُ الأوَّلين » . «[8] قالوا أضغاثُ أحلام » . وبعد ما الخبر صفة له فى المعنى ، نحو[9] : « التائبُون العابدون الحامِدُون » . ونحو[10] : « صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى » . ووقع فى غير ذلك ، نحو[11] : « لا يغرنَّك تقلُّبُ الذين كفروا فى البلاد متاعٌ قليل » . «[12] لم يَلْبثُوا إلا ساعةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغ » ؛ أى هذا . «[13] سورةٌ أنْزَلْنَاها » ؛ أى هذه .

ووجب فى النعت المقطوع إلى الرفع حذف الخبر ، نحو[14] : « أُكُلُهَا دائم وظلُّها » ؛ أى دائم .

---

(١) البقرة : ١٧٧ (٢) الأعراف : ١٥١ (٣) الروم : ٤
(٤) البقرة : ٣٨ (٥) القارعة : ٩ ، ١٠ (٦) الجاثية : ١٥
(٧) الفرقان : ٥ (٨) يوسف : ٤٤ (٩) التوبة : ١١٢
(١٠) البقرة : ١٨ (١١) آل عمران : ١٩٦ (١٢) الأحقاف ٣٥
(١٣) النور : ١ (١٤) الرعد : ٣٥

ويحتمل الأمرين : « [1] فَصَبْرٌ جَمِيل » ، أى أجمل ، أو فأمرى صبر .
« [2] فتحرِيرُ رقبَةٍ » ، أى عليه ، أو فالواجب .

حذف الموصوف : «[3] وعندهم قاصِرَاتُ الطَّرْف » ، أى حور قاصرات .
«[4] أنِ اعْمَلْ سابِغَاتٍ » ، أى دروعاً سابغات . «[5] أيُّها المؤمنون » ، أى القوم المؤمنون .

حذف الصفة : «[6] يَأخذُ كلَّ سفينةٍ » ، أى صالحة ، بدليل أنه قرىء كذلك ، « وأنْ تعيبها» لا يخرجها عن كونها سفينة . «[7] الآن جئتَ بالحق » ؛ أى الواضح ، وإلا لـكفروا بمفهوم ذلك . «[8] فلا نُقيم لهم يَوْمَ القيامة وَزْنًا »؛ أى نافعاً .

حذف المعطوف عليه[9]: « أنِ اضْرِبْ بعصاكَ البحر فانْفَلَقَ» ؛ أى فضرب فانفلق .

وحيث دخلت واو العطف على لام التعليل ففى تخريجه وجهان :

أحدهما : أن يكون تعليلا معلله محذوف ، كقوله[10] : « وليُبْلِيَ المؤمنين منه بلاءً حسنا » . فالمعنى وللإحسان إلى المؤمنين فعل ذلك .

والثانى : أنه معطوف على علة أخرى مضمرة لتظهر صحةُ العطف ؛ أى فعل ذلك ليذيق الـكافرين بأسه وليبلى .

حذف المعطوف مع العاطف : « [11] لا يستوى منكم مَنْ أنفقَ من قَبْل الفَتْح وقاتل » ؛ أى ومن أنفق بعده . «[12] بيَدِكَ الخير » ، أى والشر .

---

(١) يوسف : ١٨ — (٢) النساء : ٩٢ — (٣) الصافات : ٤٨
(٤) سبأ : ١١ — (٥) النور : ٣١ — (٦) الـكهف : ٧٩
(٧) البقرة : ٧١ — (٨) الـكهف : ١٠٥ — (٩) الشعراء : ٦٣
(١٠) الأنفال : ١٧ — (١١) الحديد : ١٠ — (١٢) آل عمران : ٢٦

حذف المُبْدل منه : وخرَّج عليه[1] : « ولا تقولُوا لما تَصِفُ أَلسِنَتُكم الكذبَ » ، أي لما تصفه ، والكذب بدل من الهاء .

حذف الفاعل : لا يجوز إلا فى فاعل المصدر ، نحو[2]: « لا يسأَمُ الإنسانُ من دعاءِ الخير » ؛ أى دعائه الخير . وجوزه الكسائى مطلقا لدليل ، وخرج عليه[3] : « إذا بلغت التَّرَاقِى » ، أى الروح . «[4] حتَّى تَوَارَتْ بالحِجَاب » ؛ أى الشمس .

حذف المفعول : تقدم أنه كثير فى مفعول المشيئة والإرادة ، ويرد فى غيرها ، نحو[5] : « إنَّ الذين اتخذوا العِجْلَ » ، أى إلها . «[6] كلاَّ سوف تعلمون » ، أى عاقبة أمركم .

حذف الحال : يكثر إذا كان قولا ، نحو[7] : « والملائكة يَدْخُلُونَ عليهم مِنْ كلِّ باب سلامٌ » ، أى قائلين .

حذف المنادى[8] : « أَلَا يَاسْجُدُوا » ، أى يا هؤلاء . «[9] يا ليت » أى يا قوم .

حذف العائد : يقع فى أربعة أبواب :

الصلة ، نحو[10] : « أهذا الذى بعث اللهُ رَسُولا » ، أى بعثه

والصفة ، نحو[11] : « واتَّقُوا يوما لا تَجْزِى نَفْسٌ عن نفس » ؛ أى فيه .

والخبر ، نحو[12] : « وكلاًّ وَعدَ اللهُ الحسنَى » ، أى وعده .

والحال .

---

(١) النحل : ١١٦ ؛ (٢) فصلت : ٤٩ (٣) القيامة : ٢٦
(٤) ص : ٣٢ (٥) الأعراف : ١٥٢ (٦) التكاثر : ٤
(٧) الرعد : ٢٣ ، ٢٤ (٨) النمل : ٢٥ (٩) القصص : ٧٩
(١٠) الفرقان : ٤١ (١١) البقرة : ٤٨ (١٢) النساء : ٩٥

الآية تأويلان : أحدها أن الضمير فى موته لعيسى ، والمعنى إن كلّ أحد من أهل الكتاب يُؤمن بعيسى حين ينزل إلى الأرض قَبْل أنْ يموت وتصير الأديان كلُّها حينئذ دينا واحدا وهو دينُ الإسلام .

والثانى أن الضمير فى موته للكتاب الذى تضمنه قوله : وإن من أهل الكتاب ؛ والتقدير وإنّ من أهل الكتاب أحد إلاّ ليؤمن بعيسى ويعلم أنه نبىء قبل أنْ يموت هذا الإنسان ؛ وذلك حين مُعاينة الموت ، وهو إيمان لا ينفعه . وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس وغيره .

وفى مصحف أُبىّ بن كعب : قبل موتهم . وفى هذه القراءة تقويةٌ للقول الثانى ؛ والضمير فى به لعيسى على الوجهين . وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم .

(وبِصَدّهم[1]) : يحتمل أن يكون بمعنى الإعراض ، فيكون « كثيراً » صفة لمصدر محذوف ، أى صدّا كثيراً ، أو بمعنى صدّهم لغيرهم . فيكون كثيراً مفعولا بالمصدر ؛ أى صدوا كثيراً من الناس عن سبيل الله .

(وكَلّمَ[2] اللهُ موسى تكْليما) : تصريح بالكلام مؤكد بالمصدر ، وذلك دليل على بطلان قول المعتزلة : إنّ الشجرة هى التى كلّمت موسى .

(ولا الملائكةُ[3] المقرّبُون) : فيه دليل لمن قال : إن الملائكة أفضلُ من الأنبياء ؛ لأن المعنى لن يستنكف عيسى ومَنْ فوقه أنْ يكون عبداً لله ؛ وفيه ردٌّ على من قال : إنهم أولاده .

(وما أكل السَّبُعُ[4]) ؛ أى أكل بعضه . والسبع : كلّ حيوان مفترس كالذئب والأسد والنمر والثعلب والعقاب والنسر .

---

(١) النساء : ١٦٠ (٢) النساء : ١٦٤ (٣) النساء : ١٧٢
(٤) المائدة : ٣

(وَسِيلَة[١]) : كل ما يُتوسَّل به من الأعمال الصالحة والدعاء وغير ذلك ، ومنه : « أولئك[٢] الذين يَدْعُونَ يبتغُون إلى ربهم الوسيلةَ أيهم أقرب » ؛ أى أولئك الآلهة الذين تَدْعُون من دون الله يبتغون القُرْبَةَ إلى الله ، ويرجونه، ويخافونه ؛ فكيف تعبدونهم معهم ؟

وإعراب أولئك مبتدأ والذين يدعون صفةٌ له ، ويبتغون خبره ، والفاعل فى يدعون ضمير للكفار ، وفى يبتغون للآلهة المعبودين . وقيل : إن الضمير فى يدعون ويبتغون للأنبياء المذكورين . وقيل فى قوله : « ولقد[٣] فَضَّلْنا بعضَ النبيين على بعض » .

(ولا يَحْزُنْكَ[٤] الذين يُسارِعُون فى الكفر . . .) الآية . انظر كيف سلّى اللهُ نبيَّه فى مواضع من كتابه . وقرىء بفتح الياء وضم الزاى حيث وقع مضارعا من حزن الثلاثى ، وهو أشهر فى اللغة من أحزن .

(وإذا[٥] جاءُوكُمْ قالوا آمَنَّا وقد دخلُوا بالكُفْرِ وهم قد خرجوا به) : هم قومٌ من اليهود دخلوا كفّارا وخرجوا كفارا ، ودخلت « قد » على خرجوا ودخلوا ؛ تقريباً للماضى من الحال ؛ أى ذلك حالهم فى دخولهم وخروجهم على الدوام .

(وحسِبُوا[٦] ألاَّ تكونَ فِتْنةٌ) ؛ أى بلاءٌ واختبارٌ . وقرىء تكون بالرفع على أن تكون « أن » مخففة من الثقيلة ، وبالنصب على أنها مصدرية .

(ولتجدنَّ[٧] أقربَهم مودَّة ....) الآية . إخبار بأن النصارى أقربُ

---

(١) المائدة : ٣٥ : وابتغوا إليه الوسيلة . (٢) الإسراء : ٥٧
(٣) الإسراء : ٥٥ (٤) آل عمران : ١٧٦ (٥) المائدة : ٦١
(٦) المائدة : ٧١ (٧) المائدة : ٨٢

إلى مودّة المسلمين ؛ وهذا الأمر باقٍ إلى آخر الدهر ، فكلُّ يهودىّ شديدُ العداوة للاسلام وأهله ؛ وكيف لا وهم الذين قالوا : « ليس[1] علينا فى الأُميين سبيل » ، وأحبارهم يقولون لهم : قال بنى العرب : مَنْ غشنا فليس منّا ، فغشوهم لئلا تكونوا منهم .

وانظر حكاية عبد الله بن عمر لما سافَرَ معه اليهودىُّ ، فوجد منهّ من النصح ما أشعر به ، فسأله ابن عمر عن هذه النصيحة وأنه لم يصدر منه فى جانبه إلا المودة ؛ فقال له : كنتُ أمشى على [١٧٦ب] ظلّك ، لأنى لم أقدر لك على غيره من النكاية ؛ وقد شدَّدَ العلماء فى خلطتهم ومحبتهم ، وكيف لا يشددون والله يقول : « لا تجد[2] قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون مَنْ حادَّ اللهَ ورسولَه » ؛ فصاحبة من حادّ الله ورسوله تفضى إلى النار ، نسأل الله السلامة .

(وكلوا[3]) : جاء هذا الأمر بعد النهى عن الاعتداء فى التشديد على الأنفس رِفقًا من الله بعباده ، وخَصَّ الأكلَ بالذكر ؛ لأنه أعظم حاجاتِ الإنسان .

(ومَنْ[4] قتلَه منكم متعمِّدًا) : مفهوم الآية يقتضى أنّ جزاءَ الصيد على المتعمد لا على الناس ؛ وبذلك قال أهل الظاهر . وقال جمهور الفقهاء : إن المتعمِّد والناسى سواء فى وجوب الجزاء ، ثم اختلفوا فى تأويل قوله : « متعمِّدا » على ثلاثة أقوال : أحدها أنّ المتعمد إنما ذكر لينَاط به الوعيد الذى فى قوله : « ومن[4] عاد فَيَنْتَقِم الله منه » ؛ إذ لا وعيدَ على الناسى .

والثانى أن الجزاء على الناسى بالقياس على المتعمّد .

---

(١) آل عمران : ٧٥ — (٢) المجادلة : ٢٢ — (٣) المائدة : ٨٨ — (٤) المائدة : ٩٥

والثالث أن الجزاء على المتعمد ثبت بالقرآن ، وأن الجزاءَ على النـاسي ثبت بالسنة .

(وَبَالَ[1] أَمْرِهِ) : عاقبة أمره من الشر والوَبَال وسوء العاقبة ؛ يقال : ماء وبيل وكلأ وبيل ؛ أي وبيل لا يستمر أو تَضُرُّ عاقبتُه ، والوبيل والوخيم ضد المريء .

« وطعامُه[2] » : الضمير عائد على البحر، يعني ما قذَفَ به ؛ ولا يطفوعليه؛ لأن ذلك طعام وليس بصيد ؛ قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه . وقال ابن عباس : طعامه : ما صلح منه .

(وحُرِّم[2] عليكم صَيْدُ البَرِّ ما دُمْتُم حُرُمًا) : لما ذكر أن صيدَ البحر حلال ذكر هنا أنّ صيد البر لا يحلُّ للمحرم تناوله .

(وإنْ[3] تَسْأَلُوا عنها حين يُنَزَّلُ القرآنُ تُبْدَ لكم) : فيه معنى الوعيد على السؤال ، كأنه قال : لا تسألوا ، وإن سألتم أُبْدِي لكم ما يسوءكم . والمراد بـ « حين ينزل القرآن » زمان الوَحْي .

(ولكنّ[4] الذين كفَرُوا يَفْتَرون على الله الكَذِبَ وأكْثَرُهُم لا يَعْقِلُون) ؛ أي يكذبون عليه بتحريم ما لم يحرِّم ، واخترعوا تحريمها من عندهم ؛ والذين لا يعقلون هم أتباعهم المقلِّدون لهم .

(ولا تكُونَنّ[5]) : الخطاب حينما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو يكون معطوفا على معنى « أمرت » فلا حذف ، وتقديره أمرت بالإسلام ونُهيت عن الشرك .

---

(١) المائدة : ٩٥ (٢) المائدة : ٩٦ (٣) المائدة : ١٠١
(٤) المائدة : ١٠٣ (٥) الأنعام : ١٤

أى من أثر حافر فرس الرسول . « [١] تَدُور أعينُهم كالَّذِى يُغْشَى عليه » . أى كدوران عين الذى . « [٢] وتَجْعَلُونَ رِزْقَكم » ، أى بدل شكر رزقكم .

حذف ثلاثة متضايفات[٣] : « فكان قابَ قَوْسَين » ، أى فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب ، فحذف ثلاثة من اسم كان وواحد من خبرها .

حذف مفعولى باب ظن[٤] : « أيْنَ شُرَكائى الذين كنْتُم تَزْعُمون » ، أى تزعمونهم شركاء .

حذف الجار مع المجرور[٥] : « خلَطُوا عمَلًا صالحاً » ، أى بسيء . « وآخر سيئاً » ، أى بصالح .

حذف العاطف مع المعطوف : تقدم .

حذف حرف الشرط وفعله ؛ يطّرد بعد الطلب ، نحو[٦] : « فاتَّبِعونى يُحْبِبْكُم الله » ، أى إن اتبعتمونى . « [٧] قُلْ لِعبادِى الذين آمَنُوا يُقِيمُوا الصلاةَ » ، أى إن قلت لهم يقيموا . وجعل منه الزمخشرى[٨] : « فلن يُخْلِف اللهُ عَهْدَه » ، أى إن اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف . وجعل منه أبو حيان[٩] : « فَلِمَ تَقْتُلُونَ أنبياءَ اللهِ من قَبْل » ، أى إن كنتم آمنتم بما أنزل إليكم فلم تقتلون .

حذف جواب الشرط[١٠] : « فإن استطعْتَ أن تبتغىَ نَفَقاً فى الأرضِ

---

(١) الأحزاب : ١٩ (٢) الواقعة : ٨٢ (٣) النجم : [illegible]
(٤) القصص : ٦٢ ، ٧٤ (٥) التوبة : ١٠٢
(٦) آل عمران : ٣١ (٧) إبراهيم : ٣١ (٨) البقرة : ٨٠
(٩) البقرة : ٩١ (١٠) الأنعام : ٣٥

أو سُلّماً فى السماء » ، أى فافعل . «(١) وإذا قِيل لهم اتقُوا ما بين أيديكم [٥٥ ب] وما خَلْفكم لعلكم تُرْحَمُون » ، أى أعرضوا ، بدليل ما بعده . «أئن ذُكِّرْتم(٢) ، » أى تطيّرتم . «(٣) ولو جِئْنا بمثْلِهِ مَدَدا » ، أى لنفد . «(٤) ولو ترى إذ المجرمون نَاكِسُو رءُوسِهِم » ، أى لرأيت أمراً عظيما . «(٥) ولولا فَضْلُ اللهِ عليكم ورحمتُه وأنَّ اللهَ رءوفٌ رَحِيم » ، أى لعذبكم . «(٦) لولا أنْ رَبَطْنَا على قَلْبِها » ، أى لأبدت به . «(٧) ولولا رِجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمنات لم تَعْلَمُوهُمْ أنْ تَطَئُوهم » ، أى لسلطكم على أهل مكة .

حذف جملة القسم : «(٨) لأعَذِّبنّهُ عذاباً شديداً » ، أى والله .

حذف جوابه : « والنازعات غَرْقاً ... » الآيات ؛ أى لتبعثن . « ص . والقرآن ذى الذِّكْرِ » ، أى إنه لمعْجز . « ق . والقرآن المجيد » ، أى ما الأمر كما زعموا .

حذف جملة مسبَّبة عن المذكور ، نحو(٩): « لِيُحِقَّ الحقَّ ويُبطِلَ الباطل » ، أى فعل ما فعل .

حذف جمل كثيرة :«(١٠) فأرْسِلُون . يوسفُ أيُّها الصِّـــديق » ، أى فأرسلونى إلى يوسف لأستعبره الرؤيا ، ففعلوا ، فأتاه ، فقال له : يا يوسف .

---

(١) يس : ٤٥ — (٢) يس : ١٩ — (٣) الكهف : ١٠٩
(٤) السجدة : ١٢ — (٥) النور : ٢٠ — (٦) القصص : ١٠
(٧) الفتح . ٢٥ — (٨) النمل : ٢١ — (٩) الأنفال : ٨
(١٠) يوسف : ٤٥ ، ٤٦

خاتمة

تارة لا يُقام شيء مقام المحذوف كما تقدم ، وتارة يقام ما يدل عليه ؛ نحو[1] : « فإنْ تَوَلَّوْا فقد أبلغْتُكم ما أُرْسِلْتُ به إليكم » فليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم ؛ وإنما التقدير : فإن تولوا فلا لوم على ، أى فلا عذر لكم لأنى أبلغتكم . « [2] يُكَذِّبُوكَ فقد كُذِّبَتْ رسُلٌ مِنْ قَبْلِك » ، أى فلا تحزن واصبر . « [3] وإنْ يَعُودوا فقد مضَتْ سُنَّةُ الأوَّلين » ، أى يصيبهم مثل ما أصابهم .

فصل

[الإطناب نوعان]

كما انقسم الإيجاز إلى إيجاز قصر وإيجاز حذف ، كذلك انقسم الإطناب إلى بسط وزيادة .

فالأول الإطناب بتكثير الجمل ؛ كقوله[4] : « إنَّ فى خَلْقِ السموات والأرْضِ ... » آية فى سورة البقرة ؛ أبلغ فى إطنابها لكون الخطاب مع الثقلين وفى كل عصر وحين ، للعالم منهم والجاهل ، والموافق والمنافق .

وقوله[5] : « الذين يَحْمِلُون العَرْشَ ومَنْ حوله يُسبّحونَ بحَمْدِ ربّهم ويؤْمنون به ويستغفرون » . فقوله : « ويؤْمنون به » إطناب ، لأن إيمان حملة العرش معلوم وحسّنه إظهار شرف الإيمان ترغيباً فيه . « [6] ووَيْلٌ للمشركين الذين

---

(١) هود : ٥٧ (٢) فاطر : ٤ (٣) الأنفال : ٣٨
(٤) آية ١٦٤ (٥) غافر : ٧ (٦) فصلت : ٦ ، ٧

لا يُؤْتُونَ الزكاة » ، وليس من المشركين مُزَكٍّ ، والنكتةُ الحثُّ للمؤمنين على أدائها ، والتحذير من المنع منها حيث جعلها من أوصاف المشركين .

والثانى يكون بأنواع :

أحدها — دخول حرف فأكثر من حروف التأكيد الآتية فى نوع الأدوات ؛ وهى : إنّ ، وأنّ ، ولام الابتداء ، والقسم ، وألا الاستفتاحية ، وأمَا ، وها التنبيه ، وكأن فى تأكيد التشبيه ، ولكن فى تأكيد الاستدراك ، وليت فى تأكيد التمنى ، ولعل فى تأكيد الترجى ، وضمير الشأن ، وضمير الفصل ، وإما فى تأكيد الشرط ، وقد ، والسين ، وسوف ، والنونان فى تأكيد الفعلية ، ولا التبرئة ، ولن ولمّا فى تأكيد النفى . وإنما يحسن تأكيد الكلام بها إذا كان المخاطَب بها منكراً أو متردداً .

ويتفاوت التأكيد بحسب قوة الإنكار وضعفه ؛ كقوله تعالى حكاية عن رسل عيسى إذ كذبوا فى المرة الأولى[1] : « إنّا إليكم مُرْسَلُون » . فأكد بأن ، واسمية الجملة . وفى المرة الثانية[2] : « ربُّنا يَعْلَمُ إنّا إليكم لَمُرْسَلُون » . فأكد بالقسم ، وإن ، واللام ، واسمية الجملة ؛ لمبالغة المخاطبين فى الإنكار ، حيث قالوا : «[3] ما أنْتُمْ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلنا ، وما أَنزل الرحمنُ مِنْ شَىْءٍ إنْ أنتم إلاَّ تَكْذِبُون » .

وقد يؤكد بها والمخاطب به غَيْرُ منكر ، لعدم جَرْيه على مقتضى إقراره ، فينزل منزلةَ المنكر .

وقد يترك التأكيد وهو معه منكر ؛ لأن معه أدلة ظاهرة لو تأملها لرجع عن إنكاره ؛ وعلى ذلك يخرج[4] : « ثم إنكم بعدَ ذلكَ لَمَيِّتُون . ثم إنكم

(١) يس : ١٤ (٢) يس : ١٦ (٣) يس : ١٥
(٤) المؤمنون : ١٥ ، ١٦

(ولَلدَّارُ[1] الآخرةُ خَيْرٌ) : سميت الآخرة لتأخرها عن الدنيا . وقرأ الستة من القراء : و « لَلدَّار » بلامين والآخرة نعت للدار . وقرأه ابن عامر وَحْدَه : ولَدَارُ - بلام واحدة ، وكذلك وقع فى مصاحف الشام بإضافة الدار إلى الآخرة ، وكذلك هو لَدَار الحياة الآخرة . وقرأ نافع وابن عامر وأبو حفص عن عاصم: أفلا[2] تعقلون ، على إرادة المخاطبين، وكذلك فى الأعراف [٢٧٧ ب] ، وفى آخر يوسف[3] ، ووافقهم أبو بكر فى آخر يوسف ؛ وإنما قال فيها: «ولَدَارُ الآخرة » بالإضافة ؛ لأن ما قبلها فى هذه السورة : « وما الحياة الدنيا » ؛ فالدنيا صفةٌ للحياة ، كذلك جعل الآخرة صفة للدار ؛ ولأنه فى المصاحف بلامين إلا فى مصحف الشام ، وما فى يوسف بلام واحدة على الإضافة ، فوافقوا المصاحف ، وقراءة ابن عامر على الإضافة موافقةٌ لمصحفهم ، واعتبارا بما فى يوسف . ويقوّى ما فى هذه السورة ما فى الأعراف[4] : « والدار الآخرة خير » .

(وقالوا[5] لولا نزِّلَ عليه آيةٌ) : الضمير عائد على الكفار . ولولا تحضيض بمعنى هلاّ . ومعنى الآية : هلا أنزل على محمد بيانٌ واضح لا يَقعُ معه توقف من أحد ، كَمَلَك يشهد له ، أو غير ذلك مِنْ تشطلهم المحفوظ فى هذا . فأمر عليه السلام بالردِّ عليهم بأن الله عز وجلَّ له القدرة على إنزال تلكَ الآيات، ولكن[5] أكثرهم لا يعلمونَ أنها لو نزلت ولولم يؤمنوا لعوجلوا بالعقوبة .

ويحتمل : « ولكن[5] أكثرهم لا يعلمون » أن الله تعالى إنما جعل الإنذار فى آيات معروضة للنظر والتأمّل ليهتدىَ قومٌ ويضلَّ آخرين .

---

(١) الأنعام : ٣٢ (٢) فى القرطبى (٦ - ٤١٦) : قرىء بالياء والتاء .
(٣) يوسف : ١٠٩ (٤) الأعراف : ١٦٩ (٥) الأنعام : ٣٧

فإن قيل : ما وَجْه إفراد الآية هنا وجمعها فى العنكبوت[1] ؟ ولِمَ طلبوا الآية وقد أتى بمعجزات وآيات ؟

فالجواب : أن « لولا » فى الآتيين تحضيض ؛ وإنما يجرى فى كلامهم عندما يراه المتكلم به أولى أو أهمّ فى مقصود ما أو أتمّ فى مطلب ما ، إلى أشباه هذا ، مما يستدعى التحضيض ، فأفردوا هنا الآية لما قصدوه من أنه عليه السلام لو جاءهم بآية واحدة من الضَّرْبِ الذى طلبوه . أما آيةُ العنكبوت فقدتقدّم قبلها : « بل[2] هو آياتٌ بيناتٌ » ، وقال بعدها : « وما يَجْحَدُ[2] بآياتنا » ؛ وقال بعدها : « قل إنما[1] الآيات عند الله » ، فلم يكن ليناسب بعد اكتناف هذه الجموع توحيد آيةٍ ، ثم إن هذه الآية لم يتقدمها من التهديد وشديد الوعيد ما تقدّم آيةَ الأنعام ؛ فناسب ذلك ورود الفعل غير مضعّف . وجاء ذلك كلّه على ما يجب .

وإنما طلبوا الآية ؛ لأنهم لم يعتدّوا بما أتى به ، فكأنه لم يأت بشىء عندهم لجحدهم وعنادهم ؛ وأيضا فإنما طلبوا آيةً تضطرهم إلى الإيمان من غير نظرَ ولا تأمل .

(وكذلك[3] فَتَنَّا بَعْضَهم ببعض) : أى ابتلينا الكفّار بالمؤمنين ، وذلك أنّ الكفار كانوا يقولون : هؤلاء العبيد والفقراء منّ الله عليهم بالتوفيق للحق والسعادة دوننا ، ونحن أشرف منهم وأغنياء ، وكان هذا الكلام منهم على جهة الاستبعاد لذلك .

(وإمّا يُنْسِيَنَّكَ[4] الشيطان فلا تَقْعُدْ بعد الذِّكْرَى مع القوم الظالمين) :

(١) العنكبوت : ٥٠ (٢) العنكبوت : ٤٩ (٣) الأنعام : ٥٣
(٤) الأنعام : ٦٨

وعن الكسائى أن اللام لتوكيد الخبر ، وإنّ لتوكيد الاسم ؛ وفيه تجوز ؛ لأن التوكيد للنسبة ، لا للاسم ولا للخبر ؛ وكذلك نون التوكيد الشديدة بمنزلة تكرير الفعل ثلاثاً ، والخفيفة بمنزلة تكريره مرتين .

وقال سيبويه — فى نحو : « يأيها » : الألف والهاء لحقت « أيّا » توكيداً ، فكأنك كررت « يا » مرتين ، وصار الاسم تنبيهاً . هذا كلامه ، وتبعه الزمخشرى .

فائدة

قوله تعالى[1] : « ويقول الإنسان أإذا ما متُّ لسوفَ أُخْرَجُ حيّا » . قال الجرجانى فى نظم القرآن : ليست اللام فيه للتأكيد ؛ فإنه منكر ، فكيف يحقق ما ينكر ؛ وإنما قاله حكاية لكلام النبى صلى الله عليه وسلم الصادر منه بأداة التأكيد ، فحكاه ؛ فنزلت الآية على ذلك .

* * *

النوع الثانى[2] — دخول الأحرف الزائدة :

قال ابن جنى : كل حرف زيد فى كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى .

وقال الزمخشرى فى كشافه القديم : الباء فى خبر ما وليس لتأكيد النفى ، كما أن اللام لتأكيد الإيجاب .

وسئل بعضهم عن التأكيد بالحرف وما معناه إذ إسقاطه لا يُخل بالمعنى ؟ قال : هذا يعرفه أهل الطباع ، يجدون من زيادة الحرف معنًى لا يجدونه بإسقاطه

(١) مريم : ٦٦

(٢) من نوعى الإطناب ، وقد سبق النوع الأول صفحة . . .

قال : ونظيره العارفُ بوزن الشعر طبعاً إذا تغيّر عليه البيت بنقصٍ أنكره ، وقال : أجد فى نفسى خلافَ ما أجدها فى إقامة الوزن ؛ فكذلك هذه الحروف تتغير نفس المطبوع بنقصانها [٥٦ ب] ويجد فى نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بنقصانها .

ثم باب الزيادة للحروف وزيادة الأفعال قليل ، والأسماء أقل .

أما الحروف فيزاد منها إنْ ، وأنْ ، وإذ ، وإذا ، وإلى ، وأم ، والباء ، والفاء ، وفى ، واللام ، ولا ، وما ، ومن ، والواو ؛ وستأتى فى حروف المعجم مشروحة .

وأما الأفعال فزِيدَ منها « كان » ، وخرّج عليه : «[1] كيف نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فى المَهْدِ صَبِيًّا » . وأصبح ، وخرج عليه[2]: « فأَصْبَحُوا خاسرين » .

وقال الرُّمانى : العادة أن من به علة تزاد فى الليـــل أن يرجوَ الفرج عند الصباح ، فاستعمل أصبح ؛ لأن الخسران حصل فى الوقت الذى يرجو فيه الفرج ، فليست زائدة .

وأما الأسماء فنصّ أكثر النحويين على أنها لا تزاد ، ووقع فى كلام المفسرين الحكم عليها بالزيادة فى مواضع ؛ كلفظ « مثل » فى قوله[3] : « فإنْ آمَنُوا بمِثْلِ ما آمَنْتُم به » ؛ أى بما .

النوع الثالث — التأكيد الصناعى ؛ وهو أربعة أقسام :

أحدها — التوكيد المعنوى بكلّ ، وأجمع ، وكِلَا ، وكِلْتا ؛ نحو[4] : « فسجد الملائكةُ كلُّهم أجمعون » . وفائدته رفع توهّم المجاز وعدم الشمول ؛

---

(١) مريم : ٢٩ (٢) المائدة : ٥٣ (٣) البقرة : ١٣٧
(٤) الحجر : ٣٠

وادّعى الفراء أن « كلهم » أفادت ذلك ، وأجمعون أفادت اجتماعهم على السجود ، وأنهم لم يسجدوا متفرقين .

ثانيها — التأكيد اللفظى ؛ وهو تكرار اللفظ الأول إما بمرادفه ، نحو[1] : « ضَيِّقا حَرِجا » — بكسر الراء . «[2] غَرَابِيبُ سُودٌ » . وجعل منه الصفّار : «[3] فيما إنْ مَكَّنَّاكُمْ فيه » ، على القول بأن كليهما للنفى .

وجعل منه غيره[4] : « قِيلَ ارْجِعُوا وراءكم فالتَمِسُوا نورا » . فوراء ليست ها هنا ظرفاً ؛ لأن لفظ ارجعوا ينبىء عنه ، بل هو اسم فعل بمعنى ارجعوا ؛ فكأنه قال : ارجعوا ارجعوا .

وإما بلفظه ، فيكون فى الاسم والفعل والحرف والجملة . فالاسم نحو : قَوارير . قَوارير . دكّا دكا . صفّا صفا . والفعل ، نحو[5] : « فمَهِّلِ الكافرين أمْهِلهم رُوَيدا » . واسم الفعل ، نحو[6] : « هيهاتَ هيهاتَ لِمَا تُوعَدون » . والحرف ، نحو[7] : « ففِي الجنّةِ خالدِين فيها » . «[8] أيَعِدُكم أنكم إذا مِتّم وكنتم تُرابًا وعِظَامًا أنكم » . والجملة ، نحو[9] : « فإنَّ معَ العُسْرِ يُسْرًا . إنَّ مع العسر يُسْراً » . والأحسن اقتران الثانية بثُمّ ، نحو[10] : « وما أدْراكَ ما يَوْمُ الدِّين . ثم ما أدْراك ما يَوْمُ الدين » . «[11] كلاَّ سوف تعلمون . ثم كلاَّ سوفَ تعلمون » .

ومن هذا النوع تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل ؛ نحو[12] : « اسْكُنْ أنْتَ

---

(١) الأنعام : ١٢٥ (٢) فاطر : ٢٧ (٣) الأحقاف : ٢٦
(٤) الحديد : ١٣ (٥) الطارق : ١٧ (٦) المؤمنون : ٣٦
(٧) هود : ١٠٨ (٨) المؤمنون : ٣٥ (٩) الشرح : ٥ ، ٦
(١٠) الانفطار : ١٧ ، ١٨ (١١) التكاثر : ٣ ، ٤
(١٢) البقرة : ٣٥

وزَوْجُكَ الجنة » . « [1] اذهَبْ أنْتَ وربُّكَ » . « [2] وإمّا أنْ نكونَ نحن المُلقِين » .

ومنه تأكيد المنفصل بمثله [3] : « وهم بالآخرة هم كافرون » .

ثالثها — تأكيد الفعل بمصدره ، وهو عوض من تكرار الفعل مرتين ، وفائدتُه رفعُ توهم المجاز فى الفعل ، بخلاف التوكيد السابق ؛ فإنه لرفع توهم المجاز فى المسند إليه ، كذا فرق به ابن عصفور وغيره . ومن ثم رد بعضُ أهل السنة على بعض المعتزلة فى دعواه نفى التكليم حقيقة بقوله [4] : « وكلَّمَ اللهُ موسى تكليما » ؛ لأن التوكيد رفع المجاز فى الفعل . ومن أمثلته [5] : « وسلِّمُوا تسليما » . « [6] تمورُ السماءُ مَوْرا . وتسير الجبالُ سَيْرا » . « [7] جزاؤكم جزاءً مَوْفُورا » . وليس منه : « [8] وتظنُّون باللهِ الظنُونا » ؛ بل هو جمع ظن ، لاختلاف أنواعه . وأما [9] : « إلاّ أنْ يشاءَ رَبّى شيئا » ، فيحتمل أن يكون منه ، وأن يكون الشيء بمعنى الأمر والشأن .

والأصل فى هذا النوع أن يُنعت بالوصف المراد ، نحو [10] : « اذكروا اللهَ ذِكْراً كثيرا » . « [11] وسرِّحُوهنَّ سَرَاحاً جميلا » . وقد يضاف وصفُه إليه ؛ نحو [12] : « اتقُوا اللهَ حقَّ تُقَاتِه » . وقد يؤكد بمصدر فعل آخر ، أو اسم عين نيابة عن المصدر ، نحو [13] : « وتَبَتَّلْ إليه تَبْتيلا » . والمصدر تبتلا . والتبتيل مصدر بتّل . « [14] أنبتكم من الأرض نباتاً » ؛ أى إنباتاً ، إذ النبات اسم عَيْن .

---

(١) المائدة : ٢٤ — (٢) الأعراف : ١١٥ — (٣) يوسف : ٣٧
(٤) النساء : ١٦٤ — (٥) الأحزاب : ٥٦ — (٦) الطور : ٩ ، ١٠
(٧) الإسراء : ٦٣ — (٨) الأحزاب : ١٠ — (٩) الأنعام : ٨٠
(١٠) الأحزاب : ٤١ — (١١) الأحزاب : ٤٩ — (١٢) آل عمران : ١٠٢
(١٣) المزمل : ٨ — (١٤) نوح : ١٧

رابعها — الحال المؤكدة ؛ نحو[1]: «ويَوْم أُبْعَثُ حَيّا » . «[2]ولا تَعْثَوْا فى الأرض مُفْسِدين » . «[3]وأرسلْناكَ للناسِ رَسُولا » . «[4] ثم تولَّيْتُم إلا قليلا منكم وأنتُم مُعرِضُون » . «[5] وأُزْلِفَت الجنَّةُ للمتقين غيْرَ بَعيد » . [٥٧ ا] وليس منه : «[6] ولَّى مُدْبِرًا » ؛ لأن التولى قد لا يكون إدباراً ، بدليل قوله[7] : « فَوَلِّ وجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحرام » — ولا : «[8] فتَبَسَّم ضاحكا » ، لأن التبسم قد لا يكون ضحكا . ولا : «[9] وهو الحقُّ مُصَدِّقا » ؛ لاختلاف المعنيَيْن ؛ إذ كونه حقا فى نفسه غير كونه مصدقا لما قبله .

* * *

النوع الرابع —التكرير ؛ وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة ، خلافاً لبعض من غلط . وله فوائد :

منها : التقرير ، وقد قيل : إن الكلام إذا تكرر تقرر ، وقد نبه تعالى على السبب الذى لأجله كرر القصص والإنذار بقوله[10] : « وصرّفْنَا فيه منَ الوَعيد لعلهم يتّقُون أو يُحْدِثُ لهم ذِكْرا » .

ومنها : التأكيد .

ومنها : زيادة التنبيه على ما ينفى التهمة ؛ ليكمل تلقّى الكلام بالقبول ؛ ومنه[11] : « وقال الذى آمَن يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكم سبيلَ الرَّشاد . يا قوم إنما هذه الحياةُ الدنيا متاع وإنّ الآخرةَ هى دارُ القَرار » ؛ فإنه كرر فيه النداء لذلك .

ومنها إذا طال الكلام وخُشِى تناسى الأول أعيد ثانياً تطريةً له وتجديداً

---

(١) مريم : ٣٣ — (٢) البقرة : ٦٠ — (٣) النساء : ٧٩
(٤) البقرة : ٨٣ — (٥) ق : ٣١ — (٦) النمل : ١٠
(٧) البقرة : ١٤٤ — (٨) النمل : ١٩ — (٩) البقرة : ٩١
(١٠) طه : ١١٣ — (١١) غافر : ٣٨ ، ٣٩

لِعَهْدِه ؛ ومنه[1] : « ثم إنَّ ربَّك للذين عَمِلُوا السوءَ بجَهَالةٍ ثم تابوا مِنْ بعد ذلك وأَصْلَحُوا إنَّ ربَّكَ مِنْ بعدها لغفورٌ رحيم » . «[2] ثم إن ربك للذين هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثم جاهَدُوا وصَبَرُوا إن ربك مِنْ بَعْدها لغفورٌ رحيم » . «[3] ولما جاءهم كتابٌ مِنْ عند الله مصدِّق لما معهم ... » إلى قوله : « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به» . «[4] لا تَحْسَبَنَّ الذين يَفْرَحُون بما أَتَوْا ويُحِبُّون أن يُحْمَدُوا بما لم يَفْعَلُوا فلا تَحْسَبَنَّهم بمَفَازَةٍ مِنَ العذَاب » . «[5] إني رأيتُ أحدَ عشر كوكباً والشمسَ والقمرَ رأيتُهم لي ساجدين » .

ومنها التعظيم والتهويل ، نحو : الحاقة ما الحاقة . القارعة ما القارعة . وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين .

فإن قلت: هذا النوع أحد أقسام النوع قبله؛ فإن منها التوكيد بتكرار اللفظ ، فلا يحسن عدُّه نوعاً مستقلا .

قلت : هو يجامعه ويفارقه ، ويزيد عليه وينقص عنه ؛ فصار أصلا برأسه ؛ فإنه قد يكون التأكيد تكراراً كما تقدم في أمثلته ، وقد لا يكون تكراراً كما تقدم أيضاً . وقد يكون التكرير غير تأكيد صناعة وإن كان مفيداً للتأكيد معنى .

ومنه ما وقع فيه الفصل بين المكررين ، فإن التأكيد لا يفصل بينه وبين مؤكده ، نحو[6] : « اتقُوا اللهَ ولْتنظُرْ نَفْسٌ ما قدمَتْ لغَدٍ واتقُوا اللهَ » . «[7] إن الله اصْطَفَاكَ وطهَّركَ واصْطَفَاكَ على نساءِ العالمين » . فالآيتان من باب التكرير ، لا التأكيد اللفظي الصناعي .

---

(١) النحل : ١١٩ (٢) النحل : ١١٠ (٣) البقرة : ٨٩
(٤) آل عمران : ١٨٨ (٥) يوسف : ٤ (٦) الحشر : ١٨
(٧) آل عمران : ٤٢

ومنه الآيات المتقدمة فى التكرير للطول .

ومنه ما كان لتعدد المتعلق ، بأن يكون المكرر ثانياً متعلقاً بغير ما تعلق به الأول . وهذا القسم يسمى بالترديد ، كقوله[1]: « اللهُ نُورُ السمواتِ والأرض مثَلُ نورِه كمِشْكاةٍ فيها مصباحٌ ، المصباحُ فى زُجاجةٍ ، الزجاجةُ كأنها كوكبٌ دُرِّىٌ يُوقَدُ من شجرةٍ مباركة » . وقد وقع فيها الترديد أربع مرات . وجعل منه قوله تعالى[2] : « فبأىِّ آلاءِ ربِّكما تُكذِّبان » . فإنها تكررت نيفاً وثلاثين مرة ، كلٌّ واحدة تتعلق بما قبلها ؛ ولذلك زادت على ثلاثة ، ولو كان عائداً على شىء واحد لما زاد على ثلاثة ؛ لأن التأكيد لا يزيد عليها . قاله ابن عبد السلام وغيره ، وإن كان بعضها ليس بنعمة فذكرُ النقمة للتحذير نعمة . وقد سئل : أى نعمة فى قوله[3] : « كلُّ مَنْ عليها فَانٍ » ؟ فأجاب بأجوبة أحسنها النقلةُ من دار الهموم إلى دار السرور ، وإراحة المؤمن من الكافر ، والبار من الفاجر . وكذا قوله[4] : « ويل يومئذٍ للمُكَذِّبين » فى سورة المرسلات ؛ لأنه تعالى ذكر قصصاً مختلفة ، وأتبع كل قصة بهذا القول ، كأنه قال عقب كل قصة : ويل للمكذب بهذه القصة . وكذا قوله فى سورة الشعراء[5] : « إن فى ذلك لآية ، وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربَّك لهو العزيزُ الرّحيم » — كررت ثمان مرات ، كل مرة عقب كل قصة ؛ فالإشارة فى كل واحدة بذلك إلى قصة النبى المذكور قبلها ، وما اشتملت عليه من الآيات والعبر [٥٧ ب] . وبقوله : « وما كان أكثرهم مؤمنين » إلى قومه خاصة ، ولما كان مفهومه أن الأقل من قومه آمنوا أتى بوصفى العزيز الرحيم ، للإشارة إلى أن العزة على من لا يؤمن منهم والرحمة لمن آمن .

---

(١) النور : ٣٥ (٢) الرحمن : ١٣ ، ١٦

(٣) الرحمن : ٢٦ (٤) المرسلات : ١٩ (٥) الشعراء : ٨ ، ٩

وكذا قوله فى سورة القمر[1] : « ولقد يَسَّرْنَا القُرآنَ للذِّكْرِ فهل مِنْ مُدَّكِرٍ » .

قال الزمخشرى[2] : كرر ليجدِّدوا عند سماع كل نبأ منها اتعاظاً وتنبيهاً ، وأن كلا من تلك الأنباء مستحق لاعتبار يختص به ؛ وأن يتنبهوا كى لا يغلبهم السرورُ والغفلة .

قال فى عروس الأفراح : فإن قلت : إذا كان المراد بكلٍّ ما قبله فليس بإطناب ؛ بل هى ألفاظ ، كلٌّ أُريد به[3] غير ما أريد بالآخر .

قلت : إذا قلنا العبرة بعموم اللفظ فكل واحد أريد به ما أريد بالآخر ، ولكن كرر ليكون نصّاً فيما يليه وظاهراً فى غيره .

فإن قلت : يلزم التأكيد .

قلت : والأمر كذلك ، ولا يَرِدُ عليه أن التأكيد لا يزاد عليه عن ذلك[4] ؛ لأن ذلك فى التأكيد الذى هو تابع . أما ذكرُ الشىء فى مقامات متعددة أكثر من ثلاثة فلا يمتنع . انتهى .

ويقرب من ذلك ما ذكره ابن جرير[5] فى قوله تعالى[6] : « ولِلّهِ ما فى السمواتِ وما فى الأرض . ولقد وصَّيْنا الذين أوتُوا الكتابَ مِنْ قبلكم وإياكم . . . » إلى قوله : « وكان الله غَنِيًّا حميدا . ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكفَى بالله وَكيلا » .

---

(١) القمر : ١٧

(٢) الكشاف : ٢ — ٤٣٢

(٣) فى ب : بها .

(٤) الإتقان : لا يزاد به عن ثلاثة .

(٥) تفسير الطبرى : ٣ — ٢٩٧

(٦) النساء : ١٣١ ، ١٣٢

قال : فإن قيل : ما وَجْهُ تكرار قوله : « ولله ما فى السموات وما فى الأرض » فى آيتين إحداهما فى أثر الأخرى ؟

قلت : لاختلاف معنى الخبرين عما فى السموات والأرض ؛ وذلك أن الخبر عنه فى إحدى الآيتين ذِكْرُ حاجته إلى بارئه، وغِنَى بارئه عنه ؛ وفى الأخرى حفظُ بارئه إياه ، وعلمه به وبتدبيره .

قال : فإن قيل : أفلا قيل : وكان الله غنيا حميدا ، وكفى بالله وكيلا ؟

قيل : ليس فى الآية الأولى ما يصلح أن تُختم بوصفه معـــه بالحفظ والتدبير . انتهى[1].

وقال تعالى[2] : « وإنّ منهم لفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهم بالكتاب لِتَحْسَبُوه مِنَ الكتاب وما هُو مِنَ الكتاب » .

قال الراغب[3] : الكتاب الأول ما كتبوه بأيديهم المذكور فى قوله تعالى[4] : « فَوَيْلٌ للّذِين يكتبون الكتابَ بأيديهم » . والكتاب الثانى التوراة . والثالث لجنس كتب الله كلها ؛ أى ما هو من شىء من كتب الله وكلامه .

ومن أمثلة ما يُظن أنه تكرار وليس منه[5] : « قُلْ يأيُّها الكافِرُون . لا أَعْبُدُ ما تعبُدون ... » الخ ؛ فإن لا أعبد ما تعبدون أى فى المستقبل ، ولا أنتم عابدون أى فى الحال ، ما أعبد فى المستقبل ، ولا أنا عابد أى فى الحال . ما عبدتم فى الماضى . ولا أنتم عابدون ؛ أى فى المستقبل . ما أعبد أى فى الحال .

---

(١) تفسير الطبرى : ٣ — ٢٩٧
(٢) آل عمران : ٧٨
(٣) المفردات : ٤٢٥
(٤) البقرة : ٧٩
(٥) الكافرون : ١ ، ٢

والحاصل أن القَصْد نفيُ عبادته لآلهتهم فى الأزمنة الثلاثة ؛ وكذا[١] : « فاذْكُروا اللهَ عندَ المَشْعَرِ الحرام واذكروه كما هداكم » . ثم قال[٢] : « فإذا قضَيْتُم مناسِكَكم فاذكرُوا اللهَ كذِكرِكم آباءَكم » . ثم قال[٣]: « واذكرُوا اللهَ فى أيامٍ مَعْدُوداتٍ » . فإن المراد بكل واحد من هذه الأذكار غير المراد بالآخر ؛ فالأول الذكر بالمزدلفة عند الوقوف بقُزَح[٤] ، وقوله : « واذكرُوه كما هَداكُمْ» إشارة إلى تكرره ثانياً وثلثاً. ويحتمل أن يراد به طوافُ الإفاضة ، بدليل تعقيبه بقوله : فإذا قضيتم مناسككم . والذكر الثالث إشارة إلى رَمْى جمرة العقبة . والذكر الأخير لرمى أيام التشويق .

ومنه تكرير حرف الإضراب فى قوله[٥] : « قالوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ ، بل افْتَرَاهُ ، بل هو شاعر » . وقوله[٦] : « بل ادّارَكَ عِلْمُهم فى الآخرة بل هم فى شَكٍّ منها بل هم منها عَمُون » .

ومنه قوله[٧] : « ومتِّعُوهنّ عَلَى المُوسِع قَدَرُه وعلى المُقْتِرِ قَدَرُه متاعاً بالمعروف حقّا على المحسنين » . ثم قال[٨] : « وللمطلّقات مَتَاعٌ بالمعروف حقًّا على المتقّين » . فكرر الثانى ليعم كل مطلقة ، فإن الآية الأولى فى المطلقات قبل الفَرْض والمسيس خاصة . وقيل : لأن الأولى لا تشعر بالوجوب ، ولهذا لما نزلت ، قال بعض الصحابة : إن شئت أحسنت وإن شئت فلا ، فنزلت الثانية، قاله ابن جرير .

---

(١) البقرة : ١٩٨ (٢) البقرة : ٢٠٠ (٣) البقرة : ٢٠٣

(٤) قزح – بضم أوله وفتح ثانيه وحاء مهملة : اسم جبل بالمزدلفة (ياقوت)

(٥) الأنبياء : ٥ (٦) النمل : ٦٦ (٧) البقرة : ٢٣٦

(٨) البقرة : ٢٤١

ومن ذلك تكرير الأمثال ، كقوله[1] : « وما يستوى الأعمى والبصير . ولا الظلماتُ ولا النور . ولا الظلّ ولا الحَرُور . وما يستوى الأحياءُ ولا الأموات » .

وكذلك ضرب [٥٨ ا] مثل المنافقين أول البقرة[2] بالمستوقدين ناراً ، ثم ضربه[3] بأصحاب الصَّيِّب ؛ قال الزمخشرى[4] : والثانى أبلغ من الأول ؛ لأنه أدل على فَرْط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته ؛ قال : ولذلك أُخِّر ، وهم يتدرجون فى نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ .

ومن ذلك تكرير القصص ، كقصة آدم وموسى ونوح وغيرهم من الأنبياء . قال بعضهم : ذكر الله موسى فى كتابه فى مائة وعشرين موضعاً .

وقال ابن العربى فى القواصم : ذكر الله قصةَ نوح فى خمسة وعشرين موضعاً ، وقصة موسى فى تسعين آية .

وقد ألف البَدْرُ بن جماعة كتاباً سماه التقنص فى فوائد تكرير القصص ؛ وذكر فى فوائده :

أن فى كل موضع زيادة شىء لم يذكر فى الذى قبله ، أو إبدال كلمة بأخرى لنكتة ؛ وهذه عادةُ البلغاء .

ومنها[5] أن الرجل كان يسمع القصةَ من القرآن ، ثم يعود إلى أهله ثم يهاجر بعده آخرون يحكون ما نزل بعد صدور مَنْ بعدهم[6] ، فلولا تكرار القصص

---

(١) فاطر : ١٩ — ٢٢ (٢) آية ١٧ (٣) آية ١٩
(٤) الكشاف : ١ — ٣٣ (٥) أى الفوائد .
(٦) فى الإتقان : تقدمهم .

لوقعت قصةُ موسى إلى قوم وقصةُ عيسى إلى آخرين ؛ وكذا سائر القصص ؛ فأراد الله اشتراكَ الجميع فيها ، فيكون فيه إفادةٌ لقوم وزيادة تأكيد لآخرين .

ومنها أن فى إبراز الكلام الواحد فى فنون كثيرة وأساليب مختلفة مالا يخفى من الفصاحة .

ومنها أن الدواعىَ لا تتوفّر على نَقْلها كتوفرها على نقل الأحكام ؛ فلهذا كُررت القصص دون الأحكام .

ومنها أنه تعالى أنزل هذا القرآن ، وعجز القوم عن الإتيان بمثله ، ثم أوضح الأمْرَ فى عجزهم بأن كرر ذكر القصة فى مواضع إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأى نظم جاءوا وبأى عبارة عبّروا .

ومنها أنه لما تحداهم قال[1] : « فأتُوا بسورةٍ من مِثْله » . فلو ذُكرت القصة فى موضع واحد ، واكتفى بها لقال العربى : ائتونا أنتم بسورة من مثله ، فأنزلها سبحانه فى تعداد السور دفعاً لحجتهم من كل وجه .

ومنها أن القصة الواحدة لما كُررت كان فى ألفاظها فى كل موضع زيادةٌ ونقصان ، وتقديم وتأخير ، وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى ، فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب فى إخراج الأمر الواحد فى صورة متباينة فى النظم ، وجذب النفوس إلى سماعها لما جُبلت عليه من حب التنقل بين الأشياء المتجددة ، واستلذاذها بها ، وإظهار خاصة القرآن ، حيث لم يحصل — مع ذلك التكرير فيه — هُجْنةٌ فى اللفظ ، ولا مَلَل عند سماعه ؛ فبايَنَ بذلك كلام المخلوقين .

وقد سئل : ما الحكمةُ فى عدم تكرير قصة يوسف ، وسَوْقها مساقاً واحداً

---

(١) البقرة : ٢٣

فى موضع واحد دون غيرها من القصص ؟ وأجيب بوجوه :

أحدها : أن فيها تشبيبَ النسوة به ، وحالَ امرأةٍ ونسوة افتتنوا بأبدع الناس جمالا ؛ فناسب عدم تكرارها لما فيها من الإغضاء والستر . وقد صحح الحاكم فى مستدركه حديثَ النهى عن تعليم النساء سورة يوسف .

ثانيها : أنها اختصت بحصول الفَرَج بعد الشدة ، بخلاف غيرها من القصص ، فإن مآلها إلى الوبال ؛ كقصة إبليس وقوم نوح وهـــــود وصالح وغيرهم ، فلما اختصت بذلك اتفقت الدواعى على نَقْلها لخروجها عن سَمْة القصص .

ثالثها : قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفَرايني :

إنما كرر الله قصص الأنبياء ، وساق قصةَ يوسف مساقاً واحداً إشارة إلى عجز العرب ، كأن النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم : إن كان من تلقاء نفسى فافعلوا فى قصة يوسف ما فعلته فى سائر القصص .

قات : وظهر لى جواب رابع ، وهو أن سورة يوسف نزلت بسبب طلب الصحابة أن يقص عليهم ؛ كما رواه الحاكم فى مستدركه ، فنزلت مبسوطة تامة ليحصل لهم مقصودُ القصص من استيعاب القصة ، وترويح النفس بها ، والإحاطة بطرفيها .

وجواب خامس ؛ وهو أقوى ما يجاب به : إن قصص الأنبياء إنما كُررت لأن المقصود بها إفادةُ إهلاك من كَذّبوا رسلهم ، والحاجةُ داعية إلى ذلك لتكرير تكذيب الكفار للرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فلما كذّبوا أنزلت قصة مُنْذرة بحلول العذاب، كما حل على المكذبين، ولهذا قال تعالى[[illegible]] فى آيات:[1]

---

(١) الأنفال ٣٨

« قد مضَتْ سنَّةُ الأوّلين » . «[1] ألم يَرَوْا كم أهلَكْنا من قَبْلِهم مِنْ قَرْن» . وقصةُ يوسف لم يُقصد منها ذلك ؛ وبهذا أيضاً يحصل الجواب عن حكمة عدم تكرير قصة أهل الكهف ، وقصة ذى القَرْنين ، وقصة موسى مع الخضر ، وقصة الذّبيح .

فإن قلت : قد تكررت قصةُ ولادة يحيى وولادة عيسى مرتين ، وليست من قَبِيل ذلك ؟ قلت : الأولى فى سورة كهيعص ، وهى مكية أنزلت خطاباً لأهل مكة ؛ والثانية فى سورة آل عمران ، وهى مدنية أنزلت خطاباً لليهود ولنصارى نجران حين قدموا ؛ ولهذا اتصل بها ذكرُ المحاجّة والمباهلة .

* * *

النوع الخامس : الصفة .

وتَرِدُ لأسباب :

أحدها : التخصيص فى النكرة ؛ نحو[2] : « فتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمنة » .

الثانى : التوضيح فى المعرفة ، أى زيادة البيان ، نحو[3] : « ورَسُولِه النبىِّ الأمِّىِّ » .

الثالث : المدح والثناء ، ومنه صفات الله تعالى ، نحو[4] : « بِسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله ربِّ العالمين . الرحمن الرحيم . مالكِ يَوْم الدين» . «[5] هو اللهُ الخالقُ البارىءُ المصوِّر » . ومنه[6] : « يَحْكُمُ بها النبيُّون الذين أَسْلَمُوا» . فهذا الوصف للمدح ، وإظهار شرف الإسلام والتعريض باليهود ، وأنهم بعدوا

---

(١) الأنعام : ٦ (٢) النساء : ٩٢ (٣) الأعراف : ١٥٨

(٤) الفاتحة : ١ – ٤ (٥) الحشر : ٢٤ (٦) المائدة : ٤٤

عن ملّة الإسلام الذى هو دينُ الأنبياء كلهم ، وأنهم بمعزل عنها ؛ قاله[1] الزمخشرى .

الرابع الذم ، نحو[2] : « فاستعِذْ باللهِ من الشيطانِ الرَّجيم » .

الخامس : التأكيد لرفع الإيهام ، نحو[3] : « لا تَتَّخِذُوا إلهين اثنين » ؛ فإن إلهين للتثنية، فاثنين بعده صفة مؤكدة للنهى عن الإشراك ، ولإفادة أن النهى عن اتخاذ إلهين ، إنما هو لمحض كونهما اثنين فقط ، لا لمعنى آخر من كونهما عاجزين أو غير ذلك ؛ ولأن الوحدة تطلق ويراد بها النوعية ، كقوله صلى الله عليه وسلم : إنما نحن وبنو المطلب شىء واحد . وتطلق ويراد بها نفىُ العدة بالتثنية باعتبارها . فلو قيل : لا تتخذوا إلهين فقط لتوهم أنه نهى عن اتخاذ جنسين آلهة ؛ وإن جاز أن تتخذ من نوع واحد عدداً آلهة ؛ ولهذا أكد بالوحدة قوله[4] : « إنما هُوَ إلهٌ واحد » .

ومثله[5] : « فاسْلُكْ فيها مِنْ كلٍّ زَوْجَيْنِ اثنين » — على قراءة تنوين كل . وقوله[6] : « فإذا نُفِخَ فى الصُّور نَفْخَةٌ واحدة » ؛ فهو تأكيد لرفع توهمُ تعدد النفخة ؛ لأن هذه الصيغة قد تدل على الكثرة بدليل[7] : « وإن تَعُدُّوا نعمةَ اللهِ لا تُحْصُوها » .

ومن ذلك قوله[8] : « فإنْ كانَتَا اثْنَتَيْن » . فإن لفظ « كانتا » يفيد التثنية ، فتفسيره باثنتين لم يُفِدْ زيادة عليه .

وقد أجاب عن ذلك الأخفش والفارسى بأنه أفاد العدد المحض مجرداً

---

(١) الكشاف : ١ — ٢٥٧
(٢) النحل : ٩٨
(٣) النحل : ٥١
(٤) الأنعام : ١٩
(٥) المؤمنون : ٢٧
(٦) الحاقة : ١٣
(٧) إبراهيم : ٣٤
(٨) النساء : ١٧٦

عن الصفة ؛ لأنه قد كان يجوز أن يقال: فإن كانتا صغيرتين أو كبيرتين أو صالحتين أو غير ذلك من الصفات ، فلما قال اثنتين أفهم أن فرض الثنتين تعلق بمجرد كونهما اثنتين فقط . وهذه فائدة لا تحصل من ضمير المثنى .

وقيل : أراد فإن كانتا اثنتين فصاعدا ، فعبّر بالأدنى عنه وعما فوقه اكتفاء .

ونظيره[1] : « فإنْ لم يكونَا رجُلَيْنِ فرجُلٌ وامْرأتان » . والأحسنُ فيه أن الضمير عائد على الشهيدين المطلقين .

ومن الصفات المؤكدة قوله[2] : « ولا طائرٍ يَطِير بجناحيه » . فقوله : يطير — لتأكيد أن المراد بالطائر حقيقته ، فقد يطلق مجازاً على غيره . وقوله : بجناحَيْه ، لتأكيد حقيقة الطيران ؛ لأنه يطلق مجازاً على شدة العَدْوِ والإسراع فى المشى .

ونظيره[3] : « يقولون بألسنتهم » ؛ لأن القول يُطلق مجازاً على غير اللسانى، بدليل[4] : « ويقولونَ فى أنفسهم » .

وكذا[5] : « ولكنْ تَعْمَى القلوبُ التى فى الصدور » ؛ لأن القلب قد يُطلق مجازاً على العين ، كما أطلقت العينُ مجازا على القلب فى قوله[6] : « الّذين كانَتْ أعْيُنُهم فى غِطاءٍ عن ذِكْرِى » .

---

(١) البقرة : ٢٨٢ (٢) الانعام : ٣٨ (٣) الفتح : ١١
(٤) المجادلة : ٨ (٥) الحج : ٤٦ (٦) الكهف : ١٠١

قاعدة

الصفة العامة لا تأتى بعد الخاصة ؛ لا يقال رجل فصيح متكلم ، بل متكلم فصيح . وأشكل على هذا قوله تعالى فى إسماعيل[١] : « وكان رَسولًا نبيا » . وأجيب بأنه حال لا صفة ؛ أى مرسلا فى حال نبوته . وقد تقدم فى وجه التقديم والتأخير أمثلة من هذا .

قاعدة

إذا وقعت الصفة بعد متضايفين أولهما عدَدٌ جاز إجراؤها على المضاف وعلى المضاف إليه ؛ فمن الأول[٢]: «سَبْعَ سمٰواتٍ [٥٩ ا] طِبَاقاً » . ومن الثانى[٣]: « سبع بقَرَاتٍ سمانٍ » .

فائدة

إذا تكررت النعوت لواحد فالأحسن إن تباعد معنى الصفات العطفُ ، نحو[٤] : « هو الأوّل والآخر ، والظاهر والباطن » ؛ وإلا تَرْكه ، نحو[٥] : « ولا تُطِعْ كلَّ حلّافٍ مَهين . همّازٍ مشّاء بنَميم . منّاعٍ للخير مُعْتَدٍ أثيم . عُتُلٍّ بعد ذلكَ زَنيم » .

---

(١) مريم : ٥١ (٢) الملك : ٣ (٣) يوسف : ٤٣
(٤) الحديد : ٣ (٥) القلم : ١٠ — ١٣

فائدة

قطعُ النعوت فى مقام المدح والذم أبلغُ من إجرائها ؛ قال الفارسى : إذا تكررت[1] صفات فى معرض المدح أو الذم فالأحسن أن يخالَف فى إعرابها ؛ لأن المقام يقتضى الإطناب ، فإذا خُولف فى الإعراب كان المقصود أكمل ؛ لأن المعانى عند الاختلاف تتنوع وتتفنن ، وعند الاتحاد تكون نوعاً واحداً ، مثاله فى المدح[2] : « والمؤمنون يؤمنون بما أُنْزِل إليكَ وما أُنزل من قَبْلك والمقيمين الصلاة والمُؤْتون الزكاة » . «[3] ولكنَّ البرَّ مَنْ آمنَ بالله واليوم الآخر ... » إلى قوله : «والمُوفُونَ بِعَهْدِهِم إذا عاهَدُوا والصابرين » . وقرىء شاذا : الحمد لله رب العالمين — برفع رب ونصبه . ومثاله فى الذم[4] : « وامرأتُه حَمَّالَةَ الحَطَبِ » .

النوع السادس — البدل :

والقصدُ به الإيضاح بعد الإبهام . وفائدته البيانُ والتأكيد . أما الأول فواضح أنك إذا قلت رأيت زيدا أخاك بينت أنك تريد بزيد الأخ لا غير . وأما التأكيد فلأنه على نية تكرار العامل ، فكأنه من جملتين ، ولأنه دل على ما دل عليه الأول ؛ إما بالمطابقة فى بدل الكل ، وإما بالتضمين فى بدل البعض . أو بالاشتمال[5] فى بدل الاشتمال .

مثال الأول[6]: « اهْدِنَا الصراطَ المستقيمَ . صِرَاطَ الذين أنعمْتَ عليهم » .

---

(١) فى الإتقان : إذا ذكرت .
(٢) النساء : ١٦٢
(٣) البقرة : ١٧٧
(٤) المسد : ١
(٥) فى الإتقان : أو بالالتزام .
(٦) الفاتحة : ٦

«[1] إلى صِرَاطِ العزيزِ الحميد . اللهِ » . «[2] لنَسْفعاً بالناصيةِ ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئةٍ » .

ومثال الثانى[3] : « ولِلهِ على الناسِ حجُّ البيْتِ مَنِ استطاعَ إليه سبيلا » . «[4] ولولا دَفْعُ اللهِ الناسَ بَعْضَهم ببعض » .

ومثال الثالث[5] : « وما أَنْسَانيه إلا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَه » . «[6] يسألونك عن الشَّهْرِ الحرام قتالٍ فيه قُلْ قِتَالٌ فيه كبير » . «[7] قُتِل أصحابُ الأُخْدُود . النارِ ذاتِ الوَقُود » . «[8] لجعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بالرحمن لبيُوتهم » .

وزاد بعضهم بدل الكل من البعض ، وقد وجدت له مثالا فى القرآن ؛ وهو قوله[9] : « فأولئك يدخلُون الجنةَ ولا يُظْلَمُون شيئاً . جَنّاتِ عَدْنٍ » . فجنات عدن بدل من الجنة التى هى بعض . وفائدته تقرير أنها جنات كثيرة لا جنة واحدة . وقال ابن السيد : وليس كل بدل يقصد به رفْعُ الإشكال الذى يعرض فى المبدل منه ؛ بل من البدل ما يراد به التأكيد ، وإن كان ما قبله غنياً عنه ، كقوله[10] : « وإنّكَ لتَهْدِى إلى صراطٍ مستقيم . صِرَاطِ اللهِ » . ألا ترى أنه لو لم يذكر الصراط الثانى لم يشك أحد فى أن الصراط المستقيم هو صراط الله . وقد نصّ سيبويه على أن من البـــدل ما الغرض منه التأكيد . انتهى .

---

(١) إبراهيم : ١ ، ٢ (٢) العلق : ١٥ ، ١٦ (٣) آل عمران : ٩٧
(٤) البقرة : ٢٥١ (٥) الكهف : ٦٣ (٦) البقرة : ٢١٧
(٧) البروج : ٤ ، ٥ (٨) الزخرف : ٣٣ (٩) مريم : ٦٠ ، ٦١
(١٠) الشورى : ٥٢ ، ٥٣

وجعل منه ابن عبد السلام[1] : « وإذ قال إبراهيمُ لِأَبِيه آزَر » — قال : ولا بيان فيه ؛ لأن الأب لا يلتبس بغيره . ورُدّ بأنه قد يطلق على الجد ، فأبدل لبيان إرادة الأب حقيقة .

النوع السابع — عطف البيان :

وهو كالصفة في الإيضاح ، لكن يفارقها في أنه وُضع ليدل على الإيضاح باسم مختص به ، بخلافها فإنها وضعت لتدل على معنى حاصل في متبوعها .

وفرّقَ ابن كَيْسان بينه وبين البدل بأن البدل هو المقصود ؛ وكأنك قررته في موضع المبدل منه ، وعطف البيان وما عطف عليه كل منهما مقصود .

وقال ابن مالك في شرح الكافية : عطف البيان يجرى مجرى النعت في تكميل متبوعه ، ويفارقه في أن تكميله[2] بشرح وتبيين ، لا بدلالة على معنى في المتبوع أو سببيه ، ومجرى التوكيد في تقوية دلالته ، ويفارقه في أنه لا يفارقه[3] توهم مجاز ، ومجرى البدل في صلاحيته للاستقبال ، ويفارقه في أنه غير منوىّ الاطراح .

ومن أمثلته[4] : « فيه آياتٌ بَيِّناتٌ مقَامُ إبراهيم » . « [5] مِنْ شجرةٍ مُبَارَكةٍ زَيْتُونَةٍ » .

وقد يأتي لمجرد المدح والإيضاح[6] . ومنه : « جعلَ اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرام » فالبيت الحرام عطف بيان [٥٩ ب] للمدح والإيضاح[7] .

---

(١) الأنعام : ٧٤
(٢) في الإتقان : تكميل متبوعه
(٣) في الإتقان : لا يرفع .
(٤) آل عمران : ٩٧
(٥) النور : ٣٥
(٦) في الإتقان : بلا إيضاح .
(٧) في الإتقان : لا للإيضاح .

النوع الثامن : عطف أحد المترادفين على الآخر :

والقصد منه التأكيد أيضاً ، وجعل منه[١] : « إنما أشكو بَثّي وحُزْني إلى الله » . «[٢] فما وهَنُوا لما أصابَهُمْ في سبيل الله ، وما ضَعُفوا » . «[٣] فلا يخافُ ظُلْماً ولا هَضْما » . «[٤] لا تخاف دَرَكاً ولا تَخْشَى » . «[٥] لا ترَى فيها عِوَجًا ولا أمْتاً » . قال الخليل : العوَج والأَمْتُ بمعنى واحد . «[٦] سِرَّهُم ونَجْواهُم» . «[٧] شِرْعةً ومِنْهاجا » . «[٨] لا تُبْقِي ولا تَذَر» . «[٩] إلا دُعَاءً ونِدَاءً » . «[١٠] أطَعْنَا سادتنَا وكُبَراءَنا » . «[١١] لا يَمَسُّنَا فيها نَصَبٌ ولا يَمَسُّنَا فيها لُغُوب » ، فإن نَصَب كلغب وزناً ومعنى — «[١٢] صلواتٌ من رَبِّهم ورحْمَةٌ » . «[١٣] عُذْراً أو نُذْرا » . قال ثعلب : هما بمعنى واحد . وأنكر المبرد وجود هذا النوع في القرآن ، وأوّل ما سبق على اختلاف المعنيين .

وقال بعضهم : الملخص[١٤] في هذا أن تعتقد أن مجموع المترادفين يحصّل معنى لا يوجد عند انفرادها ؛ فإن التركيب يحدث معنى زائدا . وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الألفاظ .

النوع التاسع — عطف الخاص على العام :

وفائدته التنبيه على فَضْله ، حتى كأنه ليس من جنس العام ، تنزيلا للتَّغَاير في الوصف منزلة التغاير في الذات .

---

(١) يوسف : ٨٦ (٢) آل عمران : ١٤٦ (٣) طه : ١١٢
(٤) طه : ٧٧ (٥) طه : ١٠٧ (٦) التوبة : ٧٨
(٧) المائدة : ٤٨ (٨) المدثر : ٢٨ (٩) البقرة : ١٧١
(١٠) الأحزاب : ٦٧ (١١) فاطر : ٣٥ (١٢) البقرة : ١٥٧
(١٣) المرسلات : ٦ (١٤) في الإتقان : المخلص .

وحكى أبو حيان عن شيخه أبى جعفر بن الزبير أنه كان يقول : هذا العطف يسمَّى بالتجريد ، كأنه جرد من الجملة ، وأفرد بالذكر تفصيلا

ومن أمثلته[1]: «حافِظُوا على الصلواتِ والصلاةِ الوُسْطَى» . «[2]مَنْ كان عدوًّا للهِ وملائكتِه ورسُلِهِ وَجِبْريل ومِيكَال» . «[3]ولتَكُنْ منكم أمَّةٌ يدْعُون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ويَنْهَوْنَ عن المنكر» . «[4] والذين يُمَسِّكُونَ بالكتابِ وأقامُوا الصلاةَ» . وإنما إقامتها من جملة التمسك بالكتاب ، وخُصَّت بالذكر إظهارا لرتبتها ، لكونها عماد الدين . وخص جبريل بالذكر ردا على اليهود فى دعواهم عداوته . وضم إليه ميكائيل ؛ لأنه ملك الرزق الذى هو حياة الأجساد ، كما أن جبريل ملك الوحى الذى هو حياة القلوب والأرواح . وقيل : إن جبريل وميكائيل لما كانا أميرى الملائكة لم يدخلا فى لفظ الملائكة أولا ، كما أن الأمير لا يدخل فى[5] مسمى الجند . حكاه الكرمانى فى العجائب .

ومن ذلك[6] : « ومَنْ يعمَلْ سوءًا أو يَظْلِمْ نَفْسَه » . «[7] ومن أظلمُ ممَّنْ افترى على اللهِ كذبا ، أو قال أُوحِيَ إلىّ ولم يُوحَ إليه شَيْءٌ » . بناء على أنه لا يختص بالواو ، كما هو رأى ابن مالك فيه وفيما قبله . وخصّ المعطوف فى الثانية بالذكر تنبيهاً على زيادة قبحه .

تنبيه

المراد بالخاص والعام هنا ما كان فيه الأول شاملا للثانى لا المصطلح عليه فى الأصول .

---

(١) البقرة : ٢٣٨ (٢) البقرة : ٩٨ (٣) آل عمران : ١٠٤
(٤) الأعراف : ١٧٠ (٥) ا : فى الجند . (٦) النساء : ١١٠
(٧) الأنعام : ٩٣

النوع العاشر — عطف العام على الخاص :

وأنكر بعضهم وجوده فأخطأ . والفائدة فيه واضحة ، وهو التعميم . وأفرد الأول بالذكر اهتماماً بشأنه .

ومن أمثلته[1] : « إنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي » . والنسك العبادة فهو أعم . «[2] آتيناك سَبْعا من المثانى والقرآن العظيم » . «[3] ربِّ اغْفِرْ لى ولوالدى ولمن دخل بَيْتِى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات » . «[4] فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكةُ بعد ذلك ظَهِير » .

وجعل منه الزمخشرى[5] : « ومن يدبّر الأمْرَ » — بعد قوله : قُلْ مَنْ يَرْزُقُكم .

النوع الحادى عشر — الإيضاح بعد الإبهام :

قال أهل البيان : إذا أردت أن تُبْهِم ثم توضّح فإنك تطنب . وفائدته إما رؤيةُ المعنى فى صورتين مختلفتين : الإبهام ، والإيضاح ، أو ليتمكن المعنى فى النفس تمكنا زائدا لوقوعه بعد الطلب ؛ فإنه أعز من المنساق بلا تعب ، أو لتكمل لذةُ العلم به ؛ فإن الشىء إذا عُلم من وجه ما تشوفت النفس للعلم به من باقى وجوهه ، وتألمت ؛ فإذا حصل العلم من بقية الوجوه كانت لذته أشد من علمه من جميع وجوهه دفعة واحدة .

ومن أمثلته[6] [١٦٠] : « رَبِّ اشْرَحْ لى صَدْرِى ويَسِّرْ لى أمْرِى » . فإن « اشرح » يفيد طلب شرح شىء مّا له ، وصدرى يفيد تفسيره وبيانه ؛

---

(١) الأنعام : ١٦٢ (٢) الحجر : ٨٧ (٣) نوح : ٢٨
(٤) التحريم : ٤ (٥) يونس : ٣١ (٦) طه : ٢٥ ، ٢٦

وكذلك[1] : « يَسِّرْ لى أمْرِى » . والمقام يقتضى التأكيد للإرسال المؤذِن بتلقى الشدائد ، وكذلك[2] : « ألم نشرَحْ لك صَدْرَكَ » ؛ فإن المقام يقتضى التأكيد ؛ لأنه مقام امتنان وتفخيم . وكذا[3] : « وقضَيْنا إليه ذلك الأمْرَ أنّ دابرَ هؤلاء مقطوعٌ مُصْبِحين » .

ومنه التفصيل بعد الإجمال ، نحو[4] : « إنّ عدةَ الشهورِ عند الله اثنا عشَر شَهْرا ... » إلى قوله : « منها أربعةٌ حُرُم » .

وعكسه ؛ كقوله[5] : « ثلاثةِ أيام فى الحجّ وسبعةٍ إذا رجَعْتُم تلك عشرةٌ كاملة » . أعيد ذكر العشرة لدفع توهم أن الواو فى « وسبعة » بمعنى « أو » فتكون الثلاثة داخلة فيها ، كما فى قوله[6] : « خَلَقَ الأرْضَ فى يومين » ، ثم قال[7] : « وجعل فيها روَاسِيَ من فوقها وبارَكَ فيها وقَدَّرَ فيها أقْوَاتَهَا فى أربعة أيام » ؛ فإن من جملتها اليومين المذكورين أولا ، وليست أربعة غيرها . وهذا أحسن الأجوبة فى الآية ، وهو الذى أشار إليه الزمخشرى ، ورجَّحه ابن عبدالسلام ، وجزم به الزملكانى فى أسرار التنزيل ؛ قال : ونظيره[8] : « وواعَدْنَا مُوسى ثلاثين ليلة وأتْمَمْنَاها بِعَشْرٍ فتَمّ مِيقاتُ رَبِّه أربعين ليلة » — فإنه رافعٌ لاحتمال أن تكون تلك العشرة من غير مواعدة .

قال ابن عسكر : وفائدة الوعد بثلاثين أولا ثم بعشر ؛ ليتجدد له قربُ انقضاء المواعدة ، ويكون فيه متأهباً ، مجتمع الرأى ، حاضر الذهن ؛ لأنه لو وعد بالأربعين أولا كانت متساوية ، فلما فصلت استشعرت النفسُ قرب التمام ، وتجدّد بذلك عزم لم يتقدم .

---

(١) طه : ٢٥ (٢) الشرح : ١ (٣) الحجر : ٦٦
(٤) التوبة : ٣٦ (٥) البقرة : ١٩٦ (٦) فصلت : ٩
(٧) فصلت : ١٠ (٨) الأعراف : ١٤٢

وقال الكرماني في العجائب : في قوله : « تلك عشرة كاملة » ثمانية أجوبة ؛ جوابان من التفسير ، وجواب من الفقه ، وجواب من النحو ، وجواب من اللغة ، وجواب من المعنى ، وجوابان من الحساب ؛ وقد سقتها في أسرار التنزيل .

النوع الثاني عشر — التفسير :

قال أهل البيان : وهو أن يكون في الكلام لبس وخفاء ، فيأتي بما يزيله ويفسّره . ومن أمثلته[1] : « إنّ الإنسانَ خُلِق هلوعًا . إذا مسّه الشرّ جزوعا . وإذا مسّه الخيرُ منوعا » ، فقوله : « إذا مسّه ... » الخ تفسير للهلوع ، كما قال أبو العالية وغيره . « [2]القيّومُ ، لا تأخذُه سِنةٌ ولا نومٌ » — قال البيهقي في شرح الأسماء الحسنى : قوله « لا تأخذه سِنة ... » الخ تفسير للقيّوم . «[3] يسومُونكم سوءَ العذابِ يُذَبِّحُون ... » الآية : فيذبحون وما بعده تفسير للسوء[4] . «[5] إنّ مَثَلَ عيسى عند الله كمثلِ آدمَ خلَقَهُ من تُراب ... » الآية — فخلقه وما بعده تفسير للمثل . «[6] لا تتّخِذوا عدُوّي وعدُوّكم أولياءَ تلقُونَ إليهم بالمودّة » . فتلقون ... الخ تفسير لاتخاذهم أولياء . «[7] الصمد . لم يَلِدْ ولم يولد ... » الآية . قال محمد بن كعب القرظي : « لم يلد ... » الخ تفسير للصّمد .

وهو في القرآن كثير .

قال ابن جنّي : ومتى كانت الجملة تفسيراً لم يحسن الوقف على ما قبلها دونها ؛ لأن تفسير الشيء لاحق به ومتمّم له ، وجار له مجرى بعض أجزائه .

---

(١) المعارج : ١٩ — ٢١ (٢) البقرة : ٢٥٥ (٣) البقرة : ٤٩
(٤) في الإتقان : للسوم . (٥) آل عمران : ٥٩ (٦) الممتحنة : ١
(٧) الإخلاص : ٢ ، ٣

النوع الثالث عشر — وضع الظاهر موضع المضمر :

ورأيت فيه تأليفاً مفرداً لابن الصائغ ، وله فوائد :

منها : زيادة التقرير والتمكين ، نحو[1] : « قُلْ هو اللهُ أحد . اللهُ الصَّمَد » . «[2] وبالحق أنزلناهُ وبالحق نزل » . «[3] إنّ الله لذو فَضْلٍ على الناس ، ولكنّ أكثر الناسِ لا يَشْكُرون » . «[4] لتحْسَبُوه مِنَ الكتابِ وما هُوَ من الكتاب ويقولون هو مِنْ عند الله وما هو من عند الله » .

ومنها قصد التعظيم ، نحو[5] : « واتقُوا اللهَ ويعلِّمُكم اللهُ ، واللهُ بكل شيء عَليم » . «[6] أولئك حِزْبُ اللهِ ألَا إنّ حزْبَ اللهِ هم المفلحون » . «[7] وقرآنَ الفَجْرِ إنّ قرآنَ الفجْرِ كان مشهودا » . «[8] ولباسُ التقْوَى ذلك خير » .

ومنها قصدُ الإهانة والتحقير ، نحو[9] : « أولئك حزْبُ الشيطان ألَا إنّ حزْبَ الشيطان هم الخاسِرُون » . «[10] إنّ الشيطانَ يَنْزَغُ بينهم ، إن الشيطانَ كان للانسان عَدُوًّا مُبِينا » .

ومنها إزالة اللبس حيث يوهم الضمير أنه غير [٦٠ ب] الأول ، نحو[11] : « قل اللهمّ مالكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تشاء » . لو قال تؤتيه أوْهَمَ أنه الأول ؛ قاله ابن الخشاب : «[12] الظّانِّين بالله ظنّ السَّوْءِ عليهم دائرةُ السَّوْء » ؛ لأنه لو قال : عليهم دائرته لأوهم أن الضمير عائد على الله . «[13] فبدأ بأَوْعِيتهم قبل

---

(١) الإخلاص : ١ ، ٢ (٢) الإسراء : ١٠٥ (٣) غافر : ٦١
(٤) آل عمران : ٧٨ (٥) البقرة : ٢٨٢ (٦) المجادلة : ٢٢
(٧) الإسراء : ٧٨ (٨) الأعراف : ٢٦ (٩) المجادلة : ١٩
(١٠) الإسراء : ٥٣ (١١) آل عمران : ٢٦ (١٢) الفتح : ٦
(١٣) يوسف : ٧٦

وعاءِ أخيه ثم استخرجها من وعاءِ أخيه » . لم يقل منه ؛ لئلا يتوهم عودُ الضمير إلى الأخ ؛ فيصير كأنه مباشر يطلب خروجَها ، وليس كذلك ؛ لما في المباشرة من الأذى الذى تأباه النفوس الأبية ؛ فأعيد لفظ الظاهر ؛ لنفى هذا . ولم يقل من وعائه ؛ لئلا يتوهم عَوْدُ الضمير إلى يوسف ؛ لأنه العائد إليه ضمير استخراجها .

ومنها قصد تربية المهابة وإدخال الروع على ضمير السامع بذكر الاسم المقتضى لذلك ؛ كما تقول : الخليفة أمير المؤمنين يأمرك بكذا . ومنه[1] : « إن الله يأمركم أنْ تُؤَدُّوا الأماناتِ إلى أهلها » . «[2] إن اللهَ يأمر بالعَدْل والإحسان » .

ومنها قَصْدُ تقوية داعية المأمور ؛ ومنه[3] : « فإذا عَزمْتَ فتوكَّلْ على الله إنّ اللهَ يُحِبُّ المتوكلين » .

ومنها تعظيم الأمر ، نحو[4] : « أو لم يَرَوا كيف يُبْدِئُ اللهُ الخَلْقَ ثم يعيده إن ذلكَ على اللهِ يَسير » . «[5]قل سيرُوا في الأرض فانْظُرُوا كيفَ بدأ الخَلْق » . «[6]هل أتى على الإنسانِ حينٌ من الدَّهْرِ لم يكن شيئاً مذكوراً . إنّا خَلَقْنَا الإنسانَ » .

ومنها الاستلذاذ بذكره ، ومنه[7] : « وأوْرَثَنا الأرضَ نتبَوَّأُ من الجنة حيث نَشاء » . ولم يقل منها ؛ ولهذا عدل عن ذكر الأرض إلى الجنة .

---

(١) النساء : ٥٨ (٢) النحل : ٩٠ (٣) آل عمران : ١٥٩
(٤) العنكبوت : ١٩ (٥) العنكبوت : ٢٠ (٦) الإنسان : ١ ، ٢
(٧) الزمر : ٧٤

ومنها قصد التوصل بالظاهر إلى الوصف ؛ ومنه[1]: « فآمِنُوا باللهِ ورسولِه النبيِّ الأمّىّ الذى يؤمن بالله » بعد قوله[1] : « إنى رسولُ الله » ، ولم يقل : فآمِنُوا بالله ربى ، ليتمكّنَ من إجراء الصفات التى ذكرها ؛ ليعلم أن الذى وجب الإيمانُ به والاتباعُ له هو من وُصِفَ بهذه الصفات، ولو أتى بالضمير لم يمكن ذلك لأنه لا يوصف .

ومنها التنبيه على علّية الحكم ؛ نحو[2] : « فبدّلَ الذين ظلمُوا قوْلاً غيْرَ الذى قيل لهم » . «[3] فأنزلنا على الذين ظلَمُوا رِجْزًا » . «[4] فإنّ اللهَ عدُوٌّ للكافرين » . ولم يقل لهم ؛ إعلاماً بأن مَنْ عادى هؤلاء فهو كافر ، وإن الله إنما عاداه لكفره . «[5] فمن أظْلَمُ ممّن افترى على اللهِ كذِبًا أو كذّب بآياته إنه لا يُفْلِحُ المجرِمُونَ » . «[6] والذين يُمَسِّكُون بالكتاب وأقامُوا الصلاةَ إنا لا نُضيع أجْرَ المصلحين » . «[7] إنّ الذين آمَنُوا وعمِلُوا الصالحاتِ إنا لا نُضيعُ أجْرَ مَنْ أحسنَ عملاً » .

ومنها قصدُ العموم ؛ نحو[8] : « وما أُبَرِّىءُ نَفْسِى إنّ النفْسَ لأمّارةٌ بالسوء » . ولم يقل إنها ؛ لئلا يتوهم تخصيص ذلك بنفسه . «[9] أولئك هم الكافرون حقًّا » . «[10] وأعْتَدْنا للكافرين عذابًا مُهِينًا » .

ومنها قصدُ الخصوص؛ نحو[11]: «وامرأةً مؤمنةً إنْ وهبَتْ نَفْسَها للنبى» — لم يقل لك تصريحاً بأنه خاص به .

---

(١) الأعراف : ١٥٨ — (٢) الأعراف : ١٦٢ — (٣) البقرة : ٥٩
(٤) البقرة : ٩٨ — (٥) يونس : ١٧ — (٦) الأعراف : ١٧٠
(٧) الكهف : ٣٠ — (٨) يوسف : ٥٣ — (٩) النساء : ١٥١
(١٠) النساء : ٣٧ — (١١) الأحزاب : ٥٠

ومنها الإشارةَ إلى عدم دخول الجملة الأولى ، نحو(١): « فإن يَشَأ اللهُ يَخْتِمْ على قَلْبِكَ ويَمْحُ اللهُ الباطلَ » . فإنّ « ويمح الله » استئناف لا داخل فى حكم الشرط .

ومنها مراعاة الجناس ؛ ومنه(٢) : « قل أعوذُ بربِّ الناس ... » السورة ، ذكره الشيخ عز الدين ، ومثّله ابن الصائغ بقوله(٣) : « خلق الإنسانَ مِنْ عَلَقٍ ثم قال : «علّمَ الإنسان ما لم يَعْلَم ، كلا إن الإنسانَ ليَطْغَى » ؛ فالمراد بالإنسان الأول الجنس ، وبالثاني آدم ، أو من يعلم الكتابة ، أو إدريس ؛ وبالثالث أبو جهل .

ومنها مراعاةُ الترصيع وتوازن الألفاظ فى التركيب ، ذكره بعضهم فى قوله(٤): « أنْ تَضِلَّ إحداهما فتُذَكِّرَ إحداهُمَا الأخرى » .

ومنها أن يتحمل ضميراً لا بد منه ، ومنه(٥) : « أتيَا أهْلَ قريةٍ استَطْعَمَا أهْلَها » . لو قال استطعماها لم يصح ؛ لأنهما لم يستطعما القرية ، أو استطعماهم فكذلك ؛ لأن جملة استطعما صفة لقرية النكرة لا لأهل ، فلا بد أن يكون فيها ضميرٌ يعود إليها ، ولا يمكن إلا مع التصريح بالظاهر ، كذا حرره السبكى فى جواب مسأله الصلاح الصفدى فى ذلك ، قال الصفدى(٦):

أسيّدنا قاضى القضاة ومن إذا
بدا وَجْهُهُ استحيا له القمرانِ

[٦١ ا] ومَنْ كفُّه يوم النَّدَى ومِداده(٧)
على طِرْسِهِ بحرانِ يلتقيانِ

---

(١) الشورى : ٢٤ (٢) الناس : ١ (٣) العلق : ٢ ، ٥ ، ٦
(٤) البقرة : ٢٨٢ (٥) الكهف : ٧٧ (٦) الإتقان : ٣ — ٢١٩
(٧) فى الإتقان : ويراعه .

وَمَنْ إنْ دَجَتْ فى المشكلات مسائل
جلاها بفكرٍ دائم اللّمعان

رأيتُ كتاب الله أكبرَ مُعْجِز
لأفضل مَنْ يُهدَى به الثّقلان

ومنْ جملة الإعجاز كونُ اختصاره
بإيجاز ألفاظٍ وبَسط معان

ولكننى فى الكهف أبصرت آيةً
بها الفكرُ فى طول الزمان عَنَانى

وما هى إلا استطعما أهلَها فقد
نرى استطعماهم مثله ببيان

فما الحكمةُ الغرّاء فى وضْعِ ظاهر
مكانَ ضمير إنّ ذاك لِشَانِ

فأرْشِدْ على عادات فَضْلك حيْرتى
فمالى بها عند البيان يَدَان

تنبيه

إعادةُ الظاهر بمعناه أحسن من إعادته بلفظه ، كما مر فى آيات : «[1] إنا لا نُضيعُ أجرَ مَنْ أحسنَ عملا » . «[2] إنا لا نُضيع أجرَ المصلحين » . ونحوهما .

---

(١) الكهف : ٣٠ (٢) الأعراف : ١٧٠

ومنه : «[1] ما يوَدُّ الذين كفروا مِنْ أهل الكتابِ ولا المُشركين أن يُنَزَّلَ عليكم مِنْ خير مِنْ ربّكم والله يَختَصُّ برحمته مَنْ يشاءُ » .
فإن إنزال الخير مناسب للربوبية وأعاده بلفظ الله ، لأن تخصيص الناس بالخير دون غيرهم مناسب للالهية ؛ لأن دائرة الربوبية أوسع .

ومنه[2] : « الحمدُ لله الذى خلق السموات والأرض ... » إلى قوله : « ثم الذين كفَروا بربِّهم يَعْدِلُون » . وإعادته فى جملة أخرى أحسنُ منه فى الجملة الواحدة لانفصالها ، وبعد الطول أحسن من الإضمار ؛ لئلا يبقى الذهن متشاغلا بسبب ما يعود عليه فيفوته ما شَرَع فيه ، كقوله[3] : « وتلك حُجَّتُنَا آتيناها إبراهيمَ على قَوْمه نَرفَعُ درجاتٍ مَن نشاء — بعد قوله : « وإذ قال إبراهيم لأبيه آزَر » .

النوع الرابع عشر — الإيغال :

وهو الإمعان ، وهو خَتْمُ الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها . وزعم بعضهم أنه خاص بالشعر ؛ ورُدّ بأنه وقع فى القرآن ؛ من ذلك قوله[4] : « يا قوم اتبعُوا المرسَلِين ، اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مُهتَدُون ... » . فقوله : بعده : « وهم مهتدون» إيغال ؛ لأنه يتم المعنى بدونه ؛ إذ الرسول مهتد لا محالة ، لكن فيه زيادة مبالغة فى الحث على اتباع الرسـل والترغيب فيه . وجعل ابنُ أبى الإصبع منه[5] : « ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إذا وَلَّوْا مُدْبِرين » ؛ فإن قوله : « إذا ولوا مدبرين » زائد على المعنى ، مبالغة فى عدم انتفاعهم .

---

(١) البقرة : ١٠٥ (٢) الأنعام : ١ (٣) الأنعام : ٨٣
(٤) يس : ٢٠ ، ٢١
(٥) النمل : ٨٠ ، وانظر بديع القرآن : ٩١ ، وتحرير التحبير : ٢٣٤

«[1] وَمَن أحسنُ من الله حُكْمًا لقومٍ يُوقنون» . فإن قوله : «لقومٍ يُوقنون» زائد على المعنى لمدح المؤمنين ، والتعريض بالذم لليهود ، وأنهم بعيدون عن الإيمان . «[2] إنه لحقٌّ مِثْلَ ما أنَّكم تَنطِقُون » . فقوله : مثل ما ... الخ إيغال زائد على المعنى لتحقيق هذا الوعد ، وأنه واقع معلوم ضرورة لا يرتاب فيه أحد .

النوع الخامس عشر — التذييل :

وهو أن يؤتى بجملة عَقِبَ جملة ، والثانية تشتمل على معنى الأولى ؛ لتأكيد منطوقه أو مفهومه ؛ ليظهر المعنى لمن لا يفهمه ، ويتقرر عند من فهمه ؛ نحو[3] : « ذلك جَزَيْناهُم بما كفَرُوا وهل نُجَازِى إلا الكَفُور » . «[4] وقلْ جاءَ الحقُّ وزَهقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كان زَهُوقا » . «[5] وما جعَلْنا لبشرٍ مِنْ قبلك الخُلْد أفإنْ مِتَّ فهمُ الخالدُون » . «[6] ويومَ القيامة يكفُرون بِشِرْكِكُمْ ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِير » .

النوع السادس عشر — الطرد والعكس :

قال الطِّيبىّ : وهو أن يأتى بكلامين يقرر الأولُ بمنطوقه مفهومَ الثانى ، وبالعكس ؛ كقوله تعالى[7] : « لِيَسْتَأذِنكم الذين ملكَتْ أيمانُكم والذين لم يَبْلُغُوا الحُلُمَ منكم ثلاثَ مرَّات ... » إلى قوله : « ليس عليكمْ ولا عليهم جُناح بعدهُنّ طوَّافُون عليكم » ، فمنطوقُ الأمر بالاستئذان فى تلك الأوقات خاصة مقرِّر لمفهوم رَفعِ الجناح فيما عداها ، وبالعكس . وكذا قوله[8] : « لا يَعْصُون اللهَ ما أمرهم ويفعلونَ ما يُؤمرون » .

---

(١) المائدة : ٥٠ (٢) الذاريات : ٢٣ (٣) سبأ : ١٧

(٤) الإسراء : ٨١ (٥) الأنبياء : ٣٤ (٦) فاطر : ١٤

(٧) النور : ٥٨ (٨) التحريم : ٦

قلت : وهذا النوع يقابله فى الإيجاز نوع الاحتباك .

* * *

النوع السابع عشر — التكميل :

ويسمى بالاحتراس ، وهو أن يؤتى فى كلام يوهم خلافَ المقصود بما يدفع ذلك الوهم ؛ نحو[1]: « أذلّةٍ على المؤمنين أعزّةٍ على الكافرين » ؛ فإنه لو اقتصر على أذلة لتوهم أنه لضعفهم ، فرفعه بقوله : « أعزة » . ومثله[2] : « أشدّاءُ على الكفار رُحَمَاءُ بينهم » ، فإنه لو اقتصر على أشداء لتوهم أنه لغاظهم . « تخرج[3] بَيْضَاءَ مِن غير سُوء » . « لا[4] يَحْطِمَنّكُم سليمانُ وجنودُه وهم لا يشعرون » . فقوله[4] : وهم لا يشعرون — احتراس لئلا يتوهّم نسبة الظلم إلى سليمان . ومثله[5] : « فتصيبَكم منهم مَعَرّةٌ بغير عِلْم » . وكذا[6]: « قالوا نَشهدُ إنكَ لرسولُ الله واللهُ يعلم إنكَ لرسوله واللهُ يشهدُ إن المنافقين لكاذِبُون » . فالجملة الوسطى احتراس لئلا يتوهم أن التكذيب فى نفس الأمر .

قال فى عروس الأفراح : فإن قلت : كلٌّ من ذلك أفاد معنى جديداً ، فلا يكون إطناباً .

قلت : هو إطناب لما قبله من حيث رفع توهّمٌ غيره ، وإن كان له معنى فى نفسه .

* * *

النوع الثامن عشر — التتميم :

وهو أن يؤتى فى كلام لا يوهم غير المراد بفَضْلةٍ تفيد نكتة ؛ كالمبالغة فى قوله[7] : « ويُطْعِمُون الطعامَ على حُبِّه » ، أى مع حب الطعام أى اشتهائه ؛

---

(١) المائدة : ٥٤ — (٢) الفتح : ٢٩ — (٣) النمل : ١٢
(٤) النمل : ١٨ — (٥) الفتح : ٢٥ — (٦) المنافقون : ١
(٧) الإنسان : ٨

فإن الإطعام حينئذ أكثر أجراً . ومثله[1]: « وآتى المالَ على حُبّه » . «[2]ومَنْ يعْمَلْ من الصالحات من ذَكَرٍ أو أُنثَى وهو مُؤمن» ، فقوله : «وهو مُؤمِن» تتميم فى غاية الحسن .

* * *

النوع التاسع عشر — الاستقصاء :

وهو أن يتداول المتكلم معنى يستقصيه ، فيأتى بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصىَ جميع أوصافه الذاتية ، بحيث لم[3] يترك بعده فيه مقالا ؛ كقوله تعالى[4]: « أيودُّ أحَدُكم أن تكونَ له جنّةٌ من نخيل ... » الآية ؛ فإنه لو اقتصر على قوله : « جنة » لكان كافياً ، فلم يقف عند ذلك حتى قال فى تفسيرها : « مِنْ نخيلٍ وأعناب » ، فإنّ مصاب صاحبها بها أعظم ، ثم زاد : تجرى من تحتها الأنهار — متمماً لوصفها بذلك ، ثم كمّل وصفها بعد التتميمين ، فقال : « لهُ فيها مِنْ كلّ الثمرات » ، فأتى بكل ما يكون فى الجنان ليشتد الأسفُ على إفسادها .

ثم قال فى وصف صاحبها : وأصابه الكبر ، ثم استقصى المعنى فى ذلك بما يوجب تعظيم المصاب بقوله بعد وصفه بالكبر : « وله ذُرِّيّةٌ ضُعَفاء » . ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعف ، ثم ذكر استئصال الجنة التى ليس لهذا المصاب غيرها بالهلاك فى أسرع وقت ، حيث قال : « فأَصابَها إعْصارٌ فيه نارٌ فاحترقَتْ » . ولم يقتصر على ذكره للعلم بأنه لا يحصل به سرعةُ الهلاك ، فقال : « فيه نارٌ فاحترقت » . ثم لم يقف عند ذلك حتى أخبر باحتراقها ؛ لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تفى باحتراقها لما فيها من الأنهار ورطوبة الأشجار ، فاحترس عن هذا الاحتمال بقوله : « فاحترقت » . فهذا أحسنُ استقصاء وقع فى كلام وأتمه وأكمله .

---

(١) البقرة : ١٧٧ (٢) النساء : ١٢٤

(٣) فى الإتقان : بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده ... (٤) البقرة : ٢٦٦

قال ابنُ أبي الإصبع[1]: والفرقُ بين الاستقصاء والتتميم والتكميل أن التتميم يَرِدُ على المعنى الناقص ليتم . والتكميل يرد على المعنى التام فيكمل أوصافه . والاستقصاء يَرِدُ على المعنى التام الكامل فيستقصى لوازمَه وعوارضه وأسبابه وأوصافه حتى يستوعب جميع ما تقع الخواطر عليه فلا يبقى لأحد[2] فيه مساغ .

* * *

النوع العشرون — الاعتراض :

وسماه قُدامة[3] التفاتاً ؛ وهو الإتيان بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب أثناء كلام أو كلامين اتصلا معنى لنكتة غير رَفْع الإيهام ؛ كقوله[4]: «ويجعلونَ للهِ البناتِ سبحانه ولهم ما يَشْتَهون» . فقوله : « سبحانه » اعتراض لتنزيه الله عن البنات والشناعة على فاعليها . وقوله تعالى[5] : « لتدخلُنَّ المسجدَ الحرامَ إنْ شاءَ اللهُ آمنين » . فجملة الاستثناء اعتراض للتبرك .

ومن وقوعه بأكثر من[6] جملة : «[7]فأتُوهُنّ مِنْ حيثُ أمركمُ اللهُ إن اللهَ يُحِبُّ التوّابين ويُحِبُّ المتطهّرين . نساؤكم حَرْثٌ لكم » . فقوله : « نساؤكم » متصل بقوله : فأتوهن ؛ لأنه بيان له ، وما بينهما اعتراض للحثّ على الطهارة وتجنب الأدبار . وقوله[8] : « وقيل يا أرْضُ ابْلَعِي ماءكِ ... » إلى قوله : « وقيل بُعْداً للقَوْمِ الظالمين » — فيه اعتراض بثلاث جمل ؛ وهى « وغِيضَ الماء » . « وقُضِي الأمر » . « واستَوت على الجُودِيِّ » .

---

(١) بديع القران : ٢٥١

(٢) فى بديع القرآن: لأخذه مساغ ، ولا لاستحقاقه محال . وفى تحرير التحبير (٥٤٣) : بحيث لا يترك لآخذه مجالا لاستحقاقه من هذه الجملة .

(٣) نقد الشعر : ٥٣   (٤) النحل : ٥٧   (٥) الفتح : ٢٧

(٦) فى ا : من جملتين .   (٧) البقرة : ٢٢٢ ، ٢٢٣   (٨) هود ٤٤

قال في الأقصى القريب : ونكتته إفادةُ أن هذا الأمرَ واقع بين القولين لا محالة ، ولو أتى به آخراً لكان الظاهر تأخيره ؛ فبتوسُّطه ظهر كونه غير متأخر[1] ، ثم فيه اعتراض في اعتراض ؛ فإن : « وقُضِي الأمر » معترض بين وغيض ، واستوت ؛ لأن الاستواء يحصل عقب الغَيْض . وقوله[2] : « ولِمَنْ خاف مَقَامَ ربِّه جنّتَان ... » إلى قوله : « مُتّكئين على فُرش » — فيه اعتراض بسبع جمل إذا أعرب حالا منه .

ومن وقوع اعتراض في اعتراض[3] : « فلا أُقسمُ بمواقعِ النجوم . وإنه لَقَسَمٌ لو تعلمون عظيم . إنه لقرآن كريم » — اعترض بين القسم وجوابه بقوله : « وإنه لقسم ... » الآية ؛ وبين القسم وصفته بقوله : « لو تعلمون » ؛ تعظيما للمقسَم به ، وتحقيقاً لإجلاله ، وإعلاماً لهم بأن له عظمةً لا يعلمونها .

قال الطِّيبي في التبيان : ووجه حسن الاعتراض حسنُ الإفادة مع مجيئه مجيء ما لا يُترقب ؛ فيكون كالحسنة تأتيك من حيث لا تحتسب .

* * *

النوع الحادي والعشرون — التعليل :

وفائدته التقرير والأبلغية ؛ فإن النفوس أبعثُ على قبول الأحكام المعلّلة من غيرها ؛ وغالبُ التعليل في القرآن على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى، وحروفه : اللام ، وإنّ ، وأنّ ، وإذ ، والباء ، وكي ، ومن ، ولعل . وتأتي إن شاء الله في حروف المعجم .

ومما يقتضي التعليل لفظ الحكمة ؛ كقوله[4] : « حِكْمَةٌ بالغة » . وذكر

---

(١) في ب : متأخرا . (٢) الرحمن : ٤٦ ـ ٥٤ (٣) الواقعة : ٧٥ ـ ٧٧
(٤) القمر : ٥

الغاية من الخلق ؛ نحو[1] : « جعل لكمُ الأرضَ فِراشاً والسماءَ بِناءً » . «[2] ألم نجعلِ الأرضَ مِهاداً . والجبالَ أوتاداً » .

* * *

الوجه السابع والعشرون من وجوه إعجازه

وقوع البدائع البليغة فيه

وقد أنهاها بعضهم إلى مائتي نوع .

وهو علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة . وقد أفرده بالتصنيف ابن أبي الإصبع[3] ، وقد قدمنا منها فى نوع الفواصل والمناسبات والفواتح والخواتم وفى الوَجْه الذى قبل هذا ما لا مزيدَ لذكره ، ونذكر هنا بعضَها لتطّلع بذلك على أسرار هذا الكلام الذى أعجز عقول ذوى الأفهام عن إدراك عجائبه التى لا تنقضى ؛ لأنه فى أحسن نظام ، فإن أيقظ المتكلم به أحدَ هذه الأمة المحمدية للنظر فى هذا الكتاب فلا يغفل عن أجرة الدلال الموصل له هذه الذخائر التى يعجز عنها كثير من الطلاب — بالدعاء له بمجاورة الموصّل لنا هذا بعد الصلاة والسلام عليه وعلى جميع الآل والأصحاب . وإن لم يفتح الله له جملة — وهذا ظنى لوصف الخلق بأوصاف البَطَّالة[4] — فنرده إلى الله ورسوله ، ونسأله بمعاقد العز مِنْ عرشه ، ومنتهى الرحمة من كتابه واسمه الأعظم

---

(١) البقرة : ٢٢ (٢) النبأ : ٦ ، ٧

(٣) بديع القرآن لابن أبى الإصبع المصرى المتوفى سنة ٦٥٤ ، طبع ١٩٥٧ . وتحرير التحبير له أيضاً طبع ١٩٦٣ .

(٤) البطلة : السحرة (القاموس) .

أن يجعله لنا وجميع ما ألّفنا وقاية وشفيعاً من جميع المكاره ديناً ودنيا ؛ لأنه وليُّ ذلك والقادر عليه .

فمن ألقاب علوم البديع :

[الإيهــــام]

الإيهام — ويدعى التّورية : أن يُذكر لفظ له معنيان ، إما بالاشتراك ، أو التواطؤ ، أو الحقيقة ، أو المجاز — أحدهما قريب والآخر بعيد ، ويُقصد البعيد ويُورّى عنه بالقريب ، فيتوهمه السامع فى أول وهلة .

قال الزمخشرى : لا ترى باباً فى البيان أدق ولا ألطفَ من التورية ، ولا أنفع ولا أعون على تعاطى تأويل المتشابهات فى كلام الله ورسوله . قال : ومن أمثلته[1] : « الرحمنُ على العرش اسْتَوَى » ؛ فإنّ الاستواء على معنيين : الاستقرار فى المكان — وهو المعنى القريب المورّى به الذى هو غير مقصود لتنزيهه تعالى عنه . والثانى الاستيلاء والملك ؛ وهذا المعنى البعيد المقصود الذى ورّى عنه بالقريب المذكور . انتهى .

وهذه التورية تسمى مجردة ؛ لأنها [٦٢ ب] لم يذكر فيها شىء من لوازم المورَّى[2] به ولا المورّى عنه .

ومنها ما تسمى مرشّحة ، وهى التى ذُكر فيها شىء من لوازم هذا أو هذا ؛ كقوله تعالى[3] : « والسماءَ بَنَيْنَاهَا بأَيْدٍ » ، فإنه يحتمل الجارحة وهو المورّى به ، وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البُنْيان . ويحتمل القدرة والقوة ؛ وهو البعيد المقصود .

---

(١) طه : ٥ (٢) ق ب : التورية . (٣) الذاريات : ٤٧

وقال ابن أبى الإصبع فى كتابه الإعجاز[1] : ومنها[2] : « قالوا تالله إنَّكَ لفى ضَلَالِكَ القديم » . فالضلال يحتمل الحب وضد الهدى ؛ فاستعمله أولادُ يعقوب ضد الهدى تورية عن الحب . «[3]فاليَوْمَ ننجِّيكَ ببدَنِكَ» — على تفسيره بالدرع ، فإن البدن يطلق عليه وعلى الجسد ، والمراد البعيد وهو الجسد ؛ قال[1] : ومن ذلك قوله تعالى — بعد ذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى حيث قال[4]: « ولَئِنْ آتَيْتَ الذينَ أُوتُوا الكتابَ بكل آيةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وما أَنْتَ بتَابعٍ قِبْلَتَهم » .

ولما كان الخطاب لموسى من الجانب الغربى ، وتوجهت إليه اليهودُ ، وتوجهت النصارى إلى المشرق كانت قبلةُ الإسلام وسطاً بين القبلتين ؛ قال تعالى[5] : « وكذلك جَعَلْنا كُم أُمَّةً وسَطا » ؛ أى خيارا ، فظاهر اللفظ يوهم التوسط مع ما يعضده من توسط قبلة المسلمين — صدق على لفظة « وسط » ها هنا أن يسمى تعالى به لاحتمالها المعنيين . ولما كان المراد أبعدها — وهو الخيار — صلحت أن تكون من أمثلة التورية .

قلت : وهى مرشحة بلازم المورى عنه ، وهو قوله : « لتكونوا شهداءَ على الناس » ؛ فإنه من لوازم كونهم خِيَارا ؛ أى عدولا ، والإتيان قبله من قسم المجردة .

ومن ذلك قوله[6] : « والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَان » ؛ فإن النجم يطلق على الكوكب ، ويرشحه له ذكر الشمس والقمر ، وعلى ما لاساق له من النبات ، وهو المعنى البعيد له وهو المقصود فى الآية .

(١) هذا بالأصول ، والنص الآتى فى كتابه بديع القرآن : ١٠٢
(٢) يوسف : ٩٥ — (٣) يونس : ٩٢ — (٤) البقرة : ١٤٥
(٥) البقرة : ١٤٣ — (٦) الرحمن : ٦

ونقلتُ من خط شيخ الإسلام ابن حَجَر أن التَّوْرية فى القرآن قوله تعالى[1]: « وما أرْسلْناكَ إلّا كافةً للناس » ؛ فإن كافة بمعنى مانع؛ أى يكفّهم عن الكفر والمعصية والهاء للمبالغة ، وهذا معنى بعيد ، والمعنى القريب المتبادر أن المراد جامعة؛ أى جميعاً ، لكن منع مِنْ حمله على ذلك أن التأكيد يتراخى عن المؤكد ، فكما لا تقول رأيت جميعاً الناس لا تقول رأيت كافة الناس .

[الاستخــــدام]

ومنها الاستخدام، وهو والتورية أشرفُ أنواع البديع، وهما سيّان؛ بل فضّله بعضهم عليها ، وله فيه عبارتان :

إحداهما — أن يُؤتى بلفظ له معنيان فأكثر مراداً به أحد معانيه ، ثم يؤتى بضميره مراداً به المعنى الآخر ، وهذه طريقة السكاكى وأتباعه .

والأخرى أن يؤتى بلفظ مشترك ثم بلفظين يُفهم من أحدهما أحد المعنيين ، ومن الآخر الآخر ؛ وهذه طريقةُ بدر الدين بن مالك فى المصباح ، ومشى عليه ابن أبى الإصبع[2] ؛ ومثّل له بقوله تعالى[3] : « لكلِّ أَجَلٍ كتاب ... » الآية؛ فلفظ كتاب يحتمل الأمَدَ المحتوم والكتاب المكتوب ، فلفظُ «أجل» يخدم المعنى الأول ، « ويمحو » يخدم المعنى الثانى .

ومثّل غيره بقوله تعالى[4] : « لا تَقْرَبُوا الصلاةَ وأنتم سُكَارى ... » الآية . فالصلاة يُحتمل أن يراد بها فعلها وموضعها . وقوله تعالى[4] : « حتى تعلَمُوا ما تَقُولون » ، يخدم الأولى ، و«[4] إلاّ عابرى سبيل » يخدم الثانى .

---

(١) سبأ : ٢٨ (٢) بديع القرآن : ١٠٤ (٣) الرعد : ٣٨
(٤) النساء : ٤٣

قال : ولم يقع فى القرآن على طريقة السكاكى .

قلت : وقد استخرجتُ بفكرى آيات على طريقته :

منها قوله[1] : « أَتَى أَمْرُ اللهِ » ، فأمر الله يُراد به قيام الساعة والعذاب وبعثة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد أُريد بلفظه الأخير ، كما أخرج ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس فى قوله : « أَتَى أَمْرُ اللهِ » — قال محمد : وأُعيد الضمير عليه فى « تستعجلوه » مُراداً به قيام الساعة والعذاب .

ومنها — وقد أُريد بلفظه أظهرها[2] — قوله تعالى[3] : « ولقد خلقنا الإنسانَ من سُلالةٍ مِنْ طِين» ؛ فإن المراد به آدم ، ثم أُعيد الضمير عليه مراداً به ولده ، فقال : « ثم جعلناه نُطْفَةً فى قرارٍ مَكِين » .

ومنها قوله تعالى[4] : « لا تسألُوا عن أشياءَ إنْ تُبْدَ لكم تَسُؤْكم » ، ثم قال[4] : « قد سألها قومٌ مِنْ قَبْلِكم » ؛ أى أشياء أُخر ؛ لأن الأولين لم يسألوا عن الأشياء التى[5] سألوا [١٦٣ ا] عنها ، فُنهوا عن سؤالها .

[الالتفات]

ومنها الالتفات ، وهو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر ، أعنى من التكلّم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير بالأول ؛ هذا هو المشهور .

وقال السكاكى : إما ذلك أو التعبير بأحدها فيما حقُّه التعبير بغيره .

وله فوائد ، منها : تَطْرية الكلام ، وصيانة السمع عن الضجَر والملل ؛

---

(١) النحل : ١ (٢) فى الإتقان : وهى أظهرها .
(٣) المؤمنون : ١٢ ، ١٣ (٤) المائدة : ١٠١ ، ١٠٢
(٥) فى الإتقان : التى سأل عنها الصحابة .

لِمَا جُبِلت عليه النفوس من حب التنقلات ، والسآمة من الاستمرار على مِنْوَال واحد .هذه فائدته العامة .

ويختص كل موضع بنُـكَت ولطائف باختلاف محله كما سنبينه .

مثالُه من التكلم إلى الخطاب ؛ ووجهه حثُّ السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه ، وأعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة ـ قولُه تعالى[1] : « وما لى لا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنى وإليه تُرْجَعُون » . الأصل : وإليه أرجع . فالتفت من التكلّم إلى الخطاب . ونكتته أنه أخرج الكلام فى موضع مُناصحته لنفسه ، وهو يريد نُصْحَ قومه تلطفاً وإعلاماً أنه يريد لهم ما يريد لنفسه ؛ ثم التفت لكونهم فى مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله ، كذا جعلوا هذه الآية من الالتفات ؛ وفيه نظر ؛ لأنه إنما يكون منه إذا قصد الإخبارَ عن نفسه فى كلا الجملتين ؛ وهنا ليس كذلك ؛ لجواز أن يريد بقوله : « وإليه ترجعون » المخاطبين لا نَفْسه .

وأُجيب بأنه لو كان المراد ذلك لما صح الاستفهام الإنكارى ؛ لأن رجوع العَبْد إلى مولاه ليس بمستلزم أن يُعيده غير ذلك الراجع ؛ فالمعنى كيف لا أعبد من إليه رُجوعى ، وإنما عدل عن « وإليه أرجع » إلى : « وإليه ترجعون » ؛ لأنه داخل فيهم ، ومع ذلك أفاد فائدة حسنة ؛ وهى تنبيههم على أنه مثلُهم فى وجوب عبادة مَنْ إليه الرجوع .

ومن أمثلته أيضاً قوله[2] : « وأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لربّ العالَمين . وأن أقيموا الصلاة » .

---

(١) يس : ٢٢ (٢) الأنعام : ٧١ ، ٧٢

ومثاله من التكلم إلى الغَيْبَة — ووَجْهُه أن يفهم السامع أن هذا نَمَطُ المتكلم وقَصْدُه من السامع حضر أو غاب، وأنه فى كلامه ليس ممن يتلوّن ويتوجّه ويبدى فى الغيبة خلافَ ما يبديه فى الحضور — قوله تعالى[1] : « إنّا فَتَحْنا لكَ فَتْحاً مُبِيناً . لِيَغْفِرَ لكَ اللهُ ما تقدَّم من ذَنْبِك وما تأَخَّر » . والأصل ليغفر لك . «[2] إنّا أعطيناكَ الكَوْثَر فصَلِّ لِربِّك » : والأصل لنا . «[3] أمراً مِنْ عندنا إنّا كُنّا مُرْسلين . رحمةً مِنْ رَبِّك » . والأصل منا . «[4] إنّى رسولُ اللهِ إليكم جميعاً ... » إلى قوله : « فآمِنُوا باللهِ ورَسُوله » . والأصل وبى ؛ وعدل عنه لنكتتين : إحداها دفْعُ التهمة عن نفسه بالعصبية لها . والأخرى تنبيهم على استحقاقه الاتّباع بما اتصف به من الصفات المذكورة والخصائص المتلوّة .

ومثاله من الخطاب إلى التكلم لم يقع فى القرآن ؛ ومثّل له بعضهم بقوله[5] : « فاقْضِ ما أنْتَ قاض » . ثم قال : « إنا آمنّا بربِّنا » . وهذا المثال لا يصح ؛ لأن شرط الالتفات أن يكون المراد به واحداً .

ومثاله من الخطاب إلى الغيبة[6] : « حتى إذا كُنْتُم فى الفُلْكِ وجَرَيْنَ بهم بريحٍ » . والأصل بكم ؛ ونكتةُ العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم التعجُّبُ من كفرهم وفعلهم ؛ إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة . وقيل : لأن الخطاب أولا كان مع الناس مؤمنهم وكافرهم ، بدليل[7] : « هو الذى يُسيّركم فى البَرِّ والبَحْرِ » ؛ فلو كان : وجَرَيْن بكم للزم الذم للجميع، فالتفت عن الأول للاشارة إلى اختصاصه بهؤلاء الذين شأنُهم ما ذكره عنهم فى آخر الآية عدولا من الخطاب العام إلى الخطاب الخاص .

(١) الفتح : ١ ، ٢ (٢) الكوثر : ١ ، ٢ (٣) الدخان : ٥
(٤) الأعراف : ١٥٨ (٥) طه : ٧٢ ، ٧٣ (٦) يونس : ٢٢

قلت : ورأيتُ عن بعض السلف فى توجيهه عكسَ ذلك ؛ وهو أن الخطاب أوله خاص وآخره عام ؛ فأخرج ابن أبى حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه قال فى قوله : « حتى إذا كنتُم فى الفُلْك وجَرَيْن بهم » ـ قال : ذكر الحديثَ عنهم ، ثم حدث عن غيرهم ؛ ولم يقل : « وجَرَيْنَ بكم » ؛ لأنه قصد أن يجمعهم وغيرهم وجَرَيْن بهؤلاء وغيرهم من الخلق ، هذه عبارته . فلله درُّ السلف ، ما كان أوقعهم[1] على المعانى اللطيفة التى يَدْأب المتأخرون فيها زماناً طويلا ، ويُفنون فيها أعمارهم ، ثم غايتهم أنْ يحومُوا حول الحِمى .

ومما ذُكر فى توجيههم[2] أيضاً أنهم وقت الركوب [٦٣ ب] حضروا لأنهم خافوا الهلاكَ وغلبة الريح ، فخاطبهم خطاب الحاضرين ، ثم لما جرت الرياح بما تشتهى السفن ، وأمنوا الهلاك ، لم يبق حضورُهم كما كان ، على عادة الإنسان أنه إذا أمن غاب قلبه عن ربه ، فلما غابوا ذكرهم الله بصيغة الغيبة ، وهذه إشارة صوفية .

ومن أمثلته أيضاً[3] : « وما آتَيْتُم مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فى أموالِ النَّاسِ فلا يَرْبُو عند الله. وما آتيتمْ من زَكاة تريدونَ وَجْهَ الله فأولئك هم المُضْعِفُون» . «[4]وكرّه إليكم الكُفْرَ والفسوقَ والعِصْيانَ أولئك هم الراشدون » . «[5]ادخلوا الجنةَ أنتم وأزواجُكم تُحْبَرُون . يُطاف عليهم » . والأصل عليكم ، ثم قال : « وأنْتُم فيها خالدون » ، فكرر الالتفات .

ومثاله من الغَيْبَة إلى التكلم[6] : « اللهُ الذى يُرسلُ الرياحَ فتُثِير سَحَاباً

---

(١) فى الإتقان : أوقفهم .

(٢) فى الإتقان : فى توجيهه ...

(٣) الروم : ٣٩ (٤) الحجرات : ٧ (٥) الزخرف : ٧٠ ، ٧١

(٦) الروم : ٤٨

فسقْناه » . «[١] وأوْحَى فى كُلِّ سماء أمرَها وزَيَّنَّا » . «[٢] سبحان الذى أسْرَى بعَبْدِهِ ليلا ...» إلى قوله : « باركنا حوْلَه لنُرِيَه من آياتنا » . ثم التفت ثانيا إلى الغيبة فقال : « إنه هو السميعُ البَصِير » . وعلى قراءة الحسن ليريه — بالغيبة يكون التفاتاً ثانياً من « باركنا » ، وفى آياتنا التفات ثالث ، وفى إنه التفات رابع . قال الزمخشرى : فائدته[٣] فى هذه الآيات وأمثالها التنبيه على التخصيص بالقدرة ، وأنه لا يدخل تحت قدرة أحد .

ومثاله من الغيبة إلى الخطاب[٤] : « وقالُوا اتَّخَذ الرحمنُ ولداً . لقد جِئْتُم شيئاً إدًّا » . «[٥] ألم يَرَوْا كم أهلَكْنا مِنْ قَبْلِهم مِنْ قَرْنٍ مكنَّاهم فى الأرض ما لم نمكِّنْ لكم » . «[٦] وسقَاهُمْ ربُّهم شراباً طَهُورا . إنَّ هذا كان لكم جزَاءً » . «[٧] إنْ أراد النبىُّ أنْ يستَنْكِحَها خالصةً لكَ من دُونِ المُؤْمنين » .

ومن محاسنه ما وقع فى سورة الفاتحة ؛ فإنَّ العَبْدَ إذا ذكر الله تعالى وحْدَه ، ثم ذكر صفاته التى كلٌّ صفة منها تبعث على شدة الإقبال ؛ وآخرها : « مالكِ يَوْم الدين » ، المفيد أنه مالك للأمر كله فى يوم الجزاء — يجد من نفسه حاملا لا يقدر على دَفعَه على خطاب مَنْ هذه صفاته بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات .

وقيل : إنما اختير لفظُ الغيبة للحمد ، وللعبادة الخطاب ؛ للاشارة إلى أن الحمد دون العبادة فى الرتبة ؛ لأنك تحمد نظيرك ولا تعبده ؛ فاستعمل لفظ الحمد مع الغيبة

---

(١) فصلت : ١٢ (٢) الإسراء : ١ (٣) فى الإتقان : وفائدته .
(٤) مريم : ٨٨ ، ٨٩ (٥) الأنعام : ٦ (٦) الإنسان : ٢١ ، ٢٢
(٧) الأحزاب : ٥٠

ولفظ العبادة مع الخطاب ؛ لينسبَ إلى العظيم حالَ المخاطبة والمواجهة ما هو أعلى رتبة ؛ وذلك على طريق التأدب . وعلى نحوٍ من ذلك جاء آخر السورة ؛ فقال : «الذين أنعمْتَ عليهم» ، مصرِّحاً بذكر المُنْعِم وإسناد الإنعام إليه لفظاً ، ولم يقل صراط المنعم عليهم . فلما صار إلى ذكر الغضب زوى عنه لفظه ، فلم ينسبه إليه لفظا ، وجاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب، فلم يقل : غير الذين غضبت عليهم؛ تأدباً[1] عن نسبة الغضب إليه في اللفظ حال المواجهة .

وقيل : إنه لما ذكر الحقِيق بالحمد ، وأجرى عليه الصفات العظيمة من كونه رب العالمين ، ورحماناً ورحيما ، ومالكا ليوم الدين — تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن ، حقيق بأن يكون معبوداً دون غيره، مستعاناً به ، فخُوطب بذلك لتميزه بالصفات المذكورة ؛ تعظيما لشأنه ، حتى كأنه قيل : إياك يا مَنْ هذه صفاته نَخُص بالعبادة والاستعانة ، لا غيرك .

قيل : ومن لطائفه التنبيه على أن مبتدأ الخلق الغيبةُ منهم عنه سبحانه ، وقصورهم عن محاضرته ومخاطبته ، وقيامُ حجاب العظمة عليهم ، فإذا عرفوه بما هو له وتوسّلوا للقرب بالثناء عليه ، وأقرّوا بالمحامد له ، وتعبّدوا له بما يليق بهم — تأهلوا لمخاطبته ومناجاته ، فقالوا : إياكَ نعبدُ وإياك نستعين .

تنبيهات

الأول : شرط الالتفات أن يكون الضمير في المنتقَل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المنتقَل عنه ، وإلا يلزم عليه أن يكون في : أنت صديقي — التفات .

(١) في الإتقان : تفاديا .

الثانى: شرطه أيضا أن يكون فى جملتين، صرح بهصاحبُ الكشاف وغيره .

الثالث: ذكر التنوخى فى الأقصى القريب ، وابن الأثير وغيرهما ، نوعا غريبا من الالتفات ؛ وهو بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه ، كقوله: « غير المغضوب عليهم » بعد « أنعمت » ؛ فإن المعنى غير الذين غضبت عليهم . وتوقّف فيه صاحب عروس الأفراح .

الرابع : قال ابن أبى الإصبع[١] : جاء فى القرآن من الالتفات قسم غريب جدّا لم أظفر فى الشعر بمثاله ؛ وهو أن يقدّم المتكلم فى كلامه مذكورين مرتين ، ثم يخبر عن الأول منهما ، وينصرف عن الإخبار عنه إلى الإخبار عن الثانى ، ثم يعود[٢] إلى الإخبار عن الأول ، كقوله[٣] : « إنّ الإنسانَ لِربِّه لَكَنُود . وإنّهُ على ذَلكَ لَشَهِيد » . انصرف عن الإخبار عن الإنسان إلى الإخبار عن ربه تعالى ؛ ثم قال منصرفا عن الإخبار عن ربه إلى الإخبار عن نفسه[٤] : «[٥]وإنه لِحُبِّ الخيرِ لَشَدِيد » .

قال : وهذا يحسن أن يسمّى التفات الضمائر .

الخامس : يقرب من الالتفات نَقْلُ الكلام من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجمع إلى الخطاب الآخر ، ذكره التنوخى وابن الأثير ؛ وهو ستة أقسام أيضاً :

مثاله من الواحد إلى الاثنين[٦] : « قَالُوا أجِئتنا لِتَلْفِتَنا عمّا وَجَدْنَا عليه آباءَنا وتَكُونَ لَكُما الكبرياءُ فى الأرض » .

---

(١) بديع القرآن : ٤٥

(٢) فى بديع القرآن : ثم يعود فينصرف عن الإخبار عن الثانى إلى الاخبار عن الأول .

(٣) العاديات : ٦ ، ٧ (٤) فى الإتقان ، والبديع : عن الإنسان .

(٥) العاديات : ٨ (٦) يونس : ٧٨

وإلى الجمع[1] : « يأيها النبيّ إذا طلقتم النساء » .

ومن الاثنين إلى الواحد[2]: «فمَنْ ربُّكما يا موسى» . «[3]فلا يُخرجنّكما من الجنة فتشقَى » .

وإلى الجمع[4] : « وأوْحَيْنا إلى موسى وأخيه أن تبوَّءَا لقومكما بمصرَ بيوتاً واجعلُوا بيوتكم قِبْلة » .

ومن الجمع إلى الواحد : « وأقيموا الصلاة وبَشّر المؤمنين » .

وإلى الاثنين[5] : « يا معْشرَ الجنّ والإنسِ إن استطعْتم أن تنفُذُوا منْ أقطارِ السموات والأرض فانفُذُوا ... » إلى قوله : « فبأيّ آلاءِ ربكما تُكذّبان » .

* * *

السادس : ويقرب منه أيضاً ـ الالتفات[6] من الماضى أو المضارع أو الأمر إلى آخر :

مثاله من الماضى إلى المضارع[7] : « أرْسل الرياحَ فتُثير سَحَاباً » . «[8] خرّ من السماء فتخطفُه الطيْرُ » . «[9] إن الذين كفرُوا ويَصُدُّون عن سبيل الله » .

وإلى الأمر[10] : « قُلْ أمر ربّى بالقِسْطِ وأقِيمُوا وُجُوهَكم » . «[11] وأحلّت لكم الأنعامُ إلاّ ما يُتلَى عليكم فاجتَنِبُوا الرِّجْس » .

---

(١) الطلاق : ١ (٢) طه : ٤٩ (٣) طه : ١١٧
(٤) يونس : ٨٧ (٥) الرحمن : ٣٣ ، ٣٤ (٦) فى الإتقان : الانتقال .
(٧) فاطر : ٩ (٨) الحج : ٣١ (٩) الحج : ٢٥
(١٠) الأعراف : ٢٩ (١١) الحج : ٣٠

ومن المضارع إلى الماضى[1] : « ويوم يُنفَخُ فى الصُّورِ فَفَزِع » .
«[2] ويوم نُسَيِّر الجبالَ وترى الأرضَ بارِزةً وحشَرْناهُم » .

وإلى الأمر[3] : « قال إنى أُشهِدُ اللهَ واشْهَدُوا أنى بَرِىء » .

ومن الأمر إلى الماضى[4] : « واتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إبراهيم مُصلًّى وعَهِدْنا » .

وإلى المضارع[5] : « وأنْ أَقِيمُوا الصلاةَ واتَّقُوه ، وهو الذى إليه تُحْشَرُون » .

الإطـراد

وهو أن يذكر المتكلم أسماء آباء الممدوح مرتبة على حكم ترتيبها فى الولادة ؛ قال ابنُ أبى الإصبع[6] : ومنه فى القرآن قوله تعالى ـ حكاية عن يوسف[7] : « واتبعْتُ مِلّةَ آبائى إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ » ـ قال : وإنما لم يأت به على الترتيب المألوف ، فإن العادة الابتداءُ بالأب ثم بالجد ثم الجد الأعلى ؛ لأنه لم يُرد هنا مجرد ذكر الآباء ، وإنما ذكرهم ليذكر ملتهم التى اتبعها ؛ فبدأ بصاحب الملة ، ثم بمن أخذها عنه أولا فأولا على الترتيب .

ومثله قول أولاد يعقوب[8] : « نَعبُد إلهكَ وإلهَ آبائك إبراهيم وإسماعيلَ وإسحاق » .

---

(١) النمل : ٨٧ (٢) الكهف : ٤٧ (٣) هود : ٥٤
(٤) البقرة : ١٢٥ (٥) الأنعام : ٧٢ (٦) بديع القرآن : ١٤١
(٧) يوسف : ٣٨ (٨) البقرة : ١٣٣

الانسجام

هو أن يكون الكلام لخلوّه عن العَقَدة[١] متحدّراً كتحدُّر الماء المنسجم ، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقّةً . والقرآن كله كذلك .

قال أهل البديع : وإذا قوى[٢] الانسجام فى النثر جاءت فقراته موزونة بلا قصد ؛ لقوة انسجامه . ومن ذلك ما وقع فى القرآن موزونا ، فمنه من بحر الطويل[٣] : « فمَنْ شاءَ فليؤْمنْ ومَنْ شاءَ فلْيَكفُر » .

ومن المديد[٤] : « واصْنَعِ الفُلكَ بأعْيُننا » .

ومن البسيط[٥] : « فأصبحوا لا يُرَى إلاّ مساكِنُهم » .

ومن الوافر[٦] : « ويُخْزِهِم ويَنْصُرْكُم عليهم ، ويَشْفِ صدُورَ قوم مؤْمنين » .

ومن الكامل[٧] : « واللهُ يَهْدِى مَنْ يشاءُ إلى صراطٍ مستقيم » .

ومن الهزَج[٨] : « فألْقُوه على وَجْهِ أبى يَأتِ بَصيراً » .

ومن الرَّجَز[٩] : « ودانيةً عليهم ظِلَالُها وذُلِّلَتْ قطوفُها تذليلا » .

ومن الرمَل[١٠] : « وجِفَان كالجوَاب ، وقُدُورٍ رَاسِيات » .

---

(١) فى القاموس : عقد ، ككتف ، وجبل: ما تعقد من الرمل وتراكم ، واحدها بهاء .
(٢) فى ب : قرأ ... قراءته .
(٣) الكهف : ٢٩
(٤) هود : ٣٧
(٥) الأحقاف : ٢٥
(٦) التوبة : ١٤
(٧) البقرة : ٢١٣
(٨) يوسف : ٩٣
(٩) الانسان : ١٤
(١٠) سبأ : ١٣

ومن السريع[١] : « أو كالذى مرّ على قرْيةٍ وهى خاويةٌ على عُروشها» .

ومن المُنْسَرِح[٢] : « إنّا خلقْنا الإنسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَليه » .

ومن الخفيف[٣] : « لا يَكادُون يفْقَهُون حديثاً » .

ومن المضارع[٤] : « يَوْمَ التَّنادِ . يَوْمَ تُوَلُّون مُدْبِرين » .

ومن المقتضب[٥] : « فى قلوبهم مرَض » .

ومن المُجتَث[٦] : « نَبِّئْ عبادِى أنّى أنا الغفورُ الرَّحيم » .

ومن المتقارب[٧] : « وأُملِي لهم إنَّ كَيْدِى مَتين » .

الإدماج

قال ابن أبى الإصبع[٨] : هو أن يدمج المتكلم غرضاً فى غرض ، أو بديعاً فى بديع ، بحيث لا يظهر فى الكلام إلا أحد الغرضين أو أحد البديعين ؛ كقوله[٩] : « وله الحَمْدُ فى الأولى والآخِرة » . أُدمجت المطابقة فى المبالغة ؛ لأن انفراده تعالى بالحمد فى الآخرة — وهى الوقت الذى لا يُحْمد فيه سواه — مبالغةٌ فى الوصف بالانفراد بالحمد ، وهو وإنْ خرج مخرج المبالغة فى الظاهر فالأمرُ فيه حقيقة فى الباطن ؛ فإنه ربُّ الحمد والمنفرد به فى الدارين . انتهى .

قلت : والأَوْلى فى هذه أن يقال : إن الآية من إدماج غرض فى غرض ؛ فإن الغرض منها تفرُّده تعالى بوصف الحمد ، فأدمج فيه الإشارة [إلى] البعث والجزاء .

---

(١) البقرة : ٢٥٩ (٢) الانسان : ٢ (٣) النساء : ٧٨
(٤) غافر : ٣٢ ، ٣٣ (٥) البقرة : ١٠ (٦) الحجر : ٤٩
(٧) الأعراف : ١٨٣ (٨) بديع القرآن : ١٧٢ (٩) القصص : ٧٠

الافتنان

هو الإتيان فى كلام بفنّين مختلفين ؛ كالجمع بين الفخر والتعزية فى قوله[1] : «كلٌّ من عليها فانٍ، ويَبْقَى وَجْهُ ربك ذو الجلال والإكرام» ؛ فإنه تعالى عزّى جميع المخلوقات من الإنس والجن والملائكة وسائر أصناف ما هو قابل للحياة ، وتمدّح بالبقاء بعد فناء الموجودات فى عشر لفظات ، مع وصفه تعالى ذاته وانفراده بالبقاء بالجلال والإكرام سبحانه .

ومنه[2] : «ثم نُنَجِّى الذين اتَّقَوا ...» الآية ، جمع فيها بين هناء وعزاء .

الاقتدار

هو أن يُبرز المتكلم المعنى الواحد فى عدة صور ؛ اقتداراً منه على نظم الكلام وتركيبه ، وعلى صياغة قوالب المعانى والأغراض ؛ فتارة يأتى به فى لفظ الاستعارة ، وتارة فى صورة الإرداف ، وحيناً فى مخرج الإيجاز ، ومرة فى قالب الحقيقة .

قال ابن أبى الإصبع[3] : وعلى هذا أتت جميع قصص القرآن ؛ فإنك ترى القصة الواحدة التى لا تختلف معانيها تأتى فى صور مختلفة وقوالبَ من الألفاظ متعددة ، حتى لا تكاد تشتبه فى موضعين منه ، ولا بد أن تجد الفرقَ بين صورها ظاهراً .

---

(١) الرحمن : ٢٦ ، ٢٧ (٢) مريم : ٧٢

(٣) بديع القرآن : ٢٨٩

ائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه مع المعنى

الأول : أن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضاً ، بأن يقرن الغريب بمثله ، والمتداول بمثله ، رعاية الفاصلة لحسن الجوار والمناسبة .

والثانى : أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد ؛ فإن كان فخماً كانت ألفاظه فخمة ، أو جزلا فجزلة ، أو غريباً فغريبة ، أو متداولة فمتداولة ، أو متوسطاً بين الغرابة والاستعمال فكذلك .

فالأول كقوله تعالى[1] : « تاللهِ تَفْتَأ تذكرُ يوسفَ حتى تكونَ حرَضًا » . أتى بأغرب ألفاظ القسم وهى التاء ، فإنها أقل استعمالا ، وأبعدُ من أفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو ؛ وبأغرب صيغ الأفعال التى ترفع الأسماء وتنصب الأخبار ، فإن « تزال » أقرب إلى الأفهام ، وأكثر استعمالا منها ؛ وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو الحرض ، فاقتضى حسنُ الوضع فى النظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها فى الغرابة توخّيا لحسن الجوار ورغبة فى ائتلاف المعانى بالألفاظ[2] ، ولتتعادل الألفاظ فى الوضع ، وتتناسب فى النظم .

ولما أراد غير ذلك قال[3] : « وأقسموا باللهِ جهْدَ أيمانهم » . فأتى بجميع الألفاظ متداولة لا غرابة فيها .

ومن الثانى قوله تعالى[4] : « ولا تَرْكَنُوا إلى الّذينَ ظلمُوا فتمَسّكُم النارُ » . لما كان الركون إلى الظالم ؛ وهو الميل إليه ، والاعتماد عليه ، دون مشاركته فى الظلم[5] . وجب أن يكون العقاب عليه دون العقاب على الظالم ، فأتى بالمَسّ الذى هو دون الإحراق والاصطلام .

---

(١) يوسف : ٨٥ (٢) فى ب : وكذلك بالألفاظ .
(٣) الأنعام : ١٠٩ (٤) هود : ١١٣ (٥) فى الإتقان : على الظلم .

وقوله[1] : « لها ما كَسَبَتْ وعَليها ما اكتسبَت » . أتى بلفظ الاكتساب المُشْعِر بالكلفة والمبالغة فى جانب السيئة لثقلها .

وكذا قوله[2] : « فكُبْكِبُوا فيها هم والغَاوُونَ » . فإنه أبلغُ من كبّوا للإشارة إلى أنهم يكبون كبا عنيفا فظيعا . «[3] وهم يَصْطَرِخُون فيها » ؛ فإنه أبلغ من يصرخون للإشارة إلى أنهم يصرخون صراخاً منكراً خارجاً عن الحدّ المعتاد . «[4] أخْذَ عزيزٍ مُقْتَدِرٍ » . فإنه أبلغ من قادر ؛ للإشارة إلى زيادة التمكّن فى القدرة ، وأنه لا رادّ له ولا معقّب . ومثل ذلك : «[5] واصْطَبِرْ » فإنه أبلغ من اصبر . و « الرحمن » أبلغ من الرحيم ؛ فإنه مشعر باللطف والرفق ؛ كما أن الرحمن مشعر بالفخامة والعظمة .

ومنه الفرق بين سقى وأسقى؛ فإن سقى لما لا كُلْفة معه فى السقيا ؛ ولذا أورده تعالى فى شراب الجنة ، فقال[6] : « وسقَاهم ربُّهم شرَابًا طَهُورا » . وأسقى لما فيه كلفة ؛ ولهذا أورده تعالى فى شراب أهل الدنيا ، فقال[7] : « وأسقيناكمْ ماءً فُرَاتا » . «[8] لأسقَيْناهم ماءً غَدَقا » . لأن السقى فى الدنيا لا يخلو من كلفة أبدا .

الاستدراك والاستثناء

شرط كونهما من البديع أن يتضمّنا ضرباً من المحاسن زائداً على ما يدل عليه المعنى اللغوى ؛ مثال الاستدراك قوله تعالى[9] : « قالت الأعرابُ آمَنَّا قل لم

---

(١) البقرة : ٢٨٦ (٢) الشعراء : ٩٤ (٣) فاطر : ٣٧
(٤) القمر : ٤٢ (٥) مريم : ٩٥ (٦) الإنسان : ٢١
(٧) المرسلات : ٢٧ (٨) الجن : ١٦ (٩) الحجرات : ١٤

تؤمِنُوا ولـكن قولُوا أسلَمْنَا » . فإنه لو اقتصر على قوله : « لم تُؤمنوا » لـكان منفِّراً لهم ؛ لأنهم ظنوا الإقرار بالشهادتين من غير اعتقادٍ إيماناً ، فأوجبت البلاغة ذكْرَ الاستدراك ؛ ليعلم أن الإيمان موافقة القلب اللسان ، وإن انفرد اللسانُ بذلك يسمى إسلاماً ، ولا يسمى إيمانا . وزاد ذلك أيضا بقوله[1] : « ولمّا يدخل الإيمانُ فى قلوبكم » . فلما تضمّن الاستدراك إيضاحَ ما عليه ظاهر الـكلام من الإشـكال عُدّ من المحاسن .

ومثال الاستثناء[2]: «فلَبِثَ فيهم ألْفَ سنةٍ إلا خمسين عاما» ؛ فإن الإخبار عن هذه المدة بهذه الصيغة يمهد عذر نوح فى دعائه على قومه بدعوةٍ أهلـكتهم عن آخرهم ؛ إذ لو قيل : فلبث فيهم تسعمائة وخمسين عاما لم يكن فيه من التهويل ما فى الأول ؛ لأن لفظة الألف فى الأول أولُ ما يطرق السمع فيشتغل بها عن سماع بقية الـكلام. وإذا جاء الاستثناء لم يبق له بعد ما تقدمه وَقْعٌ يزيل ما حصل عنده من ذكر الألف .

الاقتناص

ذكره ابن فارس[3] : وهو أن يكون كلامٌ فى سورة مقتنصا من كلام فى سورة أخرى أو تلك السورة ؛ كقوله تعالى[4]: «وآتَيْنَاه أجْرَهُ فى الدنيا وإنّه فى الآخرة لَمِنَ الصَّالحين » . والآخرةُ دار ثواب لا عمل فيها ؛ فهذا مقتنصٌ

(١) الحجرات : ١٤ (٢) العنـكبوت : ١٤

(٣) الصاحبى : ٢٠١ ، وقد سمـــاه ابن فارس الاقتصاص ، وكذلك سمى فى الإتقان (٣ — ٢٦٤) . وتبعاً لذلك ففى المرجعين السابقين جاء التعبير عنه فى الشرح الآتى : مقتصاً ، ومقتص فى العباوة الآتية .

(٤) العنـكبوت : ٢٧

من قوله[1] : « ومَنْ يَأتِهِ مُؤْمِنا قد عمِلَ الصالحاتِ فأولئك لهم الدرجات العُـلَا » .

ومنه[2] : « ولولا نِعْمَةُ رَبّى لـكنتُ من المُحْضَرين » — مأخوذ من قوله[3] : « فأولئك فى العذاب مُحْضَرُون » .

وقوله[4] : « ويوم يقومُ الأشهاد » — مقتنص من أربع آيات ، لأن الأشهاد أربعة : الملائكة فى قوله[5]: « وجاءت كلُّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيد » . والأنبياء فى قوله[6]: « فـكيف إذا جِئْنا من كل أُمّة بشهيد وجِئْنا بك على هؤلاء شَهِيدا » . وأمة محمد فى قوله[7] : « لتـكونُوا شُهَداءَ على الناس » . والأعضاء فى قوله[8] : « يوم تَشْهَدُ عليهم ألسنتُهم وأيديهم ... » الآية .

وقوله[9] : « ويوم التَّنادِ » — قرىء مخففاً ومشدداً ؛ فالأول مأخوذ من قوله[10] : « ونادَى أصحابُ الجنةِ أصحابَ النار » ، والثانى من قوله[11]: « يَوْمَ يفرُّ المرءُ من أخيه وأمّه » .

الإبدال

هو إقامة بعض الحروف مقام بعض ، وجعل منه ابن فارس[12]: «فانفلق» ؛ أى فانفرق ، ولذا قال[13] : « فـكان كلُّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العَظيم » ؛ فالراء واللام يتعاقبان .

---

(١) طه : ٧٥ (٢) الصافات : ٥٧ (٣) الروم : ١٦
(٤) غافر : ٥١ (٥) ق : ٢١ (٦) النساء : ٤١
(٧) البقرة : ١٤٣ (٨) النور : ٢٤ (٩) غافر : ٣٢
(١٠) الأعراف : ٤٤ (١١) عبس : ٣٤ (١٢) الصاحبى : ١٧٣
(١٣) الشعراء : ٦٣

وعن الخليل — فى قوله[١] : « فجاسُوا خِلَالَ الديار » — أنه أريد : فحاسوا ؛ فقامت الجيم مقام الحاء ، وقد قرىء بالحاء أيضاً .

وجعل منه الفارسى[٢] : « إنى أحبَبْتُ حُبَّ الخير » ؛ أى الخيل .

وجعل منه أبو عبيدة[٣] : « إلاّ مُكَاءً وتَصْدِيَة » ، أى تصددة .

تأكيد المدح بما يشبه الذم

قال ابن أبى الإصبع[٤] : هو فى غاية العزّة فى القرآن . قال : ولم أجد منه إلا آية واحدة ، وهى قوله[٥] : « قُل يأهلَ الكتاب هل تَنقِمُونَ منّا إلا أن آمَنّا بالله ... » الآية ؛ فإن الاستثناء بعد الاستفهام الخارج مخرج التوبيخ على ما عابوا به [٦٥ ب] المؤمنين من الإيمان — يوهم أن ما يأتى بعده مما يوجب أن ينقم على فاعله ، مما يُذَم به ، فلما أتى بعد الاستثناء ما يوجب مَدْحَ فاعله كان الكلام متضمنا تأكيد المدح بما يشبه الذم .

قلت : ونظيرها قوله[٦] : « وما نَقَمُوا إلا أن أغْنَاهُم اللهُ ورسولُه مِنْ فَضْله » . وقوله[٧] : « الذين أُخْرِجُوا من دِيَارِهِمْ بغَيْرِ حقّ إلا أنْ يقولُوا ربُّنا الله » ؛ فإن ظاهر الاستثناء أن ما بعده حق يقتضى الإخراج ، فلما كان صفةَ مدح تقتضى الإكرام لا الإخراج كان تأكيداً للمدح بما يشبه الذم .

وجعل منه التنوخى فى الأقصى القريب[٨] : « لا يسمَعُونَ فيها لَغْوًا

---

(١) الإسراء : ٥ (٢) ص : ٣٢ (٣) الأنفال : ٣٥
(٤) بديع القرآن : ٤٩ (٥) المائدة : ٥٩ (٦) التوبة : ٧٤
(٧) الحج : ٤٠ (٨) الواقعة : ٢٥ ، ٢٦

ولا تأثيما ، إلا قيلاً سلاماً سَلَاماً » . استثنى سلاماً سلاماً الذى هو ضد اللغو والتأثيم ، فكان ذلك مؤكدا لانتفاء اللغو والتأثيم .

التفويف

هو إتيان المتكلم بمعان شتى ، من المدح ، والوصف ، وغير ذلك من الفنون ، كلٌّ فن فى جملة منفصلة عن أختها ، مع تساوى الجمل فى الزنة ، ويكون فى الجمل المتوسطة والطويلة والقصيرة .

فمن الطويلة[1] : « الذى خَلَقَنِى فهو يَهْدِين . والذى هُوَ يطعمنى ويَسْقِين . وإذا مَرِضْتُ فهو يَشْفِين . والذى يُميتنى ثم يُحْيين » .

ومن المتوسطة[2] : « تُولِجُ الليلَ فى النهار وتُولِجُ النهارَ فى الليل . وتُخْرِج الحىَّ من الميت ، وتُخْرِجُ الميّتَ من الحى » .

قال ابن أبى الإصبع[3] : ولم يأت المركب من الجمل القصيرة فى القرآن .

التقسيم

هو استيفاء أقسام الشىء الموجودة ، لا الممكنة عقلا ، نحو[4] : « هو الذى يُرِيكمُ البَرْقَ خوفاً وطَمَعا » ؛ إذ ليس فى رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع فى الأمطار ؛ ولا ثالث لهذين القسمين .

وقوله[5] : « فنهم ظالمٌ لنَفْسه ، ومنهم مُقْتَصِدٌ ، ومنهم سابقٌ بالخيْرَات

(١) الشعراء : ٧٨ (٢) آل عمران : ٢٧ (٣) بديع القرآن : ١٠٠
(٤) الرعد : ١٢ (٥) فاطر : ٣٢

بإذن الله » ؛ فإن العالم لا يخلو من هذه الأقسام الثلاثة ؛ إما عاص ظالم لنفسه ، وإما سابق مبادر للخيرات ، وإما متوسط بينهما مقتصد فيهما .

ونظيرها[1] : « وكنتم أزواجا ثلاثةً ، فأصحابُ المَيْمَنَةِ ما أصحابُ الميمنة ، وأصحابُ المَشْأَمةِ ما أصحابُ المَشْأَمَة ، والسابقُون السابقون » .

وكذا قوله تعالى[2] : « له ما بَيْنَ أيْدِينا ، وما خَلْفَنا ، وما بين ذلكَ » . استوفى أقسام الزمان ، ولا رابع لها .

وقوله[3] : « واللهُ خلَق كلَّ دابَّةٍ من ماء ... » الآية . استوفى أقسام الخَلْق فى المشى .

وقوله[4]: « الذين يَذْكُرونَ اللهَ قياما وقُعُوداً وعلى جُنُوبِهم » . استوفى جميع هيئات الذاكرين .

وقوله[5]: « يهَبُ لمن يشاءُ إناثا ، ويَهَبُ لمن يشاءُ الذُّكورَ، أو يُزَوِّجهم ذُكْرانا وإناثا ... » الآية . استوفى جميع أحوال المتزوجين ، ولا خامس لها .

التدبيج

هو أن يذكر المتكلمُ ألوانا يقصد التوريةَ بها والكناية ؛ قال ابن أبى الإصبع[6] : كقوله[7] : « ومن الجبال جُدَدٌ بيضٌ وحُمْرٌ مختلفٌ ألوانُها وغَرابِيبُ سُود » . قال : المراد بذلك — والله أعلم — الكنايةُ عن المشتبه والواضح من الطرق ؛ لأن الجادة البيضاء هى الطريق التى كثر السلوك عليها جدا ،

---

(١) الواقعة : ٧ — ١٠ (٢) مريم : ٦٤ (٣) النور : ٤٥
(٤) آل عمران : ١٩١ (٥) الشورى : ٤٩ ، ٥٠ (٦) بديع القرآن : ٢٤٢
(٧) فاطر : ٢٧

وهى أوضح الطرق وأبْيَنُها، ودونها الحمراء، ودون الحمراء السوداء ، كأنها فى الخفاء والالتباس ضد البيضاء فى الوضوح والظهور . ولما كانت هذه الألوانُ الثلاثة فى الظهور للعين طرفين وواسطة ؛ فالطرف الأعلى فى الظهور والبياض ، والطرف الأدنى فى الخفاء والسواد ، والأحمر بينهما على وَضْع الألوان فى التركيب ، وكانت ألوان الجبال لا تخرج عن هذه الألوان الثلاثة ، والهداية بكل عَلَمَ نصب للهداية منقسما هذه القسمة — أتت الآيةُ الكريمة منقسمةً كذلك ؛ فحصل فيها التدبيج وصحة التقسيم .

التنكيت

هو أن يقصد المتكلم إلى شىء بالذكر دون غيره ، مما يسد مسدَّه ، لأجل نكتة فى المذكور ترجِّح مجيئه على سواه ، كقوله تعالى[1] : « وإنه هو رَبُّ الشِّعْرَى » — خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم ، وهو تعالى ربُّ كل شىء ؛ لأن العربَ كان [٦٦ ا] ظهر فيهم رجل يعرف بابن أبى كَبْشَةَ عَبَد الشِّعْرَى ، ودعا خلقا إلى عبادتها ؛ فأنزل الله[1]: «وإنه هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى» التى ادَّعيتَ فيها الربوبية .

التجريد

هو أن يُنتزع من أمرٍ ذى صفة آخر مثله ؛ مبالغة فى كمالها فيه ، نحو : لى من فلان صديق حميم . جرّد من الرجل الصديق آخر مثله متّصفا بصفة الصداقة . ونحو : مررتُ بالرجل الكريم ، والنَّسمة المباركة . جرَّدوا من الرجل الكريم آخر مثله متصفا بصفة البركة ، وعطفوه عليه ، كأنه غيره ؛ وهو هو .

---

(١) النجم : ٤٩

ومن أمثلته فى القرآن[١] : « لهم فيها دَارُ الْخُلْدِ » . ليس المعنى أن الجنة فيها غير دار الخلد ، ودار الخلد ؛ بل نفسها دار الخلد ؛ فكأنه جرَّد من الدار داراً — ذكره فى المحتسب . وجعل منه[٢]: « يُخْرِجُ الحىَّ من الميّت ويُخْرِجُ الميّتَ من الحىّ » على أن المراد بالميت النطفة . قال الزمخشرى[٣] : وقرأ عبيد ابن عُمَيْر : « فكانَتْ وردة كالدِّهان » — بالرفع ، بمعنى حصلت منها وردة . قال : وهو من التجريد .

وقرىء أيضاً[٤] : « يرِثُنى وارثٌ مِنْ آل يَعْقُوب » ؛ قال ابن جنى : هذا هو التجريد ؛ وذلك أنه يريد : وهَبْ لى من لدنك وَلِيّاً يرثنى منه وارث من آل يعقوب ، وهو الوارث نفسه ، فكأنه جرد منه وارثاً .

التعـديد

هو إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد ؛ وأكثرُ ما يوجد فى الصفات ، كقوله[٥] : « هـــو اللهُ الذِى لا إله إلا هو المَلِكُ القُدُّوس ... » الآية . وقوله[٦]: « التائبُون العابِدُون الحامِدون ... » الآية . وقوله[٧] : « مُسْلِماتٍ مُؤْمناتٍ ... » الآيات .

الترديد[٨]

هو أن يورد أوصافَ الموصوف على ترتيبها فى الخلقة الطبيعية ، ولا يُدْخل فيها

---

(١) فصلت : ٢٨ (٢) الأنعام : ٩٥

(٣) فى الكشاف (٢ — ٤٢٦) : وقرأ عمرو بن عبيد . والآية من سورة الرحمن : ٣٧

(٤) مريم : ٦ (٥) الحشر : ٢٣ (٦) التوبة : ١١٢

(٧) التحريم : ٥ (٨) فى الإتقان : الترتيب .

وصفاً زائداً ، ومثّله عبد الباقي اليمني بقوله[1]: « هو الذى خلقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثم مِنْ نُطْفَةٍ ثم مِنْ عَلَقَةٍ ... » إلى قوله : « ثم لتَكُونُوا شيوخاً » . وبقوله[2] : « فكذَّبوه فعقروها ... » الآية .

التضمين

يطلق على أشياء :

أحدها : إيقاع لفظٍ موقع غيره ؛ لتضمنه معناه ؛ وهو نوع من المجاز تقدم فيه .

الثانى : حصول معنى فيه من غير ذكرٍ له باسم هو عبارة عنه ، وهذا نوع من الإيجاز تقدم أيضاً .

الثالث : تعلّق ما بعد الفاصلة بها ، وهذا مذكور فى نوع الفواصل .

الرابع : إدراج كلام الغير فى أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى ، أو ترتيب النظم ؛ وهذا هو النوع البديعى . قال ابن أبى الإصبع[3] : ولم أظفر فى القرآن بشىء منه إلا فى موضعين تضمّنا فصلين من التوراة والإنجيل : قوله[4] : « وكَتَبْنَا عليهم فيها أنَّ النفْسَ بالنَّفْسِ . . . » الآية . وقوله[5] : « محمد رسولُ الله ... » الآية[6] .

ومثّله ابن النقيب وغيره بإيداع حكايات المخلوقين فى القرآن ، كقوله تعالى —

---

(١) غافر : ٦٧ (٢) الشمس : ١٤ (٣) بديع القرآن : ٥٢
(٤) المائدة : ٤٥ (٥) الفتح : ٢٩
(٦) فى بديع القرآن — بعد الآية الأولى : فإن هذه الأحكام تضمنها كتابنا من التوراة . وقال بعد الآية الثالثة : فإن معنى هذه الآية — وهو اسم الرسول ونعته وصفة أصحابه تضمنها كتابنا من الكتابين الأولين .

حكاية عن الملائكة(١) : « أتجعَلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها ويَسْفِكُ الدماءَ » . وعن المنافقين(٢) : « أنُؤْمِنُ كما آمَنَ السفهاء » . وقالت اليهود ، وقالت النصارى . قال : وكذلك ما أودع فيه من اللغات الأعجمية .

الجنـاس

هو تَشَابُهُ اللفظين فى اللفظ ، قال فى كنز البراعة : وفائدته الميل إلى الإصغاء إليه ؛ فإن مناسبة الألفاظ تُحْدِث(٣) ميلا وإصغاء إليها، ولأن اللفظ المشترك إذا حُمل على معنى ، ثم جاء والمراد به آخر ، كان للنفس تشوق إليه .

وأنواع الجناس كثيرة ؛ منها التام : بأن يتفقا فى أنواع الحروف وأعدادها وهيئتها ، كقوله تعالى(٤) : « ويوم تقومُ الساعة يقسم المُجْرِمُون ما لَبِثُوا غيْرَ ساعة » . قيل : ولم يقع منه فى القرآن سواه .

واستنبط شيخ الإسلام ابن حجر موضعاً آخر ؛ وهو(٥) : « يكادُ سَنا بَرْقِه يَذْهَبُ بالأبصار . يقلِّبُ الليلَ والنهارَ إنَّ فى ذلكَ لَعِبْرَةً لأولى الأبْصَار » .

وأنكر بعضهم كَوْنَ الآية الأولى من الجناس ، وقال : الساعةُ فى الموضعين بمعنى واحد ؛ والتجنيس أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى ولا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازاً ، بل يكونان حقيقتين ، وزمان القيامة وإن طال لكنه عند الله فى حكم الساعة الواحدة ، فإطلاقُ الساعة على القيامة مجاز ، وعلى الآخر [٦٦ ب] حقيقة ؛ وبذلك يخرج الكلام عن التجنيس ، كما لو قلت : لقيت حماراً وركبت حماراً — تعنى بليداً .

---

(١) البقرة : ٣٠ (٢) البقرة : ١٣ (٣) فى الاتقان : تحدث .

(٤) الروم : ٥٥ (٥) النور : ٤٣ ، ٤٤

ومنها المصحّف ، ويسمى جناس الخط ، بأن تختلف الحروف فى النقط ، كقوله(١) : « والذى هو يُطْعِمُنى ويَسْقِين . وإذا مرضْتُ فهو يَشْفِين » .

ومنها المحرّف ؛ بأن يقع الاختلافُ فى الحركات ؛ كقوله(٢) : « ولقد أرسلْنَا فيهم مُنْذِرين . فانظُرْ كيف كان عاقبةُ المُنْذَرين » . ولقد اجتمع التصحيف والتحريف فى قوله تعالى(٣) : « وهم يَحْسَبُون أنهم يُحْسِنُون صُنْعًا » .

ومنها الناقص ؛ بأن يختلفا فى عدد الحروف ، سواء كان الحرف المزيد أولا أو وسطا أو آخراً ، كقوله(٤) : « والْتَفّت الساقُ بالساقِ . إلى ربِّك يَوْمئذٍ المَسَاقُ » . «(٥) كُلِى مِن كل الثّمَرَاتِ » .

ومنها المذيَّل بأن يزيد أحدها أكثر من حرف فى الآخر أو الأول ، وسمى بعضهم الثانى بالمتوّج ؛ كقوله(٦) : « وانْظُرْ إلى إلهكَ » . «(٧) ولكنَّا كُنَّا مُرْسِلِين » . «(٨) مَنْ آمَنَ باللهِ » . «(٩) إن ربّهم بهم » . «(١٠) مُذَبْذَبِين بَيْنَ ذَلِكَ » .

ومنها المضارع ؛ وهو أن يختلفا بحرف مقارب فى المخرج ، سواء كان فى الأول أو الوسط أو الآخر ؛ كقوله تعالى(١١) : « وهم يَنْهَوْن عنه ويَنْأَوْنَ عنه » .

ومنها اللّاحق(١٢) ؛ بأن يختلفا بحرف غير مقارب فيه ؛ كقوله تعالى(١٣) : « وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزةٍ لُمَزَة » . «(١٤) وإنه على ذلك لشَهيد . وإنه لِحُبِّ الخَيْرِ

(١) الشعراء : ٧٩، ٨٠ (٢) الصافات : ٧٢ (٣) الكهف : ١٠٤
(٤) القيامة : ٣٠ (٥) النحل : ٦٩ (٦) طه : ٩٧
(٧) القصص : ٤٥ (٨) التوبة : ١٨ (٩) العاديات : ١١
(١٠) النساء : ١٤٣ (١١) الأنعام : ٢٦ (١٢) ق ب : الأحق .
(١٣) الهمزة : ١ (١٤) العاديات : ٧ ، ٨

لشديد » . «[1] ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون » . [2] «وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن » .

ومنها المرفوّ ؛ وهو ما تركّب من كلمة وبعض أخرى، كقوله[3]: «جُرُفٍ هَارٍ فانهار » .

ومنها اللفظى ؛ بأن يختلفا بحرف مناسب للآخر مناسبة لفظية ، كالضاد والظاء ، كقوله[4] : «وجُوهٌ يومئذ ناضرةٌ إلى ربّها ناظِرَة » .

ومنها تجنيس القلب ؛ بأن يختلفا فى ترتيب الحروف ، نحو[5] : « فرّقتَ بين بنى إسرائيل » .

ومنها تجنيس الاشتقاق ؛ بأن يجتمعا فى أصل الاشتقاق ؛ ويسمى المقتضب ؛ نحو[6] : « فَرَوْحٌ وريحان » . «[7] فأقِمْ وَجْهَكَ للدِّين القيّم » . «[8] وجّهتُ وَجْهِى » .

ومنها تجنيس الإطلاق ؛ بأن يجتمعا فى المشابهة فقط ؛ كقوله[9] : « وجَنَى الجنتَيْن » . « [10] قال إنّى لِعَمَلِكم مِنَ القَالين » . « [11] لِيُرِيَه كيف يُوَارِى » . « [12] وإنْ يُرِدْكَ بخَيْرٍ فلا رَادَّ لفضْله » . « [13] اثّاقلتم إلى الأرْضِ أرَضِيتُم بالحياة الدنيا » . « [14] وإذا أنعَمْنا على الإنسانِ أعْرَضَ ونَأى ... » إلى قوله : « فَذُو دُعَاءٍ عَرِيض » .

---

(١) غافر : ٧٥ (٢) النساء : ٨٣ (٣) التوبة : ١٠٩
(٤) القيامة : ٢٢ ، ٢٣ (٥) طه : ٩٤ (٦) الواقعة : ٨٩
(٧) الروم : ٤٣ (٨) الأنعام : ٧٩ (٩) الرحمن : ٥٤
(١٠) الشعراء : ١٦٨ (١١) المائدة : ٣١ (١٢) يونس : ١٠٧
(١٣) التوبة : ٣٨ (١٤) فصلت : ٥١

تنبيه

لكون الجناس من المحاسن اللفظية لا المعنوية تُرك عند قوة المعنى؛ كقوله تعالى[1] : « وما أنتَ بمؤْمنٍ لنَا ولو كُنَّا صادِقين » . قيل : ما الحكمة فى أنه لم يقل وما أنت بمصدّق ؛ فإنه يؤدى معناه مع رعاية التجنيس ؟ وأُجيب بأن فى مؤمن لنا من المعنى ما ليس فى مصدق ؛ لأن معنى قولك : فلان مثلا مصدّق لى : قال لى صدقتَ . وأما مؤمن فمعناه مع التصديق إعطاء الأمن ؛ ومقصودُهم التصديق وزيادة ، وهو طلب الأمن ، فلذلك عبّر به .

وقد زلّ بعض الأدباء فقال فى قوله[2]: « أتَدْعُونَ بَعْلا وتذَرُون أحسنَ الخالِقين » — لو قال : وتَدَعون لكان فيه مجانسة .

وأجاب الإمام فخر الدين : بأن فصاحة القرآن ليست لأجل رعاية هذه التكليفات ؛ بل لأجل قوة المعانى ، وجزالة الألفاظ .

وأجاب غيره بأن مراعاة المعانى أولى من مراعاة الألفاظ . ولو قيل : أتَدْعون وتَدَعون لوقع الالتباس على القارىء ، فيجعلهما بمعنى واحد تصحيفاً . وهذا الجواب غير ناضج .

وأجاب ابن الزَّمَلْكانى بأن التجنيس تحسين ، وإنما يستعمل فى مقام الوعد والتوعد والإحسان لا فى مقام التهويل .

وأجاب الخوِيّى بأن « يَدَع » أخص من يَذَر ؛ لأنه بمعنى ترك الشىء مع اعتنائه بشهادة الاشتقاق ؛ نحو الإيداع ، فإنه عبارة عن ترك الوديعة

(١) يوسف : ١٧ — (٢) الصافات : ٢٥

مع الاعتناء بحالها ؛ ولهذا يُختار لها مَنْ هو مؤتمن عليها . ومن ذلك الدَّعة بمعنى الراحة . وأما تذر فمعناه الترك مطلقاً ، والترك مع الإعراض والرفض الكلىّ .

قال الراغب[1] : يقال فلان يذَرُ الشىء : أى يقذفه لقلة الاعتداد به . ومنه الوَذْرة قطعة من اللحم لقلة الاعتداد بها . ولا شك أن السياق إنما يناسب هذا دون الأول ، فأريد هنا تشنيع[2] حالهم فى الإعراض [١٦٧] عن ربهم ، وأنهم بلغوا الغاية فى الإعراض . انتهى .

الجمع

هو أن يجمع بين شيئين أو أشياء متعددة فى حكم ؛ كقوله تعالى[3] : « المالُ والبَنونَ زِينَةَ الحياةِ الدنيا » ، جمع المال والبنون فى الزينة . وكذا قوله[4] : « والشمسُ والقَمَرُ بحسْبَان . والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَان » .

الجمع والتفريق

هو أن أن يجمع[5] بين شيئين فى معنى واحد ويفرق بين جهتى الإدخال . وجعل منه الطِّيبىّ قوله تعالى[6] : « اللهُ يَتَوَفى الأَنْفسَ حِيْنَ مَوْتِها » . جمع النفسين فى حكم التوفى ، ثم فرق بين جهتى التوفى بالحكم بالإمساك والإرسال ، أى الله يتوفى بالإمساك والإرسال ، أى الله يتوفى الأنفس التى تُقْبَض والتى لم تُقْبَض ، ويمسك الأولى ، ويرسل الأخرى .

---

(١) المفردات : ٥١٨ (٢) فى الإتقان : تبشيع . (٣) الكهف : ٤٦
(٤) الرحمن : ٥ ، ٦ (٥) فى الإتقان : أن تدخل شيئين .
(٦) الزمر : ٤٢

الجمع والتقسيم

وهو جمع متعدد تحت حكم ، ثم تقسيمه ، كقوله تعالى[1] : « ثم أَوْرَثْنَا الكتابَ الذين اصطفَيْنا مِنْ عبادِنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مُقْتَصِدٌ ، ومنهم سابقٌ بالخيرات » .

الجمع والتفريق والتقسيم

كقوله تعالى[2] : « يوم يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلا بإذنه ... » الآيات . فالجمع فى قوله : « لا تكلم نفس إلاّ بإذنه » ، لأنها متعددة معنى ؛ إذ النكرة فى سياق النفى تعم . والتفريق فى قوله : « فمنهم شقىٌّ وسَعِيد » . والتقسيم فى قوله تعالى : « فأمّا الذين شَقُوا » . « وأما الذين سُعِدُوا » .

جمع المؤتلف والمختلف

هو أن يريد التسوية بين ممدوحين ؛ فيأتى بمعان مؤتلفة فى مدحها . ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا يُنقص الآخر ، فيأتى لأجل ذلك بمعان تخالف معنى التسوية ، كقوله تعالى[3] : « وداوُد وسُليمان ... » الآية . سوّى فى الحكم والعلم ، وزاد فى فضل سليمان بالفهم .

حسن النسق

وهو أن يتكلم[4] المتكلم بكلمات متواليات معطوفات متلاحمات تلاحماً سليما مستحسناً ، بحيث إذا أفردت كلٌّ جملة منها قامت بنفسها ، واستقل معناها

---

(١) فاطر : ٣٢ (٢) هود : ١٠٥ ـ ١٠٨ (٣) أنبياء : ٧٨

(٤) فى الإتقان : يأتى .

بلفظها ، ومنه قوله تعالى[1] : « وقيل يا أرضُ ابلعِى ماءك .. » الآية ، فإنها جمل معطوف بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذى تقتضيه البلاغة من الابتداء بالأهم[2] الذى هو انحسار الماء عن الأرض المتوقف عليه غاية مطلوبِ أهل السفينة ، من الإطلاق من سِجنها ، ثم انقطاع مادة السماء المتوقف عليه تمام ذلك ، من دَفع أذاه بعد الخروج ، ومنع إخلاف ما كان بالأرض، ثم الإخبار بذهاب الماء بعد انقضاء المادتين الذى هو متأخر عنه قطعا ، ثم بقضاء الأمر الذى هو هلاكُ مَنْ قُدِّر هلاكه ونجاة من سبق نجاته ، وأُخِّر عما قبله لأن علم ذلك لأهل السفينة بعد خروجهم منها ، وخروجُهم موقوف على ما تقدم ، ثم أخبر باستواء السفينة واستقرارها المفيد ذهاب الخوف ، وحصـــول الأمن من الاضطراب ، ثم ختم بالدعاء على الظالمين ، لإفادة أن الغرق وإن عم الأرض فلم يشمل إلا من استحق العذاب لظلمه .

عتاب المرء نفسه

ومنه[3] : « ويوم يَعَضُّ الظالمُ علَى يدَيْهِ يقولُ ياليتنى ... » الآية .

وقوله[4] : « أنْ تقُولَ نَفسٌ يا حَسْرَتَى على ما فَرَّطْتُ فى جَنْبِ اللهِ...» الآيات .

العكس

هو أن يُؤْتى بكلام يقدَّم فيه جزء ويؤخَّر آخر ، ثم يقدم المؤخر ويؤخر المقدم ، كقوله تعالى[5] : « ما عليكَ مِنْ حسابِهِمْ مِنْ شىْءٍ ، وما مِن حسابِكَ

---

(١) هود : ٤٤ (٢) فى الإتقان : الأسم . (٣) الفرقان : ٢٧

(٤) الزمر : ٥٦ (٥) الأنعام : ٥٢

عليهم من شيء » . «[1] يولِجُ الليلَ فى النهار ويُولِجُ النهارَ فى الليل » . «[2] ومَنْ يُخرِجُ الحىَّ من الميت ويخرِجُ الميّتَ منَ الحىّ » . «[3] هُنَّ لِبَاسٌ لـكُمْ وأنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ » . «[4] لا هُنَّ حِلّ لهم ولا هُمْ يَحِلُّونَ لهُنَّ » .

وقد سئل عن الحـكمة فى عكس هذا اللفظ ، فأجاب ابن المنيِّر بأن فائدته الإشارة إلى أن الـكفار مخاطبون بفروع الشريعة .

وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب : الحقُّ أن كل واحد من فعل المؤمنة والـكافر منفىٌّ عنه الحل ، أما فعل المؤمنة فيحرم لأنها مخاطبة ، وأما فعل الـكافر فنفى عنه الحل باعتبار أن هذا الوطء مشتمل على المفسدة ، فليس الـكفار موردَ الخطاب ، بل الأئمة ، ومن قام مقامهم مخاطبون بمنع ذلك ، لأن الشرع أمر بإخلاء الوجود من المفاسد ، فاتضح [٦٧ ب] أن المؤمنة نفى عنها الحل باعتبار ، والـكافر نفى عنه الحل باعتبار .

قال ابن أبى الإصبع[5]: ومن غريب أسلوب هذا النوع[6]: « ومَنْ يَعْمَلْ من الصالحات مِنْ ذَكرٍ أو أُنثَى وهو مُؤمن فأولئك يدخلون الجنَّةَ ولا يُظْلَمُون نَقِيرا . ومَنْ أحسنُ دِيناً ممَّنْ أسْلَمَ وَجْهَهُ لله وهو مُحْسِن » . فإن نظم الآية الثانية عكس نظم الأولى ، لتقديم العمل فى الأولى عن الإيمان ، وتأخيره فى الثانية عن الإسلام .

[القلب ، والمقلوب المستوى ، وما لا يستحيل بالانعكاس]

ومنه نوع يسمى القلب والمقلوب المستوى ، وما لا يستحيل بالانعكاس ،

---

(١) الحج : ٦١ (٢) يونس : ٣١ (٣) البقرة : ١٨٧
(٤) الممتحنة : ١٠ (٥) بديع القرآن : ١١١ (٦) النساء : ١٢٤ ، ١٢٥

وهو أن تُقرأ الكلمة من أولها إلى آخرها ، كما تُقرأ من آخرها إلى أولها ، كقوله[1] : « كلٌّ فى فَلَكٍ » . «[2] وربَّكَ فكَبِّرْ » . ولا ثالث لهما فى القرآن .

العنوان[3]

قال ابن أبى الإصبع[4]: هو أن يأخذ المتكلم فى غَرَض ، فيأتى لقصد تكميله وتأكيده بأمثلة فى ألفاظ تكون عنواناً لأخبار متقدمة ، وقصص سالفة . ومنه نوع عظيم جداً ، وهو عنوان العلوم ؛ بأن يُذْكر فى الكلام ألفاظ تكون مفاتيح لعلوم ومداخل لها ؛ فمن الأول قوله تعالى[5] : « واتْلُ عليهم نَبَأَ الذى آتَيْنَاه آياتنا فانسلخ منها ... » الآية ، فيها عنوان قصة بلعام .

ومن الثانى قوله تعالى[6] : « انْطَلِقُوا إلى ظِلٍّ ذِى ثَلاثِ شُعَب ... » الآية ، فيها عنوان علم الهندسة ، فإن الشكل المثلث أول الأشكال ، فإذا نُصب فى الشمس على أى ضلع من أضلاعه لا يكون له ظل لتحديد رءوس زواياه ، فأمر الله تعالى أهل جهنم بالانطلاق إلى ظل هذا الشكل تهكُّماً بهم . وقوله[7] : « وكذلك نُرِى إبراهيمَ مَلَكُوتَ السموات والأرض ... » الآية ، فيها عنوان علم الكلام ، وعلم الجَدَل ، وعلم الهيئة .

الفرائد

وهو مختص بالفصاحة دون البلاغة ، لأنه الإتيان بلفظة تتنزل منزلة الفريدة من العقد ، وهى الجوهرة التى لا نظير لها — تدل على عظم فصاحة هذا الكلام

(١) الأنبياء : ٣٣ (٢) المدثر : ٣ (٣) فى ا : الفنون .
(٤) بديع القرآن : ٢٥٧ (٥) الأعراف : ١٧٥ (٦) المرسلات : ٣٠ و٣١
(٧) الأنعام : ٧٥

وقوة عارضته ، وجزالة منطقه ، وأصالة عربيته ، بحيث لو أسقطت من الكلام عزّتْ على الفصحاء . ومنه : حَصْحَصَ الحقّ — في قوله[1] : « الآن حَصْحَص الحقُّ » . والرفث في قوله[2] : « أُحِلَّ لكم ليلةَ الصيام الرّفَثُ إلى نسائكم » . ولفظة « فزّع » في قوله[3] : « حتى إذا فُزِّعَ عن قُلوبهم » . وخائنة في قوله[4] : « يعلم خائنةَ الأَعْيُن » . وألفاظ كقوله[5] : « فلما استَيْئَسوا منه خَلَصُوا نَجِيّا » . وقوله[6] : « فإذا نزل بساحَتِهم فساء صَبَاحُ الْمُنْذَرِين » .

القسم

هو أن يريد المتكلم الحلف على شيء فيحلف بما يكون فيه فخر له ، أو تعظيم ، أو تنويه لقدره ، أو ذمٌّ لغيره ، أو جارياً مجرى الغزل والترفّق ، أو خارجاً مخرج الموعظة والزهد ؛ كقوله[7] : « فوَرَبِّ السماء والأرض إنه لحقٌّ مِثْلَ ما أنّكُمْ تَنْطِقُون » . أقسم سبحانه بقسم يوجب الفخر ، لتضمنه التمدح بأعظم قدرة وأجل عظمة . «[8] لعَمْرُكَ إنهم لفي سَكْرَتِهِم يَعْمهون » . أقسم سبحانه بحياة نبيه صلى الله عليه وسلم تعظيما لشأنه وتنويهاً بقدره . وسيأتي في وجه[9] الأقسام أشياء تتعلق بذلك .

اللف والنشر

هو أن يُذكر شيئان أو أشياء إما تفصيلا بالنص على كل واحد أو إجمالا ؛ بأن يؤتى بلفظة تشتمل على متعدد ، ثم يذكر أشياء على عدد ذلك ، كل واحد

---

(١) يوسف : ٥١ (٢) البقرة : ١٨٧ (٣) سبأ : ٢٣
(٤) غافر : ١٩ (٥) يوسف : ٨٠ (٦) الصافات : ١٧٧
(٧) الذاريات : ٢٣ (٨) الحجر : ٧٢
(٩) في الاتقان : نوع الأقسام .

يرجع إلى واحد من المتقدم ، ويفوّض إلى عقل السامع ردّ كل واحد إلى ما يليق به » .

فالإجمالي كقوله تعالى[1] : « وقالوا لَن يَدْخلَ الجنّةَ إلا مَنْ كان هُوداً أو نَصَارَى » ؛ أي قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا اليهود ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا النصارى . وإنما سوّغ الإجمال في اللف ثبوت العناد بين اليهود والنصارى ، فلا يمكن أن يقول أحد الفريقين بدخول الفريق الآخر الجنة . فوُثق بالعقل في أنه يرد كل قول إلى فريقه لأمن اللبس . وقائلُ ذلك يهود المدينة ونصارى نجران .

قال : وقد يكون الإجمال في اللف لا في النشر[2] ؛ بأن يؤتى بمتعدد ، ثم بلفظٍ يشتمل على صفة[3] تصلح لهما ، كقوله تعالى[4] : « حتى يتبيَّن لكم الخيْطُ الأَبيضُ من الخيط الأَسود من الفَجْرِ » — على قول أبي عبيدة : إن الخيط الأسود أُريد به الفجر الكاذب لا الليل . وقد بيّنْتُه في أسرار التنزيل .

والتفصيلي قسمان :

أحدها : أن يكون على ترتيب اللفظ ، كقوله [١٦٨ ا] تعالى[5] : « جعل لكمُ الليلَ والنهارَ لتَسْكنُوا فيه ولتَبْتَغُوا منْ فَضْلِه » ؛ فالسكون راجع إلى الليل ، والابتغاء راجع إلى النهار . وقوله[6] : « ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً

---

(١) البقرة : ١١١

(٢) هذا في الأصل . وفي الإتقان : في النشر لا في اللف .

(٣) في الإتقان . على متعدد يصلح لهما .

(٤) البقرة : ١٨٧ (٥) القصص : ٧٣ (٦) الإسراء : ٢٩

إلى عُنُقِك ولا تَبْسُطْها كلَّ البَسْطِ فتَقعُدَ مَلُومًا مَحْسوراً » . فاللوم راجع إلى البخل ، ومحسوراً راجع إلى الإسراف ؛ لأن معناه منقطعاً لا شيء عندك . وقوله[1] : « ألم يَجِدْكَ يَتِيمًا ... » الآيات ؛ فإن قوله : فأمَّا اليتيمَ فلا تَقْهَرْ — راجع إلى قوله : « ألم يَجِدْكَ يتيما فآوَى » . وقوله : فأما السائل فلا تنهر — راجع إلى قوله : ووجدَكَ ضالًّا ؛ فإن المراد السائل عن العلم ، كما فسره مجاهد وغيره . « وأمّا بنعمة ربك فحدّث » راجع إلى قوله : « ووجدك عائلا فأغنى » . رأيت هذا المثال فى شرح الوسيط للنووى المسمى بالتنقيح .

والثانى : أن يكون على عكس ترتيبه ، كقوله تعالى[2] : « يوم تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فأما الذين اسْوَدَّتْ وجُوهُهم ... » الخ . وجعل منه جماعة قوله تعالى[3] : « حتى يَقُولَ الرسولُ والذين آمَنُوا معه متى نَصْرُ اللهِ ألَا إنّ نَصْرَ اللهِ قَرِيب » ؛ قالوا : متى نَصْر الله : قَوْلُ الذين آمنوا ، «وألا إنّ نَصْرَ الله قريب » قولُ الرسول .

وذكر الزمخشرى له قسما آخر[4] ؛ كقوله[5]: « ومِنْ آياتِهِ مَنامُكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله » . قال : هذا من باب اللف . وتقديره : ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار . إلا أنه فصَل بين منامكم وابتغاؤكم بالليل والنهار ؛ لأنهما زمانان ، والزمان والواقع فيه كشىء وقع[6] مع إقامة[7] اللف على الاتحاد .

---

(١) الضحى : ٦ — ١١ (٢) آل عمران : ١٠٦ (٣) البقرة : ٢١٤

(٤) الكشاف : ٢ — ١٨٧ (٥) الروم : ٢٣

(٦) فى الاتقان والكشاف : كشىء واحد .

(٧) فى الكشاف : مع إعانة .

المشاكلة

ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقاً أو تقديراً ؛ فالأول كقوله تعالى[١] : « تَعْلَمُ ما فى نَفْسِى ولا أَعلَمُ ما فى نَفْسِكَ » . «[٢] ومَكَرُوا ومَكَرَ اللهُ » . فإطلاقُ النفس والمكر فى جانب البارى تعالى إنما هو لمشاكلة ما معه .

وكذا قوله[٣]: « وجَزَاءُ سَيِّئةٍ سيئةٌ مِثْلُها » ، لأن الجزاء حق لا يوصف بأنه سيئة . «[٤] فمن اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فاعتَدُوا عليه بِمِثْلِ ما اعْتَدَى عليكم » . «[٥] اليومَ نَنْساكُم كما نَسِيتُمْ لقاءَ يَوْمِكم هَذا » . «[٦] فيَسْخَرُونَ مِنْهم سَخِرَ اللهُ منهم » . «[٧] إنما نحن مستَهْزِئون . اللهُ يستهزِئُ بهم » .

ومثال التقديرى[٨] : « صِبْغَةَ اللهِ ومَنْ أحسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغةً » ؛ فقوله : صبغة الله أى تطهير الله ، لأن الإيمان يطهر النفوس . والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ، ويقولون : إنه تطهير لهم ؛ فعبّر عن الإيمان بصبغة الله للمشاكلة بهذه القرينة .

المزاوجة

أن يزاوج بين معنيين فى الشرط والجزاء ، أو ما جرى مجراهما ، كقوله[٩] :

---

(١) المائدة : ١١٦ (٢) آل عمران : ٥٤ (٣) الشورى : ٤٠
(٤) البقرة : ١٩٤ (٥) الجاثية : ٣٤ (٦) التوبة : ٧٩
(٧) البقرة : ١٤ (٨) البقرة : ١٣٨
(٩) للبحترى ، ديوانه : ١ — ٢١٧

إذا ما نهى الناهى فلجّ بِىَ الْهوَى
أصاخَتْ إلى الواشى فلجّ بها الهَجْرُ

ومنه فى القرآن[1] : « آتَيْنَاه آياتنا فانْسَلَخَ منها فأَتْبَعَهُ الشيطانُ فكان مِنَ الغَاوِين » .

المبالغة

أن يذكر المتكلم وصفا يزيد[2] فيه حتى يكون أبلغ فى المعنى الذى قصده ؛ وهى ضربان :

مبالغة فى الوصف ؛ بأن يخرج إلى حد الاستحالة . ومنه[3] : « يكاد زَيْتُها يُضِيءُ ولو لم تَمْسَسْهُ نَار » . و «[4] لا يدخلون الجنّةَ حتى يَلِجَ الجملُ فى سَمِّ الخِيَاط » .

ومبالغة فى الصيغة ، وصيغ المبالغة فَعْلان ، كالرحمن . وفَعِيل ، كالرّحيم . وفَعّال ، كالتوّاب والغَفّار والقَهّار . وفَعُول ، كغَفور ، وشَكُور ، ووَدُود . وفَعِل ، كحذِر وأشِر وفَرِح . وفُعَال بالتخفيف ، كعُجاب ؛ وبالتشديد ككُبّار . وفُعَل كلُبَد وكُبَر . وفُعْلى كالعُليا ، والحسنى ، والشورى ، والسُّوأى .

فائدة

الأكثر على أن فعلان أبلغ من فعيل ، ومن ثم قيل الرحمن أبلغ من الرحيم . وفسره السهيلى بأنه ورد على صيغة التثنية ، والتثنية تضعيف . فكأن البناء تضاعف فيه الصفة .

---

(١) الأعراف : ١٧٥
(٢) فى الاتقان : فيزيد ...
(٣) النور : ٣٥
(٤) الأعراف : ٤٠

وذهب ابن الأنبارى إلى أن الرحيم أبلغ من الرحمن . ورجحه ابن عسكر بتقديم الرحمن عليه ، وبأنه جىء به على صيغة الجمع ، كعبيد ؛ وهو أبلغ من صيغة التثنية . وذهب قُطرب إلى أنهما سواء .

فائـدة

ذكر البرهان الرشيدى أن صفات الله تعالى التى على صفة المبالغة كلها مجاز ؛ لأنها موضوعة للمبالغة ، ولا مبالغة فيها ، لأن المبالغة أن يثبت للشىء أكثر مما له ، وصفاتُه تعالى متناهيةٌ فى الكمال لا تمكن المبالغة فيها . وأيضا فالمبالغة تكون فى صفاتٍ تقبل الزيادة والنقصان ، وصفاتُ الله [٦٨ ب] منزهة عن ذلك . واستحسنه الشيخ تقى الدين السبكى .

وقال الزركشى فى البرهان : التحقيق أن صيغ المبالغة قسمان :

أحدهما : ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل .

والثانى : بحسب تعدد المفعولات . ولا شك أن تعددها لا يوجب للفعل زيادة ؛ إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين ، وعلى هذا القسم تنزل صفاته تعالى ، ويرتفع الإشكال . ولهذا قال بعضهم — فى « حكيم » : معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة إلى الشرائع .

وقال فى الكشاف : المبالغة فى التوّاب للدلالة على كثرة مَنْ يتوب عليه من عباده ، أو لأنه بليغ فى قبول التوبة ، نزّل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه .

وقد أورد بعض الفضلاء سؤالا على قوله[1] : « واللهُ على كل شيء قدير » — وهو أن قديراً من صيغ المبالغة ، فيستلزم الزيادة على معنى قادر ؛ والزيادةُ على معنى قادر محال ؛ إذ الإيجاد من وجد[2] لا يمكن فيه التفاضل باعتبار كل فرد .

وأجيب بأن المبالغة لمّا تعذّر حملها على كل فرد وجب صرفها إلى مجموع الأفراد التي دل السياق عليها ؛ فهي بالنسبة إلى كثرة المتعلق لا الوصف .

المطابقــة

وتسمى الطباق : الجمع بين المتضادين في الجملة ؛ وهو قسمان : حقيقي ، ومجازي . والثاني يسمى التكافؤ ؛ وكل منهما إما لفظي أو معنوي ، وإما طباق إيجاب أو سلب .

فمن أمثلة ذلك : «[3] فليضحَكُوا قليلا وليَبْكُوا كثيرا » . «[4] وأنه هُوَ أَضْحكَ وأَبْكَى . وأنه هو أَمَاتَ وأَحْيَا » . «[5] لكيلا تَأسَوْا على ما فاتَكُم ولا تَفْرَحُوا بما آتاكُم » . «[6] وتَحْسَبُهم أَيقاظاً وهم رُقُود » .

ومن أمثلة المجازي[7] : « أَوَ مَنْ كان مَيْتاً فأَحيَيْناه » ؛ أي ضالًّا فهديناه .

ومن أمثلة طباق السلب[8]: « تعلمُ ما في نَفْسِي ولا أَعْلَمُ ما في نَفْسِك » . «[9] فلا تَخْشَوُا النّاسَ واخْشَوْن » .

ومن أمثلة المعنوي[10] : « إن أَنتُمْ إلّا تَكْذِبُون . قالوا رَبُّنا يَعْلَمُ

(١) البقرة : ٢٨٤ (٢) في الإتقان : من واحد .
(٣) التوبة : ٨٢ (٤) النجم : ٤٣ (٥) الحديد : ٢٣
(٦) الكهف : ١٨ (٧) الأنعام : ١٢٢ (٨) المائدة : ١١٦
(٩) المائدة : ٤٤ (١٠) يس : ١٥ ، ١٦

إنّا إليكم لَمُرْسَلُون » . معناه إن ربنا يعلم إنا لصادقون . «[١] جعل لكم الأَرْضَ فِرَاشاً والسماءَ بناءً » . قال أبو على الفارسى : لما كان البناء رافعاً للمبنىّ قُوبل بالفراش الذى هو خلاف البناء .

ومنه نوع يسمى الطباق الخفىّ ؛ كقوله[٢] : « مِمَّا خَطِيئاتهم أُغْرِقوا فأُدْخِلُوا نَاراً » ؛ لأن الغرق من صفات الماء ، فكأنه جمع بين الماء والنار .

قال ابن منقذ[٣] : وهى أخفى مطابقة فى القرآن .

وقال ابن المعتز[٤] : مِنْ أملح الطباق وأخفاه قوله تعالى[٥] : « ولكم فى القِصَاصِ حَيَاةٌ » ؛ لأن معنى القصاص القتل ، فصار القتل سبب الحياة .

[الترصيـــع]

ومنه نوع يسمى ترصيع الكلام ؛ وهو اقتران الشىء بما يجتمع معه فى قَدْر مشترك ؛ كقوله[٦] : « إنَّ لكَ ألّا تجوعَ فيها ولا تَعْرَى . وإنك لا تَظْمَأ فيها ولا تَضْحى » . جاء بالجوع مع العرى ، وبابه أن يكون مع الظمأ ، وبالضَّحى مع الظمأ ؛ وبابه أن يكون مع العرى ، لكن الجوع والعرى اشتركا فى الخلو ؛ فالجوع خُلُوّ البطن من الطعام. والعرى خلو الظاهر من اللباس . والضحى والظمأ اشتركا فى الاحتراق ؛ فالظمأ احتراق الباطن من العطش ، والضَّحى احتراق الظاهر من حر الشمس .

---

(١) البقرة : ٢٢ (٢) نوح : ٢٥

(٣) هو أسامة بن منقذ صاحب كتاب « البديع » وغيره . توفى سنة ٥٨٤ .

(٤) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة الشاعر ، صاحب كتاب « البديع » توفى سنة ٢٩٦ هـ .

(٥) البقرة : ١٧٩ (٦) طه : ١١٨ ، ١١٩

[المقـــابلة]

ومنه نوع يسمى المقابلة ؛ وهو أن يُذكر لفظان فأكثر ثم أضدادها على الترتيب .

قال ابن أبي الإصبع[١] : والفرق بين الطباق والمقابلة من وجهين :

أحدها : أن الطباق لا يكون إلا فى[٢] ضدين فقط . والمقابلة لا تكون إلا بما زاد [على الضدين][٣] من الأربعة إلى العشرة .

والثانى : أن الطباق لا يكون إلا بالأضداد ؛ والمقابلة بالأضداد وبغيرها .

قال السكاكى : ومن خواص المقابلة أنه إذا شرط فى الأول أمراً شرط فى الثانى ضده ، كقوله تعالى[٤] : « فأمَّا مَنْ أعطى واتَّقَى وصدَّق بالحسنى ... » الآيتين. قابل بين الإعطاء والبُخْل، والاتقاء والاستغناء، والتصديق والتكذيب ، واليسرى والعسرى ؛ ولما جعل التيسير فى الأول مشتركا بين الإعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده — وهو التعسير — مشتركا بين أضدادها .

وقال بعضهم : المقابلة إما لواحد بواحد ؛ وذلك قليل جدّا ؛ كقوله تعالى[٥]: « لا تأخذُه سِنَةٌ ولا نَوْم » . أو اثنين باثنين كقوله تعالى[٦]: « فلْيَضْحَكُوا قليلا ولْيَبْكُوا كثيرا » . أو ثلاثة بثلاثة كقوله[٧] : « يأمرهم بالمعروف ؛ ويَنْهَاهُمْ عن المنكر ، ويحلُّ لهم الطيباتِ ويحرِّم عليهم الخبائث » .

---

(١) بديع القرآن : ٣١

(٢) فى بديع القرآن : لا يكون إلا بالجمع بين ضدين فذين فقط .

(٣) من بديع القرآن . (٤) الليل : ٥ ، ٦ (٥) البقرة : ٢٥٥

(٦) التوبة : ٨٢ (٧) الأعراف : ١٥٧

«[1] واشكروا لى ولا تكفرون » . أو أربعة بأربعة كقوله[2] : « فأمّا مَنْ أعطى واتّقى وصدّق بالحسنى » . أو خمسة بخمسة كقوله[3] : « إنّ الله لا يَسْتَحى . . . » الآيات . قابل بين بعوضة ، فما فوقها . وبين فأمّا الذين آمنُوا والذين كفروا . وبين يضل ويهدى ، وبين ينقضون وميثاقه ، وبين يقطعون وأن يوصل . أو ستة بستة ؛ كقوله تعالى[4] : « زُيِّنَ للناس حُبُّ الشهواتِ من النساء والبنين ... » الآيات ، ثم قال : قل أَؤُنَبِّئُكم بِخَيْرٍ مِنْ ذلكم — قابل الجنّات ، والأنهار ، والخلد ، والأزواج ، والتطهير ، والرضوان ، بإزاء النساء ، والبنين ، والذهب ، والفضة ، والخيل المُسوّمة ، والأنعام ، والحرث .

وقسم آخر المقابلة ثلاثة أنواع : نظيرى ، ونقيضى ، وخلافى ؛ مثال الأول مقابلة السِّنَة بالنوم فى الآية الأولى ؛ فإنهما جميعاً من باب الرقاد المقابَل باليقظة فى آية[5] : « وتَحْسَبُهم أيقاظاً وهم رقود » . وهـــذا مثال الثانى ؛ فإنهما نقيضان .

ومثال الثالث مقابلة الشر بالرشد فى قوله[6] : « وإنا لا نَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيد بِمَنْ فى الأرض أم أراد بهم ربهم رَشَداً » ؛ فإنهما خلافان لا نقيضان ؛ فإن نقيض الشر الخير ، والرشد الغىّ .

المواربة

براء مهملة وباء موحدة : أن يقول المتكلم قولا يتضمن الإنكار عليه ؛ فإذا حصل الإنكار استحضر بِحِذْقه وجهاً من الوجوه يتخلص به ، إما بتحريف

(١) البقرة : ١٥٢ (٢) الليل : ٥ ، ٦ (٣) البقرة : ٢٦
(٤) آل عمران : ١٤ ، ١٥ (٥) الكهف : ١٨
(٦) الجن : ١٠

كلمة ، أو تصحيفها ، أو زيادة أو نقص . قال ابن أبى الإصبع[١] : ومنه قوله تعالى — حكاية عن أكبر أولاد يعقوب[٢]: « ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إنّ ابنَكَ سَرَق » ؛ فإنه قرىء إن ابنك سُرِّق ولم يسرق ؛ فأتى بالكلام على الصحة بإبدال ضمة من فتحة وتشديد فى الراء وكسرها .

المراجعة

قال ابن أبى الإصبع[٣] : هى أن يحكى المتكلم مراجعةً فى القول جرت بينه وبين محاور له بأوجز عبارة وأعدل سَبْك ، وأعذب ألفاظ ؛ ومنه قوله تعالى[٤] : «قال إنى جاعِلُك للناسِ إمَامًا . قال ومِنْ ذرِّيتى قال لا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِين» — جمعت هذه القطعة — وهى بعض آية — ثلاث مراجعات فيها معانى الكلام ، من الخبر والاستخبار ، والأمر والنهى ، والوعد والوعيد ، بالمنطوق والمفهوم .

قلت : أحسن من هذا أن يُقال جمعت الخبر والطلب ، والإثبات والنفى ، والتأكيد والحذف ، والبشارة والنذارة ، والوعد والوعيد .

النزاهـة

هى خلوص ألفاظ الهجاء من الفُحْش حتى يكون — كما قال أبو عمرو ابن العلاء — وقد سئل عن أحسن الهجاء : هو الذى إذا أنشدته العذراء فى خدْرها لا يقبح عليها . ومنه قوله تعالى[٥] : « وإذا دُعُوا إلى الله ورسوله لِيَحْكُمَ بينهم إذا فريقٌ منهم مُعْرِضون » . ثم قال : « أفِى قلوبهم مرَضٌ

(١) بديع القرآن : ٩٥ (٢) يوسف : ٨١ (٣) بديع القرآن : ٣٠٠
(٤) البقرة : ١٢٤ (٥) النور : ٤٨ — ٥٠

أم ارْتَابُوا أم يخافُون أنْ يَحِيفَ اللهُ عليهم ورسولُه ، بل أولئك هم الظالمون» . فإن ألفاظ ذم هؤلاء المُخْبَر عنهم بهذا الخبر أتت منزهة عما يقع فى الهجاء من الفحش . وسائر هجاء القرآن كذلك .

الإبداع

بالباء الموحّدة : وهو أن يشتمل الكلام على عدة ضروب من البديع . قال ابن أبى الإصبع[1] : ولم أر فى الكلام مثل قوله تعالى[2] : « وقيل يا أرضُ ابلعى ماءَك . . » الآية ، فإن فيها عشرين[3] ضرباً ، وهى سبع عشرة [٦٩ ب] لفظة ، وذلك للمناسبة التامة فى « ابلعى » و « اقلعى » ، والاستعارة فيهما ، والطباق[4] بين الأرض والسماء ، والمجاز فى قوله : « يا سماء » ، فإن الحقيقة يا مطر السماء ، والإشارة فى : وغيض الماء ، فإنه عبر به عن معان كثيرة ، لأن الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء ؛ فينقص الحاصل على وَجْه الأرض من الماء . والإرداف فى : « واستوت » . والتمثيل فى : « وقُضى الأمر » . والتعليل ، فإنّ غيْض الماء عِلّةُ الاستواء . وصحة التقسيم ، فإنه استوعب فيه أقسام الماء حالة نقصه ؛ إذ ليس إلا احتباس ماء السماء ، والماء النابع من الأرض ، وغَيْض الماء الذى على ظهرها . والاحتراس فى الدعاء لئلا يتوهّم أن الغرق لعمومه شمل مَنْ لا يستحق الهلاك ؛ فإنَّ عَدْلَه تعالى يمنع أن يدعو على غير مستحق . وحسن النسق ، وائتلاف اللفظ مع المعنى . والإيجاز ، فإنه تعالى قص القصة مستوعبة بأخصر عبارة . والتسهيم ؛ لأن أول الآية يدل على آخرها . والتهذيب ؛ لأن مفرداتها موصوفة بصفات

---

(١) بديع القرآن : ٣٤٠ (٢) هود : ٤٤

(٣) فى بديع القرآن : أحداً وعشرين ضرباً من البديع .

(٤) فى بديع القرآن : والمطابقة اللفظية فى ذكر السماء والأرض .

الحسن ، كل لفظة سهلةُ مخارج الحروف ، عليها رونق الفصاحة ، مع الخلو من البشاعة وعقادة التركيب[1] . وحسن البيان من جهة أن السامع لا يتوقف فى فهم معنى الكلام ، ولا يُشكل عليه شىء منه . والتمكين ؛ لأن الفاصلة مستقرة فى محلها ، مطمئنة فى مكانها ، غير قلقة ولا مستدعاة . والانسجام . هذا ما ذكره ابن أبى الإصبع[2] . وفى بديعة الصفى منها مائة وخمسون ، فتأملها .

* * *

الوجه الثامن والعشرون من وجوه إعجازه

احتواؤه على الخبر والإنشاء

وأهلُ البيان قاطبة على انحصار الكلام فيهما ، وأنه ليس له قسم ثالث .

وادعى قوم انقسامه إلى خبر وطلب وإنشاء ؛ قالوا : لأن الكلام إما أن يحتمل التصديق والتكذيب أم لا : الأول الخبر ؛ والثانى إن اقترن معناه بلفظه فهو الإنشاء ، وإن لم يقترن بل تأخر عنه فهو الطلب .

والمحققون على دخول الطلب فى الإنشاء ، وأن معنى « اضربْ » مثلا — وهو طلب الضرب — مقترن بلفظه . وأما الضرب الذى يوجد بعد ذلك فهو متعلق الطلب لا نفسه .

وقد اختلف الناس فى حَدّ الخبر ؛ فقيل : لا يحد لعُسْره . وقيل :

---

(١) فى البديع : والتركيب سليم من التعقيد وأسبابه .
(٢) بديع القرآن : ٣٤٠ — ملخصاً .

لأنه ضرورى ؛ لأن الإنسان يفرق بين الإنشاء والخبر ضرورة ؛ ورجّحه الإمام فى المحصول[1] .

والأكثر على حدّه ؛ فقال القاضى أبو بكر والمعتزلة : الخبر الذى يدخله الصدق والكذب ، فأورد عليه خبر الله تعالى ؛ فإنه لا يكون إلا صادقاً . فأجاب القاضى بأنه يصح دخوله لغة .

وقيل : الذى يدخله التصديق والتكذيب ، وهو سالم من الإيراد المذكور .

وقال أبو الحسن البصرى : كلام يفيد بنفسه نسبة ، فأورد عليه نحو : قُمْ ، فإنه يدخل فى الحد ، لأن القيام منسوب والطلب منسوب .

وقيل : الكلام المفيدُ بنفسه إضافةَ أمر من الأمور إلى أمر من الأمور نفياً أو إثباتاً .

وقيل : القول المقتضى بتصريحه نسبةَ معلوم إلى معلوم بالنفى أو الإثبات .

وقال بعض المتأخرين : الإنشاء ما يحصل مدلوله فى الخارج بالكلام ؛ والخبر خلافه .

وقال مَنْ جعل الأقسام ثلاثة : الكلام إن أفاد بالوضع طلباً فلا يخلو إما أن يطلب[2] ذكر الماهية ، أو تحصيلها ، أو الكفّ عنها ؛ والأول الاستفهام . والثانى الأمر . والثالث النهى . وإن لم يُفِدْ طلباً بالوضع فإن لم يحتمل الصدق والكذب سُمِّىَ تنبيهاً وإنشاء ؛ لأنك نبّهْتَ به على مقصودك ، وأنشأته ، أى ابتكرته ، من غير أن يكون موجوداً فى الخارج ، سواء أفاد طلباً لازماً ، كالتمنّى والترجّى

(١) المحصول فى أصول الفقه للرازى .

(٢) فى الإتقان : إما أن يكون بطلب ذكر الماهية .

والفداء والقسم ، أم لا ؛ كأنتِ طالق ؛ وإن احتملهما من حيث هو فهو الخبر .

فصل

القصد بالخبر إفادةُ المخاطب . وقد يرد بمعنى الأمر ؛ نحو[1] : « والوالدات يُرْضِعْنَ أولادَهُنَّ » . «[2] والمطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ » [١٧٠] . وبمعنى النهى ، نحو[3]: « لا يَمَسُّهُ إلا المُطَهَّرون» . وبمعنى الدعاء ، نحو[4]: « وإياكَ نَسْتَعِين» . أى أعِنَّا . ومنه[5] : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَب » ؛ فإنه دعاء عليه . وكذا[6] : « قاتلهم الله أنى يُؤْفَكُونَ » . «[7] غُلَّتْ أيديهم ولُعِنوا بما قالوا » . وجعل منه قوم[8] : « حَصِرَتْ صدُورُهم » ؛ قالوا : هو دعاءٌ عليهم بضيق صدورهم عن قتال أحَد .

ونازع ابن العربى[9] فى قولهم : إن الخبر يرد بمعنى الأمر أو النهى ، فقال فى قوله تعالى[10] : « فلا رَفَثَ ولا فُسوق » — ليس نفياً لوجود الرفث ؛ بل لنفى مشروعيته ؛ فإن الرفث يوجد من بعض الناس ؛ وأخبارُ الله لا يجوز أن تقع بخلاف مخبره ، وإنما يرجع النفى إلى وجوده مشروعاً لا إلى وجوده محسوساً ؛ كقوله[2] : « والمطَلَّقات يتربَّصْنَ » ، ومعناه مشروعاً لا محسوساً ، فإنا نجد مطلقات لا يتربصن ، فعاد النفى إلى الحكم الشرعى لا إلى الوجود الحسّى . وكذا[11]: « لا يمسّهُ إلا المطهَّرون » ، أى لا يمسه أحد منهم شرعاً ، فإن وجد

---

(١) البقرة : ٢٣٣ (٢) البقرة : ٢٢٨ (٣) الواقعة : ٧٩
(٤) الفاتحة : ٥ (٥) المسد : ١ (٦) التوبة : ٣٠
(٧) المائدة : ٦٤ (٨) النساء : ٩٠ (٩) أحكام القرآن : ١-١٣٤
(١٠) البقرة : ١٩٧ (١١) الواقعة : ٧٩

المس فعلى خلاف حكم الشرع . قال : وهذه الدقيقة التى فاتت العلماء ، فقالوا : إن الخبر يكون بمعنى النهى وما وُجِد ذلك قط ، ولا يصح أن يوجد ، فإنهما مختلفان حقيقة متباينان[1] وضعاً . انتهى .

فرع

من أقسامه على الأصح التعجب .

قال ابن فارس[2] : وهو تفضيل شىء[3] على أضرابه .

وقال ابن الصائغ : استعظام صفة ، خرج بها المتعجَّب منه عن نظائره .

وقال الزمخشرى : معنى التعجب تعظيم الأمر فى قلوب السامعين ؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شىء خارج عن نظائره وأشكاله .

وقال الرّمانى : المطلوب فى التعجب الإبهام ، لأن من شأن الناس أن يتعجبوا مما لم يُعرف سببه ، فكلما استبهم السبب كان التعجب أحسن . قال : وأصل التعجب إنما هو للمعنى الخفى سببه .

والصيغة الدالة عليه تسمى تعجباً مجازاً ، قال : ومن أجل الإبهام لم تعمل « نعم » إلا فى الجنس من أجل التفخيم ، ليقع التفسير على نحو التفخيم بالإضمار قبل الذكر .

---

(١) فى أحكام القرآن : ويتضادان وضعا .

(٢) الصاحبى : ١٤٨

(٣) فى الصاحبى : تفضيل شخص من الأشخاص أو غيره على اضرابه بوصف .

ثم قد وضعوا للتعجب صيغاً من لفظه ، وهي ما أفعل ، وأفعل به ، وصيغاً من غير لفظه ، نحو « كَبُر » ، كقوله تعالى[1] : « كَبُرَتْ كلمةً تخرجُ من أفواههم » . «[2] كَبُرَ مَقْتاً عند الله » . «[3] كيف تَكْفُرُونَ بالله » .

قاعـــدة

قال المحققون : إذا ورد التعجب من الله صُرِف إلى المخاطب ، كقوله تعالى[4] : « فما أَصْبَرَهُمْ على النـار » ؛ أي هؤلاء يجب أن يُتعجب منهم ، وإنما لا يوصف تعالى بالتعجب ؛ لأنه استعظام يصحبه الجهل ، وهو تعالى منزه عن ذلك ؛ ولهذا تُعَبِّر جماعة بالتعجيب بدله ، أي أنه تعجيب من الله للمخاطبين .

ونظير هذا مجيء الدعاء والترجي منه تعالى ، إنما هو بالنظر إلى ما تفهمه العرب؛ أي هؤلاء مما يجب أن يقال لهم : عندكم هذا . ولهذا قال سيبويه في قوله تعالى[5] : « لعله يتذكَّر أو يَخْشَى » . المعنى اذهبا على رجائكما وطمعكما . وفي قوله[6] : « وَيْلٌ للمطففين » . «[7] ويْلٌ يومئذٍ للمُكَذِّبين » : لا تقول هذا دعاء ؛ لأن الكلام بذلك قبيح ، ولكن العرب إنما تكلموا بكلامهم ، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنونه ؛ فكأنه قيل لهم : « ويل للمطففين » ؛ أي هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم ؛ لأن هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشر والهلكة ؛ فقيل : هؤلاء ممن دخل في الهلكة .

---

(١) الكهف : ٥ (٢) الصف : ٣ (٣) البقرة : ٢٨

(٤) البقرة : ١٧٥ (٥) طه : ٤٤ (٦) المطففين : ١

(٧) المطففين : ١٠

فـــرع

من أقسام الخبر الوعد والوعيد ، نحو[1] : « سَنُرِيهِم آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وفى أنفُسِهِم » . «[2] وسَيَعْلَمُ الذين ظَلَمُوا » . وفى كلام ابن قتيبة ما يوهم أنه إنشاء .

فـــرع

من أقسام الخبر النفى ، بل هو شطر الكلام كله . والفرق بينه وبين الجَحْد أن النافى إن كان صادقاً سُمِّى كلامه نفياً ، ولا يسمى جحداً . وإن كان كاذباً سمى نفياً وجحداً أيضاً ، فكل جحد نفى ، وليس كل نفى جحداً . ذكره أبو جعفر النحاس وابن الشجرى وغيرهما .

مثال النفى[3] : « ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رِجَالِكم » .

ومثال الجَحْد نفى فرعون وقومه آيات موسى ؛ قال تعالى[4] : « فلما جاءَتْهُم آيَاتُنا مُبْصِرةً قالوا هذا سحر مبين . وجَحَدُوا بها واستَيْقَنَتْها أنفسُهم ظُلْماً وعلُوّا » .

وأدوات النفى : لا ، ولات ، وليس ، وما ، وإنْ ، ولم ، ولما ؛ وستأتى فى حروف المعجم .

ونورد هنا فائدة زائدة ؛ قال الخُوَيّى : أصل أدوات النفى لا ، وما ؛ لأن النفى

---

(١) فصلت : ٥٣ (٢) الشعراء : ٢٢٧ (٣) الأحزاب : ٤٠

(٤) النمل : ١٣ ، ١٤

إما فى الماضى وإما فى المستقبل ؛ والاستقبالُ أكثر من الماضى أبدا ، ولا أخفّ من ما ، فوضعوا الأخف للأكثر .

ثم إن النفى فى الماضى إما أن يكون نفياً واحداً مستمراً ، أو نفياً فيه أحكام [٧٠ ب] متعددة ، وكذلك النفى فى المستقبل ، فصار النفى على أربعة أقسام . واختاروا له أربع كلمات : ما ، ولم ، ولن ، ولا ، فأما إن ولمّا فليسا بأصلين ، فما ولا فى الماضى والمستقبل متقابلان . ولم كأنه مأخوذ من لا وما ، لأن لم نفى للاستقبال لفظاً والمُضِىّ معنى ، فأخذ اللام من لا التى هى لنفى المستقبل والميم من « ما » التى هى لنفى الماضى ، وجمع بينهما إشارة إلى أن فى « لم » إشارة إلى المستقبل والماضى ، وقدم اللام على الميم إشارة إلى أن « لا » هى أصلُ النفى ، ولهذا يُنفى بها فى أثناء الكلام ، فيقال لم يفعل زيد ولا عمر . أما لما فتركيب[1] بعد تركيب ، كأنه قال : لم وما لتوكيد معنى النفى فى الماضى . وتفيد الاستقبال أيضا ، ولهذا تفيد لما الاستمرار .

تنبيهات

الأول — زعم بعضهم أن شرط صحة النفى عن الشىء صحة اتصافِ المنفى عنه بذلك الشىء ، وهو مردود بقوله[2] : « وما ربُّك بغَافلٍ عما يعملون » . «[3] وما كان ربُّكَ نَسيًّا » . «[4] لا تأخُذُه سِنَةٌ ولا نَوْم » . ونظائره .

والصواب أن انتفاء الشىء عن الشىء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلا ، وقد يكون لكونه لا يقع منه مع إمكانه .

---

(١) فى ب : فتركبت . (٢) الأنعام : ١٣٢ (٣) مريم : ٦٤
(٤) البقرة : ٢٥٥

الثانى — نفى الذات الموصوفة قد يكون نفيا للصفة دون الذات، وقد يكون نفيا للذات، أيضا .

من الأول[١] : « وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام » ؛ أى بل هم جسد يأكلونه .

ومن الثانى[٢] : « لا يسألونَ النَّاسَ إلحافا » ، أى لا سؤال لهم أصلا ؛ فلا يحصل منهم إلحاف ، «[٣] ما للظالمين مِنْ حَمِيم ولا شَفِيع يُطاع » ؛ أى لا شفيع لهم أصلا . «[٤] فما تنفَعُهم شفاعةُ الشافعين » ، أى لا شافعين لهم تنفعهم شفاعتهم ، بدليل : « فما لنا من شافعِين » . ويسمى هذا النوع عند أهل البديع نفى الشىء بإيجابه . وعبارة ابن رشيق فى تفسيره : أن يكون الكلامُ ظاهره إيجاب الشىء وباطنه نفيه ، بأن ينفى ما هو من سببه ، كوصفه ، وهو المنفى فى الباطن .

وعبارة غيره : أن تنفى الشىء مقيداً والمراد نفيه مطلقا مبالغة فى النفى وتأكيداً له . ومنه[٥] : «ومَنْ يَدْعُ مع اللهِ إلهاً آخر لا برهانَ له به» ، فإن الإله مع الله لا يكون إلا عن غير برهان . «[٦] ويقتلون النَّبِيِّين بغير حق » ؛ فإن قتلهم لا يكون إلا بغير حق . «[٧] رفَع السموات بغير عَمَدٍ ترونها » ؛ فإنها لا عمد لها أصلا .

الثالث — قد ينفى الشىء أصلا[٨] لعدم كمال وصفه، أو انتفاء ثمرته ؛ كقوله فى صفة أهل النار[٩]: « لا يموتُ فيها ولا يَحْيَى » ، فنفى عنه الموت ، لأنه ليس

---

(١) الأنبياء : ٨ — (٢) البقرة : ٢٧٣ — (٣) غافر : ١٨

(٤) المدثر : ٤٨ — (٥) المؤمنون : ١١٧ — (٦) آل عمران : ٢١

(٧) الرعد : ٢ — (٨) فى الإتقان : رأسا . — (٩) الأعلى : ١٣

بموت صريح ، ونفى عنه الحياة لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة . «[1] وتَرَاهم يَنظُرون إليكَ وهم لا يُبْصِرون » ، فإن المعتزلة احتجُّوا بها على نفى الرؤية ، فإن النظر فى قوله[2] : « إلى رَبِّها نَاظِرة » — لا يستلزم الإبصار .

ورُدَّ بأن المعنى أنها تنظر إليه بإقبالها عليه ، وليست تبصر شيئا . «[3] ولقد عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مالَهُ فى الآخرة من خَلَاق . ولَبِئْسَ ما شَرَوْا به أنفُسَهم لو كانوا يَعْلَمُون » ، فإنه وصفهم أولا بالعلم على سبيل التوكيد القَسَمِى ، ثم نفاه آخراً عنهم لعدم جريهم على موجب العلم ، قاله السكاكى .

الرابع — المجاز . قالوا : يصح نفيه بخلاف الحقيقة .وأشكل على ذلك[4] : « وما رَمَيْتَ إذْ رمَيْتَ ولكنَّ اللهَ رَمى » ، فإن المنفى فيه الحقيقة . وأجيب بأن المراد بالرمى هنا المرتّب عليه ، وهو وصوله إلى الكفار ، فالواردُ عليه النفىُ هنا مجاز لا حقيقة ، والتقدير : وما رميت خلقاً إذ رميت كسبا . أو ما رميت انتهاء إذ رميت ابتداءً .

الخامس — نفى الاستطاعة قد يراد به نفى القدرة والإمكان ، وقد يُراد به نفىُ الامتناع ، وقد يراد به الوقوع بمشقّة وكلفة .

من الأول — «[5] فلا يستطيعون تَوْصِيَةً » . «[6] فلا يستطيعون ردَّها» . «[7] فما اسْطَاعُوا أنْ يَظْهَرُوه وما اسْتَطَاعُوا له نَقْبا » .

ومن الثانى[8] : «هل يستطيعُ ربُّك» — على القراءتين[8]؛ أى هل يفعل ؟

---

(١) الأعراف : ١٩٨ (٢) القيامة : ٢٣ (٣) البقرة : ١٠٢
(٤) الأنفال : ١٧ (٥) يس : ٥٠ (٦) الأنبياء : ٤٠
(٧) الكهف : ٩٧ .
(٨) المائدة : ١١٢ ، والقراءة الثانية قراءة الكسائى وعلى وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد : هل تستطيع ربك — بالتاء ونصب ربك (القرطبى : ٦ — ٣٦٤) .

أو هل تجيبنا إلى أن نسأل ؟ فقد علموا أنَّ الله قادر على الإنزال ، وأن عيسى قادر على السؤال .

ومن الثالث[١] : « إنك لن تَسْتَطِيع مَعِى صَبْرا » .

قاعــــدة

نفىُ العام يدل على نفى الخاص، وثبوتُه لا يدل على ثبوته [١٧١] ؛ وثبوتُ الخاص يدل على ثبوت العام . ونفيه لا يدل على نفيه . ولا شك أن زيادة المفهوم من اللفظ توجب الالتذاذ به ؛ فلذلك كان نفى العام أحسنَ من نفى الخاص ، وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام . فالأول كقوله[٢] : « فلمّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذهب اللهُ بِنُورِهِم » ؛ ولم يقل بضوئهم بعد قوله: أضاءت ؛ لأن النور أعم من الضوء ؛ إذ يقال على القليل والكثير ، وإنما يقال الضوء على النور الكثير . ولذلك قال[٣] : « هو الذى جَعَل الشَّمْسَ ضِياءً والْقَمَرَ نُوراً » ؛ ففى الضوء دلالةٌ على النور ؛ فهو أخص منه ، فعدمه يوجب عدم الضوء بخلاف العكس . والقصدُ إزالة النور منه أصلا ؛ ولذلك قال عَقِبَه : « وتركهم فى ظلمات لا يُبْصِرُون » .

ومنه[٤] : « ليس بى ضَلَالَةٌ » ، ولم يقل ضلال ، كما قالوا[٥] : « إنّا لنراكَ فى ضَلَالٍ » ، لأنها أعم منه ، فكان أبلغ فى نفى الضلال . وعبَّر عن هذا بأن نَفْىَ الواحد يلزم منــــه نفى الجنس البتّة ، وبأن نفى الأدنى يلزم منه نفى الأعلى .

---

(١) الكهف : ٦٧ — (٢) البقرة : ١٧ — (٣) يونس : ٥
(٤) الأعراف : ٦١ — (٥) الأعراف : ٦٠

والثانى كقوله[1] : «وجَنَّةٍ عَرْضُها السمواتُ والأرضُ» - ولم يقل طولها ، لأن العرض أخصّ ؛ إذ كلُّ ما له عَرْض فله طول ولا ينعكس .

ونظير هذه القاعدة أن نفى المبالغة فى الفعل لا يستلزم نفى أصل الفعل .

وقد أشكل على هذا آيتان[2] : قوله تعالى[3] : « وما رَبُّكَ بظلّامٍ للعَبِيد » . وقوله[4] : « وما كان ربك نَسيًّا » .

وأجيب عن الآية الأولى بأجوبة :

أحدها : أن ظلّاماً ، وإن كان للكثرة ، جىء به فى مقابلة العبيد الذى هو جمع كثرة ؛ ويرشّحه أنه تعالى قال : « علّام الغُيُوب » ؛ فقابل صيغة فعّال بالجمع . وقال فى آية أخرى : « عَالِم الغَيْبِ » - فقابل صيغة فاعل الدال على أصل الفعل بالواحد .

الثانى : أنه نَفَى الظلم الكثير ، فينتفى القليلُ ضرورة ؛ لأن الذى يظلم إنما يظلم لانتفاعه بالظلم ؛ فإذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فلأن يترك القليل أولى .

الثالث : أنه على النسبة ؛ أى بذى ظلم . حكاه ابنُ مالك عن المحققين .

الرابع : أنه أتى بمعنى فاعل لا كثرة فيه .

الخامس : إن أقلّ القليل لو ورد منه تعالى لكان كثيراً ، كما يقال : زَلّة العالم كبيرة .

السادس : أنه أراد ليس بظالم ، ليس بظالم ؛ تأكيداً للنفى ؛ فعبّر عن ذلك بقوله : ليس بظلام .

---

(١) آل عمران : ١٣٣ (٢) فى ب : إثبات . (٣) فصلت : ٤٦

(٤) مريم : ٦٤

السابع : أنه أراد جواباً لمن قال : ظلّام ؛ والتكرار إذا ورد جواباً لكلامٍ خاصّ لم يكن له مفهوم .

الثامن : أن صيغة المبالغة وغيرها من صفات الله سواءٌ في الإثبات ، فجرى النفي على ذلك .

التاسع : أنه قصد التعريض بأن ثَمّ ظلاّماً للعَبيد مِنْ وُلَاة الجَوْر .

ويُجاب عن الثانية بهذه الأجوبة ، وبعاشر — وهو مناسبة رءوس الآيات .

فائدة

قال صاحب الياقوتة : قال ثعلب والمبرد : العربُ إذا جاءت بين الكلامين بجَحْدَيْن كان الكلام إخباراً ؛ نحو[1] : « وما جَعَلْنَاهُمْ جَسداً لا يأكُلُونَ الطَّعَامَ » : المعنى إنا جعلناهم جسداً يأكلون الطعام . وإذا كان الجحد في أول الكلام كان جَحْداً حقيقياً ، نحو : ما زيد بخارج . وإذا كان في أول الكلام جَحْدان كان أحدهما زائداً ، وعليه[2] : « فِيمَا إنْ مكنّاكم فيه » ، في أحد الأقوال .

فصل

من أقسام الإنشاء الاستفهام ، وهو طلب الفَهْم ، وهو بمعنى الاستخبار . وقيل الاستخبار ما سبق أولا ولم يفهم حقّ الفهم ، فإذا سألت عنه ثانيا كان استفهاما ، حكاه ابن فارس في فقه اللغة .

(١) الأنبياء : ٨ (٢) الأحقاف : ٢٦

وأدواته : الهمزة ، وهل ، وما ، ومَنْ ، وأيّ ، وكم ، وكيف ، وأين ، وأنّى ، ومتى ، وأيّان ؛ وستأتى فى حروف المعجم .

قال ابن مالك فى المصباح : وما عدا الهمزة نائب عنها ، ولكونه طلب ارتسام صورة ما فى الخارج فى الذهن لزم أن يكون حقيقة من[1] شاكّ مصدق بإمكان الإعلام ؛ فإن غير الشاكّ إذا استفهم يلزم عليه[2] تحصيلُ الحاصل ، وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت عنه فائدة الاستفهام .

قال بعض الأئمة : وما جاء فى القرآن على لفظ الاستفهام فإنما يقع فى خطاب الله تعالى على معنى أن المخاطَبَ عنـــده علم ذلك [٧١ ب] الإثبات أو النفى حاصل .

وقد تُستعمل صيغة الاستفهام فى غيره مجازاً . وألّف فى ذلك العلامة شمس الدين بن الصائغ كتاباً سماه « روض الأفهام فى أقسام الاستفهام[3] » ، قال فيه : قد توسّعتِ العرب فأخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعان أو أشْرَبَتْهُ تلك المعانى . ولا يختص التجوُّز فى ذلك بالهمزة خلافاً للصفّار .

الأول : الإنكار ، والمعنى فيه على النفى ، وما بعده منفى ، ولذلك تصحبه « إلا » ؛ كقوله[4] : « فهل يُهْلَكُ إلا القومُ الفاسقون » . «[5]وهل نُجَازِى إلاّ الْكَفُور » ، وعطف عليه المنفى كقوله[6] : « فَمَنْ يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ اللهُ وما لهم مِنْ ناصِرين » ؛ أى لا يهدى . ومنه[7] : « أنؤمِنُ لك واتّبعك

(١) فى الإتقان : لزم ألا يكون حقيقة إلا إذا صدر ...
(٢) فى الإتقان : منه .
(٣) لمحمد بن عبد الرحمن الحنبلى المعروف بابن الصائغ المتوفى سنة ٧٧٦
(٤) الأحقاف : ٣٥ (٥) سبأ : ١٧ (٦) الروم : ٢٩
(٧) الشعراء : ١١١

الأَرْذَلُون » . «(١) أنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْن مثلنا » ؛ أى لا نؤمن . «(٢) أمْ لَهُ البناتُ ولكُمُ البَنُون » . «(٣) ألَكُم الذَّكَرُ ولَهُ الأنثى » ؛ أى لا يكون هذا . «(٤) أشَهِدُوا خَلْقَهم » ؛ أى ما شهدوا ذلك .

وكثيراً ما يصحبه التكذيب ، وهو فى الماضى بمعنى لم يكن ، وفى المستقبل بمعنى لا يكون ؛ نحو(٥) : « أفأصْفَاكُمْ ربُّكم بالبَنِين ... » الآية ، أى لم يفعل ذلك . «(٦) أنُلْزِمُكُمُوهَا وأنْتُمْ لها كارِهون » ؛ أى لا يكون هذا الإلزام .

الثانى : التوبيخ ، وجعله بعضهم من قبيل الإنكار ، إلا أن الأول إنكار إبطال ، وهذا الإنكار توبيخ . والمعنى أن ما بعده واقع جدير بأن يُنفى ، فالنفى هنا قصدىّ ، والإثبات قصدى ، عكس ما تقدم . ويعبر عن ذلك بالتقريع أيضاً ؛ نحو(٧) : « أفعصَيْتَ أمْرِى » . «(٨) أتعْبُدونَ ما تَنْحِتُون » . «(٩) أتَدْعُون بَعْلًا وتَذَرُون أحسنَ الخالقين » .

وأكثر ما يقع التوبيخ فى أمر ثابت وُبِّخَ على فعله ، كما يقع(١٠) على ترك فعل ينبغى أن يقع ؛ كقوله(١١) : «أوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم ما يَتَذَكَّرُ فيه مَنْ تَذَكَّر» . «(١٢) ألم تكُنْ أرضُ اللهِ واسعةً فتُهَاجِرُوا فيها » .

الثالث : التقرير ، وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر

---

(١) المؤمنون : ٤٧ (٢) الطور : ٣٩ (٣) النجم : ٢١
(٤) الزخرف : ١٩ (٥) الإسراء : ٤٠ (٦) هود : ٢٨
(٧) طه : ٩٣ (٨) الصافات : ٩٥ (٩) الصافات : ١٢٥
(١٠) فى الإتقان : كما ذكر ويقع ... (١١) فاطر : ٣٧
(١٢) النساء : ٩٧

عنده . قال ابن جنى : ولا يستعمل ذلك بهل ، كما يستعمل بغيرها من أدوات الاستفهام . وقال الكندى : ذهب كثير من العلماء فى قوله[1]: « هل يسمعونكم إذ تَدْعُون . أو يَنفَعُونكم » — إلى أنّ « هل » تشارك الهمزة فى معنى التقرير والتوبيخ ، إلا أنى رأيت أبا على أنكر ذلك ، وهو معذور ، فإن ذلك من قبيل الانكار .

ونقل أبو حيان عن سيبويه أن استفهام التقرير لا يكون بهل ؛ إنما يستعمل فيه الهمزة . ثم نقل عن بعضهم أن « هل » تأتى تقريراً كما فى قوله[2] : «هل فى ذلِكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْر » . والكلامُ مع التقرير موجب ؛ ولذلك يُعطف عليه صريح الموجب ، ويُعطف على صريح الموجب .

فالأول : كقوله تعالى[3] : « ألم نشرَحْ لكَ صدْرَك ووضَعْنَا عنك وِزْرَكَ » . «[4] ألم يجِدْكَ يَتِيمًا فآوَى . ووَجَدك » . «[5] ألم يجعَلْ كَيْدَهُم فى تضليل وأرسلَ عليهِمْ طَيْرًا أَبَابِيل » .

والثانى[6] : « أَكذَّبْتُم بآياتى ولم تُحِيطُوا بها عِلْما » ، على ما قرره الجرجانى من جعلها مثل[7] : « وجَحَدُوا بها واستيقَنَتْها أنفُسهم ظلْماً وعُلوّا » .

وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار . والإنكار نَفْىٌ ، وقد دخل على النفى ، ونفى النفى إثبات .

ومن أمثلته : «[8] أَلَيْسَ اللهُ بِكافٍ عَبْدَه » . «[9] أَلَسْتُ بربّكم » .

---

(١) الشعراء : ٧٢ ، ٧٣ (٢) الفجر : ٥ (٣) الشرح : ١ ، ٢
(٤) الضحى : ٦ ، ٧ (٥) الفيل : ٢ ، ٣ (٦) النمل : ٨٤
(٧) النمل : ١٤ (٨) الزمر : ٣٦ (٩) الأعراف : ١٧٢

وجعل منه الزمخشرى : «[١] ألم تعلم أنّ اللهَ على كل شىء قدير » .

الرابع : التعجب أو التعجيب ، نحو[٢] : « كيفَ تكفُرونَ باللهِ » . «[٣] ما لى لا أرى الهُدْهُدَ » . وقد اجتمع هذا القِسْم وسابقاه فى قوله[٤] : « أتأمُرونَ الناسَ بالبِرِّ وتنسَوْنَ أنفسكم » — قال الزمخشرى[٥] : الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم .

ويحتمل التعجبَ والاستفهام الحقيقى[٦] : « ما ولّاهُم عن قِبْلَتِهِمْ » .

الخامس : العتاب ؛ كقوله[٧] : « ألم يَأنِ للذين آمَنُوا أنْ تخشَعَ قلوبُهم لذكر الله » . قال ابن مسعود : ما كان بين إسلامهم وبين أن عوتبوا بهذه الآية إلا أربع سنين . أخرجه الحاكم .

ومن ألطف ما عاتب الله به خَيْرَ خلقه بقوله[٨] : « عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أذِنْتَ لَهُمْ » ، ولم يتأدّب الزمخشريُّ بأدب الله فى هذه الآية على عادته فى سوء أدبه .

السادس : التذكير . وفيه نوع اختصار ؛ كقوله[٩] : « ألَمْ أعْهَدْ إليكُمْ يا بَنى آدمَ ألاّ تعبُدُوا الشيطانَ » . «[١٠] ألم أقُلْ لكم إنى أعلم غَيْبَ السموات والأرض » . «[١١] هل علِمْتُم ما فعلْتُم بيوسف وأخيه » .

السابع : الافتخار ؛ نحو[١٢] : « أليس لى مُلْكُ مِصْر » .

---

(١) البقرة : ١٠٦ (٢) البقرة : ٢٨ (٣) النمل : ٢٠
(٤) البقرة : ٤٤ (٥) الكشاف : ١ — ٥٣ (٦) البقرة : ١٤٢
(٧) الحديد : ١٦ (٨) التوبة : ٤٣ (٩) يس : ٦٠
(١٠) البقرة : ٣٣ (١١) يوسف : ٨٩ (١٢) الزخرف : ٥١

الثامن : التفخيم[1] ، نحو[2] : « مالِ هذا الكتابِ لا يُغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً » .

التاسع : التهويل والتخويف ، نحو : « الحاقّة ما الحاقة » . « القارعةُ ما القارعة » .

العاشر : عكسه ؛ وهو التسهيل والتخفيف ؛ نحو[3] : « ماذا عليهم لو آمَنُوا » .

الحادى عشر : التهديد والوعيد ؛ نحو[4] : « ألم نُهْلِكِ الأوّلين » .

الثانى عشر : التكثير ؛ نحو[5] : « فكأيِّن مِنْ قَرْيةٍ أهلكناها » .

الثالث عشر : التسوية ؛ وهو الاستفهام الداخل على جملة يصح حلول المصدر محلها ، نحو[6] : « سواءٌ عليهم أأنذرتَهم أم لم تنذِرْهم » .

الرابع عشر : الأمر ؛ نحو : « أأسْلَمْتُم » ؛ أى أسلموا . « فهل أنتم مُنْتَهُون » ؛ أى انتهوا . « أتصبرون » ؛ أى اصْبِرُوا .

الخامس عشر : التنبيه ، وهو من أقسام الأمر ؛ نحو[7] : « ألم تر إلى ربِّك كيف مدّ الظِّلّ » ؛ أى انظر . «[8]ألم ترَ أنّ اللهَ أنزل من السماء ماء فتُصْبِحُ الأرْضُ مُخْضَرّةً » . ذكره صاحب الكشاف عن سيبويه ، ولذلك رفع الفعل فى جوابه[9] .

---

(١) ف ب : التعجب . (٢) الكهف : ٤٩ (٣) النساء : ٣٩
(٤) المرسلات : ١٦ (٥) الحج : ٤٥ (٦) البقرة : ٦
(٧) الفرقان : ٤٥ (٨) الحج : ٦٣
(٩) قال فى الكشاف (٢ — ٦٦) فاله رفع ولم ينصب جواباً الاستفهام . قلت : لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض ، لأن معناه إثبات الاخضرار ، فينقلب بالنصب إلى نفى الاخضرار .

وجعل منه قوم : « فأين تذهبون » ، للتنبيه على الضلال ، وكذا[١] : « ومَنْ يَرْغَبُ عن ملّة إبراهيم إلاّ مَنْ سفِهَ نَفْسَه » .

السادس عشر : الترغيب ، نحو[٢] : « مَنْ ذا الّذِى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً » . «[٣] هل أدُلُّكم على تجارةٍ تُنْجِيكم » .

السابع عشر : النهى ، نحو[٤] : « أتَخْشَوْنَهُم فاللهُ أحقُّ أن تَخْشَوْه » ، بدليل قوله[٥] : « فلا تخْشَوا الناسَ واخْشَوْنِ » . «[٦] ما غرّكَ بربِّكَ الكريم » ، أي لا تغتر به .

الثامن عشر : الدعاء ، وهو كالنهى ، إلا أنه من الأدنى إلى الأعلى ، نحو[٧] : « أتُهْلِكُنَا بما فعل السُّفَهاءُ منّا » ؛ أي لا تهلكنا .

التاسع عشر : الاسترشاد ، نحو[٨] : « أتجعَلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها » .

العشرون : التمنى ، نحو[٩] : « فهل لنا مِنْ شُفَعاء » .

الحادى والعشرون : الاستبطاء ، نحو[١٠] : « متى نَصْرُ الله » .

الثانى والعشرون : العَرْض ، نحو[١١] : « ألا تُحِبُّونَ أن يَغْفِرَ اللهُ لكم » .

الثالث والعشرون : التحضيض ، نحو[١٢] : « ألا تُقَاتِلون قَوْماً نَكَثُوا أيْمَانَهم » .

---

(١) البقرة : ١٣٠ (٢) البقرة : ٢٤٥ (٣) الصف : ١٠
(٤) التوبة : ١٣ (٥) المائدة : ٤٤ (٦) الانفطار : ٦
(٧) الأعراف : ١٥٥ (٨) البقرة : ٣٠ (٩) الأعراف : ٥٣
(١٠) البقرة : ٢١٤ (١١) النور : ٢٢ (١٢) التوبة : ١٣

الرابع والعشرون : التجاهل ، نحو[1] : « أأُنزِلَ عليه الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا » .

الخامس والعشرون : التعظيم ، نحو[2] : « مَنْ ذا الذِى يَشْفَعُ عنده إلا بإذنه » .

السادس والعشرون : التحقير ، نحو[3] : « أهذا الَّذى يَذْكُرُ آلهتَكم » . «[4] أهذا الذى بَعَثَ اللهُ رسولا » . ويحتمله وما قبله قراءة[5] : « مَنْ فِرْعَوْن » .

السابع والعشرون : الاكتفاء ، نحو[6] : « أَلَيْسَ فى جهنّم مَثْوًى للمُتَكَبِّرين » .

الثامن والعشرون : الاستبعاد ، نحو[7] : « أنَّى لهم الذِّكْرَى » .

التاسع والعشرون : الإيناس ، نحو[8] : « وما تلكَ بيَمِينِكَ يا مُوسى » .

الثلاثون : التهكم والاستهزاء ، نحو[9] : « أصَلَوَاتُك تأمُرُك » . «[10] ألا تَأكلون . ما لكمْ لا تَنْطِقُون » .

الحادى والثلاثون : التأكيد لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله ، كقوله[11] : « أفَمنْ حقّ عليه كلمةُ العذاب أفأنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فى النار » . قال الموفق عبد اللطيف البغدادى : أى مَنْ حقّ عليه كلمةُ العذاب فإنك لا تنقذه

---

(١) ص : ٨ (٢) البقرة : ٢٥٥ (٣) الأنبياء : ٣٦
(٤) الفرقان : ٤١
(٥) الدخان : ٣١ ، والقراءة : من فرعون ـ بكسر الميم ، وفتح النون من فرعون .
(٦) الزمر : ٦٠ (٧) الفجر : ٢٣ (٨) طه : ١٧
(٩) هود : ٨٧ (١٠) الصافات : ٩١ ، ٩٢ (١١) الزمر : ١٩

فمنْ للشرط ، والفاء جواب الشرط ، والهمزة فى أفأنت معادة مؤكِّدة لطول الكلام . وهذا نوع من أنواعها . قال الزمخشرى[1] : الهمزة الثانية هى الأولى كُررت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد .

الثانى والثلاثون : الإخبار ، نحو[2] : « أفِى قلُوبِهم مرَضٌ أم ارْتَابُوا » . «[3] هل أتى على الإنسان » .

تنبيهات

الأول : هل يقال إن معنى الاستفهام فى هذه الأشياء موجود وانضم إليه معنى آخر ، أو تجرّد عن الاستفهام بالكلية ؟

قال فى عروس الأفراح : محل نظر . والذى يظهر الأول . قال : ويساعده قول التنوخى فى الأقصى القريب : إن لعل تكون للاستفهام مع بقاء الترجّى ، قال : ومما يرجحه أن الاستبطاء فى قولك : كَمْ أدعوك ؟ معناه أن الدعاء وصل إلى حد لا أعلم عدده ، فأنا أطلب أن أعلم عدده ، والعادة تقضى بأن الشخص إنما يستفهم عن عدد ما صدر منه إذا كثُر فلم يعلمه ، وفى طلب فَهْم عدده ما يُشعر بالاستبطاء .

وأما التعجب فالاستفهام معه مستمر ، فمن تعجَّب من شىء فهو بلسان الحال سائل عن سببه ، وكأنه يقول : أى شىء عرض لى فى حال عدم رؤية الهدهد ؟ وقد صرح فى الكشاف ببقاء الاستفهام فى هذه الآية[4] .

---

(١) الكشاف : ٢ — ٢٩٦ (٢) النور : ٥٠

(٣) الإنسان : ١ (٤) الكشاف : ٢ — ١٤١

وأما التنبيه على الضلال فالاستفهام فيه حقيقى ؛ لأن المعنى[1] أين تذهب ؟ أخبرنى إلى أى مكان تذهب ؟ فإنى لا أعرف ذلك . وغاية الضلال لا يُشْعَر بها إلى أين [٧٢ ب] تنتهى .

وأما التقرير فإن قلنا : المرادُ به الحكم بثبوته فهو خبر بأنّ المذكور عَقِبَ[2] الأداة واقع ، أو طلبُ إقرار المخاطب به مع كون السائل يعلم ، فهو استفهام يقرر المخاطَب ؛ أى يطلبُ منه أن يكون مقرًّا به ، وفى كلام أهل الفن ما يقتضى الاحتمالين . والثانى أظهر . وفى الإيضاح تصريح به ولا بِدْعَ فى صدور الاستفهام، ممن يعلم المستفهَم منه ؛ لأنه طلب الفهم ؛ إما طلب فَهْم المستفهم أو وقوع فهم لمن لم يفهم كائناً من كان . وبهذا تنحلّ إشكالات كثيرة فى مواقع الاستفهام ويظهر بالتأمل بقاء معنى الاستفهام مع كل أمر من الأمور المذكورة . انتهى ملخصاً .

الثانى: القاعدة أن المبهم[3] يجب أن يَلِىَ الهمزة. وأشكل عليها قوله تعالى[4]: « أفأَصْفَاكُم رَبُّـكُمْ بِالْبَنِين » ؛ فإن الذى يليها هنا الإصفاء بالبنين ، وليس هو المنـكر ، وإنما المنـكر قولهم : إنه اتخذ من الملائـكة إناثاً .

وأجيب بأن لفظ الإصفاء يُشعر بزعم أن البنات لغيرهم ، أو بأن المراد مجموع الجلتين ؛ وينحلّ منهما كلام واحــــد . والتقدير أجمع بين الإصفاء بالبنين واتخاد البنات .

وأُشكلُ منه قوله تعالى[5] : « أتأمرونَ الناسَ بالبرّ وتَنْسَوْنَ أنفسكم » .

---

(١) فى الإتقان : لأن معنى أين تذهب ؟

(٢) فى الإتقان : عقيب .

(٣) فى الإتقان : المنـكر .

(٤) الإسراء : ٤٠

(٥) البقرة : ٤٤

ووجْهُ الإشكال أنه لا جائز أن يكون المنكر أمر الناس بالبر فقط ، كما تقتضيه القاعدة المذكورة ؛ لأن أمر البر ليس مما يُنكر ، ولا نسيان النفس فقط ، لأنه يصير ذكْرُ أمر الناس بالبر لا مدخل له ، ولا مجموع الأمرين ؛ لأنه يلزم أن تكون العبادة جزء المنكر ، ولا نسيان النفس بشرط الأمر ؛ لأن النسيان منكر مطلقا ، ولا يكون نسيان النفس حال الأمر أشدّ منه حال عدم الأمر ؛ لأن المعصية لا تزداد بشاعتُها بانضمامها للطاعة ؛ لأن جمهور العلماء على أن الأمر بالبرّ واجب ؛ وإن كان الإنسان ناسياً لنفسه وأمرُه لغيره بالبر كيف يضاعف معصية نسيان النفس ، ولا يأتى الخير بالشر .

قال فى عروس الأفراح : ويجاب بأن فعل المعصية مع النهى عنها أفحش ؛ لأنها تجعل حال الإنسان كالمتناقض ، وتجعل القول كالمخالف للفعل ، ولذلك كانت المعصية مع العلم أفحشَ منها مع الجهل . قال : ولكن الجواب على أن الطاعة الصرفة كيف تضاعف المعصية المقارنة لها مع جنسها ؟ فيه دقّة .

فصل

من أقسام الإنشاء الأمْرُ

وهو طلب فعل غير كفّ ، وصيغته افعَلْ وليَفْعل. وهى حقيقة فى الإيجاب ، نحو : « أقيموا الصلاةَ » . « فلْيَصلُّوا معك » . وترد مجازاً لمعان أُخر ، منها :

الندب : نحو[1] : « وإذا قُرِىء القرآنُ فاستَمِعُوا لَهُ وأنصِتُوا » .

والإباحة ، نحو[2] : « فكاتِبُوهم » — نصّ الشافعىّ على أن الأمر فيه للاباحة . ومنه[3] : « وإذا حلَلْتُمْ فاصطادُوا » .

والدعاء من السافل للعالى ، نحو : « رَبِّ اغفِرْ لى » .

(١) الأعراف : ٢٠٤ (٢) النور : ٣٣ (٣) المائدة : ٢

والتهديد ، نحو[1] : « اعمَلُو ما شِئْتُم » ، إذ ليس المرادُ الأمر بكل عمل شاءوا .

والإهانة ، نحو[2] : « ذُقْ إنكَ أنْتَ العزيزُ الكريم » .

والتسخير ، أي التذليل ، نحو[3] : « كونُوا قِردةً » . وعبَّر به عن نقْلهم من حالة إلى حالة إذلالاً لهم ، فهو أخص من الإهانة .

والتعجيز ، نحو[4] : « فأتُوا بسورةٍ مِنْ مِثْله » ؛ إذ ليس المراد طلب ذلك منهم ، بل إظهار عجزهم .

والامتنان ، نحو[5] : « كلُوا مِنْ ثَمَرِه إذا أثْمَر » .

والعجب ، نحو[6] : « انْظُر كيف ضَرَبُوا لكَ الأمثال » .

والتسوية ، نحو[7] : « فاصْبِروا أو لا تَصْبِرُوا » .

والإرشاد ، نحو[8] : « وأشْهِدُوا إذا تبايَعْتُم » .

والاحتقار ، نحو[9] : « ألقُوا ما أنتُم مُلْقُون » .

والإنذار ، نحو : « قل تمتَّعوا » .

والإكرام ، نحو : « ادخلُوها بسلام » .

والتكوين — وهو أعم من التسخير ، نحو : كُن فيكُون .

والإنعام ، أي تذكير النعمة ، نحو[10] : « كلُوا ممّا رزقكم الله » .

---

(١) فصلت : ٤٠ (٢) الدخان : ٤٩ (٣) البقرة : ٦٥
(٤) البقرة : ٢٣ (٥) الأنعام : ١٤١ (٦) الإسراء : ٤٨
(٧) الطور : ١٦ (٨) البقرة : ٢٨٢ (٩) يونس : ٨٠
(١٠) الأنعام : ١٤٢

والتكذيب ؛ نحو[1] : « قل فأتوا بالتَّوْرَاةِ فاتْلُوهَا » . «[2] قل هَلُمَّ شُهَداءكُم الذين يَشْهَدُون [١٧٣] أنَّ الله حرّم هذا » .

والمشورة ؛ نحو[3] : « فانْظُرْ ماذا تَرَى » .

والاعتبار ؛ نحو[4] : « انظُرُوا إلى ثَمَرِه إذا أثمر » .

والتعجب ؛ نحو[5] : « أَسْمِعْ بهم وأَبْصِر » — ذكره السكاكى فى استعمال الإنشاء بمعنى الخبر .

فصـــل

ومن أقسامه النهى

وهو طلب الكفّ عن فِعْل . وصيغته «لا تَفْعَل»؛ وهى حقيقة فى التحريم ، وترد مجازاً لمعان ؛ منها :

الكراهة ؛ نحو[6] : « ولا تَمْشِ فى الأَرْضِ مَرحاً » .

والدعاء ؛ نحو[7] : « لا تُزِغْ قُلُوبَنا بعد إذ هدَيْتَنا » .

والإرشاد ؛ نحو[8] : « لا تَسْأَلُوا عن أشياءَ إنْ تُبْدَ لكم تَسُؤْكُم » .

والتسوية ؛ نحو[9] : « فاصْبِروا أو لا تَصْبِرُوا » .

---

(١) آل عمران : ٩٣ (٢) الأنعام : ١٥٠ (٣) الصافات : ١٠٢
(٤) الأنعام : ٩٩ (٥) مريم : ٣٨ (٦) الإسراء : ٣٧
(٧) آل عمران : ٨ (٨) المائدة ١٠١ (٩) الطور : ١٦

والاحتقار والتقليل ؛ نحو[١] : « ولا تَمُدَّنّ عيْنَيْكَ ... » الآية ، أى فهو قليل حقير .

وبيان العاقبة ، نحو[٢] : « ولا تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلُوا فى سبيل اللهِ أمواتاً بل أحياء عند ربِّهم » ، أى عاقبةُ الجهاد الحياة لا الموت .

واليَأس ، نحو[٣] : « لا تَعْتَذِرُوا اليومَ » .

والإهانة ، نحو[٤] : « اخْسَئُوا فيها ولا تُـكَلِّمُونَ » .

فصل

ومن أقسامه التمنى

وهو طلبُ حصول شيء على سبيل المحبة ، ولا يشترط إمكان المتمنَّى بخلاف المترجَّى ، لـكن نُوزِع فى تسمية تمنى المحال طلباً ، بأن ما لا يتوقَّع كيف يُطلب .

قال فى عروس الأفراح : فالأحسن ما ذكره الإمام وأتباعه من أن التمنى والترجى والنداء والقسم ليس فيها طلب ؛ بل هو تنبيه . ولا بِدْع فى تسميته إنشاء . انتهى .

وقد بالغ قوم فجعلوا التمنِّى من أقسام الخبر ، وأن معناه النفى ، والزمخشرى ممن جزم بخلافه ، ثم استشـكل دخول التـكذيب فى جوابه فى قوله[٥] : « يا ليتنا نُرَدُّ ولا نُـكَذِّبَ بآيات ربِّنا ... » إلى قوله : « وإنَّهم لـكاذِبُون » .

---

(١) الحجر : ٨٨ (٢) آل عمران : ١٦٩ (٣) التحريم : ٧
(٤) المؤمنون : ١٠٨ (٥) الأنعام : ٢٧ ، ٢٨

وأجاب[١] بتضمُّنه معنى العِدة فتعلق به التكذيب .

وقال غيره : التمنى لا يصح فيه الكذب ، وإنما الكذب فى المتمنَّى الذى يترجح عند صاحبه وقوعه ، فهو إذاً وارد على ذلك الاعتقاد الذى هو ظن ، وهو خبر صحيح . قال : وليس المعنى فى قوله : «وإنهم لكاذبون» أن ما تمنَّوا ليس بواقع ، لأنه ورد فى معـــرض الذم لهم ، وليس فى ذلك التمنى ذم ، بل التكذيب . ورد على إخبارهم عن أنفسهم أنهم لا يكذبون وأنهم يؤمنون .

وحرف التمنى الموضوع له « ليت » ، نحو[٢] : « يا ليتنا نُرَدُّ » . «[٣] يا ليْتَ قَوْمِى يَعْلَمُون » . «[٤] يا لَيْتَنِى كُنْتُ معهم فأفوزَ فوزاً عظيما » .

وقد يُتمنّى بهل حيث يُعْلَمَ فَقْدُهُ ، نحو[٥] : « فهل لنا من شُفَعاء فيشفَعُوا لنا » ، أو بِلَوْ ، نحو[٦] : « فلو أنّ لنا كَرّة فنكون » ، ولذا نُصِب الفعل فى جوابها .

وقد يُتَمنّى بلعل فى البعيد ، فيعطى حكم ليت فى نَصْبِ الجواب ، نحو[٧] : « لَعَلِّى أبلُغُ الأسبابَ أسبابَ السموات فأَطَّلِعَ » .

---

(١) الكشاف : ١ — ٢٨٨   (٢) الأنعام : ٢٧

(٣) يس : ٢٦   (٤) النساء : ٧٣   (٥) الأعراف : ٥٣

(٦) الشعراء : ١٠٢   (٧) غافر : ٣٦ ، ٣٧

فصل

ومن أقسامه الترجّى

نقل القرَافى[1] فى «الفُروق» الإجماع على أنه إنشاء ، وفرّق بينه وبين التمنى بأنه فى الممكن ، والتمنى فيه وفى المستحيل ؛ وبأن الترجى فى القريب ، والتمنى فى البعيد ؛ وبأن الترجى فى المتوقّع والتمنى فى غيره ؛ وبأن التمنى فى المعشوق للنفس ، والترجى فى غيره .

وسمعتُ شيخنا الكافيجى[2] يقول : الفرق بين التمنى وبين العَرْض هو الفرق بينه وبين الترجى .

وحرف الترجى : لعل ، وعسى ؛ وقد ترِدُ مجازاً لتوقع محذور ؛ ويسمى الإشفاق ؛ نحو[3] : « لعل الساعةَ قَرِيب » .



ومن أقسامه النداء

وهو طلب إقبال المدعوّ على الداعى بحرفٍ نائب مناب أدعو ، ويصحب فى الأكثر الأمر والنهى . والغالب تقدمه ؛ نحو[4] : « يأيُّها الناسُ اعبُدوا

---

(١) القراف هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المعروف بالقـرافى . وكتابه : « أنوار البروق فى أنوار الفروق » . توفى سنة ٦٨٤ هـ .

(٢) فى ب : الكلافيجى . (٣) الشورى : ١٧ (٤) البقرة : ٢١

ربكم » . «[1] يا عبادِ فاتقون » . « يأيها المزمّل قُم الليلَ إلّا قليلا » . « يا قَوْمِ استَغْفِرُوا ربّكم » . « يأيها الذين آمنوا لا تُقَدِّمُوا بين يَدَيِ الله ورسولِه » .

وقد يتأخّر ، نحو[2] : « تُوبُوا إلى اللهِ جميعاً أيها المؤمنون » .

وقد يصحب الجملة الخبرية فتعقبها جملة الأمر ؛ نحو[3] : « يأيها النّاس ضُرِبَ مَثَلٌ فاستمِعُوا لَهُ » . «[4] يا قَوْمِ هذه ناقةُ اللهِ لكم آيةً فذَرُوها» . وقد لا تعقبها ، نحو[5] : يا عبادِ لا خَوْفٌ عليكم » . «[6] يأيها الناس أنْتُمُ الفُقَرَاء » . «[7] يا أبت هذا تأويلُ رُؤْيَاى » .

وقد تصحبه الاستفهامية ، نحو[8] : « يا أبت لِمَ تعْبُد [٧٣ ب] ما لا يسمَعُ ولا يبْصِر » . «[9] يأيها النبيُّ لِمَ تحرّم » . «[10] يا قَوْمِ مَالِى أدْعوكم » .

وقد ترد صورة النــداء لغيره مجازاً ، كالإغراء والتحذير ؛ وقد اجتمعا فى قوله[11] : « ناقةَ اللهِ وسُقْيَاها » .

والاختصاص ، كقوله[12] : « رحمةُ اللهِ وبركاتُه عليكم أهْلَ البيت » .

والتنبيه ، كقوله[13] : « ألَا يَاسْجُدوا » .

والتعجب ، نحو[14] : « يا حسرةً على العبادِ » .

والتحسّر ، كقوله[15] : « يا ليتنى كُنْتُ تُرَابا » .

---

(١) الحجرات : ١ — (٢) النور : ٣١ — (٣) الحج : ٧٣
(٤) هود : ٦٤ — (٥) الزخرف : ٦٨ — (٦) فاطر : ١٥
(٧) يوسف : ١٠٠ — (٨) مريم : ٤٢ — (٩) التحريم : ١
(١٠) غافر : ٤١ — (١١) الشمس : ٣ — (١٢) هود : ٧٣
(١٣) النمل : ٢٥ — (١٤) يس : ٣٠ — (١٥) النبأ : ٤٠

قاعدة

أصل النداء بيا أن يكون للبعيد حقيقة أو حكماً ؛ وقد يُنادى بها القريب لنكتة ، منها إظهار الحرص فى وقوعه على إقبال المدعوّ ؛ نحو[1] : « يا مُوسى أَقْبِل ولا تَخَفْ » .

ومنها كون الخطاب المتلوّ معتنًى به ؛ كقوله[2] : « يأيها النَّاسُ اعبُدوا ربّكم » .

ومنها قصد تعظيم شأن المدعوّ ، نحو : « يا ربّ » . وقد قال تعالى[3] : « فإنّى قَرِيب » .

ومنها قصد انحطاطه ، كقول فرعون[4] : « وإنى لأظنُّك يا موسى مَسْحُورا » .

فائدة

قال الزمخشرى وغيره : كرر[5] فى القرآن النداء بيأيها دون غيره ، لأن فيه أوجها من التأكيد ، وأسباباً من المبالغة .

منها ما فى « يا » من التأكيد والتنبيه وما فى « ها » من التنبيه ، وما فى التدرج من الإبهام فى «أى» إلى التوضيح ، والمقامُ يناسب المبالغة والتأكيد ؛ « لأن » كل ما نادى الله عباده من أوامره ونواهيه ، وعظاته وزواجره ، ووعده

---

(١) القصص : ٣١ (٢) البقرة : ٢١ (٣) البقرة : ١٨٦
(٤) الإسراء : ١٠١ (٥) فى الإتقان : كثر .

ووعيده ، ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضية ، وغير ذلك مما أنطق الله به كتابه — أمورٌ عظام وخطوبٌ جسام ، ومعان واجب عليهم أن يتيقّظوا لها ، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم غافلون ، فاقتضى الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ .

فصل

ومن أقسامه القَسَم

نقل القَرَافى الإجماع على أنه إنشاء ، وفائدته تأكيد الجملة الخبرية وتحقيقها عند السامع .

ومن أقسامه الشرط .

* * *

الوجه التاسع والعشرون من وجوه إعجازه

إقسامه تعالى فى مواضع لإقامة الحجة وتأكيدها

وقد أفرده ابن القيّم (١) فى مجلد سماه « التبيان » .

فإن قلت : ما معنى القسم منه تعالى ؟ فإنه إن كان لأجل المؤمن فالمؤمن مصدّق بمجرد الإخبار من غير قسم ، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده .

وأجيب بأن القرآن نزل بلغة العرب ، ومن عادتها القسم إذا أرادت

---

(١) هو محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى الشهير بابن قيم الجوزية توفى سنة [illegible] هـ .
([illegible] إعجاز القرآن)

أن تؤكد أمرا ، حتى جعلوا مثل[1] : « واللهُ يشهدُ إنّ المنافقين لَكاذِبُون » — قسما ، وإن كان فيه إخبار بشهادة ، لأنه لما جاء توكيدا للخبر سمى قسما .

قال أبو القاسم القُشَيْرى : وذلك لأن الحكم يفصَل باثنين ، إما بالشهادة ، وإما بالقَسَم ، فذكر تعالى فى كتابه النوعين ، حتى لا تبقى لهم حجة ، فقال[2] : « شهِدَ اللهُ أنه لا إله إلا هو والملائكةُ وأُولو العلم قائماً بالقِسْط » . وقال[3] : « قل إى وربّى إنه لَحَقّ » . وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله تعالى[4] : « وفى السماء رِزْقُكم وما تُوعَدُون . فورَبِّ السماءِ والأرضِ إنه لَحَقٌّ » صاح[5] وقال : من الذى أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين .

ولا يكون القسم إلا باسم معظَّم . وقد أقسم اللهُ تعالى بنفسه فى القرآن فى سبعة مواضع : الآية المذكورة ؛ بقوله : « قُلْ إى وربّى » . « [6] قل بلى وربى لَتُبْعَثُنَّ » . « [7] فوَرَبِّكَ لنحشُرَنّهُمْ والشياطِينَ » . « [8] فوَرَبِّكَ لنسأَلَنَّهم أجمعين » . « [9] فلا وربِّك لا يُؤْمِنُون » . « [10] فلا أُقسم بربِّ المشارقِ والمغارب » .

والباقى كله قَسَم بمخلوقاته ، كقوله : « والتين والزيتون » . والصافّات . والليل . والشمس . والضُّحى . فلا أقسم بالخُنَّس .

فإن قيل : كيف أقسم بما يَخْلُق ، وقد ورد النهى عن القسم بغير الله ؟

قلت : أُجيب عنه بأجوبة :

---

(١) المنافقون : ١ (٢) آل عمران : ١٨ (٣) يونس : ٥٣
(٤) الذاريات : ٢٢ ، ٢٣ (٥) فى الإتقان : صرخ .
(٦) التغابن : ٧ (٧) مريم : ٦٨ (٨) الحجر : ٩٢
(٩) النساء : ٦٥ (١٠) المعارج : ٤٠

أحدها : أنه على حذف مضاف ، أى ورب التِّين ، ورب الشمس ، وكذا الباقى .

الثانى : أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتُقْسِم بها ، فنزل القرآن على ما يعرفون .

الثالث : أن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أو يحبه[1] ، وهو فوقه ، والله تعالى ليس [١٧٤ ا] شىء فوقه . فأقسم تارة بنفسه ، وتارة بمصنوعاته ، لأنها تدل على أنه بارىء صانع .

قال ابن أبى الإصبع — فى أسرار الفواتح : القَسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع ؛ لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل ؛ إذ يستحيل وجودُ مفعول من غير فاعل .

وأخرج ابن أبى حاتم عن الحسن ، قال : إن الله يقسم بما شاء من خلقه ، وليس لأحد أن يُقسم إلا بالله .

وقال العلماء : أقسم الله تعالى بالنبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : «لعَمْرُك» ، ليعرف الناس عظمتَه عند الله ومكانته لديه .

أخرج ابن مَرْدَويه عن ابن عباس ، قال : ما خلق الله ولا ذرأ ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا سمعت الله أَقسم بحياة مخلوق غيره ، قال[2] : « لَعَمْرُكَ إنهم لفى سَكْرَتِهم يَعْمهون » .

وقال أبو القاسم القُشيرى : القسم بالشىء لا يخرج عن وجهين : إما لفضيلة ،

---

(١) فى الإتقان : أو يجله .

(٢) الحجر : ٧٢

أو لمنفعة ، فالفضيلة كقوله : « وطُور سِينِينَ ، وهذا البَلَد الأمين » . والمنفعة ، نحو : « والتين والزيتون » .

وقال غيره : أقسم تعالى بثلاثة أشياء : بذاته كالآيات السابقة ، وبفعله نحو[1] : « والسماء وما بَنَاهَا ، والأرْض وما طَحَاها ، ونفسٍ وما سوَّاهَا » ، وبمفعوله نحو : « والنجْم إذا هوى » . « والطور . وكتابٍ مسطور » .

والقسم إما ظاهر كالآيات السابقة . وإما مضمر ؛ وهو قسمان : قَسم دلّت عليه اللام نحو[2] : « لتُبْتَلُوَنَّ فى أموالكم وأنفسكم » . وقسم دل عليه المعنى ؛ نحو[3] : « وإنْ منكم إلّا وَارِدُها » . تقديره : والله .

وقال أبو على الفارسى : الألفاظ الجارية مجرى القسم قسمان :

أحدها ما تكون كغيرها من الألفاظ التى ليست بقَسم ، فلا تُجاب بجوابه ، كقوله[4] : « وقد أخذ مِيثَاقكم إنْ كنْتُم مؤمنين » . «[5] وإذ أخَذْنَا ميثاقكم ورَفَعْنَا فوقكم الطُّور خُذُوا ما آتيناكم بقوّة » . «[6] فيَحْلِفُون له كما يَحْلِفُون لكم » .

وهذا ونحوه يجوز أن يكون قسما ، وأن يكون حالا لخلوّه من الجواب .

والثانى ما يتلقى بجواب القَسَم فى قوله[7] : « وإذ أخذ اللهُ ميثاقَ الذين أُوتوا الكتاب لَتُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا تكتمونه » . «[8] وأقسموا بالله جَهْد أيمانهم لئن أمَرْتَهم ليخرُجُنَّ » .

---

(١) الشمس : ٥ ـ ٧ (٢) آل عمران : ١٨٦ (٣) مريم ٧١
(٤) الحديد : ٨ (٥) البقرة : ٦٣ (٦) المجادلة : ١٨
(٧) آل عمران : ١٨٧ (٨) النور : ٥٣

وقال غيره : أكثر الأقسام فى القرآن المحذوفة الفعل لا تكون إلا بالواو ؛ فإذا ذكرت الباء أتى بالفعل ؛ كقوله : « وأقسموا بالله جَهْدَ أيمانهم » . « يحلِفُونَ بالله »[1] . ولا تجد الباء مع حذف الفعل . ومِن ثَمَّ كان خطأ مَنْ جعل قسما بالله[2]: « إنّ الشِّرْكَ لظُلْمٌ عَظِيم » . «ادْعُ لنا ربَّكَ بما عهِد عِنْدَكَ »[3] . «بحقٍّ إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فقد عَلِمْتَه »[4] .

وقال ابن القيّم : اعلم أنه سبحانه يقسم بأمور على أمور ، وإنما يقسم بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته ، وإقسامُه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته . فالقَسَم إما على جملة خبرية ، وهو الغالب، كقوله[5] : « فوَرَبِّ السماءِ والأَرض إنَّه لحقّ » . وإما على جملة طلبية ، كقوله[6] : « فوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أجمعين » . مع أن هذا القسم قد يُراد به تحقيق المقسم عليه ، فيكون من باب الخبر؛ وقد يُراد به تحقيق المقسم ؛ فالقسم عليه يُراد بالقسم توكيده وتحقيقه ؛ فلا بد أن يكون مما نحن[7] فيه ، وذلك كالأمور الغائبة[8] الخفيّة ؛ إذا أقسم على ثبوتها ؛ فأما الأمور المشهودة الظاهرة ، كالشمس ، والليل، والنهار، والسماء ، والأرض — فهذه يقسم بها ولا يُقْسَمُ عليها. وما أقسم عليه الرب فهو من آياته ، فيجوز أن يكون مُقْسَما به ، ولا ينعكس .

وهو سبحانه يذكر جواب القسم تارة وهو الغالب ، ويحذفه أخرى كما يحذف جواب « لو » كثيراً للعلم .

ولما كان القسم يكثر فى الكلام اختُصر ، فصار فعل القسم يحذف ويكتفى

---

(١) التوبة : ٦٢ (٢) لقمان : ١٣ (٣) الزخرف : ٤٩
(٤) المائدة : ١١٦ (٥) الذاريات : ٢٣ (٦) الحجر : ٩٢
(٧) فى الإتقان : يحسن . (٨) فى ط : الغائبة .

بالباء ، ثم عوّض من الباء الواو فى الأسماء الظاهرة ، والتاء فى اسم الله ؛ كقوله[1] : « تاللهِ لأَكِيدَنَّ أصنامَكم » . قال : ثم هو سبحانه يُقسم على أصول الإيمان التى يجب على الخلق معرفتها ، وتارة يقسم على التوحيد ، وتارة يُقسم على أن القرآن حق ، وتارة [٧٤ ب] على أن الرسول حق ، وتارة على الجزاء والوعد والوعيد ، وتارة على حال الإنسان :

فالأول كقوله : « والصافّات صفًّا ... » إلى قوله : « إنَّ إلهكم لوَاحِد » .

والثانى كقوله[2] : « فلا أُقسِمُ بمواقع النجوم ، وإنه لقَسَمٌ لو تَعْلمون عَظِيم . إنه لقُرآن كَرِيم » .

والثالث كقوله : « يس . والقرآن الحكيم . إنكَ لَمِنَ المُرْسَلين » . « والنجم إذا هَوَى ما ضلَّ صاحِبُكم وما غَوى ... » الآيات .

والرابع كقوله : « والذّارِيات ذَرْوًا ... » إلى قوله : « إنما تُوعَدُون لصادِق وإنَّ الدِّين لوَاقِع » . والمرسلات ... إلى قوله : إنما توعدون لواقع .

والخامس كقوله : والليل إذا يغشى... إلى قوله : « إنَّ سَعْيَكم لشتَّى... » الآيات . والعاديات...إلى قوله : « إن الإنسان لـكَنُود » . والعصر إن الإنسان لفى خُسْر ... الخ . والتّين والزيتون ... إلى قوله : لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تَقْوِيم . الآيات . « لا أقسم بهذا البلد ... » إلى قوله : « لقد خلقنا الإنسان فى كَبَد » .

قال : وأكثر ما يُحْذف الجواب إذا كان فى نفس المُقْسَم به دلالةٌ على

---

(١) الأنبياء : ٥٧

(٢) الواقعة : ٧٥ ـ ٧٧

القسم عليه، فإن المقصود يحصل بذكره ، فيكون حذفُ المقسم عليه أبلغ وأوجز، كقوله : ص ، والقرآن ذى الذِّكر ؛ فإن فى المُقْسَم به من تعظيم القرآن ووصفه بأنه ذو الذكر المتضمن لتذكير العباد ما يحتاجون إليه، والشرف والقدر — ما يدل على المقسم عليه ، وهو كونه حقا من عند الله غير مُفْتَرًى كما يقوله الكافرون ؛ ولهذا قال كثيرون : إن تقدير الجواب : إن القرآن لحقّ ، وهذا مطّرد فى كل ما شأنه[1] ذلك ؛ كقوله : ق، والقرآن المجيد . وقوله : «لا أُقسم بيوم القيامة» ؛ فإنه يتضمن إثبات المعاد . وقوله : والفجر... الآيات ؛ فإنها أزمان تتضمن أفعالاً عظيمة من المناسك وشعائر الحج التى هى عبودية محضة لله ، وذُلّ وخضوع لعظمته ؛ وفى ذلك تعظيم ما جاء به محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام .

قال : ومن لطائف القسم قوله : « والضُّحَى . والليل إذا سجَى... » الآيات ؛ أقسم تعالى على إنعامه على رسوله وإكرامه له ؛ وذلك متضمن لتصديقه له ، فهو قسم على صحة نبوته ، وعلى جزائه فى الآخرة ، فهو قسم على النبوءة والمَعَاد . وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته . وتأمّل مطابقة هذا القسم وهو نورُ الضُّحى الذى هو يُوافى بعد ظلام الليل للمقسمَ عليه ، وهو نورُ الوَحْى الذى وافاه بعد احتباسه عنه ، حتى قال أعداؤه : ودَّع محمدا ربّه ؛ فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحى ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه .

* * *

(١) فى الإتقان : ما شابه ذلك .

الوجه الثلاثون من وجوه إعجازه

اشتماله على جميع أنواع البراهين والأدلة

وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد يُبْنَى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به ؛ لكن أورده على عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين ، لأمرين :

أحدهما — بسبب ما قاله[1] : « وما أرسلْنَا مِنْ رسولٍ إلّا بلسان قومه لِيُبيِّنَ لهم » .

والثانى — أن المائل إلى دقيق المحاجّة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام ؛ فإن من استطاع أن يُفهم بالأوضح الذى يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذى لا يعرفه إلا الأقَلُّون ، ولم يكن مُلْغِزاً ، فأخرج تعالى مخاطباته فى محاجّة خَلْقه فى أجلى صورة؛ ليفهم العامة من جليلها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة ، وتَفْهَم الخواص من أثنائها ما يُرْبِى على ما أدركه فهم الخطباء .

وقد أفرد جدل القرآن بالتصنيف نجم الدين الطوفى[2] .

قال ابن أبى الإصبع[3] : زعم الجاحظ أن المذهب الكلامى لا يوجد منه شىء فى القرآن، وهو مشحون به، وتعريفه أنه احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجةٍ تقطع المعاندة فيه على طريقة أرباب الكلام . ومنه نوع منطقى تستنتج منه

---

(١) إبراهيم : ٤

(٢) هو سليمان بن عبد القادر بن عبد الكريم المعروف بنجم الدين الطوفى المتوفى سنة ٧١٦ هـ (الدرر الكامنة : ٢ — ١٥٤) .

(٣) بديع القرآن : ٣٧ ، ٣٨

النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة ؛ فإن الإسلاميين من أهل هذا العلم ذكروا أنَّ مِنْ أول سورة الحج إلى قوله[1] : « وأنَّ اللهَ يبعثُ مَنْ فى القبور » — خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات : قوله[2]: « ذَلِكَ [١٧٥] بأنَّ الله هو الحقّ » ؛ لأنه قد ثبت عندنا بالخبر المتواتر أنه تعالى أخبر بزلزلة الساعة معظِّماً لها ؛ وذلك مقطوع بصحته ، لأنه خبر أخبر به مَنْ ثبت صِدْقُه عمَّن ثبتت قدرتُه ، منقول إلينا بالتواتر ؛ فهو حق ، ولا يخبر بالحق عما سيكون إلا الحق ، فهو[3] الولى .

وأخبر تعالى أنه يحيى الموتى ، لأنه أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر ، وحصولُ فائدة هذا الخبر موقوفةٌ على إحياء الموتى ليشاهدوا تلك الأهوال التى يعلمها[4] اللهُ مِنْ أجلهم .

وقد ثبت أنه قادر على كل شىء ؛ ومن الأشياء إحيـاء الموتى ؛ فهو يحيى الموتى .

وأخبر تعالى أنه على كل شىء قدير ؛ لأنه أخبر أنه من يتبع الشياطين ، ومن يجادل فى الله بغير علم — يُذِقْه من عذاب السعير ؛ ولا يقدر على ذلك إلا من هو على كل شىء قدير ؛ فهو على كل شىء قدير .

وأخبر أن الساعة آتيةٌ لا رَيْبَ فيها ؛ لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه خلق الإنسان من تراب إلى قوله[5] : « لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بعد علم شيئا » . وضرب

---

(١) الحج : ٧ (٢) الحج : ٦

(٣) فى الإتقان وبديع القرآن : فالله هو الحق .

(٤) فى بديع القرآن : التى فعلها الله .

(٥) الحج : ٥

لذلك مثلا بالأرض الهامدة التى ينزل عليها الماء فتهتزّ وتربو ، وتُنبِتُ من كل زَوْجٍ بَهِيج. ومن خَلق الإنسان على ما أخبر به فأوجده بالخلق ثم أعدمه بالموت، ثم يعيده بالبعث ، وأوجد الأرض بعد العدم فأحياها بالخلق ثم أماتها بالمَحْل، ثم أحياها بالخصب، وصدق خَبَرُه فى ذلك كله بدلالة الواقع[1] الشاهد على المتوقع الغائب ، حتى انقلب الخبر عيانا — صدق خبره فى الإتيان بالساعة ، ولا يأتى بالساعة إلا من يبعث مَنْ فى القبور ؛ لأنها عبارة عن مدةٍ تقومُ فيها الأموات للمجازاة ، فهى آتية لا ريب فيها ، وهو سبحانه يَبْعَثُ مَنْ فى القبور[2].

وقال غيره : استدل سبحانه على المعاد الجسمانى بضُروب :

أحدها : قياس الإعادة على الابتـداء ، قال[3] : « كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودون » . «[4] كما بدأنا أوّل خَلْق نُعيده » . «[5] أفعيينا بالخَلْق الأول » .

ثانيها : قياس الإعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأولى ، قال[6]: « أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر ... » الآية .

ثالثها : قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات .

رابعها : قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر .

وقد روى الحاكم وغيره أن أبىّ بن خلف جاء بعَظْمٍ ففتّه ، فقال : أفَيُحْيِى اللهُ هذا بعد ما بَلِىَ ورَمّ ، فأنزل الله[7]: « قُلْ يُحْيِيها الذى أنشأها أوّل

---

(١) فى بديع القرآن : الشاهد .
(٢) إلى هنا من بديع القرآن .
(٣) الأعراف : ٢٩ (٤) الأنبياء : ١٠٤ (٥) ق : ١٥
(٦) يس : ٨١ (٧) يس : ٧٩ ، ٨٠

مرة وهو بكل خَلْقٍ عَليم » ؛ فاستدل سبحانه بردّ النشأة الأخرى إلى الأولى والجمع بينهما بعلة الحدوث . ثم زاد فى الحجاج بقوله[1] : « الذى جعل لكم من الشّجَر الأخضر ناراً » ؛ وهذه فى غاية البيان فى رد الشىء إلى نظيره ، والجمع بينهما من حيث تبديل الأعراض عليها .

خامسها : فى قوله[2] : « وأَقْسَمُوا باللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهم لا يبعَثُ اللهُ مَن يموت ، بلى ... » الآيتين ؛ وتقريرها أن اختلاف المختلفين فى الحقّ لا يوجب انقلابَ الحق فى نفسه ، وإنما تختلف الطرق الموصلة إليه ، والحقُّ فى نفسه واحد ؛ فلما ثبت أن ها هنا حقيقة موجودة لا محالة ، وكان لا سبيل لنا فى حياتنا إلى الوقوف عليها وقوفاً يوجب الائتلاف ويرفع عنا الاختلاف ؛ إذ كان الاختلاف مركوزاً فى فِطَرِنا ، وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله إلا بارتفاع هذه الجِبِلّة ، ونقلها إلى صورة غيرها — صح ضرورةً أن لنا حياة أخرى غير هذه الحياة ، فيها يرتفع الاختلاف والعناد ؛ وهذه هى الحالة التى وعد الله بالمصير إليها ؛ فقال[3] : « ونَزَعْنَا ما فى صدُورِهم مِنْ غِلّ إخوانا » ؛ فقد صار الخلاف الموجود ، كما ترى ، أوضح دليل على كَوْن البعث الذى ينكره المنكرون ؛ كذا قرره ابن السيّد .

ومن ذلك الاستدلال على أنّ صانع العالم واحد ، بدلالة التمانع المشار إليها فى قوله[4] : « لو كان فيهما آلهةٌ إلاّ اللهُ لفَسَدَتا » ؛ لأنه لو كان للعالم صانعان لكان لا يجرى تدبيرها على نظام ، ولا يتّسق على إحكام ، ولكان العجْز يلحقهما أو أحدها ؛ وذلك لأنه لو أراد أحدها إحياء جسم [٧٥ ب] وأراد الآخر

---

(١) ق : ١٥ (٢) النحل : ٣٨ ، ٣٩ (٣) الأعراف : ٤٣
(٤) الأنبياء : ٢٢

إماتته فإما أن تنفذ[1] إرادتُهما فيتناقض ؛ لاستحالة تجزىء الفعل إن فُرض الاتفاق ، أو لامتناع اجتماع الضدين إن فُرض الاختلاف ، وإما ألا تنفذ إرادتهما فيؤدى إلى عجزهما ، أو لا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدّى إلى عَجْزه ، والإله لا يكون عاجزاً .

فصل

[السبر والتقسيم]

من الأنواع المصطلح عليها فى علم الجدل السّبْر والتقسيم .

ومن أمثلته فى القرآن قوله تعالى[2] : « ثمانية أزواج من الضَّأن اثنَيْنِ ومِنَ المعز اثنين ... » الآيتين ؛ فإن الكفار لما حرّموا ذكورَ الأنعام تارة وإناثها أخرى رد تعالى ذلك عليهم بطريق السَّبْر والتقسيم ، فقال : إن الخلق لله ، خلق من كل زَوْج مما ذكر ذكراً وأنثى ، فبِمَ جاء تحريم ما ذكرتم ؟ وما علته ؟ لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة ، أو اشتمال الرحم الشامل لهما، أو لا يُدرى له[3] علة، وهو التعبُّدى ، بأنْ أخذ ذلك عن الله ، والأخذُ عن الله إما بوحْىٍ ، أو إرسال رسول ، أو سماع كلامه ومشاهدة تلقّى ذلك عنه ، وهو فى معنى قوله[4] : « أم كنتُم شُهَداءَ إذْ وصَّاكُمُ اللهُ بهذا » .

فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن وَجْهٍ[5] منها :

والأول يلزم عليه أن تكون جميع الذكور حراما .

---

(١) فى ب : تتعذر .

(٢) الأنعام : ١٤٣

(٣) فى الإتقان : أى ما علته .

(٤) الأنعام : ١٤٤

(٥) فى الإتقان : عن واحد منها .

والثانى يلزم عليه أن تكون جميع الإناث حراما .

والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معا ، فبطل ما فعلوه من تحريم بعض فى حالة وبعض فى حالة ؛ لأن العلة، على ما ذكر، تقتضى إطلاق التحريم ، والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدّعوه ، وبواسطة رسول كذلك ؛ لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبى صلى الله عليه وسلم . وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدّعَى، وهو أن ما قالوه افتراء على الله وضلال .

[القول بالموجب]

ومنها القول بالموجب ، قال ابن أبى الإصبع[1] : وحقيقته ردُّ كلام الخصم من فحوى كلامه .

وقال غيره : هو قسمان :

أحدها أن تقع صفة فى كلام الغير كناية عن شىء أثبت له حُكْم ، فيثبتها لغير ذلك الشىء ، كقوله تعالى[2] : « يقولونَ لَئِنْ رجَعْنَا إلى المدينة لَيُخْرِجَنّ الأَعَزُّ منها الأذَلّ وللهِ العِزّةُ ... » الآية ، فالأعزُّ وقعت فى كلام المنافقين كناية عن فريقهم ، والأذل كناية عن فريق المؤمنين ، وأثبت المنافقون لفريقهم إخراجَ المؤمنين من المدينة ، فأثبت الله فى الرد عليهم صفةَ العزة لغير فريقهم، وهو اللهُ ورسوله والمؤمنون ، وكأنه قيل : صحيح ذلك ليخرجنّ الأعزُّ منها الأذل ، لكن هم الأذل المخْرَج ، والله ورسوله الأعز المخرِج .

والثانى حَمْل لفظٍ واقع فى كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله ، بذِكرِ

---

(١) بديع القرآن : ٣١٤ (٢) المنافقون : ٨

متعلَّقه ، ولم أر مَنْ أورد له مثالا من القرآن . وقد ظفرتُ بآية منه ؛ وهى قوله تعالى[1] : « ومنهم الذين يُؤْذُون النبىّ ويقولون هو أُذُنٌ . قل أُذُنُ خَيْرٍ لكم » .

[التسليم]

ومنها التسليم ؛ وهو أن يُفرض المُحال ، إما منفياً أو مشروطاً بحرف الامتناع ، ليكون المذكور ممتنعَ الوقوع لامتناع وقوع شرطه ، ثم يسلِّمُ وقوع ذلك تسليما جدَليّاً ، ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه ؛ كقوله تعالى[2] : « ما اتَّخذ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وما كان معَهُ مِنْ إلهٍ ، إذاً لذهب كلُّ إلهٍ بما خلق ، ولعَلَا بعضُهم على بعْض » . المعنى ليس مع الله من إله ، ولو سُلِّم أن مع الله إلهاً لزم من ذلك التسليم ذهابُ كل إله من الاثنين بما خلق ، وعُلُوّ بعضهم على بعض ، فلا يتم فى العالم أمر ، ولا ينفذ حكم ، ولا تنتظم أحواله . والواقعُ خلاف ذلك ، ففَرْض إلهين فصاعدا محال ؛ لما يلزم عليه من المحال .

[الإسجال]

ومنها الإسْجَال ؛ وهو الإتيان بألفاظ تسجِّل على المخاطب وقوعَ ما خوطب به ، نحو قوله تعالى[3] : « ربّنا وآتِنَا ما وعَدْتنَا على رُسُلِك » . «[4] ربّنا وأَدْخلهم جنّاتِ عَدْن التى وعَدْتَهُمْ » ؛ فإن فى ذلك إسجالا بالإيتاء والإدخال، حيث وُصِفا بالوعد من الله الذى لا يُخْلِفُ وَعْدَه .

[الانتقال]

ومنها الانتقال ؛ وهو أن ينتقل المستدلُّ إلى استدلالٍ غير الذى كان آخذاً فيه، لكَوْن الخصم لم يفهم وَجْهَ الدلالة من الأول ، كما جاء فى مناظرة الخليل الجبار

(١) التوبة : ٦١ (٢) المؤمنون : ٩١ (٣) آل عمران : ١٩٤
(٤) غافر : ٨

لما قال له(١) : « رَبِّي الذى يُحْيِي ويُمِيت » ، فقال الجبار : أنا أُحيي وأُميت ، ثم دعا [١٧٦ /] بمَنْ وجب عليه القتْل فأعتقه ، ومن لا يجب عليه القتل فقتله ، فعلم الخليلُ أنه لم يفهم معنى الإحياء والإماتة ، أو علم بذلك وغالط بهذا الفعل ، فانتقل عليه السلام إلى استدلال لا يجد له الجبار وجهاً يتخلص به منه ، فقال(١) : « إنَّ اللهَ يَأْتِى بالشَّمْسِ من المَشْرِق فأْتِ بها من المغرب » . فانقطع الجبار وبُهِت ، ولم يمكنه أن يقول : أنا الآتى بها من المشرق ؛ لأن من هو أسنُّ منه يكذِّبه .

[المناقضة]

ومنها المناقضة ، وهى تعليق أمر على مستحيل إشارة إلى استحالة وقوعه ، كقوله تعالى(٢) : « ولا يدخلون الجنةَ حتى يَلِجَ الجملُ فى سَمِّ الخِيَاط » .

[مجاراة الخصم)

ومنها مجاراة الخصم ليعثُرَ ، بأن يسلم بعض مقدماته حيث يُراد تبكيته وإلزامه ، كقوله تعالى(٣): « إنْ أنتُم إلا بَشَرٌ مِثْلُنا تُرِيدونَ أنْ تَصُدُّونا ... » الآية ، فقوله : « إنْ نحن إلا بشرٌ مثلكم » فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية ، فكأنهم سلَّموا انتفاءَ الرسالة عنهم ، وليس مراداً ، بل هو من مجاراة الخصم ليعثر ، فكأنهم قالوا : ما ادَّعيتم مِنْ كوننا بَشَراً حقٌّ لا ننكره ، ولكن هذا لا ينافى أن يَمُنَّ الله علينا بالرسالة .

* * *

---

(١) البقرة : ٢٥٨ (٢) الأعراف : ٤٠ (٣) إبراهيم : ١٠ ، ١١

الوجه الحادى والثلاثون من وجوه إعجازه
ضَرْبُ الأمْثَالِ فيهِ ظاهرة ومُضْمَرة

وقد أفرده بالتصنيف الامام أبو الحسن الماوردى(١) رحمه الله تعالى. قال تعالى(٢) : « ولقد صَرَّفْنَا للناسِ فى هذا القرآن مِنْ كلِّ مَثَلٍ » . وقال(٣): « وتلك الأمثالُ نَضْرِبُهَا للناس وما يَعْقِلُهَا إلا العالِمُون » .

وأخرج البيهقى عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ؛ فاعملوا بالحلال ، واجتنبوا الحرام ، واتبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال(٤) .

قال الماوردى : من أعظم علم القرآن علمُ أمثاله ، والناس فى غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال وإغفالهم الممثلات ، والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام ، والناقة بلا زمام .

وقال غيره : وقد قال الشافعى : مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن معرفةُ ما ضُرِب فيه من الأمثال الدوالّ على طاعته ، المبينة لاجتناب معصيته .

وقال الشيخ عز الدين : إنما ضَرَب الله الأمثال فى القرآن تذكيراً ووعظاً ، فما اشتمل منها على تفاوت فى ثواب أو على إحباط عمل ، أو على مدح أو ذم أو نحوه — فإنه يدل على الأحكام .

---

(١) هو أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى ، الفقيه الشافعى ، صاحب كتاب « أدب الدنيا والدين » وغيره ، توفى سنة ٤٥٠ ببغداد .

(٢) الإسراء : ٨٩ (٣) العنكبوت : ٤٣

(٤) فى ب : واعتبروا بالألفاظ .

وقال غيره : ضَربُ الأمثال فى القرآن يستفاد منه أمور كثيرة : التذكير ، والوعظ ، والحث والزجر ، والاعتبار والتقرير ، وتقريب المراد للعقل ، وتصويره بصورة المحسوس ؛ فإن الأمثال تصوِّر المعانى بصورة الأشخاص ؛ لأنها أثبت فى الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس . ومن ثَمّ كان الغرض من المثل تشبيه الخفى بالجلىّ ، والغائب بالمشاهد .

وتأتى أمثال القرآن مشتملةً على بيان تفاوت الأجر ، وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب والعقاب ، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره ، وعلى تحقيق أمرٍ أو إبطاله ؛ قال تعالى[1] : « وضَرَبْنَا لَكُمُ الأمثال » ؛ فامتَنَّ علينا بذلك ؛ لما تضمنت من الفوائد .

قال الزركشى فى البرهان : ومن حكمته تعليم البيان ، وهو من خصائص هذه الشريعة .

وقال الزمخشرى : التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعانى ، وإدناء المتوهّم من المشاهد ؛ فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله ، وإن كان صغيراً كان المتمثل به كذلك .

وقال الأصبهانى : لضَرْب العرب الأمثال، واستحضار العلماء المثالَ والنظائر، شىء ليس بالخفىّ فى إبراز خفيّات الدقائق ، ورَفْع الأستار عن الحقائق ، تريك به المتخيل فى صورة المتحقّق ، والمتوهّم فى معرض المتيقّن ، والغائب كأنه مشاهد ؛ وفى ضَرْبِ الأمثال [٧٦ ب] تبكيتٌ للخَصْمِ الشديد الخصومة ، وقمعٌ لسَوْرَةِ الجامح الأبىّ ، فإنه يؤثّر فى القلوب ما لا يؤثّر وصف الشىء [illegible] ؛ ولذلك

(١) إبراهيم : ٤٥

أكثرَ الله تعالى فى كتابه وفى سائر كتبه الأمثال ، ومن سور الإنجيل سورة تسمى سورة الأمثال . وفشَتْ فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم وفى كلام الأنبياء والحكماء .

فصل

أمثال القرآن ، قسمان :

ظاهر مصرّح به ، وكامنٌ لا ذِكْر للمثَل فيه ؛ فمن أمثلة الأول[1] : « مَثَلُهم كَمَثَلِ الذى استَوْقَد ناراً ... » الآيات . ضرب الله فيها للمنافقين مثلين ؛ مثلا بالنار ، ومثلا بالمطر .

أخرج ابن أبى حاتم وغيره ، من طريق على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قال : هذا مثل ضربه الله للمنافقين ؛ كانوا يعتزون بالإسلام فينا كحهم المسلمون ، ويوارثونهم ، ويقاسمونهم الفىء ؛ فلما ماتوا سلبهم الله العز ، كما سُلب صاحب النار ضوءه . « وتركهم فى ظلمات » يقول : فى عذاب . أو كصَيِّبٍ — وهو المطر — ضرب مثله فى القرآن . فيه ظلماتٌ — يقول ابتلاء ، ورَعْد وبرق ، وتخويف . يكاد البرق يخطف أبصارهم ، يقول : يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين . كلما أضاء لهم مشوا فيه ، يقول : كلما أصاب المنافقون فى الإسلام عزّا اطمأنوا ، فإن أصاب الإسلام نكبة قاموا ليرجعوا إلى الكفر ؛ كقوله[2] : « ومِنَ الناس مَنْ يعبدُ اللهَ على حَرْف ... » الآية .

ومنها قوله تعالى[3] : « أنزل مِنَ السماءِ ماءً فسالَتْ أوْدِيةٌ بِقَدَرِها ... » الآية .

---

(١) البقرة : ١٧ (٢) الحج : ١١ (٣) الرعد : ١٧

أخرج ابن أبى حاتم من طريق على ، عن ابن عباس ، قال : هذا مَثَلٌ ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها ، فأمّا الزَّبد فيذهب جُفاءً ، وهو الشك ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ، وهو اليقين ، كما يُجْعل الحلى فى النار فيؤخذ خالصُه ويترك خَبَثُه فى النار ، كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك .

وأخرج عن عطاء ، قال : هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر .

وأخرج عن قتادة قال : هذه ثلاثة أمثال ضربها الله فى مَثَل واحد ، يقول : كما اضْمَحَل هذا الزَّبَدُ فصار جُفاء لا يُنتفع به ولا تُرْجى بركته ، كذلك يضمحل الباطل عن أهله ؛ وكما مكث هذا الماء فى الأرض فأمْرَعَتْ ونمت[1] بركَتُه ، وأخرجت نباتها ، وكذلك الذهب والفضة حين أدخل النار ، وذهب خبثه ، كذلك يبقى الحق لأهله . وكما اضمحل خبث هذا الذهب والفضة حين أدخل النار كذلك يضمحل الباطل عن أهله .

ومنها قوله تعالى[2] : « والبلدُ الطيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُه ... » الآية .

أخرج ابن أبى حاتم ، من طريق على ، عن ابن عباس ، قال : هذا مثل ضربه الله للمؤمن . يقول : هو طيب وعملهُ طيب ؛ كما أن البلد الطيب ثمرها طيب . والذى خبث ضُرِب مثلا للكافر ، كالبلد السبخة المالحة ؛ والكافر هو الخبيث وعمله خبيث .

ومنها قوله تعالى[3] : « أيَوَدُّ أحَدُكم أن تكونَ له جَنةٌ مِنْ نخيل وأعناب ... » الآية .

---

(١) فى الإتقان : وربت . (٢) الأعراف : ٥٨ (٣) البقرة : ٢٦٦

أخرج البخاري ، عن ابن عباس ، قال : قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فيمَنْ تَرَوْن نزلت هذه الآية : « أيَودُّ أحدكم » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم. فغضب عمر فقال : قولوا نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء . فقال : يابن أخي ؛ قل ولا تحقر نفسك . قال ابن عباس : ضُرِبَتْ مثلا لعمل . قال عُمر : أيّ عمل ؟ قال ابن عباس : لعملِ رَجُل غنيّ يعمل بطاعة الله ، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق[1] أعماله .

وأما الكامنة فقال الماوردي : سمعتُ أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب ابن إبراهيم يقول : سمعت أبي يقول : سألت الحسين بن الفضل ، فقلت : إنك [٧٧ ا] تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن ، فهل تجد في كتاب الله : «خَيْرُ الأمور أوساطها » ؟ قال : نعم . في أربعة مواضع : قوله[2]: « لا فَارِضٌ ولا بِكْرٌ عَوانٌ بَيْنَ ذلكَ » . وقوله[3] : « والذين إذا أنْفَقُوا لم يُسْرِفُوا ولم يَقْتُروا وكان بَيْنَ ذلكَ قَوَاما » . وقوله تعالى[4]: « ولا تَجْعَلْ يَدكَ مغلولةً إلى عُنقك ولا تَبْسُطْهَا كلَّ البَسْط » . وقوله[5] : « ولا تَجْهَرْ بصلاتِكَ ولا تُخَافِتْ بها وابْتَغ بين ذلكَ سَبِيلا » .

قلت : فهل تجد في كتاب الله : « مَن جهل شيئاً عاداه » ؟ قال : نعم ، في موضعين : «[6] بل كذَّبُوا بما لم يُحِيطُوا بعِلْمِه » . «[7] وإذ لم يَهْتَدُوا به فسيَقُولُون هذا إفْكٌ قَدِيم » .

قلت : فهل تجد في كتاب الله : « احذَرْ شَرَّ من أحسنْتَ إليه » ؟ قال :

---

(١) في الإتقان : أغرق .
(٢) البقرة : ٦٨
(٣) الفرقان : ٦٧
(٤) الإسراء : ٢٩
(٥) الإسراء : ١١٠
(٦) يونس : ٣٩
(٧) الأحقاف : ١١

نعم[١] : « وما نَقَمُوا إلا أن أغْنَاهُمُ اللهُ ورسوله مِنْ فَضْلِه » .

قلت . فهل تجد فى كتاب الله : « ليس الخبر كالعيان » ؟ قال : فى قوله[٢] : « أو لم تُؤْمِن . قال : بلى ، ولكن ليطمئنَّ قَلْبى » .

قلت : فهل تجد : « فى الحركات البركات » ؟ قال : فى قوله[٣] : « ومَنْ يُهاجِرْ فى سبيل الله يَجِدْ فى الأرض مُرَاغَمًا كثيراً وسَعَةً » .

قلت : فهل تجد : « كما تَدِين تُدَان » ؟ قال : فى قوله تعالى[٤] : « من يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ » .

قلت : فهل تجد فيه قولهم : « حين تَقْلِي تدرى » ؟ قال[٥] : « وسوف يعلمون حين يَرَوْن العذابَ مَنْ أضلُّ سبيلا » .

قلت : فهل تجد فيه : « لا يُلدغُ المؤمنُ من جُحْر مرّتين » ؟ قال[٦] : « هل آمَنُكم عليه إلا كما أمِنتُكُم على أخيه من قَبْل » .

قلت : فهل تجد فيه : « من أعان ظالماً سلّط عليه » ؟ قال[٧] : « كُتِبَ عليه أنه مَنْ تولاّهُ فإنه يُضِلُّه ويَهْدِيه إلى عذابِ السَّعِير » .

قلت : فهل تجدُ فيه قولهم: «لا تلد الحيةُ إلا الحيَّة؟» قال[٨]: « ولا يَلِدُوا إلا فاجراً كفّارا » .

قلت : فهل تجد فيه قولهم : « للحيطان آذان » ؟ قال[٩] : « وفيكم سمّاعُونَ لهم » .

---

(١) التوبة : ٧٤ (٢) البقرة : ٢٦٠ (٣) النساء : ١٠٠
(٤) النساء : ١٢٣ (٥) الفرقان : ٤٢ (٦) يوسف : ٦٤
(٧) الحج : ٤ (٨) نوح : ٢٧ (٩) التوبة : ٤٧

قلت : فهل تجد فيه قولهم : « الجاهل مرزوق والعالم محروم ؟ » قال [1] : « قُلْ مَنْ كان فى الضَّلَالةِ فليَمْدُدْ له الرحمنُ مَدّا » .

قلت : فهل تجد فيه : « الحلال لا يأتيك إلا قوتاً ، والحرام يأتيك جُزَافا » ؟ قال [2] : « إذْ تأتيهم حِيتَانُهم يوم سَبْتِهم شُرّعا ويَوْمَ لا يَسْبِتُون لا تأتيهم » .

فائدة

[ألفاظ من القرآن تجرى مجرى المثل]

عقد جعفر بن محمد شمس الخلافة فى كتاب « الآداب » باباً فى ألفاظ من القرآن جارية مَجْرى المثل ، وهذا هو النوع البديعى المسمّى بإرسال المثل ، وأورد من ذلك قوله سبحانه [3] : « ليس لها مِنْ دُونِ اللهِ كاشفةٌ » . « [4] لَنْ تنالوا البِرَّ حتى تُنفقوا مما تُحِبُّون » . « [5] الآن حَصْحَصَ الحقُّ » . « [6] وضرب لنا مَثَــلا ونَسِيَ خَلْقَه » . « [7] ذلكَ بما قَدّمَتْ يَدَاك » . « [8] قُضِيَ الأَمْرُ الذى فيه تَسْتَفْتِيَان » . « [9] أَلَيسَ الصُّبحُ بقَرِيب » . « [10] وحِيلَ بينهم وبَيْنَ ما يَشْتَهُون » . « [11] لكلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وسوف تعلمون » . « [12] ولا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّءُ إلا بأهله » . « [13] قُلْ كلٌّ يَعْمَلُ

---

(١) مريم : ٧٥ (٢) الأعراف : ١٦٣ (٣) النجم : ٥٨
(٤) آل عمران : ٩٢ (٥) يوسف : ٥١ (٦) يس : ٧٨
(٧) الحج : ١٠ (٨) يوسف : ٤١ (٩) هود : ٨١
(١٠) سبأ : ٥٤ (١١) الأنعام : ٦٧ (١٢) فاطر : ٤٣
(١٣) الإسراء : ٨٤

على شاكلتِه » . «(١) وعسى أن تكرهُوا شيئاً وهو خيْرٌ لكم » . «(٢) كلُّ نفسٍ بما كسبَتْ رَهِينَة » . «(٣) ما على الرسولِ إلّا البلاغ » . «(٤) ما على الْمُحسنين مِنْ سَبيل » . «(٥) هل جزَاءُ الإحسانِ إلا الإحسان » . «(٦) كم مِنْ فِئَةٍ قليلةٍ غلبَتْ فئةً كثيرةً بإذنِ الله » . «(٧) آلآن وقد عَصَيْتَ قَبْلُ » . «(٨) تحسَبُهم جميعاً وقلوبُهم شتّى » . «(٩) ولا يُنبِّئُك مثلُ خَبِـــير » . «(١٠) كلُّ حِزْبٍ بما لديهم فَرِحون » . «(١١) ولو عَلِم اللهُ فيهم خَيْرًا لأَسْمَعَهُم » . «(١٢) وقَليلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُور » . «(١٣) لا يكلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها » . «(١٤) لا يستوى الخبيثُ والطّيِّب » . «(١٥) ظَهر الفساد فى البر والبحر » . «(١٦) ضَعُفَ الطالبُ والمَطْلوب » . «(١٧) لِمِثْلِ هـذا فلْيَعْمَلِ العاملُون » . «(١٨) وقليلٌ ما هُمْ » . «(١٩) فاعْتَبروا يا أُولى الأَبصار » فى ألفاظ أخر .

* * *

(١) البقرة : ٢١٦ — (٢) المدثر : ٣٨ — (٣) المائدة : ٩٩

(٤) التوبة : ٩١ — (٥) الرحمن : ٦٠ — (٦) البقرة : ٢٤٩

(٧) يونس : ٩١ — (٨) الحشر : ١٤ — (٩) فاطر : ١٤

(١٠) الروم : ٣٢ — (١١) الأنفال : ٢٣ — (١٢) سبأ : ١٣

(١٣) البقرة : ٢٨٦ — (١٤) المائدة : ١٠٠ — (١٥) الروم : ٤١

(١٦) الحج : ٧٣ — (١٧) الصافات : ٦١ — (١٨) ص : ٢٤

(١٩) الحشر : ٢

الوجه الثاني والثلاثون من وجوه إعجازه

ما فيه من الآيات الجامعة للرّجاء والعدْل والتّخْويف فتارة يرجّي وتارة يخوّف

قال السِّلَفي في المختار من الطيوريات : عن الشعبي ، قال : لقي عُمر ابن الخطاب رَكْبًا في سفر فيهم ابن مسعود ، فأمر رجلا يُناديهم من أين القوم؟ قالوا : أقبلنا [٧٧ ب] من الفجّ العَمِيق نُريد البيت العتيق . فقال عمر : إن فيهم لعالما ، فأمر رجلا أنْ يناديهم : أيُّ القرآن أفضل[١] ؟ فأجاب عبد الله[٢] : « اللهُ لا إلهَ إلا هو الحيُّ القيُّوم » . قال : نادهم أي القرآن أحكم ، فقال ابن مسعود[٣] : « إنَّ اللهَ يأمرُ بالعَدْلِ والإحسان » . قال : نادِهم أيُّ القرآن أجمع ؟ قال[٤] : « فمن يَعْمَلْ مِثْقَال ذَرَّةٍ خيراً يَرَه ، ومَنْ يعمل مثقالَ ذَرَّةٍ شرًّا يَرَه » . قال : فنادهم أي القرآن أحزن ؟ فقال[٥] : « من يعمل سُوءاً يُجْزَ به » . قال : فنادهم أي القرآن أرْجَى ؟ فقال[٦] : « قل يا عبادِيَ الذين أسرفُوا على أنفسهم لا تَقْنَطُوا من رَحْمَةِ اللهِ » ؟ فقال : أفيكم ابن مسعود ؟ فقالوا : نعم . أخرجه عبد الرزاق في تفسيره بنحوه .

وأخرج عبد الرزاق أيضا عن ابن مسعود ، قال : أعدل آية في القرآن[٧] : « إنَّ اللهَ يأمرُ بالعَدْلِ والإحسان » . وأحكم آية[٨] : « فمن يعمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خيراً يَره ... » الآية .

---

(١) في الإتقان : أعظم .
(٢) البقرة : ٢٥٥
(٣) النحل : ٩٠
(٤) الزلزلة : ٧ ، ٨
(٥) النساء : ١٢٣
(٦) الزمر : ٥٣
(٧) النحل : ٩٠
(٨) الزلزلة : ٧ ، ٨

وأخرج الحاكم أنه[١] قال : إنَّ أجمع آيةٍ فى القرآن للخير والشر[٢] : « إنَّ اللهَ يأمرُ بالعَدْل والإحسان » .

وأخرج الطبرانى عنه ، قال : ما فى القرآن آية أعظم فَرَجًا من آيةٍ فى سورة الغُرَف[٣] : « قُلْ يا عِبَادِى الذين أسرفُوا على أنفسهم ... » الآية . وما فى القرآن آية أكثر تفويضاً من آيةٍ فى سورة النساء القُصْرى[٤] : « ومَن يتوكَّلْ عَلَى اللهِ فهو حَسْبُه ... » الآية .

وأخرج أبو ذَرّ الهروى فى فضائل القرآن ، من طريق يحيى بن يعمر ، عن ابن عُمر ، عن ابن مسعود ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنَّ أعظم آية فى القرآن : « الله لا إله إلا هو الحىّ القيوم » . وأعدل آية : « إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان ... » الخ . وأخوف آية : « فمن يَعْمَلْ مثقالَ ذَرَّة خيراً يرَه ... » الآية . وأرجى آية : « يا عبادى الذين أسرفُوا على أنفسهم » .

وقد اختلف فى أرْجَى آيةٍ فى القرآن ؛ فقيل[٥] : هذه .

وقال ابن عباس[٦] : « أو لم تُؤْمِنْ ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئنَّ قلبى » . قال : فرضى منه بقوله : بلى ؛ فهذا لما يعترض فى الصَّدْر مما يُوَسْوِسُ به الشيطان .

وقال أبو نعيم فى الحِلْية ، عن على بن أبى طالب ، أنه قال : إنكم يا معشر

---

(١) فى الإتقان : عنه . (٢) النحل : ٩٠ (٣) الزمر : ٥٣

(٤) الطلاق : ٣

(٥) فى الإتقان : وقد اختلفوا فى أرجى آية فى القرآن على بضعة عشر قولا ، أحدها : آية الزمر ... (٦) البقرة : ٢٦٠

أهل العـــــراق تقولون : أرجى آية في كتاب الله : « قل يا عبادى الذين أسرفوا ... » الآية ؛ لـكنا أهل البيت نقول : إن أرجى آية في كتاب الله[١]: « ولسوفَ يُعْطِيك رَبُّك فترْضَى » . وهى الشفاعة .

وأخرج الواحدى[٢] ، عن على بن الحسين ، قال : أشد آية على أهل النار[٣] : « فذُوقُوا فلَنْ نَزِيدَكم إلَّا عذَابًا » . وأرجى آية في القرآن لأهل التوحيد[٤] : « إن اللهَ لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ به » .

وأخرج مسلم في صحيحه ، عن ابن المبارك ، أيّما آية أرجى عندى لهذه الأمة من قوله تعالى[٥] : « ولا يَأْتَلِ أُولو الفَضْلِ منكم ... » إلى قـــــوله : « ألا تُحِبُّونَ أنْ يَغْفِرَ اللهُ لـكم» ؛ لأنه أوصى بالإحسان إلى القاذف ، وعاتب حبيبه على عدم الإحسان إليه ، فقال : « ألا تُحِبُّونَ أن يغفر اللهُ لـكم » ؛ أى كما تحبون أن يغفر الله لـكم كذلك اغفروا أنتم لمن أساء إليـكم . ولما نزلت قال أبو بكر : إنى لأحب أن يغفر الله لى، ثم ردّ النفقة التى كان ينفق على مِسْطَح إليه ، وكفّر عن يمينه .

وأخرج ابنُ أبى الدنيا في كتاب التوبة ، عن أبى عثمان النَّهْدى ، قال : ما في القرآن أرجى عندى لهذه الأمة من قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خَلَطُوا عملاً صالحاً وآخرَ سيِّئا » ؛ لأن عسى من الله لما يُرْجى أن يتحقق وقوعه .

وقال أبو جعفر النحاس : إن قوله تعالى[٦] : « فهل يُهْلَكُ إلاَّ القَوْمُ

---

(١) الضحى : ٤ — (٢) ف ب : الواقدى . — (٣) النبأ : ٣٠
(٤) النساء : ٤٨ — (٥) النور : ٢٢ — (٦) الأحقاف : ٣٥

الفاسِقُون » — أرجى آية ، إلا أن ابن عباس قال : أرجى آية فى القرآن[١] : « وإنّ ربّك لذُو مَغْفرةٍ للناس على ظُلْمِهم » ، ولم يقل على إحسانهم .

وروى الهروى فى مناقب الشافعى ، عن ابن عبد الحكم ، قال : سألت الشافعىّ أى آية أرجى ؟ قال[٢] : « يَتِيمًا ذا مَقْرَبَةٍ أو مِسْكِيناً ذا مَتْرَبَةٍ » .

وسألتُه عن أرجى حديث للمؤمن ، قال : إذا كان يوم القيامة يُدفع لكل مسلم رجلٌ من الكفار فداؤه .

وحكى الكَرْمَانى فى كتاب العجائب أن أرجى آية[٣] : « إنَّا قد أُوحى إلينا أنّ العذابَ على مَنْ كذَّب وتوَلّى » .

وحكى النووى — فى رءوس المسائل — أن أرجى آية[٤] : « قل كلٌّ يعمَلُ على شاكِلته » . «[٥] وهَلْ نُجَازِى إلاّ الكَفُور » . «[٦] وما أصابَكُمْ مِنْ مُصيبةٍ فَبِماَ كسبَتْ أيديكم ويَعْفُو عن كَثِير » .

وفى مُسند أحمد عن على بن أبى طالب ، قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله تعالى ، حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير» . وسأفسرها [١٧٨ ا] لك يا علىّ : ما أصابكم من مرض ، أو عقوبة ، أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم ، والله أكرم من أن يثنّى العقوبة ، وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عَفْوه .

وقال الشِّبْلىّ : أرجى آية[٧] : « قل للذين كفرُوا إنْ يَنْتَهوا يُغْفَرْ لهم

---

(١) الرعد : ٦ (٢) البلد : ١٥ ، ١٦ (٣) طه : ٤٨
(٤) الاسراء : ٨٤ (٥) سبأ : ١٧ (٦) الشورى : ٣٠
(٧) الأنفال : ٣٨

ما قد سلف » ؛ لأنه إذا أذن للكافر بدخول الباب إذا أتى بالتوحيد والشهادة أفتراه يخرج الداخل فيها والمقيم عليها .

وقيل : إن قوله تعالى[1] : « غافر الذّنب وقَابِلِ التّوْب شديد العقاب ذى الطَّوْلِ » . لتعقيب هـــذا الوعيد العظيم بوعد كريم ، وهكذا رحمة الله عز وجل تغلب غضبه . وهذه كالآية الأخرى[2]: «فإن مع العُسْر يُسرا . إنّ مع العسر يُسرا » .

وحكى الثعلبي عن أهل الإشارة أنه تعالى غافر الذنب فَضْلًا ، وقابل التوب وَعْداً ، شديد العقاب عَدْلا .

فإن قلت : ما بال الواو فى قوله : وقابل التّوْب ؟ قلتُ : فيها نـكتة جليلة ؛ وهى إفادةُ الجمع للمذنب التائب بين رحمتين ؛ بين أن تُقْبل توبته فيـكتبها له طاعة من الطاعات ، وأن يجعلها ممحاة للذنوب كأن لم يذنب ، كأنه قال : جامع المغفرة والقبول .

وحكى الطبرى عن أبى عيّاش أن رجلا جاء إلى عمر رضى الله عنه ، فقال : إنى قتلتُ نفساً فهل لى من توبة ، فقال : نعم ، افعل ولا تيأس . ثم قرأ هذه الآية إلى قوله : غافر الذنب وقابل التّوْب .

وروى[3] أنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام ، فقيل : له تتابع فى هذا[4] الشراب . فقال عمر لـكاتبه : اكتب من عمر إلى فلان : سـلام عليك ، وأنا أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو . بسم الله الرحمن الرحيم . حم

---

(١) غافر : ٣ (٢) الشرح : ٥ ، ٦ (٣) القرطبى : ١٥ – ٢٩١

(٤) فى ب : هذه .

تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ، غافر الذّنْبِ وقابِلِ التّوْب ... إلى قوله : «إليه المَصِير» .

وختم الكتاب وقال لرسوله : لا تدفعه إليه حتى تجده صاحياً ، ثم أمر مَنْ عنده بالدعاء له بالتوبة .

فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول : قد وعدنى . قد وعـــدنى الله أن يغفر لى ، وحذّرنى عقابه ، فلم يبرح يرددها حتى بكى ، ثم نزع فأحسن النزوع ، وحسنَتْ توبته .

فلما بلغ عمر أمرُه قال : هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم قد زلّ زلة فسدّدوه ، ووفّقوه ، وادعوا الله له أن يتوب عليـــه ، ولا تكونوا أعواناً للشياطين عليه .

أخذ ذلك من الحديث الذى أمر صلى الله عليه وسلم برجمه فقالوا : أخزاه الله . فقال صلى الله عليه وسلم : هَلاّ قلتم اللهم اغفر له ! لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم .

وقيل : أرجى آيةٍ آيةُ الدَّيْن؛ ووجهه أنّ اللهَ أرشد عبادَه إلى مصالحهم الدنيوية ، حتى انتهت العنايةُ بمصالحهم إلى أمرهم بكتابة الدين الكثير والحقير ؛ فمقتضى ذلك تَرجّى عَفْوه عنهم ؛ لظهور العناية العظيمة بهم .

قلت : ويلحق بهذا ما أخرجه ابن المنذر ، عن ابن مسعود ، أنه ذكر عنده بنو إسرائيل وما فضّلهم الله به ، فقال : كان بنو إسرائيل إذا أذنب أحدهم ذنباً أصبح وقد كُتبت كفّارته على أُسْكُفّةِ[1] بابه ، وجُعلت كفارة ذنوبكم قولا

---

(١) الأسكفة : خشبة الباب التى يوطأ عليها .

تقولونه ، تستغفرون الله فيغفر لكم . والذى نفسى به ، لقد أعطانا الله آية لهى أحبُّ إلىّ من الدنيا وما فيها[1] : « والذين إذا فَعَلُوا فاحِشَةً أو ظَلَمُوا أنفُسهم ... » الآية .

وما أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب التوبة عن ابن عباس ، قال : ثمانى آيات فى سورة النساء هنّ خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت : أولهن[2] : « يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لكم ويَهْدِيَكم سُنَنَ الذين مِنْ قَبْلكم ويتوب عليكم » . والثانية[3] : « والله يُريد أن يتوبَ عليكم ويُريد الذين يتّبعون الشهوات » . والثالثة[4] : « يُريد اللهُ أن يخفّفَ عنكم » . والرابعة[5] : « إنْ تجتنبوا كبائرَ ما تُنْهَوْن عنه ... » الآية . والخامسة[6] : « إنَّ الله لا يظلم مِثْقَالَ ذَرّة ... » الآية . والسادسة[7] : « ومَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أوْ يَظْلِمْ نَفْسَه ثم يستغفر اللهَ ...» الآية . والسابعة[8]: « إنّ اللهَ لا يغفرُ أن يُشرك به ... » الآية . والثامنة[9] : « والذين آمَنُوا بالله ورسله ولم يفرّقُوا بين أحدٍ منهم ...» الآية .

وما أخرجه ابنُ أبى حاتم ، عن عكرمة ، قال : سُئل ابن عباس : أىّ آية أرخص[10] فى كتاب الله ؟ قال : قوله تعالى[11] : « إنّ الذين قالوا ربُّنا الله [٧٨ ب] ثم استقاموا » .

(١) آل عمران : ١٣٥ (٢) النساء : ٢٦ (٣) النساء : ٢٧
(٤) النساء : ٢٨ (٥) النساء : ٣١ (٦) النساء : ٤٠
(٧) النساء : ١١٠ (٨) النساء : ٤٨ (٩) النساء : ١٥٢
(١٠) هذا فى الأصول . وهو من الرخصة كما سيأتى بعد قليل .
(١١) فصلت : ٣٠

أشد آية : أخرج ابن راهويه فى مسنده ، أخبرنا أبو عامر[1] العَقَدى ، حدثنا عبد الجليل بن عطية، عن محمد بن المنتشر، قال : قال رجل لعمر بن الخطاب : إنى لأعرف أشد آية فى كتاب الله ، فأهوى عمر فضربه بالدِّرّة ، فقال: مالك ! فنقَّبْتُ عنها حتى علمتها ؟ ما هى ؟ قال[2] : «مَنْ يعمل سوءاً يُجْزَ به » . فما منّا أحدٌ يعمل سوءاً إلا جُوزى به . فقال عمر : لبثنا حين نزلت ما ينفعنا طعام ولا شراب ، حتى أنزل الله بعد ذلك ورخّص[3] : « ومَنْ يعملْ سوءاً أو يظلِمْ نَفْسَه ثم يستغفر اللهَ يجد اللهَ غفوراً رحيما » .

وأخرج ابن أبى حاتم عن الحسن ، قال : سألت أبا بَرْزَة الأسلمى عن أشدّ آية فى كتاب الله على أهل النار ، قال[4] : « فذُوقوا فلَنْ نزيدكم إلا عذابا » .

وفى صحيح البخارى ، عن سفيان، قال : ما فى القرآن آية أشد على عباده من[5] : « لستم على شىء حتى تُقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربّكم » .

وأخرج ابن جرير، عن ابن عباس، قال : ما فى القرآن أشد توبيخاً من هذه الآية[6] : « لولا ينْهاهم الرّبانيون والأحبارُ عن قولهم الإثم وأكْلِهم السُّحْتَ ... » الآية .

وأخرج ابن المبارك ، فى كتاب الزهد ، عن الضحاك بن مُزاحم فى قول الله[6]: « لولا ينهاهم الربَّانيون والأحبار عن قولهم الإثمَ وأكْلِهم السُّحتَ » . قال : والله ما فى القرآن آيةٌ أخوف عندى منها .

---

(١) فى الإتقان : أبو عمر — تحريف ، وهو أبو عامر عبد الملك بن عمرو العقدى ، يروى عن شعبة (اللباب : ١ — ١٤٤) .

(٢) النساء : ١٢٣ (٣) النساء : ١١٠ (٤) النبأ : ٣٠

(٥) المائدة : ٦٨ (٦) المائدة : ٦٣

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن الحسن ، قال : ما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية كانت أشد عليه من قوله[1] : « وتُخفِي في نفسك ما اللهُ مُبْدِيه ... » الآية .

وأخرج ابن المنذر ، عن ابن سيرين ، قال : لم يكن عندهم شيء أخوف من هذه الآية[2] : « ومِنَ الناسِ مَنْ يقولُ آمنَّا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » .

وعن أبي حنيفة : أخوف آية في القرآن[3] : « واتقُوا النارَ التي أُعِدَّت للكافرين » .

وقال غيره[4] : « سنَفْرُغُ لكم أيُّهَا الثَّقَلان » . ولهذا قال بعضهم : لو سمعتُ هذه الكلمة من خفير الحارة لم أنم .

وفي النوادر لأبي[5] زيد : قال مالك : أشدُّ آية على أهل الأهواء قوله تعالى[6] : « يوم تبيضُّ وجوهٌ وتسوَدُّ وجوه ... » الآية ، وتأوَّلها على أهل الأهواء .

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن أبي العالية ، قال : آيتان في كتاب الله ما أشدهما على مَن يجادلُ في الله[7] : «[8] ما يجادِلُ في آيات الله إلاّ الذين كفروا » . «[9] وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شِقَاق بَعيد » .

وقال بعضهم : إن الله تعالى أنزل على نبيه خمس آيات لو لم تكن إلا واحدة

---

(١) الأحزاب : ٣٧ (٢) البقرة : ٨ (٣) آل عمران : ١٣١
(٤) الرحمن : ٣١ (٥) في ب : لابن أبي زيد . (٦) آل عمران : ١٠٦
(٧) في الإتقان : يجادله فيه . (٨) غافر : ٤
(٩) البقرة : ١٧٦

لـكان ينبغى لنا ألا نأكل ولا نشرب ؛ أولها قوله تعالى[1] : « أَمْ حَسِبَ الذين اجْتَرَحُوا السَّيِّئات» . والثانية قوله تعالى[2]: « أفمن يُلْقَى فى النارِ خَيْرٌ» . والثالثة[3] : « أفَمَنْ كان مُؤْمِناً كَمَنْ كان فاسِقاً » . والرابعة[4] : « أفَحَسِبْتُمْ أنَّمَا خَلَقْنَاكُم عَبَثاً » . والخامسة[5] : « سنَفْرُغُ لكم أيُّهَا الثَّقَلان » .

وقال السعيدى : سورة الحجِّ من أعاجيب القرآن ؛ فيها مكىّ ومدنىّ ، وحضرى وسفرى ، وليلى ونهارى ، وحربى وسلمى ، وناسخ ومنسوخ . فالمكىّ من رأس الثلاثين إلى آخرها ، والمدنى من رأس خمس عشرة إلى رأس الثلاثين ، والليلى خمس آيات من أولها ، والنهارى من رأس تسع آيات إلى رأس اثنتى عشرة آية . والحضرى إلى رأس العشرين .

قال : والسفرى أولها . والناسخ[6] : « أُذِنَ للَّذِين يُقَاتَلون بأنهم ظُلِمُوا ... » الآية . والمنسوخ[7] : « اللهُ يحكُمُ بينكم ... » الآية . نسختها آية السيف . وقوله[8] : « وما أرسلنا مِنْ قبلك ... » الآية . نسختها[9] : « سنُقْرِئُك فلا تَنْسَى » .

وقال الكرمانى : ذكر المفسرون أن قوله تعالى[10] : « يأيُّها الذين آمنوا شَهَادةُ بينكم ... » الآية — مِنْ أشكل آية فى القرآن حكماً ومعنى وإعراباً .

---

(١) الجاثية : ٢١ (٢) فصلت : ٤٠ (٣) السجدة : ١٨
(٤) المؤمنون : ١١٥ (٥) الرحمن : ٣١ (٦) الحج : ٣٩
(٧) الحج : ٦٩ (٨) الحج : ٥٢ (٩) الأعلى : ٦
(١٠) المائدة : ١٠٦

وقال غيره : قوله تعالى[١] : « يا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينتكم عند كلِّ مَسجد » جمعت أصولَ أحكام الشريعة كلها : الأمر والنهى ، والإباحة والخبر .

وقال الكرمانى فى العجائب فى قوله تعالى[٢] : « نحن نقصّ عليكَ أحسنَ القصص » . قيل هو قصة يوسف ؛ وسماها أحسن القصص لاشتمالها على ذكر حاسد ومحسود ، ومالك ومملوك ، وشاهد ومشهود ، وعاشق ومعشوق ، وحَبْس وإطلاق ، وسجن وخلاص ، وخصب وجَدْب ، وغيرها مما يعجز عن بيانها طوق الخلق .

وقال : ذكر أبو عبيدة عن رؤبة : ما فى القرآن أغرب[٣] من قوله[٤] : « فاصْدَعْ بما تُؤْمَر » .

وقال ابن خالويه فى كتاب « ليس » : [١٧٩] ليس فى كلام العرب لفظ جمع لغات ما النافية إلا حرف واحد فى القرآن جمع اللغات الثلاث ، وهى قوله تعالى[٥] : « ما هُنَّ أُمَّهَاتِهم » — قرأ الجمهور بالنصب ، وقرأ بعضهم بالرفع ، وقرأ ابن مسعود ما هن بأمهاتهم — بالباء . قال : وليس فى القرآن لفظ على افعوعل إلا فى قراءة ابن عباس[٦] : ألا إنهم تَثْنَوْنِى صدورُهم .

وقال بعضهم : أطول سورة فى القرآن البقرة ، وأقصرها الكوثر ، وأطول آية فيه آية الدَّين ، وأقصر آية فيه : والضحى ، والفجر . وأطول كلمة فيه رسما فأَسْقَيْنَاكُمُوه .

وفى القرآن آيتان[٧] جمعت كلٌّ منهما حروف المعجم[٨] : « ثم أنزل عليكم

---

(١) الأعراف : ٣١ (٢) يوسف : ٣ (٣) فى الإتقان : أعرب .
(٤) الحجر : ٩٤ (٥) المجادلة : ٢
(٦) هود : ٥ ، وقراءة حفص : ألا إنهم يثنون صدورهم . . .
(٧) القرطبى : ٩ ــ ٥ (٨) آل عمران : ١٥٤

مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنةً نُعَاسا ... » الآية . «[1] محمد رسولُ الله ...» الآية . وليس فيه حاءٌ بعد حاء بلا حاجز إلا : فى موضعين : «عقدة النكاح حتى» . « لا أبرحُ حَتَّى» . ولا كافان كذلك إلا : ما سَلَكَكُمْ . مناسككم. ولا غينان كذلك الا[2] : « ومَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً » . ولا آية فيها ثلاث وعشرون كافاً إلا آية الدَّين . ولا آيتان فيهما ثلاثة عشر وقفاً إلا آية المواريث . ولا ثلاث آيات فيها عشر واوات إلا : والعصر . . . إلى آخرها . ولا سورة إحدى وخمسون آية فيها اثنان وخمسون وقفاً إلا سورة الرحمن . ذكر أكثر ذلك ابن خالويه .

وقال أبو عبد الله الخَبّازىّ المقرىء : أول ما وردت على السلطان محمود ابن ملكشاه سألنى عن آية أولها غين . فقلت : ثلاث : غافر الذنب . وآيتان بخلف : « غير المغضوب عليهم » و « غُلِبت الروم » .

ونقلت من خط شيخ الإسلام ابن حَجر فى القرآن أربع شدات متواليات : فى قوله[3] : « نَسِيّا . رَبّ السموات » . «[4] فى بَحْرٍ لُجِّيٍ يَغْشَاهُ مَوْج » . «[5] قولًا مِنْ ربٍّ رَحيم » . «[6] ولقد زينّا السماء » .

* * *

---

(١) الفتح : ٢٩ (٢) آل عمران : ٨٥ (٣) مريم : ٦٤ ، ٦٥
(٤) النور : ٤٠ (٥) يس : ٥٨ (٦) الملك : ٥

الوجه الثالث والثلاثون من وجوه إعجازه

ورود آيات مُبهمة يَحِيرُ العقل فيها

وقد أفرده بالتأليف السهيلي[١]، ثم ابن عسكر[٢]، ثم القاضي بدر الدين ابن جماعة[٣]؛ ولي فيه تأليف لطيف، وكان من السلف من يعتني به كثيراً: ومرجعُه للنقل المحض، وسأذكر ما يَسّر الله بعد أن تعلم أن للإبهام أسباباً:

[أسباب الإبهام]

أحدها: الاستغناء ببيانه في موضع آخر؛ كقوله: « صِرَاطَ الذين أنْعمتَ عليهم »؛ فإنه مبيّن في قوله[٤]: « مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ... » الآية.

الثاني: أن يتعين لاشتهاره؛ كقوله[٥]: « وقُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أنْتَ وزَوْجُكَ الجنّةَ ». ولم يقل حوّاء؛ لأنه ليس له غيرها. «[٦] أَلَمْ تَرَ إلى الذي حاجَّ إبراهيمَ في رَبّه ». فالمراد نُمْرود لشهرة اسمه؛ لأنه المرسل إليه. وقد ذكر الله في القرآن فرعون باسمه ولم يسم نُمْرُود؛ لأن فرعون أذكى منه، كما يؤخذ

(١) السهيلي: هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، صاحب الروض الأنف على سيرة ابن هشام. توفي سنة ٥٨١، واسم كتابه: التعريف والإعلام لما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام (إنباه الرواة: ٢ ـ ١٦٢).

(٢) في الإتقان: ابن عساكر.

(٣) هو محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة: بدر الدين، من علماء الحديث، واسم كتابه « غرر البيان لمبهمات القرآن » توفي سنة ٧٣٣.

(٤) النساء: ٦٩ (٥) البقرة: ٣٥ (٦) البقرة: ٢٥٨

من أجوبته لموسى . ونمرود كان بليداً ، ولهذا قال : « أنا أُحيِي وأُميت » ، وفعل ما فعل من قتل شخص والعفو عن آخر ؛ وذلك غاية البلادة .

الثالث : قَصْد الستر عليه ؛ ليكون أبلغ فى استعطافه ، نحو[1] : « ومِنَ النّاسِ مَنْ يعجِبُك قوله فى الحياة الدُّنيا ... الآية . وهو الأخْنس بن شَرِيق ، وقد أسلم بعد وحسن إسلامه .

الرابع : ألا يكون فى تعيينه كبير فائدة ؛ نحو[2] : « أوْ كالّذِى مرّ عَلَى قَرْيَةٍ » . «[3] واسألْهم عن القرية » .

الخامس : التنبيه على العموم ؛ وأنه غير خاصّ ، بخلاف ما لو عيّن ؛ نحو[4] : « ومَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إلى الله ورَسُولِه » . قال عِكْرِمة : طلبته أربع عشرة سنة .

السادس : تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم ؛ نحو[5] : « ولا يَأْتَلِ أُولو الفَضْلِ منكم والسَّعَة أن يُؤْتُوا أُولى القُرْبَى » . «[6] والذى جاء بالصِّدْق وصَدّقَ به » . «[7] إذ يقولُ لصاحبه » . والمراد الصّدِّيق فى الكل .

السابع : تحقيره بالوصف الناقص ؛ نحو[8] : « إنّ شانِئَكَ هو الأَبْتَر » .

[البحث عن المبهمات]

قال الزركشى فى البرهان[9] : لا أبحث[10] عن مُبْهَم أخبر الله باستئثاره بعلمه ؛ كقوله[11] : « وآخَرِين مِنْ دُونِهم لا تَعلمونهم اللهُ يَعْلَمُهُم » .

---

(١) البقرة : ٢٠٤ — (٢) البقرة : ٢٥٩ — (٣) الأعراف : ١٦٣
(٤) النساء : ١٠٠ — (٥) النور : ٢٢ — (٦) الزمر : ٣٣
(٧) التوبة : ٤٠ — (٨) الكوثر : ٣ — (٩) البرهان : ١ — ١٥٥
(١٠) فى البرهان : لا يبحث . — (١١) الأنفال : ٦٠

قال : والعجب ممّن تجرّأ وقال : إنهم قُريظة ، أو من الجنّ .

قلت : ليس فى الآية ما يدل على أن جنسهم لا يُعلم ، وإنما المنفى علم أعيانهم، ولا ينافيه العلم بكونهم من قُريظة أو من الجن ؛ وهو نظير قولهم[1] فى المنافقين[2] : « ومِمّن حَوْلَكُم من الأعراب مُنَافِقُون [٧٩ ب] ومِن أَهْلِ المدينةِ مَرَدُوا على النِّفَاق . لا تَعْلَمُهم نحن نَعْلَمُهم » . فإن المنفىّ عِلْمُ أعيانهم ، ثم القول فى أولئك إنهم قريظة أخرجه ابن أبى حاتم عن مجاهد ؛ والقولُ بأنهم من الجن أخرجه ابن أبى حاتم من حديث عبد الله بن غريب عن أبيه ، مرفوعاً ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فلا جرأة .

[المبهمات]

ذِكْرُ ما أُبهم من رجل أو امرأة أو ملَك أو جِنّى أو مُثنى أو مجموع عرف أسماء كلهم ، أو مَنْ ، أو الذى إذا لم يرد به العموم :

قوله تعالى[3]: « إنّى جاعلٌ فى الأرْضِ خليفة»: هو آدم وزوجه حوّاء بالمد ؛ لأنها خُلقت منه .

«[4] وإذْ قَتَلْتُم نَفْساً » : اسمه عاميل[5].

«[6] وابْعَثْ فيهم رَسُولًا مِنْهُم » ؛ هو النبى صلى الله عليه وسلم .

«[7] وأوصى بها إبراهيمُ بَنِيه » : هم إسماعيل وإسحاق ومدين وزمْران

---

(١) فى الإتقان : قوله . (٢) التوبة : ١٠١ (٣) البقرة : ٣٠

(٤) البقرة : ٧٢

(٥) فى ب : عابيل ـ بالباء . والمثبت فى القرطبى أيضاً (١ ـ ٤٤٦) .

(٦) البقرة : ١٢٩ (٧) البقرة : ١٣٢

وسرح ونفش ونفشان وأميم وكَيْسان وسَوْرَح ولو طان ونافش[١].

« الأسباطُ » أولاد يعقوب اثنا عشر رجلا : يوسف ، وروبيل ، وشمعون، ولاوى ، ويهوذا ، وحابى[٢]، ونَفْتَالى ــ بفاء ومثناة ، وكاد[٣]وأشير وايساجر[٤] وريالون[٥] وبنيامن .

«[٦] ومِنَ الناسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قولُه » : هو الأخنس بن شَرِيق .

«[٧] ومِنَ الناس مَنْ يَشْرِى نَفْسَه » : هو صُهَيْب .

«[٨] إذ قالوا لنَبِيّ لهم » : هو شمعون . وقيل يوشع .

«[٩] مِنهُمْ مَنْ كلّم الله » ؛ قال مجاهد : موسى .

«[٩] ورفع بعْضَهم دَرَجَاتٍ » ؛ هو محمد صلى الله عليه وسلم .

«[١٠] الذى حَاجَّ إبراهيمَ فى رَبّه » : نُمرود بن كنْعان .

«[١١] أو كالّذِى مَرّ عَلَى قَرْيَةٍ » عُزير . وقيل أرمياء : وقيل حزْقيل .

«[١٢] امرأة عِمْران » : حنّة بنت فاخوذ[١٣].

«[١٤]وامرأَتى عاقِر » : هى أشياع أو أشيع بنت فاخوذ [١٣] .

---

(١) فى هــذه الأسماء خلاف كثير . وانظر لذلك القرطبى (٢ ــ ١٣٥) ، والطبرى : ٤٣٥ ، وابن الأثير : ١ ــ ٨٧ .

(٢) فى الاتقان : ودان . (٣) فى الاتقان : وجاد . (٤) فى الاتقان : ويشجر .

(٥) فى ب : وراهون ، وانظر ــ فى هذه الأسماء ــ المحبر : ٣٨٦ ، ٣٨٧

(٦) البقرة : ٢٠٤ (٧) لقمان : ٢٠٧ (٨) البقرة : ٢٤٦

(٩) البقرة : ٢٥٣ (١٠) البقرة : ٢٥٨ (١١) البقرة : ٢٥٩

(١٢) آل عمران : ٣٥ (١٣) فى الاتقان : فاقوذ . (١٤) آل عمران : ٤٠

«[١] مُنَادِياً يُنَادِي للإِيمان » : هو محمد صلى الله عليه وسلم .

« الطاغوت » ، قال ابن عباس : هو كعب بن الأشرف ، أخرجه أحمد .

«[٢] وإن مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ » : هو عبد الله بن أُبيّ .

«[٣] ولا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إليكم السَّلَام » : هو عامر بن الأضبط الأشجعي . وقيل مرداس . والقائل ذلك نفر من المسلمين فيهم أبو قَتَادة والحلم ابن جَثّامَة . وقيل إنّ الذى باشر القول محلم . وقيل : إنه الذى باشر قتله أيضاً . وقيل قتله المِقْداد بن الأسود . وقيل أسامة بن زيد .

«[٤] ومَنْ يخرُجْ من بيْتِهِ مُهَاجِراً » : هو ضَمْرة بن جُنْدب . وقيل ابن العِيص[٥] . وقيل رجل من خزاعة . وقيل أبو ضمرة بن العِيص . وقيل اسمه سَبْرة . وقيل هو خالد بن حزام ، وهو غريب جداً .

«[٦]وبعثنا منهم اثْنَي عشر نَقِيبا» : هم شموع بن زكور من سبط رُوبيل، وشو قط بن حورا من سبط شمعون ، وكالب بن يوفنّا من سبط يهوذا ، وبعرك[٧] بن يوسف من سبط اشاجرة[٨] ، ويوشع بن نون من سبط أفرائيم ابن يوسف، و[٩] بلطا بن روفا[١٠] من سبط بنيامن ، وكرابيل بن سوط[١١] من سبط

---

(١) آل عمران : ١٩٣ (٢) النساء : ٧٢ (٣) النساء : ٩٤

(٤) النساء : ١٠٠

(٥) فى القرطبى (٥ — ٣٤٩) : والذى ذكره عكرمة : هو ضمرة بن العيص ، أو العيص ابن ضمرة بن زنباع ، حكاه الطبرى . (٦) المائدة : ١٢

(٧) فى الاتقان : يعورك .

(٨) فى المحبر : إساخر يفوول بن يوسف . وفى الإتقان : إشاجر .

(٩) فى القرطبى : يلطى . (١٠) فى الإتقان : روفو ، وفى القرطبى : رقو .

(١١) فى القرطبى : سودا ، وفى الإتقان : سودى .

زبالون ، وكذا ابن سوسان[١] من سبط منشا بن يوسف ، وعماييل بن كسل من سبط دان ، وستُور بن ميخاييل من سبط آشير[٢]، ويوحنا بن وقوس[٣] من سبط نفتالى ، وإيل بن نوخا[٤] من سبط كاذاوا[٥] .

« [٦]قال رَجُلَان » : هما يوشع و كالوب[٧] .

«[٨] نبأ ابْنَىْ آدَم » : هما قابيل وهابيل ، وهو المقتول .

«[٩] الذى آتَيْنَاهُ آياتِنا فانْسلخَ منها » : بلعم ، ويقال بلعام بن آبر . ويقال باعر ، ويقال باعور . وقيل هو أُميّة بن الصلت . وقيل صيفى بن الراهب . وقيل فرعون ؛ وهو أغربُها .

«[١٠] وإنّى جارٌ لَكُمْ » : عَنَى سراقة بن جُعْشم .

«[١١] قَاتِلُوا أَئِمّةَ الكُفْر » ؛ قال قتادة : هم أبو سفيان ؛ وأبو جهل ، وأمية بن خلف ، وسهيل بن عمرو ، وعتبة بن ربيعة .

«[١٢] إذ يقولُ لصاحبه » : هو أبو بكر .

«[١٣] وفيكم سمّاعون لهُمْ » ؛ قال مجاهد : هم عبد الله بن أبىّ بن سَلُول ، ورفاعة بن التابوت ، وأوس بن قَيْظىّ .

---

(١) فى القرطبى : ابن شوسا ، وفى الإتقان : ابن شاس .

(٢) فى القرطبى : ومن سبط شيرستور .

(٣) فى القرطبى : وقوشى .

(٤) فى القرطبى والإتقان : وإل بن موخا .

(٥) فى القرطبى : كاذكو ، وانظر فى هذه الأسماء : المحبر لابن حبيب : ٤٦٤ ، والقرطبى : ٦ — ١١٢ ، وتفسير الطبرى : ١ — ١١٤ ، والإتقان : ٤ — ٨٣ .

(٦) المائدة : ٢٣ (٧) فى القرطبى : كالب ، وفى المحبر : كوكب .

(٨) المائدة : ٢٧ (٩) الأعراف : ١٧٥ (١٠) الأنفال : ٤٨

(١١) التوبة : ١٢ (١٢) التوبة : ٤٠ (١٣) التوبة : ٤٧

«[١] ومنهم مَنْ يقولُ ائْذِنْ لى » : هو الجدّ بن قيس .

«[٢] ومنهم مَنْ يَلْمِزُكَ فى الصدقات » : هو ذو الخُوَيصِرة .

«[٣] إن نَعفُ عن طائفة منكم » : هو مَخْشِىّ بن حمَيّر .

«[٤] ومنهم مَن عاهد اللهَ » : هو ثعلبة بن حاطب .

«[٥] وآخرون اعترفُوا بذُنوبهم » ؛ قال ابن عباس : هم سبعة : أبو لبابة وأصحابه . وقال قتادة : سبعة من الأنصار : أَبو لُبَابة ، وجد بن قيس ، وخذام ، وأوس ، وكردم ، ومِرْداس .

«[٦] وآخرون مُرْجَوْن » : هم هلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وكعب ابن مالك ، وهم الثلاثة الذين [١٨٠ ا] خُلِّفوا .

«[٧] الذين اتّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً » ؛ قال ابن إسحاق : اثنا عشر من الأنصار : خِذَام بن خالد، وثعلبة بن حاطب ، [وهزال بن أمية][٨] .ومعتّب بن قُشير ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، وجارية بن عامر ، وابناه مجمّع وزيد ، ونَبتل ابن الحارث ، وبَحزَج ، وبجَاد بن عثمان ، ووداعة[٩] بن عاتب .

«[١٠] لِمَنْ حارب اللهَ ورسوله » : هو أبو عامر الراهب .

«[١١] أفَمن كان على بيِّنةٍ مِنْ رَبِّه » : هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) التوبة : ٤٩ (٢) التوبة : ٥٨ (٣) التوبة : ٩٦
(٤) التوبة : ٧٥ (٥) التوبة : ١٠٢ (٦) التوبة : ١٠٦
(٧) التوبة : ١٠٧
(٨) ليس فى القرطبى ، والإتقان ، وذكر فيهما بدله : عباد بن حنيف .
(٩) فى القرطبى (٨ — ٢٥٤) : ووديعة بن ثابت .
(١٠) التوبة : ١٠٧ (١١) هود : ١٧

«(١) ويَتْلُوه شَاهِدٌ منه» : هو جبريل . وقيل أبو بكر . وقيل على .

«(٢) ونادى نوح ابْنَه» : اسمه كنعان . وقيل يام .

«(٣) وامرأتُه قائمة» : اسمها سارة .

«(٤) بنات لوط» : ريثا(٥) ورغوثا .

«(٦) ليُوسفُ وأخوه» : هو بنيامين شقيقه .

«(٧) قال قائلٌ منهم» : هو روبيل ، وقيل يهوذا ، وقيل شمعون .

«(٨) فأرْسَلُوا وَارِدَهم» : مالك بن دعر(٩) .

«(١٠) وقال الذى اشْتَرَاهُ» : هو قطفير أو إطفير ، «لامرأته» هى راعيل ، وقيل زليخا .

«(١١) ودخل معه السجْنَ فَتَيان» : هما مجلث ونبو(١٢) الساقى . وقيل راشان ومرطش ، وقيل شرهم وسرهم .

«(١٣) لِلَّذى ظنَّ أنه ناج» : هو الساقى .

«عند ربك» : هو ريَّان بن الوليد .

---

(١) هود : ١٧ (٢) هود : ٤٢ (٣) هود : ٧١

(٤) هود : ٧٨ ، أشير إليهن فى قوله تعالى : هؤلاء بناتى هن أطهر لكم .

(٥) فى ب : رمثا . (٦) يوسف : ٨ (٧) يوسف : ١٠

(٨) يوسف : ١٩

(٩) القاموس ، وقال بالذال تصحيف . وهو بالدال المهملة فى القرطبى أيضا (٩ — ١٥٢) .

(١٠) يوسف : ٢١ (١١) يوسف : ٣٦

(١٢) والقرطبى : ٩ — ١٨٩ (١٣) يوسف : ٤٢

«(١) بأخٍ لكم» : هو بنيامن ، وهو المتكرر فى السورة .

«(٢) فقد سرق أخٌ له» : عنوا يوسف .

«(٣) قال كَبيرهم» : هو شمعون . وقيل روبيل .

«(٤) آوى إليه أبَوَيْهِ» هما أبوه وخالته ليّا . وقيل أمه واسمها راحيل .

«(٥) ومَنْ عِنْدَه عِلْمُ الكتاب» : هو عبد الله بن سلام . وقيل جبريل .

«(٦) أسكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي» هو إسماعيل .

«(٧) ولوَالدِىَّ» هو أبوه تارح . وقيل آزر . وقيل يازر . واسم أمه مثانى . وقيل نوفا . وقيل ليوثا .

«(٨) إنّا كَفيْنَاكَ المُسْتَهزِئين» : قال سعيد بن جُبير : هم خمسة : الوليد ابن المغيرة ، والعاصى بن وائل ، وأبو زمعة ، والحارث بن قيس ، والأسود ابن عبد يغوث .

«(٩) رجُلَيْن أحدهما أبكم» : هو أسيد بن أبى العيص .

«(٩) ومَنْ يأمُرُ بالعَدْل» عثمان : بن عفان .

«(١٠) كالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا» : هى ريطة بنت سعيد بن زيد مناة ابن تميم .

«(١١) إنما يُعلِّمُه بَشَرٌ» عنوا به عبد بنى الحضرمى ، واسمه مِقْيَس . وقيل

---

(١) يوسف : ٥٩ — (٢) يوسف : ٧٧ — (٣) يوسف : ٨٠
(٤) يوسف : ٩٩ — (٥) الرعد : ٤٣ — (٦) إبراهيم : ٣٧
(٧) إبراهيم : ٤١ — (٨) الحجر : ٩٥ — (٩) النحل : ٧٦
(١٠) النحل : ٩٢ — (١١) النحل : ١٠٣

عَبْدَين له : يسار ، وجبر . وقيل عنوا قَيْناً بمكة اسمه باعام . وقيل سلمان الفارسى .

« [1] أصحاب الكهف » : تمليخا رئيسهم ، والقائل [2] : « رَبُّكم أعلمُ بما لبِثْتُم » ، وتكسلمينا ؛ وهو القائل : « كم لبثتم » ومرطوش وبواشق وأيونس واريسطانس وشلططيوش [3] .

« [4] فابعَثُوا أحدَكم بوَرِقكُم » : هو تمليخا .

« [5] مَنْ أغفَلْنا قَلْبَه » ؛ هو عُيينة بن حصن .

« [6] واضْرِبْ لهم مثلا رَجلين » ؛ هما تمليخا — وهو الخيّر ، وفرطوس ، وهما المذكوران فى سورة الصافات .

« [7] قال موسى لِفَتَاهُ » : هو يوشع بن نون . وقيل أخوه يثربىّ .

« [8] فوجدا عَبْداً » ، واسمه بليا .

« [9] لَقِيَا غُلَاماً » : واسمه جيسور [10] بالجيم — وقيل بالحاء .

« [11] فناداها مِنْ تَحْتِها » ؛ قيل عيسى . وقيل جبريل .

« [12] ويقولُ الإنسانُ » : هو أُبىّ بن خلف . وقيل أمية بن خلف . وقيل الوليد بن المغيرة .

---

(١) الكهف : ٩ (٢) الكهف : ١٩

(٣) بالسين فى آخره فى الإتقان .

(٤) الكهف : ١٩

(٥) الكهف : ٢٨ (٦) الكهف : ٣٢ (٧) الكهف : ٦٠

(٨) الكهف : ٦٥ (٩) الكهف : ٧٤

(١٠) فى ب : جيسون ـ بالنون فى آخره .

(١١) مريم : ٢٤ (١٢) مريم : ٦٦

«[1] أفرأيتَ الذى كفَر بآياتِنا » : هو العاصى بن وائل .

«[2] وقتَلْتَ نفساً » : هو القبطى ، واسمه فاقون .

«[3] السامرىّ » اسمه : موسى بن ظفر .

«[4] من أثَرِ الرسول » : هو جبريل .

« ومِنَ الناسِ من يجادل » : هو النضر بن الحارث.

«[5] هذَانِ خَصْمَانِ» : أخرج الشيخان ، عن أبى ذر ، قال : نزلت هذه الآية فى حمزة ، وعبيدة بن الحارث ، وعلى بن أبى طالب ، وعُتبة ، وشيبة ، والوليد ابن عتبة[6].

«[7] ومَنْ يُرِدْ فيه بإلْحَادٍ بِظُلم » : قال ابن عباس : نزلت فى عبد الله ابن أنيس .

«[8] الذين جاءُوا بالإفْكِ » : هم حسان بن ثابت ، ومِسْطح بن أُثاثة ، وحَمْنة بنت جَحْش ، وعبد الله بن أُبىّ . وهو الذى تولى كِبْره .

«[9] ويوم يعَضّ الظّالمُ » : هو عقبة بن أبى مُعَيط .

«[10] لم أتّخِذْ فلاناً » : هو أمية بن خَلَف ، وقيل أُبىّ بن خلف .

«[11] وكان الـكافر » : قال الشعبى هو أبو جهل .

---

(١) مريم : ٧٧ (٢) طه : ٤٠ (٣) طه : ٩٦
(٤) الحج : ٣ (٥) الحج : ١٩ (٦) القرطبى : ١٢ — ٢٥
(٧) الحج : ٢٤ (٨) النور : ١١ (٩) الفرقان : ٢٧
(١٠) الفرقان : ٢٨ (١١) الفرقان : ٥٥

«[1] امرأةً تملكهم » وهى بلقيس بنت شرحبيل .

«[2] فلما جاءَ سُليمانَ » اسم الجائى منذر .

«[3] قال عِفرِيت » : اسمه كَوزَن .

«[4] الذى عنده علم » ؛ وهو آصف بن برخيا كاتبه . وقيل هو رجل يقال له ذو النور . وقيل أسطور[5] . وقيل تمليخا . وقيل بلخ . وقيل هو ضبّة أبو القبيلة . وقيل جبريل . وقيل ملك آخر . وقيل الخضر .

«[6] تِسعَةُ رَهْط » هم دعما ، ودعيم ، وهرمى وهريم وداب وصواب ورياب ، ومسطح ، وقُدَار[7] بن سالف عاقر الناقة .

«[8] فالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعون » : اسم الملتقط طابوث .

«[9] امرأةُ فرعون » : آسية بنت مزاحم .

«[10] أم موسى »[11] يحانة بنت يصهر بن لاوى . وقيل ياء وخاء . وقيل أباذخت .

«[12] وقالت لأختِه » : اسمها مريم . وقيل كلثوم .

«[13] هذا مِنْ شِيعَتِه » ؛ هو السامرى .

---

(١) النمل : ٢٣ (٢) النمل : ٣٦ (٣) النمل : ٣٩

(٤) النمل : ٤٠ (٥) فى الإتقان : اسطوم . (٦) النمل : ٤٨

(٧) فى القرطبى (١٣ — ٢١٦) : ذكرهم هكذا الماوردى عن ابن عباس . وفى الاتقان : رعمى ورعيم — بدل الأولين .

(٨) القصص : ٨ (٩) القصص : ٩ (١٠) القصص : ١٠

(١١) فى الإتقان : يحانذ . (١٢) القصص : ١١

(١٣) القصص : ١٥

« وهذا مِنْ عَدُوِّه » اسمه مايوان[1] .

«[2] وجاء رجل من أقصى المدينة » هو مؤمن آل فرعون ، واسمه شمعان. وقيل شمعون . وقيل جبر . وقيل حبيب . وقيل حزقيل .

«[3] امرأتَيْن تَذُودَان » ؛ هما ليّا وصفوريا ، وهي التي نكحها . وأبوهما شعيب . وقيل يغرون[4] بن أبي شعيب .

«[5] قال لقمان لابنه » : اسمه باران بالموحدة . وقيل داران . وقيل أنعم . وقيل مِشْكم .

«[6] مَلَكُ المَوْتِ » اشتهر على الألسنة أن اسمه عزرائيل . ورواه أبو الشيخ ابن حبان عن وهب .

«[7] أفَمَنْ كان مُؤمناً كمن كان فَاسِقاً » نزلت في علي بن أبي طالب ، والوليد بن عقبة .

«[8] ويستأذِنُ فريق » ؛ قال السدّي : هما رجلان من بني حارثة : أبو عَرابة بن أوس ، وأوس بن قَيْظي[9] .

«[10] قل لأزْوَاجِك » ؛ قال عكرمة : كان تحته يومئذ تسع نسوة : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وسَوْدة ، وأم سلَمة ، وصفية ، وميمونة ، وزينب بنت جحش ، وجُويرية . وبناته : فاطمة ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم .

---

(١) في الاتقان : فاتون . (٢) القصص : ٢٠ (٣) القصص : ٢٣

(٤) في الاتقان : يثرون . (٥) لقمان : ١٣ (٦) السجدة : ١١

(٧) السجدة : ١٨ (٨) الأحزاب : ١٣

(٩) في القرطبي : قال ذلك أوس بن قيظي عن ملأ بن قومه . ثم نقل قول السدى هذا أيضاً (١٤ ـ ١٤٨) .

(١٠) الأحزاب : ٥٩

«[١]أهل البَيْت» ؛ قال صلى الله عليه وسلم : هم على ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين .

«[٢] للذى أَنْعَمَ اللهُ عليه وأَنعَمْتَ عليه » ؛ هو زَيد بن حارثة .

«[٣] وحَمَلَهَا الإنسانُ » ؛ قال ابن عباس : هو آدم .

«[٤] أَرْسَلْنَا إليهمُ اثْنَيْن » ؛ هما شمعون ويوحنا ، والثالث بولس . وقيل : هم صادق وصدوق وشلوم .

«[٥] وجاء مِنْ أَقْصَى المدينةِ رجل » ؛ هو حبيب النجار .

«[٦] أو لم يَرَ الإنسانُ» ؛ هو العاص بن وائل . وقيل أُبيّ بن خلف . وقيل أمية بن خلف .

«[٧] فبشَّرْنَاهُ بغُلَام» ؛ هو إسماعيل ، أو إسحاق ؛ قولان شهيران .

«[٨] نبأُ الخَصْمِ » ؛ هما ملكان ، قيل جبريل وميكاييل .

«[٩] جَسَداً» ؛ هو شيطان يقال له أسيد . وقيل صَخْرة . وقيل حبقيق[١٠] .

« [١١] مَسَّنِي الشيطانُ » قال نوف : الشيطان الذى مسه يقال له مسقط .

---

(١) الأحزاب : ٣٣ (٢) الأحزاب : ٣٧ (٣) الأحزاب : ٧٢

(٤) يس : ١٤ (٥) يس : ٢٠ (٦) يس : ٧٧

(٧) الصافات : ١٠١ (٨) ص : ٢١ (٩) ص : ٣٤

(١٠) فى ب : حقيق ، وفى القرطبى (١٥ ــ ١١٩) : اسمه صخر بن عمر صاحب البحر، وهو الذى دل سليمان على الماس حين أمر سليمان ببناء بيت المقدس .

(١١) ص : ٤١

«(١) والذى جاء بالصِّدْق » هو محمد ، «(١) وصدق به » محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل أبو بكر .

«(٢) اللَّذَيْن أضَلَّانا » إبليس ، وقابيل .

«(٣) رَجُلٌ مِنَ القَرْيَتَيْن » : عَنَوا الوليد بن المُغيرة من مكة ، ومسعود ابن عمرو(٤) الثقفى ؛ وقيل عروة بن مسعود من الطائف .

«(٥) ولَمَّا ضُرِب ابنُ مريم مَثَلًا » ؛ الضارب له عبد الله بن الزِّبَعْرَى .

«(٦) طعام الأَثِيم» ؛ قال ابن جُبير : هو أبو جهل .

«(٧) وشَهِد شاهدٌ من بنى إسرائيل » ؛ هو عبد الله بن سَلَام .

«(٨) أولُو العَزْم من الرسل » : أصحُّ الأقوال أنهم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد صلى الله عليه وسلم .

«(٩) يُنَادِى المُنَادِى » إسرافيل .

«(١٠) ضَيْفِ إبراهيمَ المُكْرَمِين » ؛ قال عثمان بن محصن : كانوا أربعة من الملائكة : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وروفاييل .

«(١١) وبَشَّرُوه بغُلَام » ؛ قال الكِرْمَانى : أجمع المفسرون على أنه إسحاق ، إلا مجاهد ، فإنه قال : هو إسماعيل .

«(١٢) شَدِيدُ القُوَى » : جبريل .

---

(١) الزمر . ٢٩ (٢) فصلت : ٢٩ (٣) الزخرف : ٣١
(٤) فى ب : عمر . (٥) الزخرف . ٥٧ (٦) الدخان : ٤٤
(٧) الأحقاف : ١٠ (٨) الأحقاف : ٣٥ (٩) ق : ٤١
(١٠) الذاريات : ٢٤ (١١) الذاريات : ٢٨ (١٢) النجم : ٥

«(١) أفرأيتَ الذى توَلّى» ؛ هو العاصى بن وائل. وقيل الوليد بن المغيرة .

«(٢) يومَ يدْعُ الدّاعِى » ؛ هو إسرافيل .

«(٣) قوْلَ التى تُجادِلُك » ؛ هى خوْلة بنت ثعلبة « فى زوجها » ؛ هو أوس ابن الصامت .

«(٤) لِمَ تُحَرِّمُ ما أحلَّ اللهُ لكَ » ، هى سريته مارية .

«(٥) إذ أسَرَّ النبىُّ إلى بعْضِ أزْوَاجِهِ حديثاً » ؛ هى حفصة .

« (٥) نَبَّأتْ به » ؛ هى عائشة .

«(٦) تتُوبَا » و « تظاهرا » : هما عائشة وحفصة . « وصالحُ المُؤْمِنِين » هما أبو بكر وعُمر ، أخرجه الطبرانى فى الأوسط .

«(٧) امرأة نوح » والمة .

« وامرأةَ لُوط » والمة(٨) . وقيل واثلة(٩) .

«(١٠) ولا تُطِعْ كلَّ حلّافٍ » ، نزلت فى الأسود بن عبد يغوث . وقيل : الأخنس بن شَرِيق . وقيل : الوليد بن المغيرة .

«(١١) سأل سائل » [١٨١] ؛ النضر بن الحارث .

---

(١) النجم : ٣٣ (٢) القمر : ٦ (٣) المجادلة : ١

(٤) التحريم : ١ (٥) التحريم : ٣ (٦) التحريم : ٤

(٧) التحريم : ١٠

(٨) فى ب : والمة . والمثبت فى القرطبى أيضاً (١٨ ـ ٢٠١) .

(٩) فى الإتقان : والمة ، وقيل : واعلة .

(١٠) القلم : ١٠ (١١) المعارج : ١

«(١) رَبِّ اغْفِرْ لى ولوالدىّ » ؛ اسم أبيه لمك بن متّوشلخ ، وأمه شمنحا بنت أنوش .

«(٢) سفيهُنَا على الله شَطَطا » ؛ إبليس .

«(٣) ذَرْنِى ومَنْ خَلَقْتُ وحِيدا » ؛ هو الوليد بن المغيرة .

«(٤) فَلا صَدَّق ... » الآيات . نزلت فى أبى جهل .

«(٥) هل أتى على الإنسان » ؛ هو آدم .

«(٦) ويقول الـكافر يا ليتنى كنتُ تُرَابا » ؛ هو إبليس .

«(٧) أنْ جاءَهُ الأَعمَى » ؛ هو عبد الله ابن أمّ مَكتوم .

«(٨) أمّا مَنِ استَغنَى » ؛ هو أمَيّةُ بن خلف . وقيل عُتبة بن ربيعة .

«(٩) لَقَولُ رَسولٍ كَرِيم » ؛ هو جبريل . وقيل محمد صلى الله عليه وسلم .

«(١٠) فأمّا الإنسانُ إذا ما ابتلاهُ ... » الآيات . نزلت فى أميـــة ابن خلف .

«(١١) ووالدٍ » ؛ هو آدم .

«(١٢) فقال لهم رسولُ الله » ؛ هو صالح .

«(١٣) الأَشقَى » ؛ هو أمّيّة بن خلف .

---

(١) نوح : ٢٨ — (٢) الجن . ٤ — (٣) المدثر : ١١
(٤) القيامة : ٣١ — (٥) الإنسان : ١ — (٦) النبأ : ٤٠
(٧) عبس : ٢ ـ ٥ — (٨) عبس : ٥ — (٩) التكوير : ١٩
(١٠) الفجر : ١٦ — (١١) البلد : ٣ — (١٢) الشمس : ١٣
(١٣) الليل : ١٥

«(١) الأتقَى» ؛ هو أبو بكر الصديق .

«(٢) الذى يَنهى عَبْداً» ؛ هو أبو جهل . والعبدُ هو النبيّ صلى الله عليه وسلم .

«(٣) إنّ شانِئَكَ» ؛ هو العاصى بن وائل . وقيل أبو جهل . وقيل عقبة ابن أبى مُعيط . وقيل أبو لهب . وقيل كعب بن الأشرف .

«(٤) وامرأتُه حَمّالَة الحطَب» ؛ أم جميل العَوْرَاء بنت حَرْب بن أمية .

ذكر المجموع من المبهمات الذين عرف أسماء بعضهم

«(٥) قال الّذين لا يَعْلَمُونَ لولا يُكَلِّمُنَا الله» ؛ سُمّى منهم رافع ابن حُرَيملة[٦] .

«(٧) سيَقُولُ السفهاءُ» ؛ سمى منهم رفاعة بن قيس ، وقردم بن عمرو ، وكعب بن الأشرف ، ورافع بن حريملة[٦] ، والحجاج بن عمرو ، والربيع ابن أبى الحقيق .

«(٨) وإذا قيل لهم اتّبِعوا» ؛ سمى منهم مالك بن عوف ، ورافع .

«(٩) يسألونك عن الأهِلّة» ؛ سمى منهم مُعاذ بن جَبَل ، وثعلبة بن غنم .

«(١٠) يسألونك ماذا يُنفِقُون» ؛ سمى منهم عمرو بن الجموح .

---

(١) الليل : ١٧ (٢) العلق : ٩ ، ١٠ (٣) الكوثر : ٣
(٤) المسد : ٤ (٥) البقرة : ١١٨ (٦) فى الإتقان : حرملة .
(٧) البقرة : ١٤٢ (٨) البقرة : ١٧٠ (٩) البقرة : ١٨٩
(١٠) البقرة : ٢١٥

«(١) يسألونَكَ عن الخَمْر » ؛ سمى منهم عمر ، ومعاذ ، وحمزة .

«(٢) ويسألونكَ عن اليَتَامَى » ؛ سمى منهم عبد الله بن رَواحة .

«(٣) ويسألونك عن المحيض » ؛ سمى منهم ثابت بن الدحداح ، وعباد ابن بشر ، وأُسَيد بن الحُضَير .

«(٤) ألم ترَ إلى الذين أُوتُوا نَصِيباً » ؛ سمى منهم النعمان بن عمرو ، والحارث ابن يزيد .

«(٥) الحَوارِيّون » ؛ سمى منهم فطرس ، ويعقوبس ، ويحنّس ، والورايلس(٦) ، وفيلس ، وابن تيما ، ومنتسا ، وتَوْماس ، ويعقوب بن خلفيا ، وجداوسميس ، وماديواس ، ودرمابوطا ، وسرجس ؛ وهو الذى ألقى عليه شبهه .

«(٧) وقالت طائفة مِنْ أَهْلِ الكتاب » ؛ هم اثنا عشر من اليهود . سمى منهم عبد الله بن الضيّف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عمرو .

«(٨) كيفَ يَهْدِي اللهُ قَوْماً كفَرُوا بعد أيمانهم » ؛ قال عكرمة : نزلت فى اثنى عشر رجلا ، منهم : أبو عامر الراهب ، والحارث بن سُويد بن الصامت ، ووحوح بن أسلم(٩) . زاد ابن عسكر : وطعيمة بن أُبيْرِق .

---

(١) البقرة : ٢١٩ (٢) البقرة : ٢٢٠ (٣) البقرة : ٢٢٢

(٤) آل عمران : ٢٣ (٥) آل عمران : ٥٢

(٦) فى الإتقان : اندرايس . وفى المحبر : أندريوس . وفى المحبر أسماء هؤلاء الحواريين ، وفيها خلاف كثير، فارجع إليه إن شئت .

(٧) آل عمران : ٧٢ (٨) آل عمران : ٨٦

(٩) فى الاتقان : ابن الأسلت .

«(١) يقولون هل لنا من الأمر مِنْ شيء» ؛ سمى من القائلين عبد الله ابن أُبَىّ بن سلُول ، ومعتّب بن قُشَيْر .

«(٢) وقيل لهم تعالَوْا قَاتِلُوا» : القائل ذلك عبد الله ، والد جابر بن عبد الله الأنصارى . والمقول لهم عبد الله بن أُبَىّ وأصحابه .

«(٣) الذين استَجَابُوا لِلهِ» : هم سبعون ، منهم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، والزبير ، وسعد ، وطلحة ، وابن عوف ، وابن مسعود الأشجعى .

«(٤) الذين قالُوا إنّ الله فَقير» ؛ قال ذلك فنحاص . وقيل حُيَىّ بن أخطب . وقيل كعب بن الأشرف .

«(٥) وإنّ مِنْ أهل الكتاب لَمَنْ يُؤْمِنُ باللهِ» ؛ نزلت فى النجاشى . وقيل فى عبد الله بن سلام وأصحابه .

«(٦) وبَثّ منهما رجالا كثيراً ونساء» ؛ قال ابن إسحاق : أولاد آدم لصُلبه أربع وعشرون بطنا ، كلّ بطن ذكر وأنثى ؛ وسمى من بَنِيه قابيل ، وهابيل ، وإياد ، وشبونة ، وهند ، وضرابيس(٧) ، ومخور ، وسند ، وبارق ، وشيث ، وعبد المغيث ، وعبد الحارث ، وودّ ، وسواع ، ويغوث ، ويَعُوق ، ونَسْرا . ومن بناته : أقليمة ، وأشوف ، وجزوزة ، ويمن ، وعز ، ورا ، وأمة المغيث [٨١ ب] .

---

(١) آل عمران : ١٦٧ (٢) آل عمران : ١٧٢ (٣) آل عمران : ١٨١
(٤) آل عمران : ١٩٩ (٥) النساء : ١
(٦) فى الاتقان : أربعون فى عشرين بطناً .
(٧) بالصاد فى الاتقان .

«(١) ألم ترَ إلى الذين أُوتُوا نَصِيبا من الكتاب يَشتَرُون الضَّلالة» ؛ قال عكرمة : نزلت فى رفاعة بن يزيد بن التابوت ، وكردم بن زيد ، وأسامة ابن حبيب ، ورافع بن أبى رافع ، وحيَيّ بن أخطب .

«(٢) ألم ترَ إلى الذين قيل لهم كُفُّوا أيدِيَكم» ؛ سمى منهم عبد الرحمن ابن عوف .

«(٣) إلّا الذين يَصِلُون إلى قَوْم» ؛ قال ابن عباس : نزلت فى هلال ابن عُوَيم الأسلمى ، وسُراقة بن مالك المدلجى ، وفى بنى خزيمة بن عامر ابن عبد مناف .

«(٤) ستَجِدُون آخَرين» ؛ قال السدى : نزلت فى جماعة منهم نُعَيْم ابن مسعود الأشجعى .

«(٥) إن الّذِينَ توفّاهُم الملائكةُ ظالِمِى أَنْفُسِهم» ؛ سمّى منهم عِكْرِمَة : على بن أمية بن خلف ، والحارث بن زمعة ، وأبا قيس بن الوليد بن المغيرة ، وأبا العاص بن المنبه[٦] بن الحجاج ، وأبا قيس بن الفاكه .

«(٧) إلا المستَضْعَفين» ؛ سمى منهم ابن عباس ، وأمه أمّ الفضل ، وعيّاش ابن أبى ربيعة ، وسلمة بن هشام .

«(٨) الذين يَختَانُون أنْفُسهم» ؛ بنو أبيرق : بشر ، وبشير ، ومبشّر .

«(٩) لَهمّتْ طائفة منهم أنْ يُضِلّوك» : أسَيْد بن عُروة وأصحابه .

---

(١) النساء : ٤٤
(٢) النساء : ٧٧
(٣) النساء : ٩٠
(٤) النساء : ٩٠
(٥) النساء : ٩٦
(٦) فى الاتقان : بن منبه .
(٧) النساء : ٩٨
(٨) النساء : ١٠٧
(٩) النساء : ١١٣

«[١] ويستفتونك فى النساء » ؛ سمى من المستفتين خَوْلَة بنت حكيم .

«[٢] يسألك أهلُ الكتاب» ؛ سمىمنهم ابنُ عسكر : كعب بن الأشرف ، وفنْحاصا .

«[٣] لكن الرّاسخُون فى العلم » ؛ قال ابن عباس : هم عبد الله بن سلَام .

«[٤] ولا آمّين البيتَ الحَرام » ؛ سمى منهم الُحطَم[٥] بن هند البكرى .

«[٦] يسألونَكَ ماذا أُحِلّ لهم » ؛ سمى منهم عدى بن حاتم ، وزيد ابن مهلهل الطائيان ، وعاصم بن عدى ، وسعد بن خيثمة ، وعدى[٧] بن ساعدة .

«[٨] إذ هَمّ قومٌ أَنْ يَبْسُطوا » : سمى منهم كعب بن الأشرف ، وحُيَيّ ابن أخطب :

«[٩] ولَتَجِدَنّ أقربَهم مَودّة ... » الآيات ؛ نزلت فى الوفد الذين جاءوا من عند النجاشى ، وهم اثنا عشر . وقيل ثلاثون . وقيل سبعون . وسمى منهم : إدريس ، وإبراهيم ، والأشرف ، وتميم ، ودريد .

«[١٠] وقالوا لولا أُنزل عليه مَلَك » : سمى منهم زمعة بن الأسود ، والنضر ابن الحارث بن كَلَدة ، وأُبىّ بن خلف ، والعاصى بن وائل .

«[١١] ولا تَطرُدِ الذين يَدْعُون رَبّهم » ؛ سمى منهم : صُهَيب ، وعمّار ، وخبّاب ، وسعد بن أبى وقاص ، وابن مسعود ، وسلمان القارسى .

---

(١) النساء : ١٢٧ — (٢) النساء : ١٥٣ — (٣) النساء : ١٦٢

(٤) المائدة : ٢

(٥) فى القرطبي (٦ ـ ٤٣) : قيل كان هذا الآم شريح بن ضبيعة البكرى ، ويلقب بالحطم . وفى أسباب النزول للواحدى : نزلت فى الحطيم ، واسمه شريح بن ضبيع الكندى .

(٦) المائدة : ٤ — (٧) فى الاتقان : عويمر بن ساعدة .

(٨) المائدة : ١١ — (٩) المائدة : ٨٢ — (١٠) الأنعام : ٨

(١١) الأنعام : ٥٢

«[1] إذ قالُوا ما أنزل اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شَىْء » ؛ سمى منهم فِنْحاص ، ومالك بن الضَّيف .

«[2] قالوا لن نُؤْمِنَ حتى نُؤْتَى مِثْلَ ما أُوتى رسُلُ الله » ؛ سمى منهم أبو جهل ، والوليد بن المغيرة .

«[3] يسألونَكَ عن الساعة » ؛ سمى منهم حمل بن قشير ، وشمويل ابن زيد .

«[4] يسألونك عن الأنفال » ؛ سمى منهم سعد بن أبى وقاص .

«[5] وإنَّ فَرِيقاً من المؤمنين لـكارهون » ؛ سمى منهم أبو أيوب الأنصارى . ومن الذين لم يكرهوا المقداد .

«[6] إن تَسْتَفْتِحوا » ؛ سمى منهم أبو جهل .

«[7] وإذ يمكرُ بكَ الّذين كَفَرُوا » ؛ هم أهل دار الندوة ؛ سمى منهم عُتْبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو سفيان ، وأبو جهل ، وجُبير بن مطعم ، وطُعيمة بن عدى ، والحارث بن عامر ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وحكيم بن حزام ، وأمية بن خلف .

«[8] وإذ قالوا اللهم إنْ كان هذا هو الحقَّ مِنْ عِنْدِكَ ... » الآية ؛ سمى منهم أبو جهل ، والنضر بن الحارث .

«[9] إذ يقولُ المنافِقُون والذين فى قُلُوبهم مرَض غرَّ هؤلاء دِينُهُم » ؛

---

(١) الأنعام : ٩١ — (٢) الأنعام : ١٢٤ — (٣) الأعراف : ١٨٧
(٤) الأنفال : ١ — (٥) الأنفال : ٥ — (٦) الأنفال : ١٩
(٧) الأنفال : ٣٠ — (٨) الأنفال : ٣٢ — (٩) الأنفال : ٤٩

سمى منهم عتبة بن ربيعة ، وقيس بن الوليد ، وأبو قيس بن الفاكه ، والحارث ابن زمعة ، والعاصى بن منبّه .

«[١] قل لِمَن فى أيديكم من الأَسْرَى » ؛ كانوا سبعين ، منهم : العباس ، وعَقِيل ، ونَوْفل ، والحارث ، وسهل[٢] ابن بيضاء .

«[٣] وقالت اليهودُ عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ »؛ سمى منهم سلام بن مِشْكَم ، ونعمان ابن أوفى ، ومحمد بن دحية ، وشأس بن قيس ، ومالك بن الضّيف .

«[٤] الذين يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعين » سمى من المطوّعين عبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدى .

«[٤] والذين لا يَجِدُون إلا جُهْدَهم» ؛ أبو عقيل ، ورفاعة بن سعد .

«[٥] ولا على الذين إذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلهم » ؛ سمى منهم العرباض ابن سارية ، وعبد الله بن مُغَفّل المزنى ، وعمرو المُزَنى ، وعبد الله بن الأزرق الأنصارى ، وأبو ليلى الأنصارى .

«[٦] فيه رجال يُحِبُّون أن يتطَهَّرُوا » ؛ سمى منهم عُوَيم بن ساعدة .

«[٧] إلّا مَنْ أُكره وقَلْبُه مطمئنٌّ بالإيمان » ؛ نزلت فى جماعة ، منهم : [١٨٢] عمّار بن ياسر ، وعباس بن أبى ربيعة .

«[٨] بَعَثْنَا لكم عِباداً لنا » ؛ هم جالوت[٩] وأصحابه .

---

(١) الأنفال : ٧٠

(٢) فى الاتقان : ونوفل بن الحارث ، وسهيل بن بيضاء . والمثبت فى الإصابة أيضاً .

(٣) التوبة : ٣٠ — (٤) التوبة : ٧٩ — (٥) التوبة : ٩٢

(٦) التوبة : ١٠٨ — (٧) النحل : ١٠٦ — (٨) الإسراء : ٥

(٩) فى الاتقان : طالوت .

«[1] وإنْ كادُوا ليَفْتِنُونَك » ؛ قال ابن عباس : نزلت فى رجال من قريش ، منهم : أبو جهل ، وأميّة بن خلف .

«[2] وقالوا لن نُؤْمِنَ لكَ حتى تَفْجُرَ لنا» ؛ سمى ابنُ عباس مِنْ قائلى ذلك : عبد الله بن أمية[3] ، وذريته . وسمى من أولاد إبليس : ثور[4] ، والأعور ، وزنبور ، ومِسْوَط ، وداسر[5] .

«[6] وقالوا إن نَتَّبِعِ الهُدَى معك » ؛ سمى منهم الحارث بن عامر ابن نوفل .

«[7] أحسِبَ الناسُ أن يُتْرَكُوا » ؛ هم المؤذَوْن على الإسلام ؛ سمى منهم عمار بن ياسر .

«[8] وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتَّبِعُوا سبيلَنا » ؛ سمى منهم الوليد ابن المغيرة .

«[9] ومِنَ النـاس مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحديث » ؛ سمى منهم النضر ابن الحارث .

«[10] فمنهم مَنْ قضى نَحْبَه » ؛ أنس بن النضر .

«[11] قالُوا الحقّ » ؛ أول من يقوله جبريل ، فيتبعونه .

---

(١) الاسراء : ٧٣ (٢) الاسراء : ٩٠
(٣) فى الإتقان : ابن أبى أمية .
(٤) فى المحبر : الثبر .
(٥) فى المحبر : داسم . وانظر هذه الأسماء فيه صفحة ٣٩٥ ، وليس فيه زنبور .
(٦) القصص : ٥٧ (٧) العنـكبوت : ١ (٨) العنـكبوت : ١٢
(٩) لقمان : ٦ (١٠) الأحزاب : ٢٣ (١١) سبأ : ٢٣

«(١) وانطلق الملأ منهم » ؛ سمى منهم عقبة بن أبى معيط ، وأبو جهل ، والعاصى بن وائل ، والأسود بن عبد المطلب ، والأسود بن عبد يغوث .

«(٢) وقالوا ما لنا لا نرى رجالا » ؛ سمى من القائلين أبو جهل . ومن الرجال : عمار ، وبلال .

«(٣) نفرا من الجن » ؛ سمى منهم زوبعة ، وحسى ، ومسى ، وشاصو ، وماصو ، ، والأزد ، وانيان ، والأحقم ، وسرق .

«(٤) إن الذين ينادونك من وراء الحجرات » ؛ سمى منهم الأقرع ابن حابس ، والزبرقان بن بدر ، وعيينة بن حصن ، وعمرو بن الأهتم .

«(٥) ألم تر إلى الذين تولوا قوما » ؛ نزلت فى عبد الله بن نبتل[٦] من المنافقين .

«(٧) لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم » ؛ نزلت فى قتيلة أم أسماء بنت أبى بكر .

«(٨) إذا جاءكم المؤمنات » ؛ سمى منهن أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ، وآسية[٩] بنت بشر .

«(١٠) يقولون لا تنفقوا » . «(١١) يقولون لئن رجعنا » ؛ سمى منهم عبد الله بن أبى .

---

(١) ص : ٦ (٢) ص : ٦٢ (٣) الأحقاف : ٢٩

(٤) الحجرات : ٤ (٥) المجادلة : ١٤ (٦) والقرطبى ١٧ـ ٣٠٤

(٧) الممتحنة : ٨ (٨) الممتحنة : ١٠

(٩) فى القرطبى : أميمة بنت بشر ، وكانت عند ثابت بن الشمراخ (١٨ : ٦١) .

(١٠) المنافقون : ٧ (١١) المنافقون : ٨

«[1] ويَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ ... » الآية ؛ سمى من حملة العرش إسرافيل ، ولونان[2] وروفيل .

«[3] أصحاب الأخـدود » ؛ ذو نواس : زرعة[4] بن أسعد الحميرى وأصحابه .

«[5] أصحاب الفِيلِ » ؛ هم الحبشة ، قائدهم أبرهة الأشرم ، ودليلهم أبو رغال .

«[6] قل يأيُّها الكافِرُون » ؛ نزلت فى الوليد بن المغيرة ، والعاصى بن وائل ، والأسود بن المطلب ، وأمية بن خلف .

«[7] النفّاثات » ؛ بنات لَبِيد بن الأعصم .

[مبهمات الأقوام والحيوانات وغيرها]

وأما مُبْهمات الأقوام والحيوانات والأمكنة والأزمنة ، ونحو ذلك فقد استوفيت الكلام عليها فى تأليفنا المشار إليه .

---

(١) الحاقة : ١٧ (٢) فى الاتقان : ولبنان .

(٣) البروج : ٤

(٤) فى القرطبى (١٩ ـ ٢٩٢) : قال ابن إسحاق : وذو نواس هذا اسمه زرعة ابن تبان بن أسعد الحميرى .

(٥) الفيل : ١ (٦) الكافرون : ١ (٧) الفلق : ٣

تنبيه

[فى أسماء من نزل فيهم القرآن]

قال قيس عن الأعمش ، عن المنهال ، عن عباد بن عبد الله ، قال : قال على : ما فى قريش أحد إلا وقد نزلت فيه آية . قيل له : فما نزل فيك ؟ قال[1] : « ويَتْلُوه شاهدٌ منه » .

وأخرج الإمام أحمد ، والبخارى فى الأدب ، عن سعد بن أبى وقاص ، قال : نزلت فىَّ أربعُ آيات[2] : « يسألونك عن الأنفال » . «[3] ووَصَّيْنا الإنسانَ بوالدَيْه حُسْنا » . وآية تحريم الخمر ، وآية الميراث .

وأخرج ابن أبى حاتم ، عن رفاعة القرظىّ ، قال: نزلت[4]: « ولقد وصّلنا لهم القَوْلَ » فى عشرة ، أنا أحدهم .

وأخرج الطبرانى ، عن أبى جمعة جنيد بن سبع ، وقيل حبيب بن سباع ، قال : فينا نزلت[5] : « ولولا رِجَالٌ مؤمنون ونِساءٌ مؤمنات » ، وكنا تسعة نفر ؛ سبعة رجال وامرأتين .

* * *

---

(١) هود : ١٧ (٢) الأنفال : ١ (٣) العنكبوت : ٨
(٤) القصص : ٥١ (٥) الفتح : ٢٥

الوجه الرابع والثلاثون من وجوه إعجازه

احتواؤه على أسماء الأشياء والملائكة والكُنى والألقاب وأسماء القبائل والبلاد والجبال والكواكب

أما أسماء الأنبياء فسيأتى ذكرهم إن شاء الله على حروف المعجم فى أول كل حرف ما يناسبه ، وذلك خمس وعشرون ، هم مشاهيرهم .

وأما الكنى فليس منها فيه غير أبى لهب ، واسمه عبد العُزَّى ؛ ولذلك لم يُذكر باسمه لأنه حرام شرعاً . وقيل للإشارة إلى أنه جهنّمى .

والألقاب تأتى فى حروف المعجم .

وأما أسماء القبائل فيأجوج ومأجوج ، وعاد ، وثمود ، وقريش ، ومدين ، والروم .

وأسماء البلاد يأتى ذكرها مع أسماء الجبال .

وأما أسماء الكواكب فالشمس والقمر ، والطارق ، والشعرى .

وفيه من أسماء الأماكن الأخروية : الفِرْدَوس ؛ وهو أعلى [٨٢ ب] مكان فى الجنة . وعِلِّيُّون : قيل هو أعلى مكانٍ فى الجنة . وقيل اسم لما دُوِّن فيه أعمال صالحى الثّقلين . والكَوْثر هو نهر فى الجنَّة ، كما فى الأحاديث المتواترة . وسَلْسَبِيل ، وتَسْنيم : عينان فى الجنة . وسِجّين : اسم لمكان أرواح الكفار . وصَعُود : جبل فى جهنم ، كما أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد مرفوعا .

ومَوْبِق ، وغَىّ ، وأثام ، ووَيْل ، والسَّعير ، وسائل ، وسُحْق : أودية فى جهنم ، وستأتى كلها فى الحروف .

قال بعضهم : سمّى الله فى القرآن عشرة أجناس من الطير : السلوى ، والبعوض ، والذباب ، والنحل ، والعنكبوت ، والجراد ، والهدهد ، والغراب ، وأبابيل ، والنمل ، والطير؛ لقوله فى سليمان[1] : « علمنا مَنْطِق الطير » ، وقد فهم من كلامها .

وأخرج ابن أبى حاتم عن الشعبى ، قال : النملة التى[2] فقه سليمان كلامها كانت ذات جناحين ، ولإفراط إدراكها قالت هذا القول .

وروى أن سليمان عليه السلام سمعه ، وكان بينه وبينها ثلاثة أميال ؛ وذلك أنها لا يسمعها البشر إلا مَنْ خصّهُ الله بذلك .

وروى أنه قال لها : لم قلت للنمل : « ادخُلوا مساكِنَكم » ؟ أخِفْتِ عليها منى ظلما ؟ قالت : لا ، يا نبى الله ، ولكن خشيت أن يُفْتنوا بما يرون من جمالك وزينتك ، فيشغلهم ذلك عن طاعة ربهم .

وقيل: إنها قالت: خفتُ عليهم من كثرة رؤية النعم ، فيكفرون بنعمة الله عليهم .

فتأمل إحساس البهائم وما لنا حسّ ؛ ملأنا بطوننا من الحرام ، فغلبت علينا سَكْرة المنام ، وتراكمت على قلوبنا سحائب المخالفة ، فادعينا الدعاوى الباطلة ؛ وعن قريب ينكشف السحاب ، فتهب علينا نسائم الأسف والحزن ، ونقول : يا حسرتنا على ما فرّطْنا .

فبالله أيُّهَا الأخ ، قُمْ على قدم الاعتذار ، واكشف رأس الاستغفار ، وناد بلسان الاضطرار : «[3] رَبَّنَا ظَلَمْنَا أنفسنا وإنْ لم تَغْفِرْ لنا وتَرْحَمْنَا لنكونَنَّ من الخاسرين » .

---

(١) النمل : ١٦ (٢) فى ا : النطق الذى ... (٣) الأعراف : ٢٣

قال بعضهم : بتّ ليلة ألوم نفسى ، وأعدّد عليها ، ثم نمت ، فرأيتُ كأن القيامة قد قامت ، والناس جَمْع جُمع ، فجئتُ إلى قوم عليهم ثيابٌ حسنة ، ورائحة طيبة ، فأردتُ الجلوس معهم ، فأخذ بيدى شخص فأزالنى ، وقال : أين أنت ؟ وما أنت منهم ؟ أين حالك من حالهم ؟ أين نورك من نورهم ؟ فلم أزَلْ أُصرف من جمع إلى جمع حتى انتهيت إلى قوم عليهم أطمار رثّة ، ووجوههم مغبرة ، فلما رَأَوْنى قالوا : تقدم إلينا ؛ فأنت من أصحابنا ، فعلمت ذُلّى ومقامى ؛ فلزمت الحزن إلى يوم ألقاه .

اللهم إنك أنعمت على هذا العبد بإلزام الحزن قلبه ، اخلع علينا بُرد حزن ، حتى أقوم على ساق سبق توبة تكابد الحزن إلى يوم ألقاك بجاه مَنْ أنزلت عليه هذا الكتاب الشافع المشفّع ، الماحل المصدق ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

الوجه الخامس والثلاثون من وجوه إعجازه

ألفاظه المشتركة

وهذا الوجه من أعظم إعجازه ، حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً ، وأكثر وأقل ، ولا يوجد ذلك فى كلام البشر .

وقد صنّف فى هذا النوع وفى عكسه — وهو ما اختلف لفظه واتحد معناه — كثير من المتقدمين والمتأخرين ؛ منهم ابن الجَوْزِى ، وابن أبى المعافى ، وأبو الحسين محمد بن عبد الصمد المصرى ، وابن فارس ، وآخرون .

قال مقاتل بن سليمان فى صدر كتابه المصنف فى هذا المعنى حديثاً مرفوعاً : لا يكون الرجل فقيها كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة .

قلت : هــذا أخرجه ابن سعد وغيره عن أبى الدرداء موقوفا ، ولفظه : لا يفقه الرجل كل الفقه . وقد فسره بعضهم بأن المراد أن يرى اللفظ الواحــد يحتمل معانى متعددة فيحمله عليهــا إذا كانت غير متضادة ، ولا يقتصر به على معنى واحد .

وأشار آخرون إلى أن المراد به استعمال الإشارات الباطنة ، وعدم الاقتصار على التفسير الظاهر .

وقد أخرجه ابن عساكر من طريق حماد بن زيد عن أيوب ، عن أبى قِلَابة ، عن أبى الدرداء ، قال : إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها. قال حماد : فقلت لأيوب : أرأيت قوله حتى ترى للقرآن وجوها ؛ أهو أن يرى وجوها فيها بالإقدام عليه ؟ قال : نعم ، هو هذا .

وأخرج ابن سعد من طريق عكرمة ، عن ابن عباس ، عن على بن أبى طالب ، أنه أرسله إلى الخوارج ، قال : اذهب إليهم وخاصمهم ، ولا تخاصمهم بالقرآن ؛ فإنه ذو وجوه ، ولــكن خاصمهم بالسنة .

وفى وجه آخر قال له : يا أمير المؤمنين ؛ فأنا أعلم بكتاب الله فى بيوتنا نزل. قال : صدقت ؛ ولــكن القرآن حالّ فى وجوه : تقول ويقولون ، ولــكن حاجّهم بالسُّنن ، فإنهم لن يجدوا عنها محيصا ؛ فاخرُج إليهم فحاجهم بالسنن ، فلم تبق بأيديهم حجة .

وقد مَنّ الله علينا فى جَلْبِ بعض ألفاظٍ فى هــذا المعنى ، وكان هو السبب فى هذا المبنى ، فاشدُد بكلتا يديك على هــذا الــكتاب المسمى بإعجاز القرآن

ومعترك الأقران، مع أنى ـ علم الله ـ لست من فرسان هذا الميدان ، ولا ممن يجول في هذا الشان ، لكني تطفلت على المتقدمين ، رجاء أن يضمني جيل الاحتمال معهم ، ويسعني من حسن التجاوز ما وسعهم ؛ وأنا أرغب ممن وقع بيده هذا الكتاب أن يدعو للساعي له فيه ؛ لأنه يجد فيه مالا يجده في كثير من المطولين الصعاب ، وكيف لا يذكره عند ربه وقد استخرجته له منهم سهل المرام ، فخف عليه حمله وثمنه ، وقربت عليه الفهم باختصار الكلام ، وايم الله لو أراد الاستغناء به عن النظر في غيره لكفاه ، مع أني زدت مع اللفظ المشترك تفسير مفردات لا بد له منها ، ليتم له معناه . وأعقبت كل حرف بحروف تشاكلها منها من الأسماء والظروف ، لأن معرفة ذلك من المهمات المطلوبة ، لاختلاف مواقعها ؛ ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها ، كما في قوله تعالى[1] : «وإنّا أوْ إياكم لَعَلَى هُدًى أو في ضَلَالٍ مُبِين» . فاستعملت «على» في جانب الحق و «في» في جانب الضلال ؛ لأن جانب الحق كأنه مستعل يصرف نظره كيف شاء ، وصاحب الباطل كأنه في ظلام منخفض لا يدرى أين يتوجه .

وقوله تعالى[2] : «فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف» . عطف الجمل الأولى بالفاء ، والأخيرة بالواو لما انقطع نظام الرتب ؛ لأن التلطف غير مرتب على الإتيان بالطعام ، كما كان الإتيان به مرتباً على النظر فيه ، والنظر فيه مرتباً على التوجه في طلبه ، والتوجه في طلبه مرتباً على قطع الجدال في المسألة عن مدة اللبث وتسليم العلم لله تعالى .

وقوله[3] : «إنما الصدقات للفقراء والمساكين ...» الآية . عدل[4]

---

(١) سبأ : ٢٤ (٢) الكهف : ١٩ (٣) التوبة : ٦٠
(٤) الكشاف (١ ـ ٣٩٨)

عن اللام . إلى «في» في الأربعة الأخيرة ، إيذاناً بأنهم أكثر استحقاقاً للتصدُّق عليهم ممن سبق ذكره باللام ؛ لأن « في » للوعاء ؛ فنبَّه ، باستعمالها ، على أنهم أحقّ بأن يجعلوا مظنّة لوضع الصدقات بهم ، كما يُوضع الشيء في وعائه مستقراً فيه .

وقال الفارسي : إنما قال : « وفي الرِّقَاب » ولم يقل للرقاب ؛ ليدل على أن العبد لا يملك .

وعن ابن عباس قال : الحمد لله الذي قال[1] : « عن صلاتهم ساهون » ، ولم يقل في صلاتهم .

فقد علمت من هذا أنه لا بد منْ ذكر معاني هذه الأدوات وتوجيهها .

وقد أفردها بالتصنيف خلائق من المتقدمين والمتأخرين ، كالهروي ، وابن أم قاسم ، وابن هشام ، وأنفعها[2] هذا الكتاب البديع المثال ، المنيع المقال؛ بنيت لك مصاعد ترتقي عليها إلى مقاصد ، وتطلّع فيه على فهم الكتاب المنزل ؛ وفتحت لك من كنوزه كل باب مقفل . فخُذْه كقرصة نقِيّ منقى من كل خلط ورديء ، وكلْ إنْ كنت آكلا ، وإلا فلا تمنعه من الناقل إن لم تكن ناقلا .

على أني ليس لي فيه مزيّة ، وإنما الفضل لمتقدمي علماء الأمة المحمدية ، ملأ الله قبورهم نوراً ، وزاد قلوبهم حبوراً ، وأفاض من بركاتهم يوم نُلقّى كتابنا منشوراً ، فنظرنا إليه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولا خفيّة محرقة عندنا إلا عَدّها واستقصاها ؛ وأسمعنا تعالى عظيم كلامه ، وخاطبنا بعتابه وملامه . وقال : عبدي ؛ ادنُ مني ؛ فدنوت منه بقلب خافق وَجِل ؛ فقرأ : عبدي ظالما

(١) الماعون : ٥

(٢) في ب : وأشرنا في هذا الكتاب ...

أمرتُك فعصيتنى ، وأمهلتُك فما راعيتنى ، وخوّفتك عقابى فما خِفتنى ، وسترْتَ بالقبيح عن عبادى ، وبه بارزتنى . ألم أكن على قلبك وجوارحك رقيبا ؟ اقرأ كتابَكَ كفى بنفسك اليَوْمَ عليك حسيبا .

فهناك يخرسُ اللسان ، وتطيش العقول والأذهان ؛ ولا تطيق من الهيبة البيان ؛ بل تشهد جوارحُ الإنسان . اللهم إنكَ تعلم أنه ليس لى مَنْ ينقذنى مِن والد علم ولا وَلَدِ علم فى ذلك الموقف العظيم غير الاشتغال بخدمة كتابك ، واستخراج زُبَده ودُرَره ، واقتطاف ثمره وأزهاره . فاجعله لنا شافعا مشفعا ، وخصوصا هذا الكتاب ؛ فإنى أودعت فيه فنون العلوم على تنوُّعها ، وفرّقته على رياض التفاسير على كثرة عددها ، وختمته بأقوال كلية ؛ خلصت سبائكها ؛ وفوائد مهمة سبكت تبرَها ، وأقوال محمدية على بعض آياتك رجاء بركتها ؛ لأن بركة الكتاب ختمه . ختمته بما صحّ من التفسير عن نبيك البشير النذير ، السراج المنير ، راجيا منك حُسْن الخاتمة على دينك المستقيم ؛ فلا تزغ قلوبنا بعد إذ هَدَيْتَنَا ، وثبتنا على صراطك القويم بجاه سيدنا ومولانا الفاتح الخاتم منقذنا من العذاب الأليم ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأمته أفضل صلاة وأزكى تسليم .

حرف الهمزة

(آدم) أبو البشَر[١] ، ذكر أنه أفعل مشتق من الأدمَة[٢] ؛ لذا مُنع صرفه .

قال الجواليقى[٣] : أسماء الأنبياء كلها أعجمية ، إلا أربعة : آدم ، وصالح ، وشعيب ، ومحمد . وأخرج ابن أبى حاتم من طريق أبى الضحى عن ابن عباس ، قال : إنما سُمِّى آدم ، لأنه خُلق من أدِيم الأرض .

وقال قوم : هو اسمٌ سريانى أصله آدام، بوزن خاتام ، عُرِّب بحذف الألف الثـانية .

وقال الثعلبى : التراب بالعبرانية آدام[٤] فسمى آدم به .

قال ابن أبى خيثمة : عاش تسعمائة وستين سنة[٥] .

وقال النووى فى تهذيبه : اشتهر فى كتب التاريخ أنه عاش ألف سنة .

(إدريس) قيل إنه قَبْل نوح . قال ابن إسحاق : إدريس أوَّلُ بنى آدم ، أعطى النبوءة ؛ وهو أخنوخ[٦] بن يَرْد بن مهائيل[٧] بن أنُوش بن قينـان ابن شيث بن آدم .

---

(١) الإتقان : ٤ ـ ٥٨ ، والمحبر : ٢ ، ٣ ، والطبرى : ١ ـ ٨٩
(٢) من أدمة الأرض : لونها (اللسان ـ أدم) .
(٣) المعرب : ١٣ (٤) اللسان ـ أدم .
(٥) فى المحبر (٢) : تسعمائة وثلاثون سنة
(٦) المحبر : ٣ ، وفيه : أحنوخ ـ بالحاء المهملة بعد الهمزة .
(٧) ارجع إلى نسب قريش (٤) ، وفيه مهليل .

وقال وهب بن منبه : إدريس جدّ نوح الذى يقال له خنوخ ، وهو اسمٌ سريانى ، وقيل عربى مشتق من الدراسة لكثرة درسه الصحف .

وفى المستدرك بسند رواه الحسن عن سمرة ، قال : كان نبىُّ اللهِ إدريس أبيض طويلا ضخم البطن ، عريض الصدر ، قليل شعر الجسد ، كثير شعر الرأس ، وكان إحدى عينيه أعظم من الأخرى ، وفى صدره نكتة بياض من غير برَص ، فلما رأى الله من جَوْر أهل الارض واعتدائهم رفعه إلى السماء السادسة ، وهو حيث يقول[1] : « ورَفَعناهُ مَكانًا عَليًّا » .

وذكر ابن قُتيبة أنه رُفع وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة ، وفى صحيح ابن حبان : كان نَبِيًّا رَسولا ، وأنه أول من خطَّ بالقلم .

وفى المستدرك عن ابن عباس ، قال : كان فيما بين نوح وإدريس ألفٌ .

(إبراهيم) قال الجواليقى[2] : هو اسم قديم ليس بعربىّ ، وقد تكلمت به العربُ على وجوه ، أشهرها إبراهيم ، وقالوا إبراهام ، وقرىء به فى السبع ، وإبرام[3] بحذف الياء ، وإبْرَهَم ، وهو اسم سريانى ، معناه أبٌ رحيم ، وقيل مشتقّ من البرهمة وهى شدّةُ النظر ، حكاه الكرمانى فى عجائبه ؛ وهو ابن[4] آزر واسمه تارح — بمثناة وراء مفتوحة وآخره حاء مهملة — ابن ناحور — بنون ومهملة مضمومة — ابن شاروخ[5] — بمعجمة وراء مضمومة وآخره خاء معجمة — ابن راغو[6]

---

(١) مريم : ٥٧ (٢) المعرب : ١٣

(٣) الهاء مثلثة الحركات — كما فى القاموس .

(٤) نسب قريش : ٤ ، والإتقان : ٦٠ ، والمحبر : ٣ ، ٤

(٥) فى نسب قريش(٤) : ابن أسرع ، وفى المحبر : أشرع . وفى الطبرى : ١ — ٢٣٣ : ساروغ .

(٦) فى نسب قريش (٦) ، والمحبر (٤) : بن أرغو .

بغين معجمة — ابن فالَغ — بفاء ولام مفتوحة ومعجمة ، ابن عابر — بمهملة وموحدة — ابن شالخ — بمعجمتين — ابن أرْفَخشَذ بن سام بن نوح .

قال الواقدى : ولد إبراهيم على رأس ألفى سنة من خَلق آدم .

وفى المستدرك من طريق ابن المسيّب عن أبى هريرة ، قال : اختتن إبراهيم بعد عشرين ومائة سنة ، ومات ابن مائتى سنة .

وحكى النووى وغيره قولا إنه عاش مائة وخمسة وسبعين .

(إسماعيل) قال الجواليقى[1] : ويقال بالنون آخره . قال النوى وغيره : هو أكبر ولد إبراهيم .

(إسحاق) وُلد بعد إسماعيل بأربع عشرة سنة ، وعاش مائة وثمانين سنة . وذكر أبو على بن مسكويه فى كتابه الفريد : إن معنى إسحاق بالعبرانية الضحاك .

(أيوب) قال ابن إسحاق : الصحيح أنه كان من بنى إسرائيل ، ولم يصح فى نسبه شىء ، إلا أن اسم أبيه أبيض .

وقال ابن جرير[2] : هو أيوب بن موسى[3] بن رَوح[4] بن عيص ابن إسحاق .

وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط ، وأن أباه ممن آمن بإبراهيم ؛ وعلى هذا فكان قبل موسى .

---

(١) المعرب : ١٤

(٢) تاريخ الطبرى : ١ — ٣٢٢ ، وانظر المحبر : ٥ ، ٣٨٨

(٣) فى الطبرى : موص . (٤) فى الطبرى : بن رازح . وفى المحبر : بن زاوح .

وقال ابن جرير : كان بعد شعيب . وقال ابن أبى خيثمة : كان بعد سليمان ابْتُـلِىَ وهو ابن سبعين، وكانت مدة بلائه سبع سنين ، وقيل ثلاث عشرة ، وقيل ثلاث سنين .

وحكى الطبرانى أن مدةَ عمره كانت ثلاثاً وتسعين سنة .

(إلياس) قال ابن إسحاق فى المبتدأ : هو ابن ياسين بن فنحاص بن العَيْزَار ابن هارون أخى موسى بن عمران .

وقال ابن عسكر : حكى القتبى أنه من سبط يوشع . قال ابن وهب : إنه عُمِّر كما عُمر الخضر ، وإنه يبقى إلى آخر الدنيا . وعن ابن مسعود أن إلياس هو إدريس . وإلياس بهمزة قَطْع : اسم عبرانى . وقد زيد فى آخره ياء ونون فى قوله[1] : « سَلَامٌ عَلَى إِلْيَاسِين » ، كما قالوا فى إدريس إدراسين[2] . ومن قرأ آل ياسين فقيل المراد آل محمد .

(اليسع) قال ابن جرير[3] : هو ابن أخطوب بن العجوز . قال : والعامةُ تقرؤه بلام واحدة مخففة . وقرأ بعضهم[4] : واللَّيسع بلامين وبالتشديد ، فعلى هذا هو أعجمى ، وكذا على الأول . وقيل عربى منقول من الفعل ، من وسع يسع .

(إسرائيل) لقب يعقوب ، ومعناه عبد الله . وقيل صَفْوة الله . وقيل سِرِىّ الله ؛ لأنه أسرَى لما هاجر .

---

(١) الصافات : ١٣٠ (٢) فى ب : إدريسن .

(٣) فى الإتقان : ابن جبير .

(٤) من قوله تعالى : وإسماعيل واليسع (الأنعام : ٨٦)

أخرج ابن جرير من طريق عمير عن ابن عباس أن إسرائيل كقولك عبد الله .

وأخرج عبد بن حميد فى تفسيره عن أبى مجلز ، قال : كان يعقوب رجلا بطيشاً فلقى ملكاً فعالجه ، فصرعه الملك ، فضرب على فخذه ، فلما رأى يعقوب ما صنع به بطش به ، فقال : ما أنا بتاركك حتى تسمينى باسم ؛ فسماه إسرائيل . قال أبو مجلز : ألا ترى أنه من أسماء الملائكة .

وفيه لغات[1] أشهرها بياء بعد الهمزة ولام ، وقرىء إسرائيل بياء بلا همز . قال : ولم يخاطب اليهود فى القرآن إلا بيا بنى إسرائيل دون يا بنى يعقوب لنكتة ؛ وهى أنهم خوطبوا بعبادة الله ، وذكروا بدين أسلافهم موعظة لهم وتنبيهاً من غفلتهم ؛ فسموا بالاسم الذى فيه تذكرة بالله ؛ فإن إسرائيل اسم مضاف إلى الله فى التأويل ، ولما ذكر موهبته لإبراهيم وتبشيره به قال يعقوب — وكان أولى من إسرائيل ؛ لأنها موهبة بعقب آخر ، فناسب ذكر اسم يشعر بالتعقيب .

(أحمد) نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وله أسماء كثيرة حتى أنهاها[2] إلى مائة وخمسة وعشرين . قال الراغب : وخص لفظ أحمد فيما بشر به عيسى ، تنبيهاً على أنه أحمد منه ، ومن الذى قبله .

وأخرج ابن أبى حاتم عن عمرو بن مرة قال : خمسة سموا قبل أن يكونوا : محمد ، و « [3] ومُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ » . ويحيى : « [4] إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى » . وعيسى : « [5] مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ » .

---

(١) هذه اللغات هى : إسرائيل ، إسرال ، إسرائين ، كما فى المعرب : ١٤

(٢) حقها : حتى أنهاها بعضهم ، ولكن هكذا الأصول .

(٣) الصف : ٦ (٤) مريم : ٧

(٥) آل عمران : ٣٩

وإسحاق ويعقوب : «[1] فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ » .

(أباريق) حكى الثعالبى فى فقه اللغة أنها فارسية . وقال الجواليقى[2] : الإبريق فارسى معرب ، ومعناه طريق الماء ، أو صبّ الماء على هِينَة .

(أبّ) قال بعضهم : هو الحشيش بلغة أهل المغرب ، حكاه شَيْذَلَة[3] .

(ابلَعِى) أخرج ابن أبى حاتم ، عن وهب بن منبّه فى قوله[4] : « ابْلَعِى ماءَكِ » — قال بالحبشية ازْدِميه . وأخرج أبو الشيخ من طريق جعفر بن محمد عن أبيه ، قال : اشربيه — بلغة الهند .

(أخلَدَ) قال الواسطى فى الإرشاد : « أخلَدَ إلى الأرض » : ركن بالعبرانية .

(الأرائك) حكى ابن الجوزى فى فنون الأفنان : أنها السُّرُر بالحبشية .

(آزَر) عدّ فى المعرب على قول أنه ليس بعلم لأبِ إبراهيم ولا الصنم . وقال ابن أبى حاتم : ذكر عن معتمر بن سليمان قال : سمعت أبى يقرأ[5] : « وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر » — يعنى بالرفع : أنها أعوج ، وأنها أشد كلمة قالها إبراهيم لأبيه . وقال بعضهم هى بلغتهم يا مخطىء[6] .

(أسباط) حكى أبو الليث فى تفسيره أنهم بلغتهم كالبساتين بلغة العرب .

---

(١) هود : ٧١ (٢) المعرب : ٢٣

(٣) هو عزيزى بن عبد الملك الشافعى ، أبو المعالى القاضى المعروف بشيذلة ، توفى سنة ٤٩٤ . (شذرات الذهب : ٣ — ٤٠١) .

(٤) هود : ٤٤ (٥) الأنعام : ٧٤

(٦) قال الراغب : قيل آزر معناها الضال فى كلامهم .

(اسْتَبْرَق) أخرج ابن أبى حاتم عن الضحاك أنه الدّيبــــاج الغليظ بلغة العجم .

(أسفَار) قال الواسطى فى الإرشــاد : هى الكتب بالسريانية . وأخرج ابنُ أبى حاتم عن الضحاك قال : هى الكتب بالنبطية .

(إصْرِى) قال أبو القاسم فى لغات القرآن : معناه عَهْدى بالنبطية .

(أكواب) حكى ابن الجوزى أنها الأكواز بالنبطية . وأخرج ابن جرير عن الضحاك أنها بالنبطية الجِرَار ليس لها عُرى .

(إل) بكسر الهمزة — قال ابن جنى : ذكروا أنه اسم الله تعالى بالنبطية .

(أليم) حكى ابن الجوزى أنه المُوجِع بالزنجيــة . وقال ابن شَيْذَلة : بالعبرانية .

(إناه) نُضجه بلسان المغرب ، ذكره شيذلة . وقال أبو القاسم بلغة البربر . وقال فى قوله : حميم — إنه هو الذى انتهى حره بها . وقال فى قوله[1] : « مِنْ عين آنِيَةٍ » ؛ أى حارّة بها .

(أوّاه) أخرج أبو الشيخ ابن حيــان عن عكرمة عن ابن عباس قال : الأوّاه[2] : الموقن بلسان الحبشة . وأخرج ابن أبى حاتم مثله عن مجاهد وعكرمة . وأخرج عن عمرو بن شرحبيل قال : الرحيم — بلسان الحبشة . وقال الواسطى : الأوّاه الدعاء بالعبرانية .

(أوّاب) أخرج ابن أبى حاتم عن عمرو بن شرحبيل قال : الأوّاب

---

(١) الغاشية : ٥ (٢) التوبة : ١١٤

المسبّح بلسان الحبشة . وأخرج ابن جرير عنه فى قوله[1] : « أوِّبِي معه » ؛ قال : سبحى بلسان الحبشة .

(الأولى) الآخرة ، قال فى قوله الجاهلية الأولى ، أى الآخرة فى الملة .

(الآخرة) أى الأولى بالقبطية . والقبط يسمون الآخرة الأولى ، والأولى الآخرة ، حكاه الزركشى فى البرهان .

(آية) له معنيان : أحدهما عبرة وبرهان ، والثانى آية من القرآن ، وهى كلام مُتّصل إلى الفاصلة . والفواصل هى رءُوس الآيات .

(أتى) بقصر الهمزة ، معناه جاء ، ومضارعه يَأْتِى ، ومصدره إتيان ، واسم الفاعل منه آتٍ ، واسم المفعول مَأْتِىّ . ومنه قوله تعالى[2] : « إنه كان وَعدُه مَأْتِيًّا » .

(وآتى) بمد الهمزة معناه أعطى ، ومضارعه يُؤتى ، ومصدره إيتاء ، واسم الفاعل مُؤتى ؛ ومنه[3] : « المُؤْتون الزّكاة » .

(أَبى) أى امتنع .

(أثَر) الشىء : بقيّته وأمارته ، وجمعه آثار . والأثر أيضاً الحديث ، وأثارة من عِلم : بقيّته . وأثاروا الأرض : حرثوها . وآثَر الرجل بالشىء يؤثره : أى فضّله .

(إثم) ذَنب ، ومنه آثِم وأثِيم : مُذنب .

(أجْر) ثواب . وبمعنى الأجرَة ؛ ومنه[4] : استأْجِرْه . وعلى[5] أن

(١) سبأ : ١٠ (٢) مريم : ٦١ (٣) النساء : ١٦٢
(٤) القصص : ٢٦ (٥) القصص : ٢٨

تَأْجُرَنِى . ويُجِرْكُم(١) مِنْ عذاب أليم . ومَنْ(٢) يجيرنى من الله . ويُجِير(٣) ولا يُجَارُ عليه . فذلك كلُّه من الجوار بمعنى التأمين .

(آمن) إيماناً : أى صدق . والإيمان فى اللغة التصديق مطلقاً ، وفى الشرع التصديق [١٨٥ب] بالله وملائكته وكتُبه ورسله واليوم الآخر . والمؤمن فى الشرع المصدّق بهذه الأمور . والمُؤمِنُ اسمُ الله تعالى إذ هو المصدق لنفسه . وقيل : إنه من الأمن، أى يُؤمِنُ أولياءه من عذابه . وأَمِن ـ بكسر الميم وقصر الألف ـ أمناً ، وأمِنْتُ ضدّ الخوف . وأمن أيضاً من الأمانة ، وأمَّنَ غيره من التأمين .

(إمام) له أربعة معان : القُدوَة ، والـكَنَف ، والطريق ، وجمع آمٍّ(٤) ؛ أى تابع ؛ وهو(٥) « اجعلنا للمتّقين إمَاماً » .

(الأجَل) عبارة عن الوقت الذى تنقطع به الحياة ، فإذا قيل : أجل الحياة وأجل الموت ، فالمراد به الوقت الذى يحلّ فيه الدّين وتنقطع به الحياة ، خلافاً للمعتزلة القائلين بأنّ المقتول لو لم يقتل لبقى ؛ وهذا باطل للآية(٦) : « فإذا جاءَ أجلُهم لا يستَأْخِرون ساعةً ولا يستقدمون » .

(أُمّىّ) لا يقرأ ولا يكتب ؛ ولذلك وُصِف العرب بالأميين .

(أمّ) له معنيان : الوالدة ، والأصل . وأمُّ القرى : مكة .

(آل) له معنيان : الأهل ، ومنه : آل لوط . والأَتباع والجنود ؛ ومنه : آل فِرْعون .

---

(١) الأحقاف : ٣١ (٢) الجن : ٢٢ (٣) المؤمنون : ٨٨

(٤) فى اللسان : جمع آم كصاحب ، وصحاب . وقيـل هو جمع إمام ، وهو جمع مكسر . وفى المفردات (٢٤): قال أبو الحسن : جمع إمام ، وقال غيره : هو من باب درع دلاص ، ودروع دلاص .

(٥) الفرقان : ٧٤ (٦) الأعراف : ٣٤

(أمس) اليوم الذى قبل يومِك . والزّمان الماضى .

(إناه) وقته ، وجمعه آناء ؛ ومنه : آناء الليل .

(أمر) له معنيان : أحدهما طلَبُ الفعل على الوجوب أو النّدب أو الإباحة . وقد قدّمنا[1] صيغ الأمر ، كالتهديد ، والتعجيز ، والتعجب ، والخبر .
والثانى بمعنى الشأن والصفة ؛ وقد يراد به العذاب . ومنه[2] : « جاءَ أمرُنا » .

(إياب) : رجوع ، ومنه[3] : « إنّ إلينا إيابَهم » . و[4] إليه مَآب .

(إفك) أشدّ الكذب . والأفّاك الكذاب . وأفك عنه ؛ أى صرف ، ومنه : تؤفكون .

(أوى) الرجل إلى الموضع بالقصر ، وآواه غيره ـ بالمد . ومنه المَأْوَى .

(أفّ) كلمة شَرّ .

(آلاء الله) نِعَمه .

(أسف) له معنيان : الحزن والغَضب . ومنه[5] : « فلما آسَفُونا » .

(أسوة) بكسر الهمزة وضمّها : قدوة .

(أسِى) الرجل يَأسى أسًى ؛ أى حزن . ومنه[6] : « فلا تَأسَ على القَوْمِ الكافرين » . «[7] فكَيْفَ آسَى » .

(أذان) بالقصر : إعلام الشىء . ومنه الأذان بالصلاة ، والآذان بالمد : جمع أذُن .

---

(١) صفحة ٤٢٢ (٢) هود : ٤٠ (٣) الغاشية : ٢٥
(٤) الرعد : ٣٦ (٥) الزخرف : ٥٥ (٦) المائدة : ٢٦
(٧) الأعراف : ٩٣

(إذن الله) يأتى بمعى العلم، والأمر ، والإرادة ، والإباحة . وأذِنتُ بالشىء علمت به — بكسر الذال . وآذَنتُ به غيرى — بالمد .

(أُكُل) بضم الهمزة : اسم للمأكول . ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها . والأَكل — بفتح الهمزة : المصدر

(أَيْكة) غَيْضَة .

(أثاثاً) متاع البيت .

(أُجَاج) مُرّ .

(آنِيَة) له معنيان : جمع إناء ، ومنه[1] : « بآنِيَةٍ من فِضّة » . وشديد الحر ، ومنه[2] : « عَيْنٍ آنية » . ووزن الأول أفعلة، والثانى فاعلة ، ومذكّره آن . ومنه[3] : « حَمِيمٍ آن » .

(أأنذرتهم) أأعلمتهم بما تحذّرهم منه ، ولا يكون المُعْلِمُ مُنذراً حتى يحذِّر بإعلامه ؛ فكلُّ منذر مُعلم ، وليس كل مُعلم منذراً .

(أَنْدَاداً) أمثالا ونُظَراء ، واحدها ندّ .

(أَزَلَّ) : أى نحّى . يقال : أزلَلته فزَلّ ؛ ومنه[4] : « فأزَلّهما الشيْطَان » .

---

(١) الإنسان : ١٥

(٢) الغاشية : ٧٨ . وفى المفردات : وآن الشىء : قرب إناه . و « حميم آن » : بلغ إناه فى شدة الحر ، ومنه قوله تعالى : من عين آنية .

(٣) الرحمن : ٤٤ (٤) البقرة : ٣٦

(أمانى) جمع أمنية ، وهى التلاوة . ومنه : «[1]ألقى الشيطانُ فى أمنيته » ؛ أى فى تلاوته . والأمانى الأكاذيب أيضاً . ومنه قول عثمان[2] : ما تمنّيتُ منذ أسلمت . ومنه قول بعض العرب لابن دَأب وهو يُحدّث[3] : أهذا شىءٌ روَيتَه أم شىء تمنّيته ؛ أى افتعلته . والأمانى أيضاً : ما يتمناه الإنسان ويشتهيه .

(أيّدناه) قوّيناه .

(الأبُ) من له ولادة ، والعرب تجعل العمّ أبا والخالة أمًّا . ومنه[4] : « ورفع أبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ » .

(أسباب) : وصلات ، الواحد سبب ووصلة ، وأصلُ السبب الحَبْل يشدّ بالشىء فيجذب به ، ثم جعل لكل ما جرّ شيئاً سبباً .

(أصْبَرهم) وصبّرهم واحد . ويقال : « ما أصبرهم على النار » ؛ أى ما أجرأهم عليها .

(ألْفَيْنا) وجدنا .

(أهِلّة) جمع هلال ، يقال له هلال إلى أن يكمل نُورُه إلى سبع ليال ، ثم قمر ، ثم بدر لاستدارته ، وقيل لمبادرته الشمس بالطلوع إذا غرب .

(أفَضْتُم) دفعتم بكثرة .

(أيام معلومات) أيام التشريق.والمعلومات : شوّال، وذو القعدة ، وعشرين من ذى الحجة ؛ أى [illegible]نوا فى أسباب الحج وتهيّئُوا له فى هذه الأوقات من التلبية وغيرها .

---

(١) الحج : ٥٢
(٢) مفردات الراغب : ٤٧٦ ، واللسان — منى .
(٣) اللسان — منى .
(٤) يوسف : ١٠٠

(الأشهر الحُرُم) رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ؛ واحد فَرْد وثلاثة سرد .

(ألَدّ الخِصَام) أى شديد الخصومة .

(أفرغ) اصبُبْ ، ومنه[1] : « أفْرِغ علَيْنا صَبْراً » .

(اقسِطْ) اعدل .

([2] آتَت أُكُلَها ضِعفَيْن) أى ضِعفى غيرها من الأرضين .

([3] أسلَمْتُ وَجهى) أخلصت .

(أقلامهم) قِدَاحهم ، يعنى سهامهم التى كانوا يجيلونها عند العزم على الأمر ، ويكتبون اسم الخصم على القلم ، ويُلْقُونه فى الماء ، فإذا جرى القلم على الماء عُلم أنه حق ، وإذا رسب فى الماء عُلِم أنه باطل .

كما أن القربان كان حاكم آدم عليه السلام ، فمن احترق قربانه علم أنه حقّ ، ومَنْ لم يحترق قربانه علم أنه باطل .

والسفينة كانت حاكم نوح ، فمن وضع يده على السفينة ولم تتحرك علم أنه حق ، ومن وضع يده عليها وتحركت علم أنه باطل .

والسلسلة كانت حاكم داود عليه السلام ، فمن مدّ يده إليها وأخذها فهو حق ، ومن لم يقدر على أخذها فهو باطل .

والنار كانت حاكم إبراهيم عليه السلام ، فمن وضع يده على النار فلم تحرقه فهو على الحق ، ومن وضع يده عليها وأحرقته فهو على الباطل .

---

(١) البقرة : ٢٥٠ (٢) البقرة : ٢٦٥ (٣) آل عمران : ٢٠

والصّاع كانت حاكِمَ يوسف عليه السلام ، فمن وضع يده عليه وسكت فهو حق ، ومن وضع يده على الصاع وصاح وصوّت فهو باطل .

والحفرة التي كانت في صَوْمعة سليمان عليه السلام كانت حاكمه ، فمن وضع رِجلَه فيها ولم تأخذه وخرجت عُلم أنه حق ، ومن وضع رِجْله فيها وانضمّت عليه علم أنه باطل .

فإن قلت : كان أَوْلَى بهذه الخواصّ نبيُّنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، فما باله مُنعها ؟

والجواب أنه أُعطى البيِّنة على المدعى واليمين على المنكر لئلا يهتك سترَ مَنْ كذب في دَعواه في الدنيا، فكيف يهتك ستر مَنْ شهد الشهادة في القربى . وفي الحديث : إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى كل نبيّ أن يحاسَب مع أمّته ، ويقول : يا محمد ، ألا تحاسَب مع أمّتك! فيناجى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربّه، ويقول : إلهى لا تَفضَحْنى في أمّتى ، واجعل حسابهم في يدى حتى لا يطلع على مساويهم غيرى . فيقول : يا محمد ، أنت تريد ألا يطلع على مساويهم غيرك ، وأنا لا أريد أن يطلع على مساويهم أنت ولا غيرك ، لأنى أرفق بهم منك . اللهم كما أنعمت علينا به وشرفتنا بشرفه ، اقبَلْ من مُحْسننا وتجاوَزْ عن مُسيئنا ، ولا تشمت فينا الأعداء ، إنّكَ ذو الفضل العظيم .

(الأَكمَه) الذى يُولَد أعمى .

(أَحَسّ) علم ووجد .

(أَوْلَى)[1] الناس بإبراهيم : أحقّهم به .

---

(١) آل عمران : ٦٨

(الإيناس) الرؤية ، والعلم بالشيء ، والإحساس به ؛ ومنه[1] : « فإنْ آنَسْتُم منهم رُشْدا » . و «[2] آنَسْتُ ناراً » .

(أذَاعُوا به) أفشوه .

(أرْكَسَهم) نكسهم وردّهم في كُفْرِهم[3] .

(آمِّينَ البيتَ الحرام) أي عامدين . وأما في الدعاء فتخفف الميم وتمدّ وتقصر ، وتفسيره : اللهم استجب . ويقال «آمين» اسم من أسماء الله عزّ وجل .

(الأزلام) : القِدَاح التي كانوا يَضرِبونها على المَيْسر ، واحدها زَلَم وزُلَم[4] .

(أجْل ذلك) أي من سببه ، ويقال : من أجل ذلك ، ومن جرَّاءِ ذلك بالمد والقَصر .

(أغرَيْنَا بَينَهم) هيَّجْنا . ويقال أغرينا : ألصقنا بهم . وأصل ذلك — من الغِراء . والعداوة تباعد القلوب والنيات . والبغضاء : البغض .

(الأوليان) واحدها الأولى ، والجمع الأوّلون . والأنثى الأوَّلة ، والجمع الأوّلات[5] .

(أكِنَّة) أغطية ، واحدها كِنان .

(أساطير) أباطيل وتُرَّهَات ، واحدها أسطورة وإسطَارة .

---

(١) النساء : ٦ (٢) طه : ١٠ (٣) قال ابن عباس : بددهم .

(٤) في القاموس : الزلم – محركة ، وكصرد : سهام كانوا يستقسمون بها في الجاهلية . جمعه أزلام .

(٥) هذا في الأصول . وفي اللسان أيضا : أول جمعه أولون . وأولى جمعه أوليات .

(أوْزَارها) آثامها ؛ ومنه[1] : « وهم يَحمِلُون أوْزَارَهُم » ؛ وأصل الوِزر ما حَمل الإنسان ، فسمّى السلاح أوزاراً ، لأنه يحمل . وأما قوله[2] : « ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزرَ أُخرى » ؛ أى لا تُؤخَذ نَفسٌ بذنبِ غيرها .

(أفَل) غاب .

(أكابر) عظماء .

(الأعراف) سُورٌ بين الجنّة والنار ، وسُمِّىَ بذلك لارتفاعه . ومنه سُمّى عُرْف الديك ؛ ويستعمل فى الشرف والمجد ، وأصله فى البناء .

(أقَلّتْ) حملت ؛ وإنما سُميت الكيزان قلالا لأنها تُقَل بالأيدى فيُشْرَب فيها .

(أنفال) غنائم . والنفْل : الزياده على الفرض . ويقال لولد الناقة نافلة ؛ لأنه زيادة على أمه. وأما قوله تعالى: «[3]ووهَبْنَا له إسحاق ويعقوب نافلةً » ؛ أى دعاء بإسحاق ،فاستُجيب له وزيد يعقوب، كأنه تفضُّل من الله عز وجل ، وإن كان كلٌّ بتفضله .

(أمْطَرْنَا) عليهم[4] — بالهمزة : معناه العذاب ، وللرحمة مطرنا .

(أقاموا الصلاة) حافَظوا عليها بشروطها ، يقال : قام بالأمر ، وأقاموا به : إذا جاء به مُعْطٍ لحقوقه .

(أسلَفَت) قدّمت .

(أخبَت) تواضع وخشع . والخَبْت : ما اطمأن من الأرض .

---

(١) الأنعام : ٣١ (٢) الأنعام : ١٦٤ (٣) الأنبياء : ٧٢
(٤) الأعراف : ٨٤

(الأَراذل[1]) : الناقص القدر والقيمة .

(أوْجس) أحسَّ فى نفسه خوفاً .

(أسرى) من سُرى الليل ؛ يقال سرى وأسرى ـ لُغتان .

(أدْلى) دَلْوَه : أرسلها ليملأها . ودلاّها : أخرجها .

(أَشُدّه) منتهى شبابه وقوته ، واحدها شَدّ ، مثل فَلْس وأفْلس . قال مجاهد : ثلاثاً وثلاثين سنة . واستوى : قال أربعين سنة . وأَشُدّ اليتيم : قالوا ثمان عشرة سنة .

(أَكبَرْنَه) أعظَمْنَه .

([2] أصْبُ إليهنّ) أمِلْ إليهن ، ويقال أصبانى فصبوت ؛ أى حملنى على الجهل ، وعلى ما يفعل الصبى ، ففعلت .

(أضْغاث أحلام[3]) : أخلاط ، مثل أضغاث الحشيش ، واحدها ضِغث ، وإنما قالوا أضغاث أحلام بالجمع وكانت واحدةً ، لأنه كقولهم : فلان يركب الخيل وإن رَكِبَ فرساً واحداً .

(استَبَقَا الباب[4]) من المسابقة ، معناه : سابق كلّ واحد منهما صاحبه إلى الباب ، فقصد هو الخروج والهروب منها ، وقصدَت هى أن تردّه .

فإن قلت : لِمَ قال هنا الباب بالإفراد ، وقد قال : وغُلِّقت الأبواب بالجمع ؟

فالجواب أن المراد هنا الباب البَرّانى الذى هو المخرج من الدار .

---

(1) هود : ٢٧ فى قوله تعالى : وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا .

(2) يوسف : ٣٣ (3) يوسف : ٤٤ (4) يوسف : ٢٥

(آثرك) الله ، أى فضَّلك . ويقال على أُثْرَة[1] : أى فَضْل .

(أصنام) جمع صنم ، وهو ما كان مصوّراً من حجـــر أو صُفر[2] أو نحو ذلك . والوثَن ما كان من غير صورة . وقد سمى الله تعالى فى كتابه أسماء الأصنام التى كانت أسماء لأناس : وُدّ ، وسواع ، ويَغوث ، ويَعوق ، ونَسْر . وهى أصنام قوم نوح . واللّات والعُزّى ومَنَاة ، وهى أصنام قريش . وكذا الرُّجز[3] فيمن قرأه بضم الراء ، ذكره الأخفش فى كتاب الواحد والجمع على أنه اسم صَنَم .

(أصْفَاد) أغلال ، واحدها صفَد .

(أسقَيْنَاكُموه) يقال لما كان منْ يدك إلى فمه سقيته ، فإذا جعلت له شرباً وعرضته لأن يشرب أو لزَرْعه قلت أسقيته . ويقال سقى وأسقى بمعنى واحد .

(أرْذَل العُمر) الهرم الذى يُنقِص قُوّته وعقله ، ويصيِّرُه إلى الخرف ونحوه .

(أكنَانا) جمع كِنّ ، وهو ما سَتَر ووقى من حر البرد .

(أمَّرنا) بالتشديد : جعلناهم أمراء .

(أرْبَى) أى أزيد عدداً . ومن هذا سمى الرِّبا .

(اجلِبْ عليهم) جَمِّع عليهم .

(أعثَرنَا) أطلعنا .

(١) فى القاموس : الأثرة — بالضم : المكرمة المتوارثة .

(٢) الصفر : النحاس .

(٣) قال الراغب ١٨٨ : وقوله : والرجز فاهجر : قيـــل هو صنم . وقيل : هو كناية عن الذنب فسماه بالمآل كتسمية الندى شحما .

(أَسَاور) جمع أسورة ، وأسورة جمع سِوَار ، وهو الذى يُلبس فى الذراع من ذهب ، فإن كان من فضة فهو قُلب ، وجمعه قِلَبة ، وإن كان من قَرْن أو عاج فهو مَسَكة ، وجمعها مِسَك .

(أهُشُّ[1] بها على غَنَمِي) أضرب بها الأغصان ليسقط ورقُها على غنمى فتأ كله ، وإنما سأله تعالى ليريه عظم ما يَفعَلُه فى العصا من قلبها حيَّة ؛ فمعنى السؤال تقرير أنها عصا ليتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها وبعد أن يقلبها . وقيل : إنما سأله ليُؤنسَه ويبسطه بالكلام .

(أَزْرِى) عِزّى وظَهْرى . ومنه[2] : « فآزره » ؛ أى أعانه .

(أمثَلهم طريقة) أى أعدَلهم طريقة وقَوْلا عند نفسه .

(أمْتًا) ارتفاعاً وهبوطاً .

(أترَفناهم) نعّمناهم ؛ والمترف المتقلب فى لين العيش .

(أحَاديث) أى عِبَرًا يتمثَّل بهم فى الشر ، ولا يقال جعلته حديثاً فى الخير .

(الأَيِّم) الذى لا زوج لها ، ويقال للرجل والمرأة .

(أشْتاتًا) فِرَقًا ، واحدهم شت .

(أصيل) ما بين العَصْرِ إلى الليل ، وجمعه أُصُل ، ثم أصائل جمع الجمع .

(أناسى) جمع إنسى ، وهو واحد الإنسان ، جمعه على لفظه ، مثل كرسى وكراسى ، والإنس جمع الجنس يكون بطرح ياء النسب ، مثل رومى وروم .

---

(١) طه : ١٨ — (٢) الفتح : ٤٨

ويجوز أن يكون أناسى جمع إنسان ، وتكون الياء بدلا من النون ؛ لأن الأصل أناسين بالنون ، مثل سراحين جمع سرحان ، فلما ألقيت النون من آخره عوضت الياء .

(أَزْلَفْنَا) أى جمعناهم فى البحر حتى غرقوا ، ومنه ليلة المُزْدَلفة ؛ أى ليلة الاجتماع . ويقال : أزلفنا : قربنا ؛ أى قربناهم من البحر . ومنه[1] : « وإنَّ لَهُ عندنا لزُلْفى » .

(أَعْجَمِين) جمع أعجم[2] وأعجمى أيضاً إذا كان فى لسانه عُجمة ، وإن كان من العرب . ورجل عجمى منسوب إلى العَجَم وإن كان فصيحاً ؛ ورجل أعرابىّ إذا كان بدوياً وإن لم يكن من العرب . ورجل عربى منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدوياً . وقال الفراء : العجمى منسوب إلى نفسه من العجمة ، كما قيل للأحمر أحمرى ، وكقوله[3] : * والدَّهْرُ بالإنسان دوَّارى * ؛ إنما هو دوَّار ، وقد نسب الله فى كتابه إلى الأماكن :

الأُمّىُّ قيل إنه نسبةٌ إلى أم القُرَى : مكة . وعبقرى قيل إنه منسوب إلى عَبْقر[4] : موضع للجن يُنسب إليه كل نادر . والسامرىّ قيل منسوب إلى أرض يقال لها سامرون وقيل سامرة[5] . والعربى قيل منسوب إلى عَرَبة ،

---

(١) ص : ٢٥

(٢) فى قوله تعالى : ولو نزلنا على بعض الأعجمين (الشعراء : ١٩٨) .

(٣) الدهر دوار بالإنسان ودوارى : أى دائر به على إضافة الشىء إلى نفسه . قال ابن سيده : هذا قول النحويين . قال الفارسى : هو على لفظ النسب وليس بنسب . الليث : الدوارى بالإنسان أحوالا . وهو شطر بيت للعجاج (اللسان — دور) .

(٤) فى ب : عبقرة .

(٥) فى اللسان : والسامرة : قبيلة من قبائل بنى إسرائيل ، قوم من اليهود يخالفونهم فى بعض دينهم ، إليهم نسب السامرى الذى عبد العجل . وقال بعض أهل التفسير : السامرى : علج من أهل كرمان (مادة — سمر) . وفى القرطبى (١١ — ٢٣٤) وقيل : كان عظيما من عظماء بنى إسرائيل من قبيلة تعرف بالسامرة ، وهم قوم معروفون بالشام .

وهى ناحية دار إسماعيل عليه السلام ، وأنشد :

وَزَبَةَ أرض ما يحل[1] حرامها

من الناس إلا اللَّوْذَعِيّ الْحُلاحِلُ

يعنى النبى صلى الله عليه وسلم .

(أَوْزِعْنِي) أَلْهِمْنِي ؛ يقال فلان مُــــوزَع بكذا ومُولع ومغرًى بمعنى واحد .

(أَهْوَنُ عليه) أى هيّن ، كما تقول فلان أوحد أى وحيد ، وإنى لأرجل[2] أى رجل . وفيه قول آخر : أى وهو أهون عليه عندكم أيها المخاطبون ؛ لأن الإعادة عندكم أسهل من الابتداء . وأما قوله : الله أكبر — فالمعنى الله أكبر من كل شيء .

(أَنْــكَرَ الأصوات) أقبحها ، وإنما يُــكْرَهُ رَفع الصوت فى الخصومة والباطل ؛ ورفع الصوت محمود فى مواطن ؛ كالتلبية والأذان .

(أَدْعِيَاءَكُم[3]) جمع دَعِيّ[4]، وهو الذى يُدعى ولد فلان وليس بولده . وسببها أمر زيد بن حارثة ، وذلك أنه كان فتى من كلب فسباه بعض العرب وباعه[5] من خديجة ، فوهبته للنبى صلى الله عليه وسلم فتبنّاه ، فــكان يقال له : زيد ابن محمد ، حتى نزلت هذه الآية .

فسبحان من قاده بسلاسل العناية : واحد من كلب ، [illegible] ،

---

(١) فى ياقوت : دار لا يحل حرامها .

(٢) فى اللسان : وهذا أرجل الرجلين : أى أشدهما .

(٣) الأحزاب : ٤ (٤) فى ب : داع — تحريف .

(٥) فى القرطبى : سبته خيل تهامة ، فابتاعه حكيم بن حزام بن خويلد ، فوهبه لعمته خديجة . . . (١٤ — ١١٨) .

وآخر من الروم . وآخر من فارس ، وأبو طالب واقف على الباب ينصره ويذبُّ عنه ، وحرم من الدخول ؛ اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، لا إله إلا أنت .

(أقطَارها) جوانبها ، وقرىء بالتاء ، وهو بمعنى واحد . الواحد قُطْر وقُتْر.

(أَشِحَّةً) عليكم : جمع شحيح ؛ أى بخيل .

(أَسَلْنَا[1]) أذَبْنا، من قولك: سال الشيء وأسلته . قال ابن عباس : كانت تسيل له باليمن عين من نحاس يصنع منها ما أحب . والمعنى أن الله أذاب له النُّحاس بغير نار ، كما صنع بالحديد لداود ، فطلب من الله أن يعمل منها صور رجال يقاتل بها أعداءه، ويستعين بهم فى خدمته لأنهم أقوى . فأجابه إلى ذلك ، ونفخ فيهم الروح ، فكان يستعين بهم فى حوائجه ؛ فهذا هو الملك العظيم ؛ ومع هذا سماه رُخَاءً ليتنبَّه العبدُ على أن جميع ما فى الدنيا لا عِبْرَةَ به عنده .

(أَثْل) شجر يشبه الطَّرْفَاء ، إلا أنه أعظم منه .

(أَسَرُّوا) أظهروها[2] ، وقيل كتموها ، يعنى كتمها العظماء من السفلة الذين أضلُّوهم ، فهو من الأضداد .

(أَذْقَان) جمع ذَقَن ، وهو مجتمع اللَّحْيَيْن .

(أجداث) قبورهم ، واحدها جدَث ، يعنى أنهم ينسلون من قبورهم عند النفخة الثانية .

(الأحزاب) الذين تحزَّبُوا على أنبيائهم ، وصاروا فِرَقاً .

---

(١) من الآية : وأسلنا له عين القطر (سبأ : ١٢)
(٢) من قوله تعالى : وأسروا الندامة لما رأوا العذاب (سبأ : ٣٣)

(الْخَيْرِ[1]) : الخيل ، سميت بذلك لما فيها من المنافع ، وفى الحديث : الخير معقود فى نواصى الخيل . وقيل المال . وهذا يختلف بحسب الاختلاف فى القصة .

فأما الذين قالوا إن سليمان عقر الخيل لما اشتغل بها حتى فاتته الصلاة ، فاختلفوا فى هذا على ثلاثة أقوال : الأول وهو الذى قدمناه . وأحببت بمعنى آثرت ، أو بمعنى فعلٍ يتعدى بعَنْ ، كأنه قال : آثرت حب الخير فشغلنى عن ذكر ربى .

والآخر أن الخيل هنا يراد به المال ، لأن الخيل وغيرها مال ؛ فهو كقوله تعالى : « إِنْ تَرَكَ خَيْرًا[2] » : أى مالا .

والثالث أن المفعول محذوف وحب الخير مصدر ، والتقدير أحببت هذه الخيل مثل حبِّ الخير ، فشغلنى عن ذِكر ربى .

وأما الذين قالوا إنه كان يصلِّى فعُرضت عليه الخيل فأشار بإزالتها ؛ فالمعنى أنه قال : أحببت حبَّ الخير الذى عند الله فى الآخرة بسبب ذكر ربى ، فشغلنى ذلك عن النظر إلى الخيل .

(أَكْفِلْنِيهَا) ضُمها إلىَّ ، واجعلنى كافلها ؛ أى تلزم نفسى حياطتها ؛ وأصله اجعلها فى كفالتى . وقيل اجعلها كِفْلى ؛ أى نصيبى .

(أَتْرَابٌ) أقران ، واحدها تِرْب ، يعنى أن أسنان الآدميات وأسنانَ أزواجهنَّ سواء ، من سن ثلاثين سنة والطول ستين ذراعاً . وأما الحورُ العين فعلى حسب ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين .

(أشرقت الأرض) أضاءت .

([3] أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) هذا كقوله : «[4] كُنْتُمْ أمواتاً

---

(١) من قوله تعالى : إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب (ص : ٣٢)

(٢) البقرة : ١٨٠ (٣) غافر : ١١ (٤) البقرة : ٢٨

فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم» . فالموتة الأولى عبارة عن كونهم عدما ، أو كونهم في الأرحام ، أو في الأصلاب . والموتة الثانية الموتة المعروفة . والحياة الأولى حياة الدنيا . والحياة الثانية حياة البعث في القيامة .

وقيل الحياة الأولى حياة الدنيا ، والثانية الحياة في القبر . والموتة الأولى الموتة المعروفة ، والموتة الثانية بعد حياة القبر . وهذا قول فاسد ؛ لأنه لا بد من الحياة للبعث فتجيء الحياة ثلاث مراتب .

فإن قيل : كيف اتصال قولهم : أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين بما قبله ؟

فالجواب أنهم كانوا في الدنيا يكفرون بالبعث ، فلما دخلوا النار مقتوا أنفسهم على ذلك ، فأقرّوا به حينئذ ليرى الله إقرارهم بقولهم : « أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » ؛ إقراراً بالبعث على أكمل الوجوه ؛ طمعاً منهم أن يخرجوا عن المَقْتِ الذى مقتهم الله ؛ إذ كانوا يُدْعَون إلى الإيمان فيكفرون .

(أقوات) أرزاق بقدر ما يحتاجون إليه . وقيل يعني أقواتَ الأرض من المعادن وغيرها من الأشياء التي بها قوام الأرض . والأول أظهر .

(أرْدَاكم[1]) أهلككم .

(أكمامها) أوعيتها التي كانت فيها مستترة قبل تفطّرها ، واحدها كِم[2] .

وقوله[3] : « والنخل ذات الأكمام » ؛ أي [الطّلع][4] قبل أن ينفَتِقَ .

(أكواب) : أباريق ، لا عرى لها ولا خراطيم ، واحدها كُوب .

---

(١) من قوله تعالى : وذلكم ظنكم بربكم أرداكم (سورة فصلت : ٢٣)
(٢) بكسر الكاف ، كما في القاموس .
(٣) الرحمن : ١١
(٤) مكان هذه الكلمة بياض في ب ، والمثبت في ا ، والقرطبي (١٧ — ١٥٦)

(أبرمُوا) أحكَموا .

(آنِفًا) أي الساعة ، من قولك : استأنفتُ الشيء : ابتدأته .

(أحقاف) : جمع حِقْف[1] ، وهو الكُدْس من الرمل . واختلف أين كانت ؟ فقيل بالشام . وقيل : بين عمان وحضرموت . والصحيح أن بلاد عاد كانت باليمن .

(أثخنتموهم) : أكثرتم فيهم القتل والأسر .

(آسِن[2]) مُتغيِّر الرائحة والطعم .

(أشراطها) : علاماتها ، ويقال أشرط نفسه الأمر[3] إذا جعل نفسه علما فيه . ولهذا سمى أصحاب الشُّرَط ؛ للبسهم لباساً يكون علامةً لهم . والشرط في البَيْع علامة بين المتبايعين ، والذى كان قد جاء من أشراط الساعة مَبْعثُ مولانا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه قال : أنا من أشراط الساعة ، وبُعثت أنا والساعة كهاتين .

(أمْلَى لهم) : أي مَدَّ لهم في الأماني والآمال . والفاعل هو الشيطان . وقيل الله تعالى . والأول أظهر ، لتناسُب الضميرين الفاعلين في سوّل وأملَى[4] .

(أضغانهم) أحقادهم ، ويراد به هنا النفاق والبُغض في الإسلام وأهله .

(ألقَى السَّمْع وهو شهيد[5]) أي استمع كتابَ الله وهو شاهد القلْب والفهم ، ليس بغافل ولا ساه .

---

(١) الحقف — بالكسر : المعوج من رمل (القاموس) .
(٢) من قوله تعالى : مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن (محمد : ١٥)
(٣) في القاموس : أشرط نفسه لكذا : أعلمها وأعدها .
(٤) الآية : الشيطان سول لهم وأملى لهم (محمد : ٢٥) .
(٥) ق : ٣٧

(أَلْقِيَا فى جهنم[1]) خطاب للملكين السائق والشهيد . وقيل : إنه خطاب للواحد على أن يكون بالنون المؤكدة الخفيفة ، ثم أبدل منها ألفاً ، على أن يكون معناه أَلْقِ أَلْقِ ، فثنّى مبالغة وتأكيداً ، وعلى أن يكون على عادة العرب من مخاطبة الاثنين كقولهم : خليليّ وصاحبيّ . وهذا كله تكلف بعيد .

ومما يدل على أن الخطاب للاثنين قوله[2] : « فَأَلْقِيَاهُ فى العَذَابِ الشَّدِيد » .

(أَدْبَار السُّجُود) جمع دُبُر . والإدبار مصدر أدبر . قال عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما : الركعتين بعد المغرب . وقال ابن عباس : هى النوافل بعد الفرائض . وقيل الوِتْر .

(اللّات والعزى) أصل اللات رجل كان يلتّ السويق للحاجّ . والعُزّى كانت صخرة بالطائف ، مؤنثة الأعز .

وقيل : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد فقطع شجرة يقولون لها العُزّى ، فخرجت منها شيطانة ناشرة شَعْرها تَدْعُو بالوَيْل والثبور ، فضربها بالسيف حتى قتلها .

وهذه مخاطبة لمن كان يعبدها من العرب على جهة التوبيخ لهم .

(أَكْدَى) أى قطع العطاء ، وأمسك ، مأخوذ من كُدْيَة الركيّة ، وهو أن يحفر الحافر فيبلغ إلى الكُدْية ، وهى الصلابة من حجر أو غيره ، فلا يعمل مِعْوَله شيئاً فييئس وينقطع عن الحفر .

---

(١) ق : ٢٤ (٢) ق . ٢٦

(أقنَى[1]) : أكسبَ عبادَه المال ، فهو من كَسْب المال وادّخاره .

وقيل معنى أقنى أفقر ؛ وهذا لا تقتضيه اللغة . وقيل معناه أرضى . وقيل أقنع عَبْدَه .

(أزفت) ؛ أى قربت ، سُميت بذلك لقربها ، يقال : أزف شخصُ فلان أى قرب . وقوله[2] : « وأَنْذِرْهُم يَوْمَ الآزِفَةِ » ؛ يعنى القيامة .

(أَعْجاز نَخْلٍ[3]) : أصول نَخْلٍ مُنقعِرٍ . وأعجاز نخل منقلع . وأعجاز[4] نخل خاوية ؛ أى بالية . شبّه اللهُ عادا لما هلكوا بذلك ، لأنهم طوالٌ عِظَامُ الأجسام ، كان طول أحدهم مائة ذراع كالنخل . وقيل : كانت الريح تقلعهم حتى حفروا حفراً يمتنعون بها من الرّيح فهلكوا فيها ؛ فشبههم بأعجاز النخل إذا كانت فى حُفرها .

(أَبَشَراً[5]) : هو صالح عليه السلام ؛ وانتصب بفعل مضمر . والمعنى أنهم أنكروا أن يتبعوا بشرا ، وطلبوا أن يكون الرسول من الملائكة ؛ ثم زادوا أن أنكروا أن يتبعوا واحداً وهم جماعة كثيرون .

(أشِر) ؛ أى بطر[6] متكبر ، وربما كان للمدح من النشاط .

(الأنام) : الخَلْق كلهم . وقيل الحيوان كله .

---

(١) من قوله تعالى : وأنه هو أغنى وأقنى (النجم : ٥٣) .

(٢) غافر : ١٨

(٣) أى ذاهب فى قعر الأرض (المفردات) ، والآية فى سورة القمر ، آية ٢٠

(٤) الحاقة : ٧ (٥) القمر : ٢٤

(٦) من قوله تعالى : بل هو كذاب أشر : (القمر : ٢٥)

(الأعلام) : الجبال ، شبه السُّفُن بها ، وإنما سمّاها منشآت لأن الناس ينشئونها .

(أفنَان) : أغصان ، واحدها فَنَن[1] وهو الغُصْن . أو جمع فَن ، وهو الصنف من الفواكه وغيرها .

(أول الحَشْر[2]) ، في معناه أربعة أقوال :

أحدها — أنه حَشْر القيامة ؛ أي خروجهم من حصونهم أول الحشر ، والقيام من القُبور آخره .

وروى في هذا المعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : امضوا ، هذا أول الحشر وأنا على الأثر .

الثاني — أن المعنى لأول موضع الحشر ، وهو الشام ؛ وذلك أن أكثر بني النَّضِير خرجوا إلى الشام ، وقد جاء في الأثر أن حَشْرَ القيامة إلى الشام .

وروى في هذا المعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبني النَّضِير : اخرجوا ، قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى أرض الحشر .

الثالث — أن المراد بالحشر في الدنيا هو الجلاء والإخراج ، فإخراجهم من حصونهم أول الحشر ، وإخراج أهل خَيْبَر آخره .

الرابع — أن معناه إخراجهم من ديارهم لأول الحشر لقتالهم؛ لأنه قال قاتلهم.

قال الزمخشري[3] : اللام في قوله «لأَوَّل» بمعنى عند ، كقولك : جئت لِوَقْتِ كذا .

(أَوْجَفْتم) ؛ من الإيجاف ، وهو السير السريع . والمعنى أنَّ ما أعطى الله

---

(١) في ب : فن ، والفن : الضرب من الشيء (القاموس) .
(٢) الحشر : ٢ — (٣) الكشاف : ٢ — ٤٤٤

رسوله من أموال بني النَّضير لم يَمْشِ المسلمون إليه بخَيْل ولا رِكاب ، ولا تَعبُوا فيه ولا حصّلوه بقتال ، ولكن حصل بتسليط رسوله صلى الله عليه وسلم على بنى النضير ، فأعلم الله فى هذه الآية أن ما أخذ لبنى النضير وما أخذ من فَدَك[1] ، فهو خاصٌّ بالنبى صلى الله عليه وسلم يفعل فيه ما شاء ؛ لأنه لم يُوجف عليها ولا قُوتلت كبير قتال ، بخلاف الغنيمة التى تؤخذ بالقتال ؛ فأخذ صلى الله عليه وسلم لنفسه من أموال بنى النضير قوتَ عياله ، وقسّم سائرها فى المهاجرين ، ولم يُعْطِ الأنصارَ شيئاً ، غير أن أبا دُجانَة وسهْل بن حُنَيْف شكوا فاقةً فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منها . هذا قولُ جماعة .

وقال عمر بن الخطاب : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُنْفِق منها على أهله نفقةَ سنة ، وما بقى جعله فى السلاح والكُرَاع عدة فى سبيل الله .

قال قوم من العلماء : وكذلك كل ما فتحه الأئمة مما لم يوجف عليه فهو لهم خاصة يأخذون منه حاجتهم ، ويصرفون باقيه فى مصالح المسلمين .

(أفاء الله) ، من الفَيْء . ويعنى أن الله جعل فيئاً لرسوله صلى الله عليه وسلم .

(الذى) ، واحد الألى والذين جميعاً[2] . واللآتى واحدها التى .

(أرجائها[3]) : نواحيها وجوانبها ، واحدها رَجاً — مقصور ، يقال ذلك لحرْف البِئْر ولِحرف القَبر وشِبههما . والضمير يعود على السماء ؛ لأنها إذا وهت[4]

---

(١) فدك — بالتحريك ، وآخرها كاف : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان ، أفاءها الله على رسوله فى سنة سبع صلحا (ياقوت) .

(٢) قال ابن مالك :

جمع الذى الألى الذين مطلقا ... وبعضهم بالواو رفعا نطقا

(٣) الحاقة : ١٧ ، والملك على أرجائها .

(٤) فى قوله تعالى : وانشقت السماء فهى يومئذ واهية ، وهى الآية التى قبلها فى السورة نفسها .

وقفوا على أطرافها . وقيل يعود على الأرض ؛ لأن المعنى يقتضيه وإن لم يتقدم ذكرها. وروى في ذلك: إن الله يأمر الملائكة فتقف صفوفاً على جوانب الأرض . والأول أظهر وأشهر .

(أوسطهم) : أعدلهم وأفضلهم . ومنه[1] : « أمّة وَسَطاً » .

(أوعَى) ، يقال : أوعيت المال وغيره إذا جمعته في وعائه ، فالمعنى جمع المال وجعله في وعاء . وهذه إشارة إلى قوم من أغنياء الكفار جمعوا المال من غير حِلّه ، ووضعوه في غير محله .

(أصَرُّوا) : أقاموا على المعصية .

(أطواراً)؛ أي طَوْراً بعد طَوْرٍ ، يعنى أن الإنسان كان نُطْفة ، ثم عَلَقة ، ثم مُضْغة إلى سائر أحواله .

وقيل : الأطوار الأنواع المختلفة ، فالمعنى أن الناس على أنواع في ألوانهم وألسنتهم وأخلاقهم وغير ذلك .

(أَقْوَم قِيلا) : أصحّ قولا ؛ لهدأة الناس وسكون الأصوات . والمعنى تحريض على قيام الليل لكثرة الأجر فيه .

(أنكالا) : جمع نِكْل[2] وهو القَيْد من الحديد . وروى أنها قيودٌ سُود من نار لو وُضع قَيْد منها على الأرض لأحرقها .

(أسْفَرَ) : أضاء ، ومنه الإسفار بصلاة الصبح .

(أمشاج[3]) : أي أخلاط ، واحدها مَشَج — بفتح الميم والشين . وقيل مَشْج بوزن عدل .

---

(١) البقرة : ١٤٣
(٢) بكسر النون ، كما في القاموس .
(٣) الإنسان : ٢

وقال الزمخشرى[١] : ليس أمشاج بجمع ، وإنما هو مفرد ، كقولهم : بُرْمَةٌ[٢] أعشار . ولذلك وقعَ صفةً للمفرد . واختلف فى معنى الاختلاط هنا ؛ فقيل اختلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء . وقيل اختلاط ماء الرجل والمرأة. وروى أن عظام الإنسان وعَصَبه من ماء الرجل ، وأن لحمه وشحمه من ماء المرأة . وقيل معناه أطوار ، وألوان : أى يكون نطفة ثم علقة . . . الخ .

(أَسْرَهم[٣]) : خلقتهم . وقيل المفاصل والأوصال . وقيل القوة .

(أَلْفَافًا) : ملتفة من الشجر ، وهو جمع لُف — بضم اللام . وقيل بالكسر . وقيل لا واحد له .

(أفواجاً) : جماعات . يعنى بعد نَفْخَةِ القيامة من القبور .

(أحقاباً) : جمع حِقبة أو حُقُب[٤] وهى المدّة الطويلة من الدهر غير محدودة . ثم اختلف فى مقدارها ؛ عن النبى صلى الله عليه وسلم أنها ثلاثون سنة . وقال ابن عباس : ثمانون سنة . وقيل ثلاثمائة . وعلى القول بالتحديد فالمعنى أنهم يبقون فيها أحقاباً كلما انقضى حقب جاء آخر إلى غير نهاية . وقيل : إنه كان يقتضى أن مدة العذاب تنقضى ، ثم نسخ بقوله[٥] : «فذُوقُوا فلَنْ نَزِيدَكُم إلّا عذَابا» ، وهذا خطأ ؛ لأن الأخبار لا تنسخ . وقيل هى فى عُصاة المؤمنين الذين يخرجون من النار ؛ وهذا خطأ لأنها فى الكفار لقوله[٦] : « وكَذَّبُوا بآياتِنَا كِذّابا » .

---

(١) الكشاف : ٢ — ٥١٠

(٢) البرمة : قدر من حجارة . وبرمة أعشار : مكسرة على عشر قطع . أو عظيمة لا يحملها إلا عشرة (القاموس) .

(٣) من قوله تعالى : نحن خلقناهم وشددنا أسرهم (الإنسان : ٢٨) .

(٤) بالضم ، وبضمتين (القاموس) . (٥) النبأ : ٣٠ .

(٦) النبأ : ٢٨

وقيل معناه أنهم يبقون أحياناً لا يذوقون لا بَرْداً ولا شراباً ، ثم يُبَدَّل لهم نوع آخر من العذاب ؛ وهذا أليق .

(أَغْطَش[1] ليلها) : أي جعله مُظلما . يقال غَطَش الليلُ إذا أظلم ، وأغطشه الله .

(أَقْبَرَه[2]) : جعله ذا قَبْر ، يقال قبرت الميِّتَ إذا دفنته ، وأقبرته إذا أمرت أن يُدْفن .

(أَنْشَرَه[3]) : أي بعثه من قبره يوم القيامة .

(أَذِنَتْ لربِّها[4]) : أي استمعت ، وهو هنا عبارة عن طاعتها لربها ، وإنما انقادت إليه حين أراد انشقاقها، وكذلك طاعة الأرض لمَّا أراها مَدَّها وإلقاءَ ما فيها ؛ وحقّ لها أن تَنْشَقّ من أهوال يوم القيامة . أقال الله عثراتنا .

(أَفْلح[5]) : نجا ، يعني ظفِر مَنْ طهَّر نَفْسه بالعمل ، وجانَبَ الظفر مَنْ أهملها بالكفر والمعاصي .

(أهانَنِ[6]) : يعني لم يحسن إليّ . وقد أنكر الله على الإنسان قوله عند النعماء أكْرَمنِ[7] ، ويقول عند الضرر به « أهانَنِ » ، على وجه التشكّي من الله وقلّة التسليم لقضائه ، فاعتبر هذا العبدُ الدنيا ، وجعل بسط الرزق فيها كرامةً ، وتضييقه إهانة ؛ وليس الأمر كذلك ؛ فإن الله يبسط الرزق لأعدائه ، ويضيِّقه لأوليائه ، ولم يكن في زمان موسى أكْرَمُ على الله منه ، وقد قطع الشوك

---

(١) النازعات : ٢٩ (٢) عبس : ٢١ (٣) عبس : ٢٢
(٤) الانشقاق : ٢
(٥) الآية : قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها (الشمس: ١٠) دساها : أغواها .
(٦) الفجر : ١٦ (٧) الآية التي قبلها .

رجليه من الحفا ، وكان يرى على بطنه أثر البقول . وفرعون حينئذ يدّعى الربوبية ، وقد أمر الله نبيَّه بالإعراض عن زَهْرَة الدنيا ، والنظر إليها فى قوله[1]: « ولا تَمُدَّن عَيْنَيْكَ » .

وأخرج البزار وأبو يعلى عن أبى رافع ، قال : أضاف النبى صلى الله عليه وسلم ضَيْفا ، فأرسلنى إلى رجل من اليهود أنْ أسلفنى دقيقا إلى هلال رجب. فقال: لا ، إلا بِرَهْن . فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : والله إنى لأمين مَنْ فى السماء أمين من فى الأرض ، فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية : « لا تمدّنّ عينيك إلى ما متّعْنَا به أزواجا منهم » .

فإن قلت : قد أثبت اللهُ تعالى فى قوله[2] : ربى أَكْرَمَنِ » .

فالجواب من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه لم ينكر عليه ذكره الإكرام، وإنما أنكر عليه ما يدل عليه كلامُه من الفخر والخُيلاء ، وقلّة الشكران ، ومن اعتبار الدنيا دون الآخرة .

الثانى : أنه أنكر عليه قوله : ربى أكْرَمَنِ إذ اعتقد أنَّ إكرام الله باستحقاقه الإكرام على وجه التفضُّل والإنعام ، كقول قارون[3] : «إنما أُوتِيتُه على عِلْمٍ عندى » .

الثالث : أن الإنكار إنما هو لقوله : رَبِّى أَهَانَنِ، لا لقوله : ربى أكرمن ؛ فإن قوله : ربى أكرمن اعترافٌ بنعمة الله ، وقوله : ربى أهانن شكاية من فِعْل الله .

---

(١) طه : ١٣١ (٢) الفجر : ١٥ (٣) القصص : ٧٨

(أَنْقَضَ[1] ظَهْرَكَ) : النِّقْض البعير الذى قد أتعبه السفر والعمل فنقض لحمه ، فيقال له حينئذ نِقْض، وهو هنا عبارة عن ثقل الوِزْر المذكور وشدته عليه .

قال الحارث المحاسبي : إنما وُصفت ذنوب الأنبياء بالثقل وهى مغفورة لهم لو صَدَرَت منهم ، فهى ثقيلة عندهم لشدة خوفهم من الله ، وهى عند الله خفيفة . وهذا كما جاء فى الأثر أن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه ، والمنافق يرى ذنوبه كالذبابة تطير فوق أنفه . وعلى هـــــذا قول من جوّز صغائر الذنوب على الأنبياء . أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوة . والصحيح أن الوِزْر هى أثقال النبوة وتـــكاليفها ، فأعانه عليها .

(أثقالها[2]) : جمع ثِقْل ، وإذا كان الميت فى بطن الأرض فهو ثقل لهـا ، وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها . وقيل هى الـكنوز ؛ وهذا ضعيف ؛ لأن إخراجها للـكنوز وقت الدجّال . والمراد إخراج الموتى الذين فى جوفها عند النفخة الثانية فى الصور .

(أَوْحَى لها[3]) : أوحى إليها ؛ إما بكلام أو إلهام . وقيل معناه أوحى إلى الملائـكة من أجلها ؛ وهذا بعيد . وفى التفسير أوحى إليها أمرها .

(أَلْهَاكُمُ[4] التـكاثر) : أى شغلـكم التـكاثر فى الدنيا للمباهاة بكثرة الأموال والأولاد عن محاسبة أنفسكم، ستعلمون ما يحلُّ بكم . وإنما كرر « كلا[5] سوف تعلمون » للتأكيد والتهويل ، وعطفه « بثُمَّ » إشارة إلى أن الثـانى أعظم من الأول ، وإنما حذف معمول « تعلمون » لقَصْدِ التهويل ، فيقدر السامع أعظم ما يَخْطر بباله .

---

(١) الشرح : ٣ (٢) الزلزلة : ٢ (٣) الزلزلة : ٥
(٤) التـكاثر : ١ (٥) فى السورة نفسها .

(أبابيل[1]) : جماعات متفرقة ، شيئاً بعد شيء .

قال الزمخشرى[2]: واحدها إبَّالَة[3] . وقال جمهور النـــاس : هو جمع لا واحد له من لفظه .

وقصتهم أنّ اللهَ أرسل على أصحاب الفيل طيوراً سوداً وقيل خضراً ، عند كل طائر ثلاثة أحجار فى مِنْقاره ورِجْلَيْه ، فرمتهم الطيور بالحجارة ، فكان الحجرُ يقتلُ مَنْ وقع عليه .

وروى أنه كان يدخل فى رأسه ويخرج من دُبره ، ووقع فى سائرهم الجُدَرِىّ والأسقام وانصرفوا ، فماتوا فى الطريق متفرقين فى المراحل ؛ وتقطع أبرهةُ أنملة أنملة .

وروى أن كلّ حجر منها فوق العدسة ودون الحمّصة . وقال ابن عباس : أدركت عند أم هانىء نحو قَفِيز من هذه الحجارة ، وأنها كانت مخطّطة مجمرة .

وروى أنه كان على كل حجر اسمُ مَنْ يقعُ عليه مكتوب .

(الأبْتر) : هو الذى لا عقب له ، ونزلت هذه الآية[4] فى العاصى بن وائل: وقيل فى أبى جهل على وجه الردّ عليه ؛ قال : إن محمداً أبْترَ ، لا ولد له ؛ فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته ، فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبتر ، وإن كان له أولاد ؛ لأنه مبتور من رحمة الله ؛ أى مقطوع عنها ، وأنه لا يُذْكَرُ — إذا ذُكِرَ — إلا باللّعْنة ، بخلاف نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم

(١) من قوله تعالى : وأرسل عليهم طيراً أبابيل (الفيل : ٣) .
(٢) الكشاف (٢ — ٥٦١)
(٣) الإبالة كإجانة : ويخفف : القطعة من الطير ، والخيــل ، والإبل أو المتابعة منها (القاموس) .
(٤) هى قوله تعالى : إن شانئك هو الأبتر . (الكوثر : ٣) .

فإنّ ذكره خالد إلى آخر الدهر بالصلاة والسلام ، مرفوع على المنابر والصوامع ، مقرون بذكر الله .

(الفَلَق) : قيل الضبح . ومنه[1]: « فَالِقِ الإصباح » . قال الزمخشرى[2]: هو فَعَل بمعنى مفعول . وقيل : إنه كلّ ما يفعله الله ؛ كفلق الأرض عن النبات ، والجبال عن العيون ، والسحاب عن المطر ، والأرحام عن الأولاد ، والحَبّ والنّوَى ، وغير ذلك .

وقيل : إنه جُبٌّ فى جهنم . وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم .

(أُهِلّ) بضم الهمزة : ذُكر عند ذَبْحه اسمٌ غير الله . وأصل الإهلال رَفْعُ الصوت .

(اضْطُرّ) : أُلجىء ، وهو مشتقّ من الضرورة ، ووزنه افتعل وأبدل التاء طاء . واختلف فى حدّ الاضطرار ؛ والصحيح أنه ثلاثة أيام . والحكمة فيه أن المَيْتَة إنما حرمت لسمّها وضرّها ، والآدمىّ إذا خلت معدته من الطعام نشأ منها سمٌّ قاتل ، يغلب على سم الميتة ؛ فلذا أُبيح أكْلُها .

(أمّة) : يرد لمعانٍ : جماعة ؛ ومنه[3] : « وَجَد عليه أُمّةً » . ورجل جامع للخير ، ومنه[4] : « إنّ إبراهيمَ كان أُمّةً » . ودين وملّة ؛ كقوله[5] : « إنّا وَجَدْنا آباءنا على أُمّةٍ » . وحين وزمان ؛ كقوله تعالى[6]: « إلى أُمّةٍ معدودة » . «[7] وادّكَرَ بَعْدَ أُمّة » ؛ أى نسيان . «[8] وأُمّةٌ قائمة » . يقال فلان حسن

---

(١) الأنعام : ٩٦ (٢) الكشاف : (٢ — ٥٦٨) .
(٣) القصص : ٢٣ (٤) النحل : ١٢٠ (٥) الزخرف : ٢٢
(٦) هود : ٨ . والآية : ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه .
(٧) يوسف : ٤٥ (٨) آل عمران : ١١٣

الأمة ؛ أى [١] قائمة .

وأمة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد ، كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : يبعث زيد بن عمرو بن نُفَيل أمة وحده .

وأمة أم ، يقال هذه أمّة زيد ؛ أى أمه .

(أُحْصِرْتُم) : مُنعتم . والمشهور فى اللغة أَحصره المرض بالألف ، وحصره العدو . وقيل بالعكس . وقيل هما بمعنى واحد ؛ فقال مالك : أحصرتم هنا بالمرض على مشهور اللغة ، فأوجب عليه الهَدْى ولم يوجبه على مَنْ حصره العدو .

وقال الشافعى وأشهب : يجب الهَدْى على من حصره العدوّ ؛ وحملَا الآية على ذلك ، واستدلّا بنَحْرِ الهَدْى بالحُديْبية .

وقال أبو حنيفة : يجب الهدى على المحصَر بعدو وبمرض .

(أُخْراكم) : آخركم ؛ وفيه مَدْحٌ للنبى صلى الله عليه وسلم ؛ فإن الآخر هو موقف الأبطال يرفع جريحهم ، ويقوّى منهزمهم .

(أجورهنّ) : مهورهن وصداقهنّ ، يعنى إذا استَمْتَعْتُم بالزوجة بالوَطْء فيجب إعطاء الصداق كاملا .

(أُبْسِلُوا [٢]) : ارتهنوا وأسلموا للهلكة .

(استَهْوَتْه) ؛ أى ذهبت به الشياطين فى مَهَامِه الأرض ، وأخرجته عن الطريق ، فهو استفعال من هوى فى الأرض إذا ذهب فيها .

---

(١) هكذا فى الأصول : وفى القرطبى : قال الأخفش : التقدير من أهل الكتاب ذو أمة : أى ذو طريقة حسنة ، وقيل فى الكلام حذف ، والتقدير : من أهل الكتاب أمة قائمة ، وأخرى غير قائمة فترك الأخرى اكتفاء بالأولى ، وفى المفردات (٢٣) : أمة قائمة : أى جماعة ، وجعلها الزجاج هنا للاستقامة ، وقال : تقديره ذو طريقة واحدة .

(٢) من قوله تعالى : « أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا . (الأنعام : ٧٠) »

وقال الفارسي : استهوى بمعنى أهوى ، مثل استزل بمعنى زل .

(أُملي لهم) ؛ أي أطيل لهم المدة ، وأتركهم ملاوة من الدهر مع إرادة العقوبة ؛ فظاهره إحسان وباطنه خذلان .

(أُذُن[1]) يعني يقبل كلّ ما قيل له ويصدقه . ورُوي أن قائل هذه المقالة نَبْتَل بن الحارث ، وكان من مردة المنافقين . وقيل عتّاب بن قيس[2] فردّ الله عليه قوله بأنه يسمع الخير والحق ويؤمن للمؤمنين .

(اجتُثّت) ؛ معناه استؤْصلت واقتلعت ، وحقيقةُ الاجتثاث أخْذُ الجثّة ، وهذا في مقابلة قوله[3] : « أصلها ثابت » .

(أُخْفيها[4]) : أسترها وأظهرها أيضاً ؛ فهو من الأضداد . قال ابن عطية : هذا قولٌ مختلّ ؛ وذلك أن المعروف في اللغة أن يقال أخفى بالألف من الإخفاء ، وخفي بغير ألف بمعنى أظهر ؛ فلو قال بمعنى الظهور لقال أخفيها بفتح الهمزة في المضارع . وقد قرئ بذلك في الشاذ .

وقال الزمخشري[5] : قد جاء في بعض اللغة أخفى بمعنى[6] خفى ؛ أي ظهر ؛ فلا يكون هذا القول مُخْتَلا على هذه اللغة . والصحيح أن الله أبْهم وقت الساعة فلم يُطلع عليه أحداً حتى كاد أن يخفى وقوعُها لإبهام وقتها ، ولكنه لم يخفها

---

(١) التوبة : ٦١ ، ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن .

(٢) في القرطبي : عتاب بن قشير .

(٣) إبراهيم : ٢٥ ، ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء .

(٤) طه : ١٥ ، إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى .

(٥) الكشاف (٢ — ٢١) .

(٦) عبارة الكشاف : من خفاه : إذا أظهره ، أي قرب إظهارها .

إذ أخبر بوقوعها ؛ فالإخفاء على معناه فى اللغة ، « وكاد » على معناها من مقاربة الشىء دون وقوعه ؛ وهذا هو اختيار المحققين .

(اضْمُمْ[1]) واسْلُكْ[2] ، بمعنى الدخول .

(اغْضُض): أنقِص منه . ومنه[3]: «قل للمؤمنين يَغُضُّوا مِنْ أبصارهم» ؛ أى ينقصوا من نظرهم عما حرم الله عليهم ، فقد أُبيح لهم ما سوى ذلك .

(ارْكُضْ) برجلك : اضرب الأرض . والتقدير قلنا له ارْكُض الأرْضَ ؛ فضَرب الأرض برجله ، فنبعتْ له عَيْنٌ باردة صافية ، فشرب منها ، فذهب كلُّ مرض كان فى جسده . وروى أنه ركض الأرض مرّتين ، فنبع له عَيْنان ، فشرب من إحداها واغتسل من الأخرى .

(أمّ الكتاب) : أصل كلّ كتاب ، وهو اللوحُ المحفوظ الذى كتبَ اللهُ فيه مقاديرَ الأشياء كلها .

(أولو) العزم من الرسل : نوح وإبراهيم وعيسى وموسى . وقيل هم الثمانية عشرة المذكورون فى سورة الأنعام بقوله[4] : « فبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهْ » . وقيل كلُّ مَنْ لقى مِنْ أمّته شدةً . وقيل الرسل كلُّهم أولو عزم .

(ازْدَجر) : انتهر وشتم ، وقالوا له[5] : « لئن لم تَنْتَهِ يا نوحُ لتكونَنَّ من المَرْجُومين » .

(أجِّلَتْ) : أُخِّرت، وهو من الأجل ،كالتوقيت من الوقت ، وفيه توقيف

---

(١) فى المفردات : الضم : الجمع .

(٢) القصص : ٣٢ ، اسلك يدك فى جنبك تخرج بيضاء من غير سوء .

(٣) النور : ٣٠ (٤) الأنعام : ٩٠

(٥) الشعراء : ١١٦

يراد به تعظيمٌ لذلك اليوم ، ثم بيّنه بقوله[١] : « وما أدرَاكَ ما يَوْمُ الفَصْل » .

(إبليس) : إفعيل من أَبْلَسَ أى يئس . وقد كان اسمه أولا عزرائيل .
وأخرج ابن أبى حاتم وغيره من طريق سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال :
كان اسم إبليس عزرائيل . وقال السدّى : إبليس هو عزرائيل . وقال ابن عسكر :
قيل اسمه قِتْرَة[٢] . وقيل أبو مُرَّة[٣] ، وقيل أبو لُبَيْنى[٤] ، حكاه السهيلى
فى « الرّوض الأنُف » .

(استوقد) : أى أوقد . وقيل طلب الوقود على الأصل فى استفعل .

(ارهبونِ) : خافونى . وإنما حذفت الياء لأنها فى رأس آية ، ورءوس الآيات
بَنَوْا الوقوف عليها ، والوقوف على الياء يُسْتَثْقَلُ ، فاستغنوا عنها بالكسرة .

(ادّارَأْتُم[٥]) : أى اختلفتم ، وهو من المدارأة أى المُدَافعة ، وأصله تدارأتُم ،
أى تدافعتُم ، أى ألقى بعضُكم على بعض ، فأدغمت التاء فى الدال لأنهما من مخرج
واحد ، فلما أدغمت سكنت ، فاجتُلبت لها ألف الوصل للابتداء ، وكذلك
ادّارَكُوا[٦] فيها واثّاقَلْتُم[٧] .

(ابْتَلى) : أى اختبر ، أى اختبره بما تعبّدَه به من السنن . وقد اختلف فيها
اختلافاً كثيراً ، فقيل خصال الفِطْرة . وقيل مناسك الحج . وقيل ثلاثون خصلة ،

---

(١) المرسلات : ١٣ ، ١٤
(٢) فى القاموس : وأبو قترة : ابليس . أو قترة : علم الشيطان .
(٣) فى القاموس : أبو مرة : كنية ابليس .
(٤) فى ب : لبنى . والمثبت فى القاموس . قال : ولبينى . اسم ابنة إبليس (لبن) .
(٥) البقرة : ٧٢ ، وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها .
(٦) الأعراف : ٣٨ ، حتى إذا اداركوا فيهـا جميعاً قالت أخراهم لأولاهم . واداركوا : اجتمعوا .
(٨) التوبة : ٣٨ ، ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض .

عشرة ذُكرت فى « براءة » من قوله[1]: « التّائبُون... » ، وعشرة فى الأحزاب من قوله[2] : « إنّ المسلمين والمسلمات ... » . وعشرة فى المعارج من قوله[3] : « إلا المُصَلِّين » .

(الإمام): الذى يؤمُّ الناس إليه فى الطريق ويتبعونه ، ويقال للطريق إمام . ومنه قوله[4] : « وإنّهما لَبِإمَامٍ مُبين » ، أى بطريق واضح يمرُّون عليها فى أسفارهم — يعنى القرْيَتَيْن المُهْلَكتين : قريتى قوم لوط ، وأصحاب الأيْكة، فيرونهما ، ويعتبر بهما مَنْ خاف وعيد الله تعالى . والإمام الكتاب ، ومنه قوله تعالى[5] : « يوم نَدْعُو كلَّ أنَاسٍ بإمامهم » ، أى بكتابهم . ويقال بدينهم . والإمام كل ما ائتممت به واقتديت به .

(اصطفى) : إختار.

(استجاب) : أجاب .

(اعتمر) ؛ أى زار البيت ، ومنه سُمِّيت العُمْرة ، لأنها زِيارة للبيت . ويقال : اعتمر ، أى قصد .

(استَيْسَر) ؛ أى تيسَّر وسهل ، وذلك شاة .

(انفِصَام) : انقطاع .

(إعْصَار) : رِيح عاصف ، ترْفَعُ تراباً إلى السماء كأنه عمود نار فيه سَمُوم مُحْرِقة .

(إلحافاً) : إلحاحاً فى السؤال . والمعنى أنهم إذا سألوا يتلطّفون ولا يُلِحُّون . وقيل : هو نفى للسؤال والإلحاف معاً .

---

(١) التوبة : ١١٢ (٢) الأحزاب : ٣٥ (٣) المعارج : ٢٢
(٤) الحجر : ٧٩ (٥) الإسراء : ٧١

(ائْذَنُوا بِحَرْبٍ): اعلموا ذلك واسمعوه وكونوا على إذْنٍ منه ، ومن قرأ : فَآذِنُوا[1] ، أى فأعلِمُوا ذلك غيركم . ولما نزلت قالت ثَقِيف[2] : لا طاقة لنا بحَرْبِ اللهِ ورسوله .

(إنجيل) : إفعيل من النجل ، وهو الأصل . والإنجيل أصل العلوم . ويقال : هو من نجلت الشيء إذا استخرجته وأظهرته . والإنجيل مستخرج به علوم وحكم .

(استَكَانُوا) : خضعوا[3] . قال بعض النحـــاة: استكان مشتق من السكون ، ووَزْنُه افتعلوا ، أشْبِعت[4] فتحة الكاف فحدث عن شبعها ألف ، وذلك كالإشباع . وقيل إنه من كان يكون فوزنه استفعلوا[5] ، وهذا تعريض بما صدر من بعض الناس يوم أُحُد .

(إسرافنا) : إفراطنا[6] .

(انفَضُّوا[7]) ؛ أى تفرقوا ، وأصل النقض الكسر .

(ادرءوا[8]) : ادفعوا . والمعنى رُدّ عليهم .

(إناثاً[9]) : مَوَاتاً[10] . واختلف ما المراد بقوله ؟ فقيل : هى الأصنام ؛ لأن العرب كانت تسمّى الأصنام بأسماء مؤنثة ، كاللاّت والعُزى . وقيل المراد

---

(١) البقرة : ٢٧٩ (٢) القرطبى (٣ — ٣٦٤)
(٣) آل عمران : ١٤٦ (٣) أى استكنوا .
(٤) فى ب : بينت فتحة ... بطلها . والمثبت فى القرطبى (٤ — ٢٣٠)
(٥) فى القرطبى : والأول أشبه بمعنى الآية .
(٦) آل عمران : ١٤٧ (٧) آل عمران : ١٥٩ (٨) آل عمران : ١٦٨
(٩) النساء : ١١٧
(١٠) فى القرطبى : ٥ — ٣٨٧ : لأن الموات لا روح فيه كالخشبة والحجر . والموات تخبر عنه كما يخبر عن المؤنث لا تضاع المنزلة .

الملائكة لقول الكفار إناث ، وكانوا يعبدونهم ، فذكر ذلك على وجه إقامة الحجة عليهم بقولهم الفاسد . وقيل المراد الأصنام ؛ لأنها لا تَعْقِل فيُخْبَر عنها كما يُخْبَر عن المؤنث .

(إمْلاق[1]) : فقر ، وإنما نهى عن قَتْل الأولاد لأجل الفاقة ؛ لأن العرب كانوا يفعلون ذلك ، فخرج مخرج الغالب ، فلا يفهم منه إباحة قتلهم بغير ذلك الوجه .

(افْتِراء) الافتراء الكذب ، وذلك أنهم كانوا قد قسموا أنعامهم وقالوا هذه أنْعامٌ[2] . . . الخ ونسبوا ذلك إلى الله افتراء وكذباً ، ونصبه على الحال أو مفعول من أجله أو مصدر مؤكد .

(ادَّارَكُوا[3]) تلاحقوا واجتمعوا . والمراد بأولهم الرؤساء والقادة وآخرهم الأتباع والسفلة . والمعنى أن أُخْراهم طلبوا من الله أن يُضَاعِف العذاب لأولاهم ؛ لأنهم أضلوهم . وليس المعنى أنهم قالوا لهم ذلك خطاباً لهم ، إنما هو كقولك : قال لفلان كذا ، أى قاله عنه وإن لم يخاطبه به .

(افْتَحْ بيننا) ؛ أى احكم .

(اسْتَرْهَبُوهم[4]) أى خوّفوهم بما أظهروا لهم مِنْ أنواع السحر .

(إلهتك) — بكسر الهمزة فى قراءة مَنْ قرأها — معناها عبادتك .

(انْسَلَخَ منها) ؛ أى خرج[5] كما تخرج الحية من القشر ، والانسلاخ

(١) الأنعام : ١٥١ ، والإسراء : ٣١

(٢) الأنعام : ١٣٨ ، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه .

(٣) الأعراف : ٣٨ (٤) الأعراف : ١١٦،واسترهبوهم ، وجاءوا بسحر عظيم .

(٥) الأعراف : ١٧٥ ، واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها .

من الثياب . وقد اختلف فى هذا المُنْسلِخ ؛ فعند ابن مسعود هو رجل من بنى إسرائيل بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مَدْين ، فرشاه الملك على أن يترك دينَ موسى ويُتَابِع الملك على دينه، ففعل ، وأضل الناسَ بذلك . وقال ابن عباس: هو بَلْعَام الذى دعا على موسى ، فالآياتُ التى[1] أعطيها على هذا القول هى اسم الله الأعظم . وقال عبد الله بن عمرو بن العاصى : هو أمية بن أبى الصَّلْت ، وكان قد أوتى علماً وحكمة ، وكان قد أسلم قبل غَزْوَة بَدْر ، ثم رجع عن ذلك ، ومات كافراً ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم : كاد أمية بن أبى الصلت أن يسلم .

فالآيات على هذا ما كان عنده . وعلى قول ابن مسعود هى ما علمه موسى من الشريعة . وقيل: ما كان عنده من صحف إبراهيم .

(إلاًّ ولَا ذِمَّة[2]) قد قدمنا أنَّ « إل » على خمسة أوجه : بمعنى الله ، والعهد ، والقرابة ، والحلف ، والجوار[3] .

(اقْتَرَفْتُمُوها) : اكتسبتموها .

(إحْدى الُحسْنَيَيْن) : الصبر والظفر ، أو الموت فى سبيل الله . وكلٌ واحدة من الأمرين حَسن .

(إرصاداً) يقال رصدت وأرصدت فى الخير والشر جميعاً ، وهو الترقّب والانتظار . ومعناه هنا أن بنى عمرو بن عَوْف من الأنصار بَنَوْا مسجد قُبَاء ،وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه ويصلى فيه ، فحسدهم على ذلك قومهم بنو غَنْم ابن عَوْف وبنو سالم بن عوف ، فبنوا مسجداً آخر مجاوراً له ، ليقطعوا الناس

---

(١) فى ب : الذى (٢) التوبة : ٨ ، ١٠

(٣) فى القرطبى : وعن مجاهد أنه إسم من أسماء الله (٨ — ٧٩) .

عن الصلاة فى مسجد قُبَا ، فذلك هو الضِّرار الذى قصدوا . وسألوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيَه ويصلِّى لهم فيه ، فنزلت عليه هذه الآية[١] . والذى حارب الله ورسوله هو أبو عامر[٢] الراهب الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق ، وكان من أهل المدينة ، فلما قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهر بالكُفْر والنِّفاق ، ثم خرج إلى مكة فحزَّبَ الأحزاب من المشركين ، فلما فُتِحت مكةُ خرج إلى الطائف ، فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الشام ليستنصر بقَيْصَر ، فهلك هنالك . وكان أهلُ مسجد الضِّرَار يقولون : إذا قدم أبو عامر المدينة يصلى فى هذا المسجد . والإشارة بقوله « مِنْ قَبْل » إلى ما فعل مع الأحزاب .

(إىْ ورَبِّى) : [illegible] توكيد للاقسام . المعنى نعم وربى .

(اقضُوا إلىّ) أى[٣] أمْضُوا ما فى أنفسكم ولا تؤخِّرُوه ، كقوله[٤] : « فاقضِ ما أنتَ قاضٍ » ، أى أمضِ ما أنت مُمْضٍ . ومعناه أن نوحاً عليه السلام قال لقومه : إن صَعُب عليكم دُعائى لكم إلى الله فامضوا فى غاية ما تريدون ، فإنى لا أبالى بكم لتوكُّلى على الله وثِقَتى به سبحانه .

(اطمِسْ[٥]) ؛ أى امْحُه[٦] ، من قولك : طَمِس الطريقُ إذا عفا ودَرَس .

---

(١) التوبة : ١٠٧ ، والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل .

(٢) وأبو عامر هذا هو والد حنظلة غسيل الملائكة .

(٣) يونس : ٧١ ، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلى ولا تنظرون .

(٤) طه : ٧٢

(٥) يونس : ٨٨ ؛ ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم .

(٦) فى القرطبى : أى عاقبهم على كفرهم بإهلاك أموالهم . قال الزجاج : طمس الشىء إذهابه عن صورته .

(جرامى) ، مصدر أجْرَمْتُ إجراماً ؛ أى أذنبت .

(اعْتَرَاكَ): قصدك[١] . ومعناه ما نقول إلا أنّ بعض آلهتنا أصابتْك بجنون، لأنك سَبَبْتَها ونَهَيْتَنا عن عبادتها .

(استعمركم) ؛ أى جعلكم تعمرونها ، فهو من العمران للأرض . وقيل هو من العُمْر ، أى استبقاكم .

(ارتقبوا) ؛ أى انتظروا . ومعناه التهديد والتخويف .

(استَعْصَم) ؛ أى طلب العصمة وامتنع مما أردت منه من الفاحشة .

(استيئسوا) ؛ أى يئسوا .

(اصدع) ؛ أظهر ، أخذ من الصديع وهو الصبح . قال الشاعر[٢] :

* كأن بياضَ لَبَّتِهِ صَدِيع *

(المُقْتَسِمين) : اختلف فيهم ، فقيل هم أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه ، فاقتسموه إلى قسمين . وقيل : هم قُرَيش اقتسموا أبواب مكة في الموسم ، فوقف كلٌّ واحد منهم على باب ، يقول أحدهم هو شاعر، ويقول الآخر ساحر . والكاف من قوله « كما[٣] » متعلقة بقوله[٤]: « أنا النَّذِير المُبِين » ، أى أنذر قريشاً عذاباً مثل العذاب الذى أنزل على المقتسمين . وقيل

(١) هود : ٥٤
(٢) عجز بيت صدره :
* ترى السرحان مفترشاً يديه *
وهو لعمرو بن معد يكرب (اللسان — صدع) .
(٣) الآية : كما أنزلنا على المقتسمين : الحجر (٩٠) .
(٤) آية ٨٩ من السورة نفسها .

تعالى بقوله[1] : « ولقد آتيناكَ » ، أى أنزلنا عليك كتاباً كما أنزلنا على المقتسمين .

(استَفْزِز) : أى اخدع[2] بدعائك إلى أهل المعاصى ، واستخفّ بهم .

(ارتدّا على آثارهما) أى[3] رجعا فى طريقهما يقُصّان أثرَهُمَا الأول ، لئلا يخرجا عن الطريق .

(إِمْراً[4]) : عجباً ، ويقال داهية .

(انتَبَذَتْ من أهلها) : اعتزلتهم ناحية . يقال : قعـد نَبْذَةً وَنُبْذَةً : أى ناحية .

(إلحـاد) : أى ميل عن الحق .

(أَسْمِـعْ بهم) أى ما أسمعهم ، وما أبصرهم يوم القيامة ، على أنهم فى الدنيا فى ضلال مبين .

(اخسئوا) : كلمة تستعمل فى زجر الـكلاب ، ففيها إهانة وإبعـاد . وفى الحديث أنه قال صلى الله عليه وسلم لابن صياد : اخسأْ فلن تَعدُوَ قَدْرَكَ .

(إفك) : أشدّ الـكذب ، ونزلت الآيات الست من قوله تعالى[5] : « إن الذين جاءُوا بالإفك عُصْبَةٌ منـكم ... » إلى قوله تعالى : « لهم مغفرة ورزقٌ كَرِيم » — فى شأن عائشة وبراءتها مما رماها أهل الإفك ، وذلك أن الله برّأ أربعة بأربعة : برّأ يوسف بشهادة الشاهد من أهلها ، وبرأ موسى من قول اليهود

---

(١) الحجر : ٨٧

(٢) فى سورة الإسراء : واستفزز من استطعت منهم بصوتك (آية ٦٤) .

(٣) الـكهف : ٦٤ (٤) الـكهف : ٧١ (٥) النور : ١١ ، ومابعدها .

بالحجر الذى ذهب بثَوْبه . وبرأ مريم بكلام وَلَدِها فى حِجْرِها . وبرأ عائشة من الإفك بنزول القرآن فى شأنها .

ولقد تضمنت هذه الآيات الغاية العظمى فى الاعتناء بها ، والكرامة لها ، والتشديد على من قذفها . وقد خرّج حديث الإفك البخارى ومسلم وغيرها ؛ واختصاره أن عائشةَ رضى الله عنها خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بنى المُصْطَلِق، فضاع لها عقد فتأخرت على التماسه حتى رحل الناس ، فجاء رجلٌ يقال له صَفْوان بن المعطّل، فرآها فنزل عن ناقته ، وتَنَحّى عنها حتى ركبت عائشة ، وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش ، فقال أهل الإفك فى ذلك ما قالوا ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما بال رجال رمَوْا أهلى ! والله ما علمت على أهلى إلا خيراً ؛ ولقد رموا رجلا ما علمت عليه إلا خيراً .

وسأل جارية عائشة ، فقالت : والله ما علمت عليها إلا كما يعلم الصائغ عن الذهب الأحمر . ولم يذكر فى الحديث من أهل الإفك إلا أربعة ؛ وهم : عبد الله ابن أُبَىّ بن سلول رأس المنافقين ، وحَمْنة بنت جحش ، ومسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت . وقيل : إن حسان لم يكن معهم .

(الإِرْبَة[1]) الحاجة إلى الوطء . وشرط فى رؤية غير ذوى المحارم شرطان: أحدهما أن يكونوا تابعين ، ومعناه أن يتبع لشىء يُعْطاه ، كالوكيل والمتصرّف ؛ ولذلك قال بعضهم : هو الذى يَتْبعك وهمّته بَطْنُه . والآخر ألا يكون لهم إرْبَة فى النساء ؛ كالخصِىّ ، والمخنَّث ، والشيخ الهرم ، والأحمق[2] . فلا يجوز رُؤْية النساء إلا باجتماع الشرطين .

---

(١) النور : ٣١ ، أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء . . .

(٢) قال فى القرطبى (١٢ — ٢٣٤) : وهذا الاختلاف كله متقارب المعنى . ويجتمع فيمن لا فهم له ولا همة ينتبه بها إلى أمر النساء .

واختلف هل يجوز أن يراها عَبْدُ زَوْجِها وعَبْد الأجنبي أم لا ؟ على قولين . وأما العبيد ففيهم ثلاثة أقوال : منع رؤيتهم لسيدتهم ، وهو قول الشافعي . والجواز ، وهو قول ابن عباس وعائشة . والجوازُ بشرط أن يكون العَبْدُ وَغداً[1] وهو مذهب مالك ، واحْتَجَّ بهذه الآية .

(اطَّيَّرْنا[2]) : أصله تَطَيَّرْنا ، ومعناه تَشاءَمْنا ، وكانوا قد أصابهم القَحْط ، فنَسَبُوا ما أصابهم إلى صالح ، فلذلك جاوبهم بقوله[2] : « طائِرُكم عند الله » ، أي السبب الذي يحدث عنه خَيْرُكم وشَرُّكم هو عند الله ، وهو قضاؤُه وقَدَرُه .

(اقْصِدْ في مَشْيِك) ؛ أي[3] اعتدل فيه ، فلا تُسرع فيه إسراعاً يدلُّ على الطَّيْش والخِفّة [التي تذهب[4]] ببهاء الوجه ؛ ولا تبطىء لأنه يدلّ على النخوة والكِبْر . والقَصْد: ما بين الإسراف والتقصير . وقد كان صلى الله عليه وسلم يمشي مُتَواضعاً لا مُتَبَخْتِراً ولا كسلا ، وكان بين ذلك قَوَاما .

(امْتَازُوا) أي انْفرِدُوا[5] عن المؤمنين وكونوا على حدة ، لتأخذكم الزَّبانيـة .

(اصْلَوْها) : ذُوقوا حَرَّها . ويقال صليت النار إذا نالك حَرُّها .

(استَفْتِهم) سَلْهم . والضمير المفعول لقريش وسائر الكفار ، أي اسألهم على وجه التقرير والتوبيخ عما زَعموا من أن الملائكة بنات الله ، فجعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور ، وتلك قسمة ضِيزَى .

---

(١) الوغد : الدنيء من الرجال الذي يخدم بطعام بطنه . وقيل : الخفيف العقل .
(٢) النمل : ٤٧ (٣) لقمان : ١٩ (٤) ساقط في ب .
(٥) يس : ٥٩ : وامتازوا اليوم أيها المجرمون .

(إلْيَاسِين) يعنى[1] إلياس وأهل دينه ، جمعهم بغير إضافة بالياء والنون على العدد ، كأنّ كلّ واحدٍ منهم اسمه إلياس . وقال بعض العلماء : يجوز أن يكون إلياس وإلياسين بمعنى واحد ، كما يقال ميكايل وميكال . وتقرأ على آل ياسين ، أى على آل محمد صلى الله عليه وسلم .

وأخرج ابن أبى حاتم بسندٍ حسن عن ابن مسعود، قال : الياس هو إدريس، وقراءته : وإن إدريس لَمِنَ المُرْسلين . سلَامٌ على إدْرَاسين . وفى قراءة أُبيّ : وإن إلياس ... سلام على إلْيَسِين[2]. وقيل إنه لقب إدريس . وقد أخطأ مَنْ قال إنه إلياس المذكور فى أجداد النبى صلى الله عليه وسلم .

(اشمأزّتْ) معناه نفرت، والمشمئزّ النافر. ومعنى الآية أن الكفار يكرهون توحيد الله ، ويحبّون الإشراك به ، ونزلت حين قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النجم ، فألقى الشيطانُ ... حسبما ذكر فى الحج[3] ، فاستبشر الكفّارُ من ذكر اللات والعزى ، فلما أذهب الله ما ألقى الشيطان استكبروا واشمأزّوا .

(اصْفَح) : أعرض . وأصلُ الصفح أن تنحرف عن الشىء ، فتُولِيه صفحةَ وجهك ، وهذا الإعراض منسوخٌ بآية السيف كما قدمنا .

(الغوا) من[4] اللّغَا ، وهو الهُجْر والكلام الذى لا نَفْع فيه . ورُوى أن قائل هذه المقالة أبو جهل لعنه الله ، وقال لهم : تشاغلوا عند قراءته بِرَفع

---

(١) الصافات : ١٣٠

(٢) قال ابن جنى : العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعباً ، فياسين ، وإلياس ، وإلياسين شىء واحد (القرطبى : ١٥ — ١١٩) .

(٣) الحج : ٥٢

(٤) فصلت : ٢٦ ، وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون .

الأصوات وإنشاد الشعر ، وشِبْه ذلك حتى لا يسمعه أحد . وقيل المعنى : قَعُوا فيه وعِيبُوه .

(اعتِلوه[1]) : أى سُوقوه بتَعْنيف إلى سَوَاءِ الجحيم ، يعنى وسطها . واختلف على مَنْ يعود الضمير ، فقيل على أبى جهل . وقيل على العموم ، وهو الأظهر .

(انشُزُوا) معناه[2] ارتفعوا عن مواضعكم حتى تُوَسِّعوا لغيركم .

واختلف فى هذا النشوز المأمور به ، فقيل إذا دعوا إلى قتالٍ أو صلاةٍ أو فعلِ طاعةٍ . وقيل : إذا أمروا بالقيام من مجلس رسـول الله صلى الله عليه وسـلم ، لأنه كان يحب الانفراد أحياناً ، وربما جلس قومٌ حتى يُؤْمَروا بالقيام. وقيل المراد القيامُ فى المجلس للتوسع .

(استحوذ) : أى غلب[3] عليهم الشيطانُ وتملّك نفوسهم . واستحوذ مما خرج على الأصل ولم يُعَلّ . ومثله اسْتَرْوَح ، واستَنْوَق الجمل ، واستَصْوَب رأيه[4] .

(اسعوا) : امضوا إلى ذِكْر الله بالهيئة والجِدّ ، ولم يرد العَدو والإسراع ، للحديث : لا تأْتُوا الصلاة وأنتم تسعون وأْتُوها وعليكم السكينةُ والوقار .

وأمر فى هذه الآية بالسعى إلى الجمعة ، وذلك عند جلوس الإمام على المنبر وأخذ المؤذّنين فى الأذان .

(وائتمروا) خطاب للرجال والنساء . والمعنى أن يأمُرَ كلٌّ واحد صاحبَه

---

(١) الدخان : ٤٧ ، خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم .

(٢) المجادلة : ١١

(٣) المجادلة : ١٩ ، استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله .

(٤) فى اللسان : وهذا الباب كله يجوز أن يتكلم به على الأصل (استحوذ) .

بخير ، من المسامحة ، والرِّفق ، والإحسان . وقيل : معنى ائتمروا تشاوروا . ومنه[1] : « إنَّ المَلأَ يَأْتَمِرُونَ بكَ لِيَقْتُلُوكَ » .

(استَغْشَوْا ثِيَابَهُم) : جعلوها[2] غشاوة عليهم لئلا يسمعوا كلامه ولئلا يراهم. ويحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة ، أو يكون عبارة عن إفراط إعراضهم . فانظر نُصْحَه صلى الله على نبينا وعليه وسلم ، ذكر أولا أنه دعاهم بالليل والنهار ، ثم ذكر أنه دعاهم جهاراً ، ثم ذكر أنه جمع بين الجَهْر والإسرار ، وهذه غايةُ الجد فى النصيحة ، وتبليغ الرسالة .

(التفَّتِ السَّاقُ[3]) هذه عبارة عن شدَّةِ كَرْب الموت وسكَرَاته ، أى التفت ساقه إلى ساقه الآخَر عند السياق. وقيل مجاز ، كقولك : كشفت الحرْب عن ساقها ، إذا اشتدَّت. وقيل معناه ماتت ساقه فلا تحمله. وقيل التفت ؛ أى لفَّها الكَفَن إذا كُفِّن .

(انكدرت) ؛ أى تساقطت من مواضعها . وقيل تغيرت . والأول أرجح ، لأنه موافق لقوله[4] : « وإذا الكواكبُ انتَثَرَتْ » .

(اتّسق) القمر إذا تمّ وامتلأ ليلة أربع عشرة . ووزن اتسق افتعل ، وهو مشتق من الوسق . ويقال : اتسق استوى .

(إِرَم) هى قبيلة عاد ، سُمّيت باسم أحد أجدادها ، كما يقال هاشم لبنى هاشم. وإعرابه بدل من عاد ، أو عطف بيانٍ . وفائدته أنّ المراد عاد الأولى ، فإنّ عادا الثانية لا يسمَّون بهذا الاسم . وقيل إرم اسمُ مَدِينتهم ، فهو على حذف مضاف،

(١) القصص : ٢٠ (٢) نوح : ٧ (٣) القيامة : ٢٩

تقديره بعاد عاد إرم . ويدل على هذا قراءة ابن الزبير بعادِ إرم على الإضافة من غير تنوين عاد ، وامتنع إرم من الصرف على القولين للتعريف والتأنيث .

(اقتحم العَقَبة[١]) الاقتحام : الدخول بشدة ومشقّة . والعقبة عبارة عن الأعمال الصالحة المذكورة . وجعلها عقبة استعارة من عقبة الجبل ؛ لأنها تصعد ويشق صُعُودها على النفوس . وقيل هو جبل فى جهنم له عقبة لا يجاوزها إلا مَنْ عمل هذه الأعمال ؛ ولا هنا[٢] تحضيض بمعنى هلا . وقيل هى دعاء . وقيل : هى[٣] نافية . واعترض على هـذا القول بأن « لا » النافية إذا دخلت على الفعل الماضى لزم تكرارها .

وأجاب الزمخشرى[٤] : بأنها مكررة فى المعنى ، والتقدير فلا اقتحم العقبة ولا فَكّ رقبة ، ولا أطعم مسكيناً .

(انبَعَثَ) يعنى خرج إلى عَقْر الناقة بسرعة ونشاط . وأَشْقَاهَا[٥] أُحَيْمر[٦] ثمود قُدَار[٧] بن سالفٍ عاقر الناقة . ويحتمل أن يكون أشقاها واقعاً على جماعة ؛ لأن أفعل التى للتفضيل إذا أضفته يستوى فيه الواحد والجمع . والأول أظهر .

(انْحَرْ) : اذبح . ويقال انحر : ارفع يديك بالتكبير إلى نحرك . والأول أظهر ؛ لأن الله أمره بالصلاة على الإطلاق . وبِنَحْر الهَدْى والضحايا . وقيل إنه عليه الصلاة والسلام كان يضحى قبل صلاة العيد ، فأمره أنْ يُصَلِّى ثم ينحر ؛ فالمقصود على هـذا تأخير نحر الأضاحى عن الصلاة . وقيل : إن الكفار كانوا

---

(١) البلد : ١١ (٢) فى الأصلين : ولأنها ــ تحريف .
(٣) أى لا . (٤) الكشاف : ٢ ــ ٥٤٥
(٥) الشمس : ١٢ (٦) المعروف : أحمر ثمود ، كما فى ثمار القلوب : ٧٩
(٧) فى ا : مدرار ــ مضبوطا .

يصلون مُكَاءً وتَصْدِيةً[١] ، وينحرون للأصنام ، فقال الله لنبيه : صل لربك وحده ، وانحر له ؛ أي لوجهه لا لغيره ؛ فهو على هذا أمر بالتوحيد والإخلاص .

(الهَمْزة) تأتي على وجهين : أحدهما الاستفهام ، وحقيقته طلب الإفهام ، وهي أصل أدواتها ، ومن ثَمّ اختصت بأمور :

أحدها — جواز حذفها .

الثاني — تأتي لطلب التصوّر والتصديق ، بخلاف هل ، فإنها للتصديق خاصة ، وسائر الأدوات للتصور خاصة .

ثالثها — أنها تدخل على الإثبات ، نحو[٢] : « أكان للناسِ عَجَبًا » . «[٣] آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ » . وعلى النفي نحو : « أَلَمْ نَشْرَحْ » . وتُفيد حينئذ معنيين : أحدهما التذكير والتنبيه ، كالمثال المذكور ، وكقوله[٤] : « أَلم تَرَ إلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلّ » . والثاني التعجب من الأمر العظيم ، كقوله تعالى[٥] : « ألم تر إلى الَّذِين خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِم وهم أُلُوفٌ حَذَرَ الموت » . وفي كلا الحالتين هو تحذير ، نحو[٦] : « ألم نُهْلِكِ الأوّلين » .

رابعها — تقدمها على العاطف تنبيهًا على أصالتها في التصدير ، نحو[٧] : « أَوَ كلما عاهَدُوا عَهْداً » . «[٨] أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى » . «[٩] أَثُمَّ إذا ما وقع » . وسائر أخواتها متأخّر عنه ، كما هو قياس جميع أجزاء الجملة المعطوفة ، نحو : وكيف

---

(١) الأنفال : ٣٥ ، وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية . مكاء : إدخال أصابعهم في أفواههم . تصدية : الصفير .

(٢) يونس : ٢ — (٣) الأنعام : ١٤٣ — (٤) الفرقان : ٤٥

(٥) البقرة : ٢٤٣ — (٦) المرسلات : ١٦ — (٧) البقرة : ١٠٠

(٨) الأعراف : ٩٧ — (٩) يونس : ٥١

تكفرون . فأين تذهبون . فأنّى تُؤْفَكون . فهل يهلك . فأيّ الفريقين . فما لكم في المنافقين .

خامسها — أنه لا يُستفهم بها حتى يهجس في النفس إثبات ما يستفهم عنه ، بخلاف هل فإنه لما لا يترجّح عنده نَفْيٌ ولا إثبات ، حكاه أبو حيان عن بعضهم .

سادسها — أنها تدخل على الشرط . نحو[1] : « أَفَإِنْ مِتَّ فهمُ الخالدون » . «[2] ولئن مِتُّمْ أو قُتِلتم » . «[3] أَفَإِن ماتَ أَوْ قُتِل انقلَبْتُم » ؛ بخلاف غيرها .

وتخرج[4] عن الاستفهام الحقيقى فتأتى لمعانٍ قدمناها[5] فى الخبر والإنشاء .

فائـــدة

إذا دخلت على « رأيت » امتنع أن تكون من رؤية البصر أو القَلْب ، وصارت بمعنى أخبرنى . وقد تُبدل هاء ؛ وعلى ذلك قراءة قُنْبُل : هأنتمُ[6] هؤلاء — بالقصر . وقد تَقَعُ فى القسم ؛ ومنه[7] : « ولا نكتُم شهادةً آلله — بالتنوين ، آلله بالمد .

الثانى : من وجهى الهمزة أن تكون حرفاً يُنادَى به القريب ، وجعل منه

---

(١) الأنبياء : ٣٤ (٢) آل عمران : ١٥٨ ، وفى ب : أفائن — تحريف .
(٣) آل عمران : ١٤٤ (٤) البرهان (٤ — ١٧٨) .
(٥) صفحة ٤٣٢ (٦) آل عمران : ٦٦ (٧) المائدة : ١٠٦

القراء قوله تعالى[1] : « أَمَنْ هو قَانِتٌ آناءَ الليل » ـ على قراءة تخفيف الميم ؛ أى يا صاحب هذه الصفات .

قال ابن هشام[2]: ويبعده أنه ليس فى التنزيل نداءٌ بغير ياء ، ويقربه سلامته من دَعوى المجاز ؛ إذ لا يكون الاستفهام منه تعالى على حقيقته ، ومن دَعوى كثرة الحذف؛ إذ التقدير عند مَنْ يجعلها للاستفهام: أمَّنْ هو قانت خَيْرٌ أم هذا الكافر ؟ أى المخاطب بقوله تعالى[3] : « قل تَمَتَّع بكُفْرِكَ قليلا » ؛ فحُذف شيئان : معادل الهمزة والخبر .

(أَحَد) قال أبو حاتم فى كتاب الزينة : هو اسمٌ أُكمل من واحد ، ألا ترى أنك إذا قلت : فلان لا يقوم له واحد جاز فى المعنى أن يقوم له اثنان فأ كثر ، بخلاف قولك لا يقوم له أحد .

وفى الأحد خصوصية ليست فى الواحد ؛ تقول : ليس فى الدار واحـد ، فيجوز أن يكون من الدواب والطير والوحوش والإنسان ، فيعمّ الناسَ وغيرهم ، بخلاف ليس فى الدار أحد ؛ فإنه مخصوص بالآدميين دون غيرهم .

قال : ويأتى[4] الأَحَد فى كلام العرب بمعنى الأول وبمعنى الواحد ، فيستعمل فى الإثبات وفى النفى ، نحو[5] : « قل هو الله أَحَد » ؛ أى واحد ، وأوّل . «[6] فابْعَثُوا أَحَدَكم بِوَرِقِكُمْ » ؛ وبخلافهما فلا يستعمل إلا فى النفى ؛ تقول : ما جاءنى من أحد. ومنه[7]: «أيَحْسَبُ أَنْ لن يَقْدِرَ عليه أحد» . «[8] أيحسبُ

---

(١) الزمر : ٩ (٢) المغنى (١ ــ ١٠) . (٣) الزمر : ٨
(٤) فى ب : ويأتى على الأحد .
(٥) الإخلاص : ١ (٦) الكهف : ١٩ (٧) البلد : ٥
(٨) البلد : ٧

أنْ لم يَرَه أحد » . « [1] فما منكم من أحد » . « ولا[2] تُصَلِّ على أحد » .

وواحد يستعمل فيها مطلقاً .

وأحد يستوى فيه المذكر والمؤنث ؛ قال تعالى[3] : « لستُنَّ كأحدٍ مِنَ النساء » ؛ بخلاف الواحد فلا يقال كواحد من النساء بل كواحدة .

وأحد يصلح للأفراد والجمع .

قلت : ولهذا وُصِف به فى قوله تعالى[1] : « فما مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ عنه حَاجِزِين » . بخلاف الواحد .

والأحد له جمع مِنْ لفظه ، وهو الأُحد والآحاد ، وليس للواحد جمع من لفظه ، فلا يقال [illegible][4] ، بل اثنان وثلاثة .

والأحد ممتنع الدخول فى الضرب والعدد والقسمة وفى شىء من الحساب ، بخلاف الواحد. انتهى ملخصاً . وقد تحصلّ من كلامه أن بينهما سبعة فروق .

وفى أسرار التنزيل للبارزى فى سورة الإخلاص : فإن قلت المشهور فى كلام العرب أن الأحد يستعمل بعد النفى والواحد بعد الإثبات ، فكيف جاء أحد هنا بعد الإثبات ؟

قلت : قد اختار أبو عبيد أنهما بمعنى واحد وحينئذ فلا يختص أحدهما بمكان دون الآخر ، وإن غلب استعمال أحد فى النفى . ويجوز أن يكون العدول هنا عن الغالب رعاية للفواصل .

---

(١) الحاقة : ٤٧ (٢) التوبة : ٨٤ (٣) الأحزاب : ٣٢

(٤) [illegible]

وقال الراغب فى مفردات القرآن[١] : أحد تستعمل على ضربين :

أحدهما فى النفى فقط ، والآخر فى الإثبات .

فالأول لاستغراق جِنْسِ الناطقين ، ويتناول القليل والكثير ؛ ولذلك صحّ أن يُقال ما من أحد فاضلين ؛ كقوله[٢] : « فما مِنْكُمْ من أحَدٍ عنه حَاجِزين » .

والثانى[٣] على ثلاثة أوجه :

الأول — المستعمل فى العَدَد مع العشرات ؛ كأحد عشر وأحد وعشرين .

والثانى — المستعمل مضافاً أو مضافاً إليه بمعنى الأول ، نحو[٤] : «أما أحَدُكما فيَسْقِى رَبَّه خَمْراً » .

والثالث — المستعمل وصفاً مطلقاً ، ويختص بوصف الله تعالى ، نحو : « قل هو الله أحد » . وأصله وَحد[٥] ، إلا أن وَحد[٥] يستعمل فى غيره .

(إذْ) تَرِد على أوجه :

أحدها أن تكون اسماً للزمان الماضى ، وهو الغالب ؛ ثم قال الجمهور : لا تكون إلا ظرفاً ، نحو[٦] : « فقد نصره الله إذْ أخرجهُ الّذين كَفَرُوا » . ومضافاً إليها الظرف : «[٧] بَعْدَ إذْ هدَيْتَنا » . «[٨] يومئذ تُحَدّثُ » . «[٩] وأنتم حينئذ تَنْظُرون » .

---

(١) صفحة ١٢ (٢) الحاقة : ٤٧ (٣) أى المستعمل فى الإثبات .

(٤) يوسف : ٤١

(٥) فى ب : واحد ، والمثبت فى المفردات . وقد استشهد للاستعمال المشار إليه ببيت النابغة :

كأن رحلى وقد زال النهار بنا ... بذى الجليل على مستأنس وحد

(٦) التوبة : ٤٠ (٧) آل عمران : ٨ (٨) الزلزال : ٤

(٩) الواقعة : ٨٤

وقال غيرهم : تكون مفعولا به، نحو[١] : « واذكُروا إذا أنْتُم قَليل » . وكذا المذكورة فى أوائل القصص كلها مفعول به ، بتقدير اذكر .

أو بدلا منه[٢] نحو : « واذْكُرْ فى الكتاب مَرْيَم إذِ انْتَبَذَتْ » ؛ فإنها بدل اشتمال من مريم على وجه[٣] البدل فى[٤] : « يسألونكَ عن الشَّهر الحرام قِتَالٍ فيه » . «[٥] اذكروا نعمةَ الله عليكم إذْ جعل فيكم أنبياءَ » ؛ أى اذكروا النعمةَ التى هى الجَعْل المذكور ؛ فهى بدل كلٍّ من كل . والجمهور يجعلونها فى الأول ظرفاً لمفعول محذوف ، أى واذكروا نعمةَ الله عليكم إذ كنتم قليلا . وفى الثانى ظرفاً لمضاف إلى مفعول محذوف ؛ أى واذكر قصة مريم . ويؤيِّد ذلك التصريح به فى[٦] : « واذكروا نعمةَ الله عليكم إذْ كنتم أعداءً » .

وذكر الزمخشرى أنها تكون مبتدأ ، وأخرج عليه قراءة بعضهم[٧] : « لقد مَنَّ اللهُ على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا » ؛ قال التقدير « مَنّه » إذ بعث ؛ فإذْ محل رفع كإذا فى قولك : أخطَبُ ما يكون الأمير إذا كان قائماً ، أى لقد مَنّ الله على المؤمنين وقت بعْثه .

قال ابن هشام[٨] : ولا نعلم بذلك قائلا . وذكر كثير أنها تخرج عن المضى إلى الاستقبال ، نحو[٩] : « يومئذ تُحَدِّثُ أخبارَها » . والجمهور أنكروا ذلك وجعلوا الآية من باب[١٠] : « ونُفِخَ فى الصُّور » — يعنى من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة الماضى الواقع . واحتج المثبتون — ومنهم ابن مالك —

---

(١) الأنفال : ٢٦ (٢) أى المفعول ، كما فى المغنى (١ ـ ٧٣)
(٣) فى المغنى : على حد البدل . (٤) البقرة : ٢١٧
(٥) المائدة : ٢٠ (٦) آل عمران : ١٠٣ (٧) آل عمران : ١٦٤
(٨) المغنى (١ ـ ٧٢) (٩) الزلزلة : ٤ (١٠) الكهف : ٩٩

بقوله(1) : « فسوف يعلمون إذ الأغلالُ فى أعناقهم » . قال : يعلمون مستقبلٌ لفظاً ومَعْنى ؛ لدخول حرف التنفيس عليه ، وقد عمل فى إذ ، فيلزم أن تكون بمنزلة إذا .

وذكر بعضهم أنها تأتى للحال نحو(2) : « ولا تعملون مِنْ عَمَلٍ إلا كُنَّا عليكم شهوداً ، إذ تُفِيضون فيه » .

فائـــدة

أخرج ابن أبى حاتم من طريق السدىّ عن أبى مالك ، قال : كل ما كان فى القرآن « إنْ » ـ بكسر الألف ـ فلم يكن ؛ وما كان إذ فقد كان .

الوجه الثانى [٩٣] أن تكون للتعليل ، نحو(3) : « ولن يَنْفَعكم اليَوْمَ إذ ظَلَمْتُمْ أنكم فى العذاب مُشْتَرِكون » ؛ أى ولن ينفعكم اليوم اشتراككم فى العذاب لأجل ظُلْمِكم فى الدنيا .

وهل هى حرف بمنزلة لام العلة ، أو ظرف بمعنى وقت ، والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ ؟ قولان ، المنسوب إلى سيبويه الأول ، وعلى الثانى فى الآية إشكال ؛ لأن إذ لا تُبْدَل من اليوم لاختلاف الزمانَيْن ، ولا تكون ظرفاً لينفع ؛ لأنه لا يعمل فى ظرفين ، ولا « مشتركون » ؛ لأن معمول خبر أنّ وأخواتها لا يتقدم عليها ، ولأن معمول الصِّلَة لا يتقدم على الموصول ، ولأن اشتراكهم فى الآخرة لا فى زمن ظلمهم .

---

(1) غافر : ٧٠ ، ٧١
(2) يونس : ٦١
(3) الزخرف : ٣٩

ومما حُمل على التعليل[1]: «وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفكٌ قديم». «وإذ اعتزلتموهم وما يعبدونَ إلّا الله فأْوُوا إلى الكهف»[2]. وأنكر الجمهور هذا القسم، وقالوا: التقدير: بعد إذ ظلمتم.

وقال ابن جنى[3]: راجعتُ أبا على مِرَاراً فى قوله: «ولن ينفعكم اليوم ...» الآية. مستشكلا إبدال إذ من اليوم. فآخِرُ ما تحصّل منه أنّ الدنيا والآخرة متصلتان، وأنهما فى حكم الله سواء؛ فكأن اليوم ماض.

الوجه الثالث . . التوكيد، بأن تُحمَل على الزيادة، قاله أبو عُبيدة، وتبعه ابن قتيبة، وحملا عليه آيات منها[4]: «إذ قال ربكَ للملائكة».

الرابع: التحقيق كقد، وحملت عليه الآية المذكورة، وجعل منه السُّهيلى قوله[5]: «بعد إذ أنتم مُسلمون». قال ابن هشام[6]: وليس القولان بشىء.

مســـألة

تلزم إذ الإضافة إلى جملة إمّا اسمية، نحو[7]: «واذكروا إذ أنتم قليل». أو فعلية فعلها ماض لفظاً أو معنى[4]، نحو: «وإذ قال رَبُّكَ للملائكة». «وإذ ابتلى إبراهيم ربُّه بكلمات»[8]. أو معنًى لا لفظاً[9]؛ نحو: «وإذ تقولُ للذى أنعم اللهُ عليه وأنعمتَ عليه».

وقد اجتمعت الثلاثة فى قوله[10]: «إلّا تنصُروه فقد نصره اللهُ إذ أخرجه الذين كفَرُوا ثانِيَ اثنين إذ هُما فى الغَار إذ يقُول لصاحبه».

(١) الأحقاف: ١١
(٢) الكهف: ١٦
(٣) المغنى (١ — ٧٥)
(٤) البقرة: ٣٠
(٥) آل عمران: ٨٠
(٦) المغنى (١ — ٧٦).
(٧) الأنفال: ٢٦
(٨) البقرة: ١٢٤
(٩) الأحزاب: ٣٧
(١٠) التوبة: ٤٠

وقد تحذف[1] الجملةُ للعلم بها ويعوض عنها التنوين . وتكسر الذال لالتقاء الساكنين ، نحو[2]: « يومئذٍ يفرحُ المؤمنون » . «[3]وأنتم حينئذٍ تنظرون».

وزَعم الأخفش أن « إذ » فى ذلك معربة ، لزوال افتقارها إلى الجملة ، وأن الكسرة إعراب ، لأن اليوم والحين مضافٌ إليها .

ورُدَّ بأن بناءها لوضعها على حرفين ، وبأنّ الافتقــــار باقٍ فى المعنى ، كالموصول تُحْذَف صلته .

(إذا) على وجهين :

أحدها : أن تكون للمفاجأة ، فتختص بالجمل الاسمية ، ولا تحتاج إلى جواب ، ولا تقع فى الابتداء ، ومعناها الحال لا الاستقبال ؛ نحو[4] : « فألقاها فإذا هى حيّةٌ تَسْعَى» . «[5]فلمّا أنجاهُم إذا هم يَبْغُون » . «[6]وإذا أذقْنا الناسَ رحمةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتهم إذا لهم مَكرٌ فى آياتِنا » .

قال ابن الحاجب : ومعنى المفاجأة حضورُ الشىء معك فى وصْفٍ من أوصافك الفعلية ، تقول : خرجت فإذا الأسد فى الباب ؛ ومعناه حضورُ الأسد معك فى زمن وصْفك بالخروج ، أو فى مكان خروجك ؛ وحضورُه معك فى مكان خروجك ألصقُ بك من حضوره فى زمن خروجك ؛ لأن المكان يخصك دون ذلك الزمان، وكلما كان ألصق كانت المفاجأة فيه أقوى .

واختلف فى إذا هذه ؛ فقيل إنها حرف ، وعليه الأخفش، ورجّحه ابن مالك. وقيل ظرف مكان ، وعليه المبرد ؛ ورجّحه ابن عصفور . وقيل ظرف زمان ،

---

(١) المغنى (١ – ٧٧) (٢) الروم : ٤ (٣) الواقعة : ٨٤
(٤) طه : ٢٠ (٥) يونس : ٢٣ (٦) يونس : ٢١

وعليه الزجاج . ورجّحه الزمخشرى ؛ وزعم أن عاملها فعل مقدّر مشتقٌ من لفظ المفاجأة . قال : التقدير : ثم إذا دعاكم ... فاجأتم الخروج فى ذلك الوقت .

قال ابن هشام[1] : ولا يعرف ذلك لغيره ؛ وإنما [يعرف][2] ناصبها عندهم الخبر المذكور أو المقدّر . قال : ولم يقع الخبر معها فى التنزيل إلا مصرّحا به .

الثانى : أن تكون لغير المفاجأة ، والغالب أن تكون ظرفاً للمستقبل تضمّنت معنى الشرط . وتختصُّ بالدخول على الجمل الفعلية ، وتحتاج لجواب ، وتقعُ فى الابتداء ، عكس الفجائية ؛ والفعلُ بعدها إما ظاهر ؛ نحو[3]: « إذا جاء نَصْرُ اللهِ » . وإما مقدّر ؛ نحو[4]: « إذا السماءُ انشقّت » . وجوابها إما فعل ؛ نحو[5]: « فإذا جاءَ أمر اللهِ قُضِيَ بالحق» . أو جملة اسمية مقرونة بالفاء ؛ نحو[6]: « فإذا نُقِر فى النّاقُور فذلك يَوْمئذٍ يوم عَسِير » . «[7] فإذا نُفِخَ فى الصُّورِ فلا أنسابَ بَيْنَهم » . أو فعلية طلبية كذلك ؛ نحو[8]: « فسبِّح بحمدِ ربك» . أو اسمية مقرونة بإذا المفاجأة ؛ نحو[9] : « إذا دَعَاكُم دَعْوَةً من الأرض إذا أنتم تَخرُجون » . «[10] فإذا أصاب به مَنْ يشاءُ مِنْ عباده إذا هم يَستَبشِرُون » .

وقد يكون مقدّرًا لدلالة ما قبله عليه ، أو لدلالة المقام ، كما تقدم فى أنواع الحذف .

---

(١) المغنى : ١ ـ ٧٨ (٢) ليس فى المغنى . (٣) النصر : ١
(٤) الانشقاق : ١ (٥) غافر : ٧٨ (٦) المدثر : ٨
(٧) المؤمن : ١٠٢ (٨) جواب : إذا جاء نصر الله ...
(٩) الروم : ٢٥ (١٠) الروم : ٤٨

وقد تخرج إذا عن الظرفية ؛ قال الأخفش — فى قوله تعالى[1] : « حتى إذا جاءُوهَا » : إن إذا جرٌّ بحتى . وقال ابن جنى فى قوله[2] : « إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذِبة . خافضة رافعة » ـ فيمن نصب خافضة رافعة : إن إذا الأولى مبتدأ والثانية[3] خبر . والمنصوبان حالان . وكذا جملة ليس ومعمولاها . والمعنى وقت وقوع الواقعة خافضة لقوم رافعة لآخرين ، وهو وقت رَجّ الأرض .

والجمهور أنكروا خروجها عن الظرفية ، وقالوا — فى الآية الأولى : إن حتى حرف ابتداء دخل على الجملة بأسرها ، ولا عمل له . وفى الثانية إن إذا الثانية ، بدل من الأولى والأولى ظرف ، وجوابها محذوف لفهم المعنى ؛ وحسّنه طول الكلام . وتقديره بعد إذا الثانية ؛ أى انقسمتم انقساماً ، وكنتم أزواجاً ثلاثة .

وقد تخرج عن الاستقبال فترد للحال ؛ نحو[4] : « والليلِ إذا يَغْشَى » . فإنّ الغشيان مقارنٌ لليل . «[4] والنهار إذا تَجَلّى » . «[5]والنجم إذا هوى » . والماضى ؛ نحو[6] : « وإذا رأوْا تجارة أو لَهْواً ... » الآية . فإن الآية نزلت بعد الرؤية والانفضاض . وكذا قوله تعالى[7] : « ولا على الّذين إذَا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهم » . «[8] حتى إذا بَلَغَ مَطْلَعَ الشّمْسِ » . «[9] حتى إذا ساوَى بين الصّدَفَيْنِ » .

وقد تخرج عن الشرطية ، نحو[10] : « وإذا ما غَضِبُوا هم يَغْفِرُون » .

---

(١) الزمر : ٧٣ — (٢) الواقعة : ١

(٣) فى قوله تعالى : إذا رجت الأرض ـ بعدها (آية ٤) من السورة نفسها .

(٤) الليل : ١ — (٥) النجم : ١ — (٦) الجمعة : ١١

(٧) التوبة : ٩١ — (٨) الكهف : ٩٠ — (٩) الكهف : ٩١

(١٠) الشورى : ٣٧

«[1] والذين إذا أصابهم البَغْىُ هم يَنتَصِرون » . فإذا فى الآيتين ظرف للمبتدأ بعدها ، ولو كانت شرطية والجملة الاسمية جواب قرنت بالفاء .

وقول بعضهم : إنه على تقديرها مردودٌ بأنها لا تحذف إلا ضرورة . وقول آخر : إن الضمير توكيد لا مبتدأ ، وإن ما بعده الجواب — تعسّف .

وقول آخر إن جوابها محذوف مدلولٌ عليه بالجملة بعدها تـكلُّفٌ من غير ضرورة .

تنبيهـــات

الأول ـ المحققون على أن ناصب « إذا » شَرْطها[2] ، والأكثرون أنه ما فى جوابها مِنْ فعلٍ أو شبهه .

الثانى ـ قد تستعمل إذا للاستمرار فى الأحوال الماضية والحاضرة والمستقبلة ، كما يستعمل الفعل المضارع لذلك . ومنه[3] : « وإذا لَقُوا الذين آمَنُوا قالوا آمنّا وإذَا خَلَوْا إلى شَيَاطِينهم قالوا إنّا معكم إنما نَحْنُ مُستَهزِئون » ؛ أى هذا شأنهم أبدا . وكذا قوله[4] : « وإذا قامُوا إلى الصَّلَاةِ قامُوا كُسَالَى » .

الثالث ـ ذكر ابن هشام فى المغنى إذا ولم يذكر إذا ما ، وقد ذكرها الشيخ بهاء الدين السبكى فى عروس الأفراح فى أدوات الشرط ، فأمّا إذ مَا فلم تقع فى القرآن . ومذهب سيبويه أنها حرف . وقال المبرد وغيره : إنها باقية على الظرفية

---

(١) الشورى : ٣٩ (٢) ى ب : شرط لها . (٣) البقرة : ١٤
(٤) النساء : ١٤١

وأما « إذا ما » فوقعت فى القرآن فى قوله[1] : « وإذا ما غضبوا هم يغفرون ». «[2] إذا ما أتوك لتحملهم » . ولم أجد من تعرض لكونها باقية على الظرفية أو محولة إلى الحرفية . ويحتمل أن يجرى فيها القولان فى إذ ما . ويحتمل أن يجزم ببقائها على الظرفية ؛ لأنها أبعد عن التركيب بخلاف « إذ ما » .

الرابع ــ تختص « إذا » بدخولها على المتيقن ، والمظنون ، والكثير الوقوع ، بخلاف إن فإنها تستعمل فى المشكوك والموهوم والنادر ؛ ولهذا قال تعالى[3] : « إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم » . ثم قال : « وإن كنتم جنبا فاطهروا » . فأتى بإذا فى الوضوء لتكرره وكثرة أسبابه ، وبإن فى الجنابة لقلة وقوعها بالنسبة إلى الحدث .

وقال تعالى[4] : « فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا » . «[5] وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون » ؛ أتى فى جانب الحسنة بإذا لأن نعم الله على العباد كثيرة ومقطوع بها ، وبأن فى جانب السيئة لأنها نادرة الوقوع ومشكوك فيها .

نعم أشكل على هذه القاعدة آيتان الأولى[6] : « ولئن متم » . «[7] أفإن مت » ، مع أن الموت محقق الوقوع ؛ والأخرى قوله[8] : « وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة » ؛ فأتى بإذا فى الطرفين .

فأجاب الزمخشرى عن الأولى بأن الموت لما كان مجهول الوقت أجرى مجرى غير المجزوم .

وأجاب السكاكى عن الثانية بأنه قصد التوبيخ والتقريع ؛ فأتى بإذا ليكون

(١) الشورى : ٣٧ — (٢) التوبة : ٩٢ — (٣) المائدة : ٦
(٤) الأعراف : ١٣١ — (٥) الروم : ٣٦ — (٦) آل عمران : ١٥٨
(٧) الأنبياء : ٣٤ — (٨) الروم : ٣٣

تخويفاً لهم ، وإخباراً بأنهم لا بد أن يمسهم شيء من العذاب ، واستفيد التقليل من لفظ المس ، وتنكير ضر .

أما قوله [1] : « وإذا أنعمْنَا على الإنسان أعْرَض . ونَأى بجانبه وإذا مَسَّهُ الشرُّ فذُو دُعاءٍ عَرِيض» . فأجيب عنه بأن الضمير فى مسَّه للمُعرض المتكبر لا لمطلق الإنسان ، ويكون لفظ « إذا » للتنبيه على أن مثل هذا المعرض يكون ابتلاؤه بالشر مقطوعاً .

وقال الحوفى : الذى أظنه أن « إذا » يجوز دخولُها على المتيقّن والمشكوك؛ لأنها ظرف وشرط ؛ فبالنظر إلى الشرط تدخل على المشكوك ، وبالنظر إلى الظرف تدخل على المتيقَّن ، كسائر الظروف .

الخامس ـ خالفت « إذا » « إن » فى إفادة العموم . قال ابن عصفور : فإذا قلت إذا قام زيد قام عمرو أفادت أنه كلما قام زيد قام عمرو ؛ وهذا هو الصحيح .

وفى أن المشروط بها إذا كان عد ما يقع الجزاء فى الحال . وفى «إن» لا يقع الجزاء حتى يتحقّق اليأس من وجوده .

وفى أن جزاءَها متعقب لشرطها على الاتصال ، ولا يتقدم ولا يتأخّر ، بخلاف إن ؛ وفى أن مدخولها لا تجزمه لأنها لا تتمحّض شرطا .

خاتمة

قيل : قد تأْتى « إذا » زائدة ، وخرج عليه [2] : « إذا السماءُ انشقّت » ؛ أى انشقت السماء .

(إذن) قال سيبويه : معناها الجواب والجزاء ، فقال الشَّلَوْبين :

---

(١) فصلت : ٥١ (٢) الانشقاق : ١

فى كل موضع . وقال الفارسى فى الأكثر . والأكثر أن تكون جواباً لإن أو لو ؛ ظاهرتين أو مقدرتين . قال الفراء : وحيث جاءت بعدها اللام فقبلها « لو » مقدرة إن لم تكن ظاهرة ، نحو[1] : « إذاً لَذَهَبَ كلُّ إلهٍ بما خلَق » .

وهى حرف يَنْصِبُ المضارع بشرط تصديرها واستقباله واتصالها أو انفصالها بالقَسَم أو بلا النافية .

قال النحاة : وإذا وقعت بعد الواو والفاء جاز فيها الوجهان ؛ نحو[2] : « وإذاً لا يَلْبَثُون خِلافَك إلّا قليلا » . «[3] فإذاً لا يُؤْتُونَ الناسَ نَقِيرا » . وقرىء شاذّا بالنصب فيهما .

وقال ابن هشام[4]: التحقيق أنه إن تقدمها شرط وجزاء وعطفت فإن قدرْتَ العطف على الجزاء جزمْتَ وبطل عملُ إذن لوقوعها حشواً ، أو على الجملتين جميعاً جاز الرفع والنصب ؛ وكذا إذا تقدمها مبتـــــدأ خبره فعل مرفوع إن عطفت على الفعلية رفعت أو على الاسمية فالوجهان .

وقال غيره : إذن نوعان :

الأول — أن تدل على السببية والشرط، بحيث لا يُفهم الارتباط من غيرها ، نحو : أزورك ، فتقول : إذن أكرمَك ؛ وهى فى هذا الوجه عاملة تدخل على الجمل الفعلية فتنصب المضارع المستقبل المتصل إذا صُدّرت .

والثانى — أن تكون مؤكدة لجواب ارتبط بمقدم، أو منبهةً على سبب حصل

---

(١) المؤمنون : ٩١ (٢) الإسراء : ٧٦ (٣) النساء : ٥٢

(٤) المغنى (١ — ٢٠) .

فى الحال ؛ وهى حينئذ غير عاملة ؛ لأن المؤكدات لا يُعْتَمد عليها ، والعامل يعتمد عليه . نحو : إن تأتنى إذاً أتيتك . ووالله إذن لأفعلنّ . ألا ترى أنها لو سقطت لفُهم الارتباط . وتدخل على الاسمية فتقول : إذن أنا أكرمك . ويجوز توسطها وتأخيرها . ومن هذا قوله تعالى[1] : « ولئن اتَّبَعْتَ أهواءَهم من بعد ما جاءَكَ من العلم إنَّك إذاً » . فهى مؤكدة للجواب مرتبطة بما تقدم .

تنبيهان

الأول ــ سمعت شيخنا العلامة الكافيجى يقول فى قوله تعالى[2] : « ولئن أطعتُم بَشَرًا مثلَكم إنكم إذاً لخاسرون » ــ ليست إذاً هذه الكلمةُ المعهودة ؛ وإنما هى إذا الشرطية حذف جملتها التى تضاف إليها ، وعُوِّض عنها التنوين ، كما فى يومئذٍ . وكنت أستحسن هذا جدّا ، وأظن أن الشيخ لا سلف له فى ذلك. ثم رأيت الزركشى قال فى البرهان[3] ــ بعد ذكره لإذَنْ المعنيين السابقين : وذكر لها بعضُ المتأخرين معنى ثالثاً ؛ وهو أن تكون مركبة من « إذا » التى هى ظرف زمان ماض ، ومن جملة بعدها تحقيقاً أو تقديراً ، لكن حذفت الجملة تخفيفاً، وأبدل منها التنوين ، كما فى قولهم: حينئذ. وليست هذه الناصبة للمضارع؛ لأن تلك تختص به ، ولذا[4] عملت فيه ، ولا يعمل إلا فيما يختص ، وهذه لا تختص [به] ، بل تدخل على الماضى ؛ كقوله[5] : « وإذاً لآتيناهم » . «[6] إذاً لأمسكتُم خشيةَ الإنفاق » . «[7] إذاً لأذقناك » . وعلى الاسم ، نحو[8] : « وإنكم إذاً لمن المُقرّبين » .

---

(١) البقرة : ١٤٥ (٢) المؤمنون : ٣٤ (٣) البرهان (٤ ــ ١٨٧) .
(٤) فى البرهان : وكذلك ما عملت فيه . (٥) النساء : ٦٧
(٦) الإسراء : ١٠٠ (٧) الإسراء : ٧٥ (٨) الشعراء : ٤٢

قال : وهذا المعنى لم يذكره النحاة ، ولكنه قياس ما قالوه فى إذ .

وفى التذكرة لأبى حيان : ذكر لى علم الدين القمنى[1] أن القاضى تقى الدين ابن رَزِين كان يذهب إلى أن إذن عوض من الجملة المحذوفة ، وليس هذا قول نحوى .

وقال الحوفى[2] : وأنا أظن أنه يجوز أن تقول لمن قال : أنا آتيك : « إذاً » أكرمك — بالرفع — على معنى إذا أتيتنى أكرمك ، فحذفت أتيتنى وعوضت التنوين عن الجملة فسقطت الألف لالتقاء الساكنين .

قال : ولا يقدح فى ذلك اتفاق النحاة على أن الفعل فى مثل هذا المثال منصوب بإذن ؛ لأنهم يريدون بذلك ما إذا كانت حرفاً ناصبا له ، ولا ينفى ذلك رفع الفعل بعدها إذا أريد بها إذا الزمانية مُعَوَّضا من جملتها التنوين ، كما أن منهم مَنْ يجزم ما بعد « من » إذا جعلها شرطية ، ويرفعه إذا أريد بها الموصولة .

فهؤلاء قد حاموا حول ما حام الشيخ إلا أنه ليس أحد منهم من المشهورين بالنحو ، وممن يعتمد قولُه فيه . نعم ذهب بعض النحاة إلى أن أصل إذا الناصبة اسم ، والتقدير فى إذن أكرمك — إذا جئتنى أكرمك ، فحذفت الجملة وعوّض عنها التنوين وأضمرت إن . وذهب آخرون إلى أنها أحرف مركبة من إذ وإن ، حكى[3] القولين ابن هشام فى المغنى .

---

(١) فى البرهان : القمنى .

(٢) فى البرهان : وقال ابن الجوينى .

(٣) المغنى : ١ — ١٨

التنبيه الثانى — الجمهور على أن إذا يوقف عليها بالألف المبدلة من النون. وعليه إجماع القراء، وجوّز قوم منهم المبرد والمازنى فى غير القرآن الوقوف عليها بالنون كإن وأن. وينبنى على الخلاف فى الوقف عليها كتابتها؛ فعلى الأول تكتب بالألف كما رُسمت فى المصاحف. وعلى الثانى بالنون.

وأقول: الإجماع فى القرآن على الوقوف عليها، وكتابتها بالألف — دليل على أنها اسم منوّن لا حرف آخره نون، خصوصا أنها لم تقع فيه ناصبة للمضارع؛ فالصواب إثبات هذا المعنى لها كما جنح إليه الشيخ ومَنْ سبق النقْلُ عنه.

(أفّ) قد قدمنا أنها كلمةٌ تستعمل عند الضجر.

وقد حكى أبو البقاء[1] فى قوله تعالى[2]: «فلا تَقُل لهما أفّ» — قولين أحدهما أنه اسم لفعل الأمر، أى كُفَّا وَاتْرُكَا. والثانى أنه اسم لفعلٍ ماض؛ أى كرهت وتضجّرت.

وحكى غيره ثالثا: أنه اسم لفعل مضارع؛ أى أتضجَّر منكما.

وأما قوله فى سورة الأنبياء[3]: «أفٍّ لَكُمْ». فأحاله أبو البقاء على ما سبق فى الإسراء، ومقتضاه تساويهما فى المعنى.

وفسّر صاحب الصحاح[4] أفّ بمعنى قذر. وقال فى الارتشاف: أتضجر.

---

(١) املاء ما من به الرحمن: ٢ — ٩٤
(٢) الاسراء. ٢٣
(٣) آية ٦٧
(٤) الصحاح: ٣ — ١٣٣١

وفى البسيط معناه التضجّر . وقيل الضجر . وقيل تضجرت . ثم حكى فيها تسعاً وثلاثين لغة .

قلت : قرىء منها فى السبع أفٍّ بالكسر ـ بلا تنوين . وأفٍّ ـ بالكسر والتنوين . وأفَّ ـ بالفتح بلا تنوين . وفى الشاذ أفٌّ ـ بالضم منونا . وأفْ ـ بالتخفيف .

أخرج ابنُ أبى حاتم عن مجاهد فى قوله: فلا تَقُل لهما أف . قال : لا تتقذرهما. وأخرج عن أبى مالك قال : هو الردىء من الكلام .

(أل) على ثلاثة أوْجُهٍ :

أحدها ـ أن تكون اسماً موصولا بمعنى الذى وفروعه ، وهى الداخلة على أسماء الفاعلين والمفعولين ، نحو[1] : « إنّ المسلمينَ والمسلمات ... » إلى آخر الآية . «[2] التّائِبُون العابِدون ... » الآية . وقيل هى حينئذ حرْف تعريف . وقيل موصول حرْفى .

الثانى ـ أنْ تكون حرف تعريف ؛ وهى نوعان : عَهْدِيّة وجِنْسية ؛ وكلٌّ منهما ثلاثة أقسام ؛ فالعَهْدية إما أن يكون مصحوبُها معهوداً ذِكرياً ؛ نحو[3] : « كما أرْسَلْنا إلى فرعون رسولًا . فعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ » . «[4] فيها مصباحٌ ، المصباحُ فى زجاجةٍ ، الزجاجةُ كأنها كَوْكبٌ دُرِّى » . وضابطُ هذه أن يسدّ الضمير مسدها مع مصحوبها . أو معهوداً ذِهنيّا ، نحو[5]: « إذ هُمَا فى الغار » . «[6] إذ يُبَايِعُونك تَحتَ الشَّجَرة » . أو معهوداً

---

(١) الأحزاب : ٣٥ (٢) التوبة : ١٢ (٣) المزمل : ١٥ ، ١٦
(٤) النور : ٣٥ (٥) التوبة : ٤٠ (٦) الفتح : ١٨

حضوريا ؛ نحو[1] : « اليومَ أكملتُ لكم دينكم » . «[2] اليوم أُحلّ لكم الطيّباتُ » .

قال ابن عصفور : وكذا كل واقعة بعد اسم الإشارة ، أو أيْ في النداء ، أو إذا الفجائية ، أو في اسم الزمان الحاضر ، نحو : الآن .

والجنسية إما لاستغراق الأفراد ؛ وهى التى تخلفها « كلّ » حقيقة ، نحو[3] : وخُلِق الإنسانُ ضعيفا » . «[4] عالم الغَيْبِ والشهادة » . ومن دلائلها صحةُ الاستثناء من مدخولها ، نحو[5] : « إن الإنسانَ لفى خُسْر ، إلّا الذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصالحات » . ووصفه بالجمع ؛ نحو[6]: « أوِ الطِّفلِ الذين لم يَظْهَرُوا » . وإمّا لاستغراق خصائص الأفراد ، وهى التى تخلفها « كل » مجازاً ؛ نحو : « ذلك الكتاب » ؛ أى الكتاب الكامل فى الهداية ، الجامع لصفات جميع الكتب المنزلة وخصائصها . وإما لتعريف الماهية والحقيقة والجنس ، وهى التى لا تخلفها « كل » لا حقيقة ولا مجازاً ؛ نحو[7] : « وجعَلْنَا مِنَ الماءِ كلَّ شيء حيّ » . «[8] أولئك الذين آتيْنَاهُم الكتابَ والحكم والنبوّة » .

قيل : والفرق بين المعرّف بأل هذه وبين اسم الجنس النكرة هو الفرق بين المقيّد والمطلق ؛ لأن المعرف بها يدل على الحقيقة لا باعتبار قيد .

الثالث — أن تكون زائدة ، وهى نوعان : لازمة كالتى فى الموصولات على القول بأن تعريفها بالصلات ، وكالتى فى الأعلام المقارنة لنقلها ؛ كاللات

---

(١) المائدة : ٣ — (٢) المائدة : ٥ — (٣) النساء : ٢٨
(٤) الأنعام : ٧٣ — (٥) العصر : ٢ ، ٣ — (٦) النور : ٣١
(٧) البقرة : ٢ — (٨) الأنبياء : ٣٠

والعُزّى . أو لغلبتها كالبيت للكعبة ، والمدينة لِطَيْبَة ، والنجم للثريّا .
وهذه فى الأصل للعهد .

أخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد فى قوله[1] : والنجم إذا هوى — قال : الثُّريا .

وغير لازمة فى الحال ، وخرّج عليه قراءة بعضهم[2]: « لَيَخْرجنّ الأعزُّ منها الأذَلّ » — بفتح الياء ؛ أى ذليلا ؛ لأن الحال واجبة التنكير ؛ إلا أن ذلك غير فصيح ؛ فالأحسن[3] تخريجه على حذف مضاف؛ أى خروج الأذل ، كما قدّره الزمخشرى .

مســــألة

اختلف فى « ال » فى اسم الله ؛ فقال سيبويه : هى عوض من الهمزة المحذوفة بناء على أن أصله إله ، دخلت أل فنُقلت حركة الهمزة إلى اللام ، ثم أدغمت .

قال الفارسى : ويدل على ذلك قَطْعُ همزها ولزومها .

وقال آخرون : هى مزيدة للتعريف تفخيما وتعظيما ، وأصله إِلَاه أو وِلَاه

وقال قوم : هى زائدة لازمة لا للتعريف .

وقال بعضهم : أصله هاء الكناية ، زيدت فيه لام الملك ، فصار له ، ثم زيدت أل تعظيما ، وفخّموه توكيداً .

وقال الخليل ، وخلائق : هى من بِنْيَة الكلمة ، وهى أصلُ علَم لا اشتقاق له ولا أصل .

---

(١) النجم : ١ (٢) المنافقون : ٨
(٣) فى ب : فالإحسان . وعبارة المغنى : فإن قدرت الأذل معمولا مطلقاً على حذف مضاف، أى خروج الأذل ، كما قدره الزمخشرى لم يحتج إلى دعوى زيادة أل .

خاتمـــة

أجاز الكوفيون وبعضُ البصريين وكثيرٌ من المتأخرين نيابة « ال » عن الضمير المضاف ، وخرجوا على ذلك[1] : « فإن الجنّةَ هى المأْوَى » [٩٥ب] . والمانعون يقدرون له . وأجاز الزمخشرى نيابتها عن الظاهر أيضا . وخرّج عليه[2] : « وعلّم آدمَ الأسماءَ كلَّها » . قال : وأصل الأسماء المسميات .

(أَلَا) — بالفتح والتخفيف — وردت فى القرآن على أوجه :

أحدها : التنبيه ، فتدل على تحقيق ما بعدها . قال الزمخشرى : ولذلك قلّ وقوعُ الجمل بعدها إلا مصدّرةً بنحو ما يُتلقى به اسم القسم ، وتدخل على الاسمية والفعلية ، نحو[3] : « أَلَا إنهم هُم السفهاءُ » . «[4] أَلَا يَوْمَ يَأْتيهم لَيْس مَصْرُوفا عنهم » . قال فى المغنى[5] : ويقول المعربون فيها : حرف استفتاح فيبيّنُون مكانها ويُهملون معناها . وإفادتها التحقيق من جهة تركبها من الهمزة ، ولا ، وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفى أفادت التحقيق ، نحو[6] : « أَلَيْسَ ذلك بقادرٍ على أنْ يُحْيِى الموتى » .

الثانى والثالث : التحضيض والعرض ، ومعناهما طلب الشىء ، لكن الأول طلب بحثٌ ، والثانى طلب بلين ، وتختص فيهما بالفعلية ، نحو[7] : « أَلَا تقاتِلُونَ

(١) النازعات : ٣٩ (٢) البقرة : ٢٣ (٣) البقرة : ٣
(٤) هود : ٨ (٥) جزء أول ، صفحة ٦٤
(٦) القيامة : ٤٠ (٧) التوبة : ١٣

قدّمنا تسكنه أيمانهم » . «[1] قومَ فرعونَ ألاَ يتّقون » . «[2] ألاَ تأكلون» . «[3] ألا تُحِبّون أن يغفر الله لكم » .

(ألاّ —) بالفتح والتشديد : حرف تحضيض ، لم يقع فى القرآن هذا المعنى فيما أعلم ، إلا أنه يجوز عندى أن يخرج عليه[4] : « ألاّ يَسجُدوا لله » . وأما قوله[5] : « ألا تعلُوا علىّ » ، فليست هذه ؛ بل هى كلمتان: «أن» الناصبة، و «لا» النافية ، أو « أن » المفسرة و «لا» الناهية .

(إلا)— بالكسر والتشديد على أوجه :

أحدها — الاستثناء ، متصلا ؛ نحو[6] : « فَشرِبُوا منه إلا قليلا منهم » . «[7] ما فعلُوه إلا قليلٌ منهم » . أو منقطعاً ، نحو[8] : « قُلْ ما أسألُكم عليه مِنْ أجرٍ إلا مَنْ شاء أن يتخذَ إلى ربّه سَبيلا » . «[9] وما لأَحَدٍ عنده مِنْ نعْمَةٍ تُجْزَى إلا ابتغاءَ وَجه ربّه الأعلى » .

الثانى — بمعنى « غير » ، فيوصف بها وبتاليها جمع منكّر أو شبهه ، ويعرب الاسم الواقع بعدها بإعراب« غير » ، نحو[10] : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفَسَدَتا » . فلا يجوز أن تكون هذه الآية للاستثناء ؛ لأن « آلهةً » جمع منكر فى الإثبات ، فلا عموم له ، فلا يصح الاستثناء منه ، ولأنه يصير المعنى حينئذ : لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا . وهو باطل باعتبار مفهومه .

الثالث — أن تكون عاطفة بمنزلة الواو فى التشريك ، ذكره الأخفش

---

(١) الشعراء : ١١ (٢) الصافات : ٩١ (٣) النور : ٢٢
(٤) النمل : ٢٥ (٥) النمل : ٣١ (٦) البقرة : ٢٤٩
(٧) النساء : ٦٦ (٨) الفرقان : ٥٧ (٩) الليل : ١٩

والفراء وأبو عبيدة ، وخرّجوا عليه[١]: «لئلا يكونَ للناسِ عليكم حُجةٌ إلا الذين ظَلَمُوا منهم فلا تَخْشَوْهم » . «[٢] لا يخافُ لدىَّ المُرْسَلُون إلا مَنْ ظلم ثم بدّل حُسْناً بَعدَ سُوء » ؛ أى ولا الذين ظلموا ولا مَنْ ظلم . وتأولها الجمهور على الاستثناء المنقطع .

الرابع – بمعنى بل ، ذكره بعضهم وخرّج عليه[٣] : « طه ما أنزَلنا عليكَ القرآن لِتَشْقَى . إلا تذكرةً لمن يخشى » ؛ أى بل تذكرة .

الخامس– بمعنى « بدل »، ذكره ابن الصائغ ، وخرج عليه : آلهة إلا الله ؛ أى بدل الله أو عوَضه ، وبه يخرج عن الإشكال المذكور في الاستثناء وفي الوصف بإلا من جهة المفهوم .

وغلط ابن مالك فعدّ من أقسامها ، نحو[٤] : «إلا تَنْصُرُوه فقد نصره اللهُ »؛ وليست منها ، بل هي كلمتان : إن الشرطية ، ولا النافية .

فائـــدة

قال الرماني في تفسيره : معنى «إلا» اللازم لها الاختصاص بالشيء دون غيره ، فإذا قلت : جاءنى القومُ إلا زيداً فقد اختصصت زيداً بأنه لم يجيء . وإذا قلت: ما جاءنى إلا زيد فقد اختصصته بالمجيء ، وإذا قلت : ما جاءنى زيد إلا راكباً فقد اختصصتَه بهذه الحال دون غيرها من المشى والعَدْو ونحوه .

(الآن) اسم للزمان الحاضر ، وقد تستعمل في غيره مجازاً . وقال قوم[٥] :

---

(١) البقرة : ١٥٠ (٢) النمل : ١٠ (٣) طه : ١

(٤) التوبة : ٤٠ (٥) البرهان ٤ : ٢٧٤

هي حدٌّ للزمانين ، أي ظرف للماضي ، وظرف للمستقبل . وقد يُتجوّز بها عما قرب من أحدهما .

وقال ابن مالك : لوقت حضر جميعه ، كوقت فعل الإنشاء حالَ النطق به ، أو بعضه ، نحو[1] : « الآن خفّفَ اللهُ عنكم وعَلِم أن فيكم ضَعفاً » . «[2] فمَنْ يستَمِع الآن يَجِد لَهُ شِهاباً رَصداً » . قال : وظرفيته غالبة لازمة .

واختلف في (ال) التي فيه ، فقيل للتعريف الحضوري ، وقيل زائدة لازمة .

(إلى) حرف جرّ ، وله معنيان[3] :

أشهرهما انتهاء الغاية زماناً ، نحو[4] : « أتِمّوا الصِّيامَ إلى الليل » . أو مكاناً نحو[5] : « إلى المسجدِ الأقصَى » . أو غيرهما ، نحو : « والأمرُ إليكِ » . ولم يذكر لها الأكثرون غير هذا المعنى .

وزاد ابن مالك وغيره تبعاً للكوفيين معانيَ أُخر ، منها المعيّة كمع ، وذلك إذا [١٩٦ ا] ضممتَ شيئاً إلى آخر في الحكم به أو عليه أو التعلّق ، نحو[6] : « مَن أنصارِي إلى الله » . «[7] وأيديكم إلى المرافق » . «[8] ولا تأكُلُوا أموالَهم إلى أموالكم » .

قال الرضي : والتحقيق أنها للانتهاء ؛ أي مضافة إلى المرافق وإلى أموالكم .

وقال غيره : ما ورد من ذلك يُؤَوّل على تضمين العامل وإبقاء « إلى »

---

(١) الأنفال : ١ (٢) الجن : ٩ (٣) في الإتقان : معان .
(٤) البقرة : ١٨٧ (٥) الاسراء : ١ (٦) آل عمران : ٥٢
(٧) المائدة : ٦ (٨) النساء : ٢

على أصلها . والمعنى فى الآية الأولى من يُضيف نصرته إلى نصرة الله ؟ أو من ينصرنى حال كونى ذاهباً إلى الله ؟

ومنها الظرفية كَفِى ، نحو[1] : « لَيَجْمَعَنَّكُم إلى يَوم القيامة » ؛ أى فيه . وقوله[2] : « إلى أن تزَكَّى » ؛ أى فى أن .

ومنها مرادفة اللام ، وجُعل منه[3] : « والأَمرُ إليكِ » ؛ أى لك . وتقدم أنه من الانتهاء .

ومنها التبيين؛ قال ابن مالك : وهى المبيِّنَة لفاعلية مجرورها بعد ما يُفيد حبًّا أو بُغضا ؛ من فعل تعجب ، أو اسم تفضيل ؛ نحو[4] : « رَبِّ السجنُ أحبُّ إلى » .

ومنها التوكيد — وهى الزائدة نحو[5]: « أفئدة من الناس تَهوَى إليهم » — فى قراءة بعضهم بفتح الواو : أى تهواهم ؛ قاله الفراء . وقال غيره : هو على تضمين تهوى معنى تميل .

تنبيـــــه

حكى ابنُ عصفور فى شرح أبيات الإيضاح عن ابن الأنبارى : أن « إلى » تستعمل اسما ، فيقال[6] : انصرفت مِن إليك ، كما يقال غدوت مِنْ عليه . وخرج عليه من القرآن قوله تعالى[7] : « وَهُزِّى إليكِ » ؛ وبه يندفع إشكال

---

(١) النساء : ٨٧ (٢) النازعات : ١٨ (٣) النمل : ٣٣
(٤) يوسف : ٣٣ (٥) إبراهيم : ٣٧ (٦) البرهان : ٤ — ٢٣٤
(٧) مريم : ٢٥

أبى حيّان فيه بأن القاعدة المشهورة أن الفعل لا يتعدى إلى ضمير متصل بنفسه أو بالحرف ، وقد رفع المتصل وهو لمدلولٍ واحد فى غير باب ظن .

(اللهم) المشهور أن معناه يا ألله ، حذفت ياء النداء ، وعُوِّض منها الميم المشددة فى آخره . وقيل : أصله يا اللهُ أمنا بخير، فركب تركيب حَيَّهلا .

وقال أبو رجاء العُطاردى : الميم تجمع تسعين[1] اسما من أسمائه .

وقال ابن ظَفَر : قيل إنها الاسم الأعظم ؛ واستدل لذلك بأن الله دالٌّ على الذات ، والميم دالة على الصفات التسعة والتسعين ، ولهذا قال الحسن البصرى : اللهم تجمع الدعاء .

وقال النضْر بن شُميل : من قال اللهم فقد دعا اللهَ بجميع أسمائه .

(أم) حرف عطف ، وهى نوعان : متصلة ، وهى قسمان :

الأول : أن يتقدم عليها همزة التسوية ، نحو[2] : « سواءٌ عليهم أأنذرتَهُم أم لم تُنذِرْهم » . «[3] سواء علينا أجَزِعنا أم صَبَرنا » . «[4] سواءٌ عليهم أستغفرْتَ لهم أم لم تَستَغفِر لهم » .

والثانى : أن يتقدم عليها همزة يُطلب بها وبأم التعيين ؛ نحو[5] : « آلذَّكَرَيْنِ حرَّم أم الأُنْثَيَيْن » . وسُمِّيت فى القسمين متصلة ؛ لأن ما قبلها وما بعدها لا يُستغنى بأحدهما عن الآخر ، وتسمى أيضا معادلة ؛ لمعادلتها الهمزة فى إفادتها التسوية فى القسم الأول والاستفهام فى الثانى .

ويفترق القسمان من أربعة أوجه :

---

(١) فى الإتقان : سبعين : (٢) البقرة : ٦ (٣) إبراهيم : ٢١

أحدها وثانيها أن الواقعة بعد همزة التسوية لا تستحق جواباً ؛ لأن المعنى معها ليس على الاستفهام . وأن الكلام معها قابل للتصديق والتكذيب ؛ لأنه خبر، وليست تلك كذلك ، لأن الاستفهام معها على حقيقته .

والثالث والرابع أن الواقعة بعد همزة التسوية لا تقع إلا بين جملتين ، ولا تكون الجلتان معها إلا فى تأويل المفردين ؛ وتكون الجلتان فعليتين واسميتين ومختلفتين ، نحو[1] : « سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون » .

وأم الأخرى تقع بين المفردين ، وهو الغالب فيها ، نحو[2] : « أأنتم أشدُّ خلقاً أم السماء » . وبين الجملتين ليسا فى تأويلهما[3] .

النوع الثانى: منقطعة ؛وهى ثلاثة أقسام :

مسبوقة بالخبر المحض ، نحو[4] : « تنزيلُ الكتابِ لا ريبَ فيه مِنْ ربِّ العالمين . أمْ يقولون افتراه » .

ومسبوقة بالهمزة لغير الاستفهام ، نحو[5] : « ألَهُمْ أرجلٌ يَمْشُونَ بها أم لهم أيدٍ يَبْطِشونَ بها » ؛ إذ الهمزة فى ذلك للإنكار ، فهى بمنزلة النفى . والمتصلة لا تقع بعده .

ومسبوقة باستفهام بغير الهمزة ، نحو[6] : « هل يَسْتَوِى الأعمى والبَصير أم هل تَسْتَوِى الظُّلمات والنُّور » .

ومعنى أم المنقطعة [٩٦ب] التى لا يفارقها الإضراب، ثم تارة تكون له مجردة ؛ وتارة تضمّن مع ذلك استفهاماً إنكارياً [أو استفهاماً طلبياً][7] . فن الأول :

---

(١) الأعراف : ١٩٣ (٢) النازعات : ٢٧ (٣) أى مفردين .
(٤) سجدة : ١ – ٣ (٥) الأعراف : ١٩٥ (٦) رعد : ١٦
(٧)

«أم هل تستوى الظلماتُ والنور أم جعلوا لله شُرَكاء» ؛ لأنه لا يدخل الاستفهام على استفهام . ومن الثانى[1] : « أم لَهُ البناتُ ولكم البَنُون » ؛ تقديره : بل أله البنات ؛ إذ لو قدرت الإضراب المَحْضَ لزم المحال .

تنبيهان

الأول : قد ترد أم محتملة الاتصال والانفصال ، كقوله تعالى[2] : « قل أَتّخَذْتُم عند الله عهداً فلن يخفَ الله عَهْدَهُ أم تقولون على الله ما لا تعلمون » . قال الزمخشرى : يجوز فى أم أن تكون معادلة بمعنى أىّ الأمرين كائن على سبيل التقرير لحصول العلم بكون أحدهما ، ويجوز أن تكون منقطعة .

الثانى : ذكر أبو زيد أنّ أمْ تقع زائدة ، وخرج عليه قوله تعالى[3] : « أفلا تُبْصِرُون أم أنا خَيْر » ، قال : التقدير : أفلا تبصرون أنا خير .

(أمّا) ـ بالفتح والتشديد ـ حرف شرط وتفصيل وتوكيد ، أما كونها شرطاً فبدليل لزوم الفاء بعدها ، نحو[4] : « فأمّا الذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصالحات فيوفّيهم أجورَهم » . «[5] فأمّا الذين آمَنُوا فيعلمُونَ أنّه الحقُّ مِنْ ربِّهم ، وأمّا الذين كفروا فيقولون » . وأما قوله تعالى[6] : « فأما الذين اسْوَدّتْ وجوهُهم أكفرْتُم » ـ فعلى تقدير القول ؛ أى فيُقال لهم أكفرتم ؛ فحذف القول استغناء عنه بالمقول ، فتبعته الفاء فى الحذف . وكذا قوله[7] : «وأما الّذِين كفروا أفَلَمْ تَكُنْ آياتى » .

---

(١) الطور : ٣٩ — (٢) البقرة : ٨٠ — (٣) الزخرف : ٥١

(٤) النساء : ١٧٢ — (٥) البقرة : ٢٦ — (٦) آل عمران : ١٠٦

(٧) الجاثية : ٣١

وأما التفضيل فهو غالب أحوالها ، كما تقدم ؛ وكقوله[1] : « أمّا السفينةُ فكانت لِمَسَاكِينَ » . « وأما الغُلامُ فكان » . « وأما الجدار فكان » .

وقد يُترَكُ تكريرها استغناءً بأحد القسمين عن الآخرين ، وقد تقدم[2] في أنواع الحذف .

وأما التوكيد ، فقال الزمخشرى[3] : فائدة أما في الكلام أنْ تُعطيه فضْلَ توكيد ، تقول : زيد ذاهب ، فإذا قصدت توكيد ذلك ، وأنه لا محالة ذاهب ، وأنه بصدد الذهاب ، وأنه منه عزيمة قلت : أما زيد فذاهب ، ولذلك قال سيبويه في تفسيرها : مهما يكن من شيء فزيد ذاهب .

ويفصَل بين أمّا والفاء إما مبتدأ كالآيات السابقة ، أو خبر ، نحو : أما في الدار فزيد ، أو جملة شرط ، نحو[4]: «فأما إنْ كان من المُقرَّبين فَرَوْح ... » الآيات . أو اسم منصوب بالجواب ، نحو[5] : « فأَمّا اليَتِيمَ فلا تَقْهَرْ » .أو اسم معمول لمحذوف يفسِّرُه ما بعد الفاء ، نحو[6]: «فأَمّا ثَمُودَ فهَدَيْنَاهم» ـ في قراءة بعضهم بالنصب .

تنبيـــــه

ليس من أقسام أمّا ـ أمّا التي في قوله تعالى[7]: « أمّاذَا كُنْتُم تعملون» . بل هي كلمتان : « أم » المنقطعة ، و « ما » الاستفهامية .

---

(١) الكهف : ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ على الترتيب . (٢) صفحة ٣٣٣
(٣) البرهان : ٤ — ٢٤٢ (٤) الواقعة : ٨٨
(٥) الضحى : ٩ (٦) فصلت : ١٧ (٧) النمل : ٨٤

(إمّا) بالكسر والتشديد – تَرِدُ لمعان :

الإبهام ، نحو[١] : « وآخرون مُرْجَوْنَ لأمرِ اللهِ إمّا يُعذِّبُهم وإمّا يَتُوبُ عليهم » .

والتخيير ، نحو[٢] : « إما أنْ تعذِّبَ وإما أنْ تتّخِذَ فيهم حُسْناً » . «[٣] إما أنْ تُلقِيَ وإما أنْ تكونَ أوّلَ من ألقَى » . «[٤] فإما منًّا بَعْدُ وإما فِدَاءً » .

والتفصيل ، نحو[٥] : « إما شاكِراً وإما كَفُوراً » .

تنبيهـــات

الأول : لا خلاف فى أن إما الأولى فى هذه الأمثلة ونحوها غير عاطفة . واختلف فى الثانية : فالأكثرون على أنها عاطفة ، وأنكره جماعة منهم ابن مالك ، لملازمتها غالباً الواو العاطفـــة . وادعى ابن عصفور الإجماع على ذلك ، قال : وإنما ذكروها فى باب العطف لمصاحبتها لحرفه . وذهب بعضهم إلى أنها عطفت الاسم على الاسم ، والواو عطفت إما على إما ، وهو غريب .

الثانى : ستأتى هذه المعانى لأوْ ، والفرق بينهما وبين «إما» إما لأنَّ «إما» يُبنى الكلامُ معها من أول الأمر على ما جيء بها لأجله ، ولذلك وجب تكرارها ، وأو يُفتتح الكلام معها على الجزم ثم يطرأ الإبهام ، أو غير ذلك ، ولهذا لم تتكرر .

---

(١) محمد : ١٠٦ (٢) الكهف : ٨٦ (٣) طه : ٦٥

(٤) [illegible]

الثالث : ليس من أقسام إمّا التى فى قوله تعالى[١] : « فإمّا تَرَيِنَّ من البشر أحداً » ، بل هى كلمتان : إن الشرطية ، وإما الزائدة .

(إنْ) بالكسر والتخفيف — على أوجه :

الأول : أن تكون شرطية ، نحو[٢]: « إنْ يَنْتَهُوا يُغْفرِ لهم ما قد سلَف وإنْ يَعُودُوا فقد مضَتْ سنّةُ الأوّلين » . وإذا دخلت على لم فالجزم بلم لا بها ، نحو[٣] :« وإن لم تَفْعَلُوا»[١٩٧ ا] ، وعلى لا فالجزم بها لا بلا ، نحو[٤] : « وإلّا تَغْفِر لى وتَرْحَمْنِى » . «[٥] إلا تَنْصُروه » .

والفرقُ أن لم عاملٌ يلزم معموله ، ولا يفصل بينهما بشىء ، و «إنْ» يجوز الفصل بينها وبين معمولها بمعموله[٦] ، ولا لا تعمل الجزم إذا كانت نافية ، فأضيف العملُ إلى إن .

الثانى : أن تكون نافية ، وتدخل على الاسمية والفعلية ؛ نحو[٧] : « إنِ الكافرون إلا فى غُرور » . «[٨] إن أُمّهاتُهم إلا اللائى وَلَدْنَهم » . «[٩] إن أرَدنَا إلا الحُسْنَى » . «[١٠] إن يَدْعُونَ مِنْ دونِه إلا إناثاً » . قيل : ولا تقع «إن» إلا وبعدها إلا كما تقدم ، أو لمّا المشددة ، نحو[١١]: « إن كلُّ نفسٍ لمّا عليها حافِظ » — فى قراءة التشديد .

ورد بقوله[١٢] : « إن عندكُمْ مِنْ سُلطَانٍ بهذا » . «[١٣]إنْ أدرِى لعله فِتنةٌ لكم » .

---

(١) مريم : ٢٦ — (٢) الأنفال : ٣٨ — (٣) البقرة : ٢٤
(٤) هود : ٤٧ — (٥) التوبة : ٤٠
(٦) فى البرهان : وبين معمولها معمول معمولها . — (٧) الملك : ٢٠
(٨) المجادلة : ٢ — (٩) التوبة : ١٠٧ — (١٠) النساء : ١١٧
(١١) الطارق : ٤ — (١٢) يونس : ٦٨ — (١٣) الأنبياء : ١١١

ومما حمل على النافية قوله[1] : « إنْ كُنَّا فاعِلين » . «[2] قل إن كان للرحمن وَلَد» . وعلى هذا فالوقف هنا . «[3] ولقد مكنّاهم فيما إن مَكّنّاكم فيه» . وقيل هى زائدة ، ويؤيد الأول قوله[4] : « مَكنّاهم فى الأَرْض ما لم نُمَكِّن لكم » ، وعدل عن ما[5] لئلا يتكرر فيثقل اللفظ .

قلت : وكونها للنفى هو الوارد عن ابن عباس كما تقدم .

وقد اجتمعت الشرطية والنافيـة فى قوله[6] : « ولَئِن زالتَا إنْ أمْسَكَهُمَا مِن أحدٍ من بَعْدِه » .

وإذا دخلت النافية على الاسمية لم تعمل عند الجمهور ، وأجاز الكسائى والمبرد إعمالها عمل ليس ، وخرج عليه قراءة سعيد بن جبير[7] : « إنِ الذين تَدْعون مِن دون الله عبادٌ أمثالكم » .

فائـــدة

أخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد قال : كل شىء فى القرآن إن فهو إنكار .

الثالث : أن تكون مخففة من الثقيلة ، فتدخل على الجملتين ، ثم الأكثر إذا دخلت على الاسمية إهمالها ، نحو[8]: «وإن كلّ ذلك لَمَّا مَتَاعُ الحياةِ الدنيا» . «[9] وإن كلٌّ لما جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضرون » . «[10] إن هذَان لَسَاحِرَان » — فى قراءة حفص وابن كثير .

(١) الأنبياء : ١٧ (٢) الزخرف : ٨١ (٣) الأحقاف : ٦
(٤) الأنعام : ٦ (٥) أى فيما ما مكناكم فيه (٦) فاطر : ٤١
(٧) الأعراف : ١٩٤ (٨) الزخرف : ٣٥ (٩) يس : ٣٢
(١٠) طه : ٦٣

وقد تعمل ، نحو[1] : « وإن كُلاًّ لمّا لَيُوَفِّيَنَّهم » – في قراءة الحرميين .

وإذا دخلت على الفعل فالأكثر كونه ماضياً ناسخاً ، نحو[2] : « وإن كانت لكبيرة » . «[3] وإن كادُوا لَيَفتِنُونَك » . «[4] وإن وَجَدْنا أكثَرَهم لَفَاسِقِين » . ودونه أن يكون مضارعا ناسخا ، نحو[5] : « وإن يكادُ الذين كفروا » . «[6] وإن نَظُنُّكَ لَمِنَ الكاذبين » . وحيث وجدت إن وبعدها اللام المفتوحة فهي المخففة من الثقيلة .

الرابع : أن تكون زائدة ، وخرج عليه[7] : « فيما إن مكناكم فيه » .

الخامس : أن تكون للتعليل كإذ ، قاله الكوفيون وخرجوا عليه[8] : « واتقُوا اللهَ إن كنتُم مؤمنين » .« [9] لتَدْخُلُنَّ المسجدَ الحرام إن شاءَ الله آمِنِين » . «[10] وأنتم الأعلَون إن كنتُم مُؤمنين » . ونحو ذلك مما الفعل فيه مُحَقق الوقوع .

وأجاب الجمهور عن هذه المشيئة بأنه تعليم للعباد كيف يتكلمون إذا أخبَرُوا عن المستقبل ، وبأن أصل ذلك الشرطُ ، ثم صار يُذكر للتبرك . أو بأن المعنى لتدخلن المسجد جميعا إن شاء الله ولا يموت منكم أحد قبل الدخول .

وعن سائر الآيات بأنه شرط جيء به للتهييج والإلهاب ، كما تقول لابنك : إن كنت ابني فأطِعْني .

السادس : أن تكن بمعنى قد ، ذكره قُطرب ، وخرج عليه[11] : « فَذَكِّر

(١) هود : ١١٢ (٢) البقرة : ٤٥ (٣) الإسراء : ٧٣
(٤) الأعراف : ١٠٢ (٥) القلم : ٥١ (٦) الشعراء : ١٨٦
(٧) الأحقاف : ٢٦ (٨) المائدة : ٥٧ (٩) الفتح : ٢٧
(١٠) آل عمران : ١٣٩ (١١) الأعلى : ٩

إن نفعت الذكرى »؛ أى قد نفعت . ولا يصح معنى الشرط فيه ، لأنه مأمور بالتذكير على كل حال .

وقال غيره : هى للشرط ، ومعناه ذمّهم واستبعاد لنفع التذكير فيهم . وقيل التقدير : وإن لم تنفع ، على حد قوله[1] : « سرابيل تقيكم الحرّ » .

فائـــــدة

قال بعضهم : وقع فى القرآن إنْ بصيغة الشرط ، وهو غير مراد فى ستة مواضع[2] : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا » . «[3] واشكروا نعمة الله إن كنتم إيّاه تعبدون » . «[4] وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهانٌ مقبوضة » . «[5] إن ارتبتم فعدتهن » . «[6] أن تقصروا من الصلاة إن خفتم » . «[7] وبعولتهنّ أحقّ بردهنّ فى ذلك إن أرادوا إصلاحاً » .

(أنْ) بالفتح والتخفيف — على أوجه :

الأول : أن تكون حرفا مصدريّا ناصبا للمضارع ؛ وتقع فى موضعين : الابتداء ، [٩٧ب] فتكون فى محل رفع؛ نحو[8] : «وأن تصوموا خيرٌ لكم » . «[9] وأنْ تعفوا أقربُ للتقوى » .

وبعد فعلٍ دالّ على معنى غير اليقين ، فتكون فى محل رفع ؛ نحو[10] :

---

(١) النحل : ٨١ (٢) النور : ٣٣ (٣) النحل : ١١٤
(٤) البقرة : ٢٨٣ (٥) الطلاق : ٤ (٦) النساء : ١٠١
(٧) البقرة : ٢٢٢ (٨) البقرة : ١٨٤ (٩) البقرة : ٢٣٧
(١٠) الحديد : ١٦

« أَلَمْ يأنِ للذين آمنوا أنْ تخشَعَ قلوبُهم لِذِكْرِ الله ». « [١] وعسى أن تَكرَهُوا شيئا وهو خيرٌ لكم » . ونصب ؛ نحو [٢]: « نَخْشَى أن تُصِيبَنَا دائرة » . « [٣] وما كان هذا القرآن أن يُفتَرَى ». « [٤] فأَرَدتُ أن أعِيبَها » .

ونصب ؛ نحو [٥] : « أُوذِينَا من قَبْلِ أن تَأْتِينَا » . « [٦] مِنْ قبل أن يأتى أحدَكم الموتُ ».

وأن هذه موصول حرفى ، وتوصل بالفعل المتصل : مضارعا كما مر ، وماضيا، نحو [٧] : « لولا أن مَنَّ اللهُ علينا ». « [٨] ولولا أن ثَبَّتناكَ » .

وقد يرفع المضارع بعدها إهمالا لها ، حملا على ما أختها ، كقراءة ابن محيصن : « [٩] لِمَنْ أرادَ أن يُتِمُّ الرضاعة » .

الثانى : أن تكون مخففة من الثقيلة ، فتقع بعد فعل اليقين ، أو ما نُزِّل منزلته ، نحو [١٠] : « أفلا يَرَوْنَ ألا يرجع إليهم قَوْلا » . « [١١] علم أن سيكون » . « [١٢] وحسبوا ألا تكون فتنة » — فى قراءة الرفع .

الثالث : أن تكون مفسرة بمنزلة أي ، نحو [١٣]: « فأوحينا إليه أنِ اصنَعِ الفُلْكَ بأعيننا » . « [١٤] ونُودُوا أن تلكم الجنة » .

وشرطها أن تسبق بجملة ؛ فلذلك غَلِطَ مَنْ جعل منها [١٥] : « وآخِرُ دَعوَاهم أنِ الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين » . وأن يتأخر عنها جملة ، وأن يكون

---

(١) البقرة : ٩٦ — (٢) المائدة : ٥٢ — (٣) يونس : ٣٧

(٤) الكهف : ٧٩ — (٥) الأعراف : ١٢٩ — (٦) المنافقون : ١٠

(٧) القصص : ٨٢ — (٨) الإسراء : ٧٤ — (٩) البقرة : ٢٣٣

(١٠) طه : ٨٩ — (١١) المزمل : ٢٠ — (١٢) المائدة : ٧١

فى الجملة السابقة معنى القول . ومنه[1] : « وانطلق الملأ منهم أنِ امشوا واصبِروا » ، إذ ليس المراد بالانطلاق المشى ، بل انطــلاق ألسنتهم بهذا الكلام ، كما أنه ليس المراد بالمشى المتعارف ، بل الاستمرار على المشى .
وزعم الزمخشرى أن التى فى قوله[2]: « أنِ اتَّخِذِى من الجبالِ بُيوتًا » — مُفسرة . ورُد بأن قوله : « وأَوْحَى ربُّك إلى النَّحْل » ؛ والوحْىُ هنا إلهام باتفاق ، وليس فى الإلهام معنى القول ، وإنما هى مصدرية ؛ أى باتخاذ الجبال .

وألا يكون فى الجملة السابقة أحرف القول ؛ وذكر الزمخشرى فى قوله[3] : « ما قُلْتُ لَهُمْ إلا ما أَمَرْتَنِى به أنِ اعْبُدوا الله » — إنه يجوز أن تكون مفسرة بالقول على تأويله بالأمر ؛ أى ما أمرتهم إلا بما أمرتنى به أن اعبدوا الله .

قال ابن هشام[4] : وهو حسن . وعلى هذا فيقال فى الضابط : ألا يكون فيها حروف القول إلا والقول مؤوّل بغيره .

قلت : وهذا من الغرائب كونهم يشترطون أن يكون فيها معنى القول ، فإذا جاء لفظه أوّلوه بما فيه مع صريحه ، وهو نظير ما تقدم من جعلهم « ال » فى الآن زائدة مع قولهم بتضمنه معناها وألا يدخل عليها حرف جر .

الرابع : أن تكون زائدة ؛ والأكثر أن تقع بعد لمّا التوقيفية ؛ نحو[5] : « ولما أنْ جاءَتْ رسلُنا لوطا » . وزعم الأخفش أنها قد تنصب المضارع وهى زائدة ، وخرج عليه[6] : « ومالنا ألا نُقاتِلَ فى سبيل الله » . «[7] وما لنا ألا نتوكَّلَ على الله » ؛ قال : فهى زائدة ، بدليل[8] : وما لنا لا نؤمن بالله .

---

(١) ص : ٦
(٢) النحل : ٦٨ ، وانظر المغنى : ١ — ٣٠.
(٣) المائدة : ١١٧
(٤) المغنى : ١ — ٣٠
(٥) العنكبوت : ٣٣
(٦) البقرة : ٢٤٦
(٧) إبراهيم : ١٢
(٨) المائدة : ٨٤

الخامس : أن تكون شرطية كالمكسورة ، قاله الكوفيون ؛ وخرج عليه[1] : « أنْ تضِلّ إحداهما » . «[2] أن صَدُّوكُم عن المسجدِ الحرام » . «[3] صَفْحا أن كنتم قوما مُسرفين » . قال ابن هشام[4] : ويرجحه عندى توارُدهما على محل واحد . والأصل التوافق . وقد قرىء بالوجهين في الآيات المذكورة ؛ ودخول الفاء بعدها في قوله : « فتذكر » .

السادس : أن تكون نافية ، قاله بعضهم في قوله[5] : « أن يُؤتى أحَدٌ مثْلَ ما أوتيتم » ؛ أي لا يؤتى . والصحيح أنها مصدرية ؛ أي ولا تؤمنوا أن يؤتى ، أي بإيتاء أحد .

السابع : أن تكون للتعليل كإذ ؛ قاله بعضهم في قوله[6] : « بل عَجِبوا أنْ جاءَهم مُنْذِرٌ منهم » . «[7] يخرجُون الرسولَ وإيّاكم أنْ تُؤمنوا » . والصواب أنها مصدرية وقبلها لام التعليل مقدرة .

الثامن : أن تكون بمعنى لئلا ؛ قاله بعضهم في قوله[8] : « يُبَيِّنُ اللهُ لكم أن تَضِلُّوا » ، أي لئلا تضلوا . والصوابُ أنها مصدرية ، والتقدير كراهة أن تضلوا .

(إنّ) بالكسر والتشديد — على أوجه :

أحدها : التأكيد والتحقيق ، وهو الغالب ، نحو : « إن اللهَ غفورٌ رحيم » . «[9] إنا إليكم لَمُرْسلون » . قال عبد القاهر : والتأكيد بها أقوى

---

(1) البقرة : ٢٨٢ (2) المائدة : ٢ (3) الزخرف : ٥
(4) المغنى : ١ — ٣٣ (5) آل عمران : ٧٣ (6) ق : ٢
(7) الممتحنة : ١ (8) النساء : ١٧٦ (9) يس : ١٦
(١٠ — في إعجاز القرآن)

من التأكيد باللام . قال : وأكثر مواقعها بحسب الجواب لسؤال ظاهر أو مقدر إذا كان للسائل فيه ظن .

الثاني : التعليل ، أثبته ابن جنى وأهل البيان ، ومثلوه بنحو[1] : « واستغفِروا اللهَ إن اللهَ غفورٌ رحيم » . «[2] وصَلِّ عليهم إن صلاتَك سَكَنٌ لهم » . «[3] وما أُبَرِّىءُ نَفسِي إن النفسَ لأَمّارة بالسوء » — وهو نوع من التأكيد .

الثالث : معنى نعم ، أثبته الأكثرون ، وخرّج عليه قوم[4] : « إنَّ هذان لساحِرَان » .

(أنَّ) بالفتح والتشديد — على وجهين :

أحدهما : أن تكون حرف تأكيد . والأصحُّ أنها فرع المكسورة ، وأنها موصول حرفِيّ تؤوَّل مع اسمها وخبرها بالمصدر ؛ فإن كان الخبر مشتقا فالمصدرُ المؤول به من لفظه ؛ نحو[5] : « لِتعلَمُوا أنَّ اللهَ على كل شيء قَدِير » ؛ أي قدرته . وإن كان جامدا قُدِّر بالكَوْن .

وقد استشكل كونها للتأكيد بأنك لو صرحت بالمصدر المنسبك لم يُفِد توكيداً .

وأجيب بأن التأكيد للمصدر المنحل ؛ وبهذا لم يُفرق بينها وبين إن المكسورة ، لأن التأكيد فى المكسورة للإسناد ، وهذه لأحد الطرفين .

الثانى : أن تكون لغة فى لعل ؛ وخرج عليها[6] : « وما يُشْعِرُكمْ أنها إذا جاءت لا يُؤمنون » — فى قراءة الفتح ؛ أى لعلها .

---

(١) البقرة : ١١٩ — (٢) التوبة : ١٠٤ — (٣) يوسف : ٥٣

(٤) طه : ٦٣ — (٥) الطلاق : ١٢ — (٦) الأنعام : ١٠٩

(أنّى) اسم مشترك بين الاستفهام والشرط ؛ فأما الاستفهام فتردُ فيه بمعنى كيف ، نحو[1] : « أنّى يحْيي هذهِ اللهُ بعد موْتها » . «[2] فأنى يُؤْفكون » .

ومن أين ، نحو[3] : « أنّى لكِ هذا ؟ » . أى مِنْ أين . «[4] قُلتم أنى هذا » ؛ أى من أين جاءنا .

قال فى عروس الأفراح : والفرق بين أيْن ومِنْ أين أن أين سُؤال عن المكان الذى حلّ فيه الشيء . ومن أين سؤال عن المكان الذى برز منه الشيء ؛ وجعل من هذا المعنى ما قرىء شاذا[5] : « أنّى صَبَبْنا الماءَ صَبًّا »[6] .

وبمعنى متى ؛ وقد ذكرت المعانى الثلاثة فى قوله تعالى[7] : « فأْتُوا حَرْثَكم أنّى شِئْتم » ؛ فأخرج ابن جرير الأول من طريق ابن عباس ، وأخرج الثانى عن الربيع بن أنس واختاره ، وأخرج الثالث عن الضحاك ، وأخرج قولا رابعا عن ابن عمر وغيره : أنها بمعنى حيث شئتم .

واختار أبو حيان وغيره أنها فى الآية شرطية ، وحُذف جوابها لدلالة ما قبلها عليه ؛ لأنها لو كانت استفهامية لاكتفت بما بعدها كما هو شأن الاستفهامية أن يكتفى بما بعدها وأن[8] يكون كلاما يحسُن السكوت عليه أو اسما أو فعلا .

---

(١) البقرة : ٢٥٩ (٢) العنكبوت : ٦١ (٣) آل عمران : ٣٧

(٤) آل عمران : ١٦٥ (٥) عبس : ٢٤

(٦) أى من أين ؟ فيكون الوقف عند قوله : طعامه (البرهان : ٤ — ٢٤٩) .

(٧) البقرة : ٢٢٣

(٨) فى الإتقان : أى تكون كلاما يحسن السكوت عليه إن كان اسما أو فعلا .

(أو) حرف عطف ترد لمعان :

الشك من المتكلم ؛ نحو[1] : « قالوا لَبِثْنَا يوماً أو بعضَ يوم » .

والإبهام على السامع ؛ نحو[2] : « وإنّا أو إيّاكم لعَلَى هُدًى أو فى ضَلَالٍ مُبين » .

والتخيير بين المعطوفين بأن يمتنع الجمع بينهما .

والإباحة بألا يمتنع الجمع .

ومثّل الثانى بقوله تعالى[3] : « ولا عَلَى أَنفُسِكم أنْ تأكُلوا من بيوتكم أو بُيُوت آبائكم ... » الآية . ومثل الأول بقوله[4] : « ففِدْيَة من صيامٍ أو صدقةٍ أو نُسُك » . وقوله[5]: «فكفارتُه إطعامُ عشرةِ مساكين من أوْسَط ما تُطْعِمُون أهليكم أو كِسوَتُهم أو تحريرُ رَقَبة » .

واستشكل بأن الجمع فى الآيتين غير ممتنع .

وأجاب[6] ابن هشام بأنه ممتنع بالنسبة إلى وقوع كلٍّ كفارة أو فِدْية ، بل تقع واحدة منهن كفّارة أو فدية. والثانى[7] قربة مستقلة خارجة عن ذلك .

قلت : وأوضحُ من هذا التمثيل قوله[8] : « أن يُقتَّلوا أوْ يُصَلَّبُوا ... » الآية . على قول مَنْ جعل الخيرة فى ذلك إلى الإمام ، فإنه يمتنع عليه الجمعُ بين هذه الأمور ؛ بل يفعل منها واحداً يؤدى اجتهاده إليه .

والتفصيلُ بعد الإجمال ؛ نحو[9] : « وقالوا كُونوا هُوداً أو نَصَارى

---

(١) الكهف : ١٩ (٢) سبأ : ٢٤ (٣) النور : ٦١
(٤) البقرة : ١٩٦ (٥) المائدة : ٨٩ (٦) المغنى (١ – ٥٨).
(٧) فى المغنى : والباقى. (٨) المائدة : ٣٣ (٩) البقرة : ١٣٥

تهتدوا » . «[1] قالوا : ساحر أو مجنون » ؛ أى قال بعضهم كذا ، وقال بعضهم كذا .

والإضراب كبل ؛ وخرج عليه قوله[2] : « وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون » . «[3] فكان قاب قوسين أو أدنى » . وقراءة بعضهم[4] : « أوْ كلما عاهدوا عهداً » ـ بسكون الواو .

ومطلق الجمع كالواو ؛ نحو[5] : « لعله يتذكر أو يخشى » . «[6] لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا » .

والتقريب، ذكره الحريرى وأبو البقاء[7]، وجعلا منه[8]: «وما أمرُ الساعةِ إلا كلمح البصر أو هو أقربُ » .

وردّ بأن التقريب مستفاد من غيرها .

ومعنى إلا فى الاستثناء ، ومعنى إلى ، وهاتان يُنصب المضارع بعدهما بأن مضمرة ، وخرج عليه[9]: «لا جُناح عليكم إنْ طلقتم النساءَ ما لم تمسّوهنّ أو تفرضوا لهنّ فريضة » . فقيل : إنه منصوب لا مجزوم بالعطف على « تمسّوهن » ، لئلا يصير المعنى : لا جناح عليكم فيما يتعلق بمهور النساء إن طلقتموهنّ فى مدة انتفاء أحدِ هذين الأمرين ، مع أنه إذا انتفى الفرض دون المسيس لزم مهر المثل ، وإذا انتفى المسيس دون الفرض لزم نصفُ المسمّى ، فكيف يصح رفعُ الجناح عند انتفاء أحد الأمرين؟ ولأن المطلقات المفروض لهنّ

---

(1) الذاريات : ٣٩ (2) الصافات : ١٤٧ (3) النجم : ٩
(4) البقرة : ١٠٠ (5) طه : ٤٤ (6) طه : ١١٣
(7) فى إملاء ما من به الرحمن : ٢ ـ ٨٤
(8) النحل : ٧٧ (9) البقرة : ٢٣٦

قد ذُكر ثانيا بقوله : « وإنْ طلقتموهنّ . . . » الآية . وترك ذِكْر الممسوسات بما تقدم من المفهوم. ولو كان «تفرضوا» مجزوماً لكانت الممسوسات والمفروض لهن مستوياتٍ فى الذكر . وإذا قدرت « أو » بمعنى إلا خرجت المفروض لهن عن مشاركة الممسوسات فى الذِّكر ؛ وكذا إذا قدرت بمعنى « إلى » وتكون غاية لنفى الجناح لا لنفى المسيس .

وأجاب ابنُ الحاجب عن الأول بمنع كون المعنى مدّة انتفاء أحدهما ؛ بل مدة لم يكن واحد منهما ، وذلك ينفيهما جميعاً ؛ لأنه نكرة فى سياق النفى الصريح .

وأجاب بعضهم عن الثانى بأن ذِكرَ المفروض لهن إنما كان لتعيُّن النصف لهن لا لبيان أن لهن شيئاً فى الجملة .

ومما خرج على هذا المعنى قراءة أُبَىّ[1] : « تقاتلونهم أو يُسْلِمُون » .

تنبيهات

الأول : لم يذكر المتقدمون لِأَوْ هذه المعانى ؛ بل قالوا : هى لأحد الشيئين أو الأشياء .

قال ابن هشام[2] : وهو التحقيق؛ والمعانى المذكورة مستفادة من القرائن .

الثانى : قال أبو البقاء[3]: أو فى النهى نقيضة أو فى الإباحة ، فيجب اجتنابُ الأمرين ؛ كقوله[4] : « ولا تُطِعْ منهم آثما أو كَفُورا » ؛ فلا يجوز فعل

---

(١) الفتح : ١٦٢ (٢) المغنى : ١ — ٦٤

(٣) إملاء ما من به الرحمن : ١ — ١٤٩

(٤) الانسان : ٢٤

أحدهما ؛ فلو جمع بينهما كان فاعلا للمنهى عنه مرتين ؛ لأن كل واحد منهما كان منهيًا عنه لا أحدهما .

وقال غيره : « أو » فى هذا بمعنى الواو تفيد الجمع .

وقال الخطيبى[1] : الأولى أنها على بابها ؛ وإنما جاء التعميم فيها من النهى الذى فيه معنى النفى ؛ والنكرة فى سياق النفى تعمّ ؛ لأن المعنى قبل النهى : تطيع آثما أو كفورا ؛ أى واحداً منهما ، فإذا جاء النهى ورد على ما كان ثابتا ، فالمعنى لا تطع واحداً منهما ؛ فالتعميم فيها من جهة النفى ، وهى على بابها .

الثالث : لكَوْن[2] مبناها على عدم التشريك عاد الضمير إلى مفردها بالإفراد ، بخلاف الواو . وأما قوله[3] : « إنْ يكُنْ غنيًا أو فقيراً فاللهُ أولى بهما » ؛ فقيل إنها بمعنى الواو . وقيل المعنى إن يكن الخصمان غنيين أو فقيرين .

فائـــدة

أخرج ابنُ أبى حاتم عن ابن عباس ، قال : كل شىء فى القرآن فيه « أو » فهو مخيّر ، فإذا كان ممن لم يخير[4] فهو الأول فالأول .

وأخرج البيهقى فى سُننه عن ابن جريج . قال : كل شىء فى القرآن فيه «أو» فالتخيير إلا قوله[5] : « أن يقتَّلوا أو يُصَلَّبوا » ليس بمخيّر فيهما . قال الشافعى بهذا أقول .

---

(١) البرهان : ٤ — ٢١٣ والخطيبى : هو محمد بن مظفر . كان إماماً فى العلوم العقلية والنقلية ، شرح التلخيص وتوفى سنة ٧٤٥ (بغية الوعاة : ١٠٦) .

(٢) البرهان : ٤ — ٢١٢

(٣) النساء : ١٣٥

(٤) فى ب : فإذا كان « فمن لم يجد » .

(٥) المائدة : ٣٣

(أَوْلَى) في قوله[١]: « أَوْلَى لكَ فأَولى » . وفي قوله[٢]: « فأَوْلى لهم ».

قال في الصحاح : قولهم : أَوْلَى لك : كلمة تهدد ووعيد ؛ قال الشاعر[٣]:

* فأَوْلَى ثم أَوْلى ثم أَولى *

قال الأصمعي : معناه قاربه ما يهلكه ، أي نزل به .

قال الجوهري : ولم يقل أحد فيها أحسن مما قاله الأصمعي .

وقال قوم : هو اسم فعل مبني ، ومعناه أولى لك[٤] شر بعد شر ، ولك تبيين .

وقيل: هو عَلَمٌ للوعيد غير معروف ؛ ولهذا لم ينون ، وإن محله رفع على الابتداء ولك الخبر ، ووزنه على هذا فَعْلَى للإلحاق . وقيل افعل .

وقيل معناه الويل لك ، وإنه مقلوب منه . والأصل أويل ؛ فأُخِّرَ حرف العلة . ومنه قول الخنساء[٥] :

هَمَمْتُ بنفسي بعض[٦] الهموم   فأولى لِنَفْسِيَ أوْلى لها

وقيل معناه الذم لكَ أولى مِنْ تَرْكه ، فحذف المبتدأ لكثرة دورانه في الكلام .

وقيل المعنى أَنتَ أولى وأجدر بهذا العذاب ، كأنه يقول : قد وليت الهلاك ، أو قد دانيت الهلاك . وأصله من الوَلْيِ وهو القرب ؛ ومنه قوله تعالى[٧] : « قاتِلُوا الذين يَلُونَكُمْ من الكفار » ، أي يقربون منكم .

---

(١) القيامة : ٣٥ (٢) محمد : ٢٠
(٣) اللسان (ولى) غير منسوب . وعجزه : * وهل للدر يحلب من مرد *
(٤) في الإتقان : وليك. (٥) الديوان : ٧٣ (٦) في الديوان : كل الهموم
(٧) التوبة : ١٢٤

وقال النحاس : العرب تقول أَوْلَى لك ، أى كدتَ تهلك ، وكأنَّ تقديره أولى لك الهلكة .

(إِىْ) بالكسر والسكون — حرف جواب بمعنى نعم ، فتكون لتصديق المخبر ولإعلام المستخبر ، ولِوَعْدِ الطالب . قال النحاة : ولا تقع إلا قبل القسم .

قال ابن الحاجب : وإلا بعد الاستفهام ؛ نحو(1) : « ويَسْتَنْبِئُونَكَ أحقٌّ هو؟ قل إِى ورَبِّى » .

(أَىّ) بالفتح والتشديد — على أوجه :

الأول : أن تكون شرطية ؛ نحو(2) : « أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قضيْتُ فلا عُدْوَانَ » . «(3) أيًا ما تَدْعُوا فلَه الأسماءُ الحُسْنَى » .

الثانى : استفهامية ؛ نحو(4) : «أَيُّكُمْ زادَتْه هذه إيمانا» . وإنما يُسأل بها عما يميز أحدَ المتشاركين فى أمر يعمهما ؛ نحو(5) : « أىُّ الفريقين خَيْرٌ مَقَامًا » ؟ أنحن أم أصحاب محمد ؟

الثالث : موصولة ؛ نحو(6) : « لننزعنَّ من كل شيعةٍ أيهم أشدّ » .

وهى فى الأوجه الثلاثة معربة . وتبنى فى الوجه الثالث على الضم إذا حُذف عائدها وأُضيفت كالآية المذكورة . وأعربها الأخفش فى هذه الحالة أيضاً ، وخرّج عليه قراءة بعضهم بالنصب . وأول قراءة الضم على الحكاية ، وأوّلها غيره على التعليق للفعل . وأوّلها الزمخشرى على أنها خبر مبتدأ محذوف . وتقديرُ الكلام

---

(1) يونس : ٥٣ (2) القصص : ٢٨ (3) الإسراء : ١٢٠
(4) التوبة : ١٢٥ (5) مريم : ٧٣ (6) مريم : ٦٩

لننزعنّ بعض كلّ شيعة ، فكأنه قيل مَنْ هذا البعض ؟ فقيل : هو الذى بالمكر أشدّ ، فحذف المبتدآن ثم المكتنفان لأى .

وزعم ابن الطراوة على[1] أنها فى الآية مقطوعة عن الإضافة مبنية ، وأيهم[2] أشدّ مبتدأ وخبر .

ورُد برسم الضمير متصلا بأى ، وبالإجماع على إعرابها إذا لم تُضَفْ .

الرابع : أن تكون وصلة إلى نداء ما فيه أل ، نحو : يأيها الناس . يأيها النبى .

(إيّا) زعمَ الزَّجّاج أنه اسم ظاهر . والجمهور أنه ضمير . ثم اختلفوا فيه على أقوال :

أحدها : أنه كله ضمير هو وما اتصل به .

والثانى : أنه وحده ضمير ، وما بعده اسم مضاف له يفسّره ما يراد به من تكلّم أو غيبة أو خطاب ، نحو[3] : « فإيّاى فارْهَبون » . « [4] بل إياه تَدْعُون » . «[5] إياكَ نعبد » .

والثالث : أنه وَحْده ضمير وما بعده حروف تفسر المراد .

والرابع : أنه عماد وما بعده هو الضمير . وقد غلط من زعم أنه مشتق .

وفيه سبع لغات — وقرئ بها : تشديد الياء ، وتخفيفها مع الهمزة ، وإبدالها هاء مفتوحة ومكسورة . هذه ثمانية يسقط منها فتح الهاء مع التشديد .

---

(١) هكذا بالأصلين . (٢) فى الاتقان : وأن « هم أشد » مبتدأ وخبر .
(٣) النحل : ٥١ (٤) الأنعام : ٤١ (٥) الفاتحة : ٥

(أيّان) اسم استفهام ؛ وإنما يُستفهم به مع الزمان المستقبل ، كما جزم به ابن مالك وأبو حيان ، ولم يذكرا فيه خلافاً . وذكر صاحب إيضاح المعانى مجيئها الماضى .

وقال السكاكى : لا تستعمل إلا فى مواضع التفخيم وغيره . وقال بالأول من النحاة على بن عيسى الرَّبَعى ، وتبعه صاحب البسيط ، فقال : إنها تستعمل فى الاستفهام عن الشيء المعظّم أمره .

وفى الكشاف[1] : قيل إنها مشتقة من أىّ ، فَعْلان منه ، لأن معناه أى وقت؟ وأى فعل؟ من أويت إليه ، لأن البعض أوى إلى الكل ومتساند له ، وهو بعيد . وقيل أصله أى آن . وقيل أى أوان ، حذفت الهمزة من أوان والياء الثانية من أى ، وقلبت الواو ياء ، وأدغمت الياء الساكنة فيها . وقرىء بكسر همزتها .

(أيْنَ) اسم استفهام عن المكان ، نحو[2] : « فأين تَذْهَبُون » .

ويَرِد شرطاً عامّاً فى الأمكنة .

وأينما أعَمُّ منها ، نحو[3] : « أينما يُوَجِّهْه لا يَأْتِ بخير » .

---

(١) الكشاف : ١٤٣

(٢) التكوير : ٢٦

(٣) النحل : ٧٦

حرف الباء المفردة

(بَطَائِنها[1]) أى ظواهرها بالقبطية ؛ قاله الزركشى وابن شَيْذَلَة .

(بلاء) على ثلاثة معان : نِعْمة ، واختبار ، ومكروه ؛ ومنه : ابْتَلَى . ونبلُوكم .

(بارئكم) خالقكم . وإنما خص هنا اسم البارىء لأن فيه توبيخاً للذين عبدوا العِجْل ، كأنه يقول: كيف عبدتم غير الذى برأكم . وروى أن من لم يعبد العجل قَتَل مَنْ عبده حتى بلغ القتل سبعين ألفاً ، فعفا الله عنهم .

(باءُوا) انصرفوا بذلك . ولا يقال « باء » إلا بشرّ . ويقال باء بكذا إذا أقرّ به . والضمير فى هذه الآية راجع إلى بنى إسرائيل ؛ فتارة دعاهم بالملاطفة . وذِكْر الإنعام عليهم وعلى آبائهم ؛ وتارة بالتخفيف ، وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم ، وذِكْر العقوبات التى عاقبهم بها .

فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء ؛ وهى[2] : « إذْ أنجاكم من آل فرعون » . «[3] وإذْ فَرَقْنَا بكم البَحْرَ » . «[4] وبعثناكم من بعد موتكم » . «[5] وظَلّلْنا عليكمُ الغَمام وأنْزَلْنا عليكم المَنّ والسَّلْوَى » . «[6] وعفونا عنكم . فتاب[7] عليكم . ونغفر[8] لكم » . «[9] وآتَيْنَا مُوسى الكتابَ والفُرْقَان لعلكم تَهْتدون » . «[10] فانفجرت منه اثنتا عشرة عَيْناً » .

(١) فى سورة الرحمن : ٥٤ : بطائنها من استبرق . (٢) إبراهيم : ٦
(٣) البقرة : ٥٠ (٤) البقرة : ٥٦ (٥) البقرة : ٥٧
(٦) البقرة : ٥٢ (٧) البقرة : ٥٤ (٨) البقرة : ٥٨
(٩) البقرة : ٥٣ (١٠) البقرة : ٦٠

وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء ، قولهم[١] : « سمعنا وعصينا » . «[٢] ثم اتخذتم العجل » . وقولهم[٣] : « أرنا الله جهرة » . «[٤] فبدل الذين ظلموا » . «[٥] لن نصبر على طعام واحد » . ويحرفونه[٦] . «[٧] وتوليتم من بعد ذلك » . «[٨] وقست قلوبكم » . «[٩] وكفرهم بآيات الله » . «[١٠] وقتلهم الأنبياء بغير حق » .

وذكر من عقوبتهم عشرة أشياء : «[١١] ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله » . «[١٢] ويعطوا الجزية » . «[١٣] واقتلوا أنفسكم » . «[١٤] وكونوا قردة » . «[١٥] فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء » . «[١٦] وأخذتهم الصاعقة » . «[١٧] وحرمنا عليهم طيبات أحلت لهم » ؛

وهذا كله جزاء لآبائهم المتقدمين . وخوطب به المعاصرون لمولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد وبخ المعاصرون له توبيخاً آخر ؛ وهي عشرة : كتمانهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم مع معرفتهم به . ويحرفون[١٨] الكلم . ويقولون هذا من عند الله . وتقتلون أنفسكم . وتخرجون فريقاً من ديارهم . وحرصهم على الحياة وعداوتهم لجبريل . واتباعهم للسحر . وقولهم : « نحن أبناء الله وأحباؤه » . «[١٩] يد الله مغلولة » .

---

(١) البقرة : ٩٣ — (٢) البقرة : ٩٢ — (٣) النساء : ١٥٣
(٤) الأعراف : ١٦٢ — (٥) البقرة : ٦١ — (٦) البقرة : ٧٥
(٧) البقرة : ٦٤ — (٨) البقرة : ٧٤ — (٩) النساء : ١٥٥
(١٠) النساء : ١٥٥ — (١١) البقرة : ٦١ — (١٢) التوبة : ٢٩
(١٣) البقرة : ٥٤ — (١٤) البقرة : ٦٥ — (١٥) الأعراف : ١٦٢
(١٦) النساء : ١٥٢ — (١٧) النساء : ١٥٨ — (١٨) النساء : ٤٥
(١٩) المائدة : ٦٧

(بديع) : مخترع، وخالق .

(بثّ فيها) : أى فرّق .

(باغ) : طالب . وقوله[1] : « غير باغ ولا عادٍ » ؛ أى لا يبغى الميتة ؛ أى لا يطلبها وهو يجدُ غيرها ، ولا عادٍ فى تجاوزه على الشبع، ولهذا لم يُجز الشافعى الشبع من الميتة . وقال مالك : بل يشبع ويتزوّد ، فإن استغنى عنها طرحها ، ولم يرخص - فى رواية عنه - للعاصى بسفره أن يأكل الميتة . والمشهور عنه الترخيص له .

(باشِرُوهُنّ) : المشهور أنه كناية عن الجماع ، وسُمّى بذلك لمسّ البشرةِ البشرةَ ، والبشرة : ظاهر الجلدة . والأدمة : باطنها ، وفيها تحريمٌ للمباشرة حين الاعتكاف .

(بَسْطة) : أى سعة ، من قولك : بسطت الشىء إذا كان مجموعا ففتحته ووسعته ، ووصف فى آية[2] البقرة طالوت بزيادته على قومه زيادة علمه بالحروب وقيل بالعلم ، وكان أطول رجل يصل إلى منكبيه .

قال وهب بن منبه : أوحى الله إلى نبيهم إذا دخل عليك رجل نش الدهن الذى فى القرن[3] فهو ملكهم .

وقال السدى : أرسل الله إلى نبيهم اشمويل[4] ، وقيل شمعون ، وقال له : إذا دخل عليك رجل على طول هذه العصا فهو ملكهم ، فكان ذلك طالوت .

---

(١) البقرة : ١٧٣ (٢) آية ٢٤٧

(٣) نش : صوت ، والقرن - بالتحريك : الجعبة من جلود تكون مشقوقة ثم تخرز (وانظر القرطبى ٣ : ٢٤٦) .

(٤) والاشتقاق : ٤٣٦

وقوله فى الأعراف[1] : « وزادَكُمْ فى الخلق بَصْطَة » ؛ فمعناه طول قوم عاد كما قدمنا أنّ طول أحـــدهم مائة ذراع . وكان الظبى يبيض ويُفرخ فى عين أحدهم .

(بَكّة) هى مكة ، والباء بدل من الميم . وقيل : مكة الحرم كله ، وبَكة[2] المسجد وما حوله ؛ وسمِّيَتْ بذلك لاجتماع الناس فيها من كل أُفق .

وقيل : تمَكّكتُ العظم : أى اجتذبت ما فيه من المخ . وتمكك الفصيلُ ما فى ضَرْع الناقة ، فكأنها تجذب لنفسها ما فى البلاد من الأقوات ببركة دعاء إبراهيم . وقيل : إنها تمكّ الذنوب أى تذهبها . وقيل لقلة مائها ، لأنها فى بطن واد ، تمكك الماء من جبالها عند نزول المطر ، وتنجذب إليها السيول . وقيل الأصل[3] الباء ، ومأخذه من البكّ ، لأنها تبُكّ أعناق الجبابرة ، أى تكسرهم فيذلّون لها ويخضعون حُفاة عراة . وقيل من التباكّ وهو الازدحام ؛ لازدحام الناس فيها فى الطواف .

(بيِّنات) يعنى أن فى مكة آياتٍ كثيرة ، منها الحجر الذى هو مقام إبراهيم وهو الذى قام عليه حين رفع القواعد من البيت ، فكان كلما طال البناء ارتفع الحجر فى الهواء حتى أكمل البناء وغرقت قدم إبراهيم فى الحجر كأنها فى طين ، وذلك الأثر باق فى الحجر إلى اليوم .

ومنها أن الطير لا تعلوه . ومنها هلاك الفيل وردّ الجبابرة عنه ، ونَبْع زمزم لِهاجر أمّ إسماعيل بهمز[4] جبريل بعقبه . وحفر عبد المطلب لها بعد دثُور مائها ، وأن ماءها ينفع لما شُرِب له ، إلى غير ذلك .

---

(١) آية ٦٨ (٢) اللسان — بك . (٣) فى الإتقان : وقيل الباء أصل .
(٤) فوقها فى ب : بهز .

وكان أول مَنْ بنى المسجد الحرام آدم عليه السلام ، فجعل طوله خمسة وعشرين ذراعاً وعرْضه عشرين ، وحج إليه من الهند على قدميه سبعين حجة وقيل إنه دُفن فيه. ورُدّ بأن طوله ستون ذراعاً. فقيل: ما فضل منه فهو خارج عن البيت . وقيل : إنه دوّر بالبيت . وهذا فيه ضعف ؛ ثم بناه إبراهيم عليه السلام ثم العمالقة مِنْ بعده ، ثم قريش حين كان صلى الله عليه وسلم ينقل الحجر على عاتقه، وهو الذى وضع الحجر الأسود بتحكيم قريش عنده ، ثم بناه الحجاج بعد أن هَدَم بعضه عبد الله بن الزبير .

(بيّت) ؛ أى قدم رأيه بالليل ؛ ومنه قوله[1] : « فجاءها بَأْسُنا بَيَاتا » . وكذلك بيّتهم العدوّ.

(بَهِيمة) : كلّ ما كان من الحيوان غير ما يعقل. ويقال: البهيمة ما استُبهم من الجواب ، أى استغلق .

(بَحِيرة) : إذا نتجت الناقة خمسة أبطن فإن كان الخامس ذَكَراً نحرُوه ، فأكله الرِّجالُ والنساءُ ، وإن كان الخامس أنثى بحَرُوا أذنها ؛ أى شقُّوها ، وكانت حراماً على النساء لحمها ولبنها . فإذا ما ماتت حلّت للنساء .

ولما سأل قوم عن هذه الأمور التى كانت فى الجاهلية : هل تعظّم كتعظيم الكعبة والهَدْىَ ؟ أخبرهم الله أنه لم يجعل شيئاً لعباده من هذه البدائع التى كانت عندهم ؛ وإنما جعلوا الكفّار ذلك .

(بَغْتَة) ؛ أى فجأة ، وفيه تنبيه على الاستعداد لها والتفكر فى أمرها .

(بازغا) : طالعاً . والضمير فى الآية[2] يعود على القمر الذى رآه إبراهيم

---

(١) الأعراف : ٣ (٢) الأنعام : ٧٧

قبل البلوغ والتكليف ؛ وذلك أنْ أُمّه ولدَتْه في غارٍ خَوْفًا من نمرود ؛ إذ كان يقتل الأطفال ؛ لأن المنجمين أخبروه أن هلاكه على يد صبيّ .

ويحتمل أن يكون جرى له ذلك بعد بلوغه وتكليفه ، وأنه قال ذلك لقومه على وجه الرد عليهم والتوبيخ لهم ، وهذا أرجح ، لقوله بعد ذلك[1]: «إني بريءٌ مما تُشْرِكون» . ولا يتصور أن يقول ذلك وهو منفرد في الغار ، لأن ذلك يقتضي محاجّة وردا على قومه ، وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب ، فأراد أن يبيّن لهم الخطأ في دينهم ، ويُرْشِدهم إلى أن هذه الأشياء لا يصح أن يكون واحد منها إلهاً لقيام الدليل على حدوثها ، وأن الذى أحدثها ودبر طلوعها وغروبها وأُفُولها وانتقالها هو الواحد المنفرد .

فإن قلت : لم احتج بالأفول دون الطلوع ، وكلاهما دليل على الحدوث لأنهما انتقال من حال إلى حال ؟

قلت : الأفول أظهر في الدلالة ؛ لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب .

(بَيْنكم) : وَصْلكم . ومن قرأه[2] بالرفع أسند الفعل إلى الظَّرْف ، واستعمله استعمال الأسماء ، أو يكون البين بمعنى الفُرْقة ، أو بمعنى الوصل ، لأنه من الأضداد . ومن قرأه بالنصب فالفاعل مصدر الفعل ، أو محذوف تقديره تقطّع الاتصال بينكم .

(بَصَائر[3]) ، جمع بَصيرة ، وهي نور القلب . والبصَر نور العين ، وهذا الكلام على لسان النبي صلى الله عليه وسلم لقوله[3] : « وما أنا عليكم بحَفِيظ » .

---

(١) الأنعام : ٧٧
(٢) الأنعام : ٩٤ : لقد تقطع بينكم ..
(٣) الأنعام : ١٠٤

(بَوَّأَكُم[1]) : أنزلكم، والضمير لقوم صالح، وكانت أرضهم بين الحجاز والشام، وقد دخلها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقال لهم : لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا وأنتم باكون مخافةَ أن يُصيبكم مثلُ الذى أصابهم .

(بأسا) : شدة . ويقال أيضاً : بؤس، أى فقر وسوء حال .

(بَنان) : أصابع، واحدتها بنانة .

(براءة) : خروج من الشىء ومفارقته . والمراد التبرّى من المشركين .

(بَوَّأنا) ، أى أنزلنا[2] . والمراد أن الله أنزل بنى إسرائيل منزلا حسنا، وهو مصر والشام . ويقال جعلناهم مُبَوَّأً، وهو المنزل الملزوم .

(بادىء الرأى) : أى أول[3] الرأى من غير نظر ولا تدبر . وبادىء منصوب على الظرفية ، أصله وقت حدوث أول رأيهم . والعامل فيه اتبعوك على أصحّ الأقوال . والمعنى اتبعك الأراذل ، وإنما وصفوهم بذلك لفقرهم جهلًا منهم ، واعتقاداً أن الشرف بالمال والجاه ؛ وليس الأمر كما اعتقدوا ، بل المؤمنون كانوا أشرفَ منهم على حال فقرهم وخمولهم فى الدنيا ، وهذه عادةُ الله فى أتباع الرسل؛ لا يتبعهم إلا الضعفاء ، لأن المال يُورِثُ التجبّر على الله ورُسله .

وقيل : إنهم كانوا حاكَة ونجّامين .

واختار ابنُ عطية أنهم أرادوا أنهم أرذالٌ فى أفعالهم ؛ لقول نوح : وما علمى بما كانوا يعملون . ويحتمل أن يكون بادى الرأى بغير همز ، أى ظاهر الرأى ، أى ظهر لهؤلاء صلاح رأيهم فتمسّكوا بهم .

---

(١) [illegible] ٧٤ (٢) يونس : ٩٣ (٣) هود : ٢٧

(بَعْلا) : ربًّا ، بلغة اليمن . وأما قوله فى الصافات[1]: «أَتَدْعُونَ بَعْلاً» ، فهو اسم صنم كان لقوم الياس .

وروى البخارى عن ابن عباس قال : ودّ ، وسُوَاع ، ويغوث ، ويَعُوق ، ونَسْرا ، وبعلا ، أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبُوا[2] فى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابا ، وسمّوها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تُعْبد ، حتى إذا هلك أولئك وتفسخ العلم عبدت .

(بَعير) قال مقاتل : هو كل ما يحمل عليه بالعبرانية . وأخرج البزار عن مجاهد فى قوله[3] : «كَيْل بَعير» ، أى كيل حمار على وجه الجمل .

(بَقِيَّة الله[4]) ، أى ما أبقاه الله لكم من الحلال فلا تحرّمه عليكم ، فيه مقنع ورضا عن الحرام .

(بَعِدَت) ، أى هلكت . والضمير يعود[5] على قوم صالح .

(بَخْس) : نُقصان ؛ وإنما نهاهم عن البخس لأنهم كانوا ينقصون فى الكيل والوَزْن ، فبعث الله شعيبا لينهاهم عن ذلك .

(بَثّى) : أى شدّة حُزْنى ، وإنما ردّ يعقوب شكواه إلى الله لتفنيدهم ، أى إنما أشكو إلى الله لا لكم ولا لغيركم . والحزن : أشدُّ الهمّ .

فالمعنى أنه لا يصبر عليه صاحبه حتى يشكوه .

(بَصِيرة) : إشارة إلى شريعة الإسلام ، أى أدعو الناس إلى عبادة الله وأنا على بصيرة من أمرى وحُجّةٍ واضحة .

---

(١) الصافات : ١٢٥

(٢) كل ما رفع واستقبل به شىء فقد نصب (القاموس) .

(٣) يوسف : ٦٥ (٤) هود : ٨٦ (٥) هود : ٩٥

(بشير) المراد به فى قصة يوسف يهوذا ، لأنه الذى جاء بقميص الدم ، فقال لإخوته : إنى ذهبت إليه بقميص الترحة ، فدعونى أذهب إليه بالفرحة ، وهو من البشارة والإعلام بالخير قبل وروده . وقد تكون للشر إذا ذكر معها ، كقوله : فبشرهم بعذاب أليم — تهكما بهم . ويجوز فى الفعل التشديد والتخفيف. ومنه المبشر و البشير ، واستبشر بالشىء إذا فرح به .

(بعثناهم) : أحييناهم من قبورهم . ويقال : بعث الرسل إلى قومهم ساروا إليهم .

(الباقيات الصالحات[1]) : هى سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . هذا قول الجمهور .

وقد روى فى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم . وقيل الصلوات الخمس . وقيل الأعمال الصالحة على الإطلاق .

(بارزة[2]) : ظاهرة لزوال الجبال عنها ، فليس فيها ظل ولا فىء ، وقد وصفها صلى الله عليه وسلم فى الحديث كقرصة النقى ليس فيها علم لأحد ، ويقال للأرض الظاهرة البراز .

(بغيا) البغى : المرأة المجاهرة بالزنى ، ووزن بغى فعول . ومنه[3] : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء » . وكان لعبد الله بن أبى بن سلول جاريتان ، فكان يأمرهما بالزنى لتكتسبا ويولد لهما ، ويضربهما على ذلك ، فشكتا للنبى صلى الله عليه وسلم ، فنزلت الآية فيه وفيمن فعل مثل فعله .

(بهيج) : حسن ، أى يبهج من يراه ويسره . والبهجة السرور أيضاً .

---

(١) مريم : ٧٦ (٢) الكهف : ٤٨ (٣) النور : ٣٣

(بيت عَتِيق) : المراد بالبيت[1] المسجد الحرام ، وسُمِّي عتيقاً لأنه أقدم ما في الأرض ولم يملك . وقيل إن الله يعتق من دخله من النار إذا توفاهم على توحيده وما عليه نبيه صلى الله عليه وسلم . وقيل العتيق : الكريم ، كقولهم فَرَسٌ عَتِيق .

(بَادٍ) : أي قادم عليه . والمعنى أن الناس سواء في المسجد الحرام ، فيجوز للقادم أن ينزل منها حيث شاء ، وليس لأحد فيها ملك .

(بَرْزَخ [2]) : أي حاجز . والمراد به مكان المؤمنين في المدة التي بين الموت والقيامة ، وهي تحول بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا . وأما قوله في الفرقان[3] : « وجعل بينهما بَرْزَخاً » ، أي فاصلا يفصل ما بينهما من الأرض بحيث لا يختلطان . وقيل هو البرزخ يعلمه الله ولا يراه البشر .

(بَغَى عليهم[4]) : تكبّر وطغَى . والضمير لقارون ؛ وذلك أنه كفَر بموسى للمال الذي أعطاه الله ، فدعا عليه فخسف الله به وبداره الأرض لئلا تقول بنو إسرائيل إنما دعا عليه ليرث ماله ، لأنه كان ابن عمِّ موسى ، وقيل عمه .

(بَيض مكنون) شبّه[5] الجوارى بالبَيْض بياضاً وملاسة وصفاءَ لون ، وهي أحسن منه ، وإنما وقع التشبيه بلون قشر البيضة الداخلي ، وهو المكنون ؛ أي المصُون تحت القشر الأول .

(بَطْشة) أخذه بشدة ، والمراد بها في آية[6] الدخان يوم بَدْر . وقال ابن عباس : هي يوم القيامة .

---

(١) في سورة الحج ٣٣ : إلى البيت العتيق .
(٢) الرحمن : ٢٠ (٣) الفرقان : ٥٣ (٤) القصص : ٧٦
(٥) الصافات : ٤٩ (٦) الدخان : ١٦

(بَدْر) : قرية قرب المدينة .

وأخرج ابن جرير عن الشعبي قال : كانت بدر لرجل من جُهينة يسمى بدراً فسُمِّيَتْ به .

قال الواقدي : فذُكر ذلك لعبد الله بن جعفر ومحمد بن صالح فأنْكرا ذلك ، وقالا : فلأي شيء سُميت الصفراء[1] ورابغ . هذا ليس بشيء ، إنما هو اسم الموضع .

وأخرج الضحاك قال : بَدْر ماء بين مكة والمدينة .

(البيت المعمور[2]) : بيت في السماء الرابعة حِيال الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ولا يعودون إليه ، وبهذا عُمْرانه .

وقيل البيت المعمور الكعبة ، وعمرانها بالحجاج والطائفين ، فلا يخلو منهما أبداً إن لم تكن من البشر كانت من الملائكة .

والأولُ قول عليّ وابن عباس .

(بَرِقَ البصر[3]) بفتح الراء ، معناه لمع وصار له بريق . وقرىء بكسر الراء ، ومعناه تحيَّر من الفزع . وقيل معناه شخص ، فيتقارب معنى الفتح والكسر .

وهذا إخبارٌ عن يوم القيامة . وقيل عن حالة الموت ؛ وهذا خطأ ؛ لأن القمرَ لا يُخْسَف عند موت أحد ، ولا يجمع بينه وبين الشمس .

---

(١) الاتقان : ٤ ـ ٧٣ (٢) الطور : ٤

(٣) القيامة : ٧

(بَاسِرة[1]) : متكرهة ، أي تظهر عليها الكراهة ، والبسور أشدُّ من العبوس .

(بَرْداً[2]) ، أي نوماً . وليس بصحيح ، وإنما هو البرد ؛ يعني أنهم لا يذوقون فيها برودة تخفِّف عنهم حرَّ النار . وقيل : لا يذوقون ماءً بارداً .

(البلد الأمين[3]) ، هو مكة باتِّفاق . والأمين من الأمانة ، أو من الأَمْن لقوله : اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً . وقوله[4] : « أَوَ لَمْ نُمَكِّن لهم حَرَماً آمِناً » ؛ أي لا يُغَارُ عليه .

(بريَّة[5]) خلق . مأخوذ مِنْ برأ اللهُ الخَلْق ، فترك همزها . ومنهم مَنْ يجعلها من البَرَى ، وهو التراب لخلق آدم عليه السلام من التراب . وتخفيف الهمز أكثر استعمالا عند العرب .

(بَصِيرة) من البصر ، يقال أبصرته وبصرت به . والبصائر : البراهين ، جمع بَصِيرة . وقوله[6] : « بل الإنسانُ عَلَى نَفْسِه بَصِيرة » ، أي من الإنسان على نفسه عَيْن بصيرة ، أي جوارحُه يشهدن عليه بجميع عمله .

وقيل معناه الإنسان بصير على نَفْسه . والهاء دخلت للمبالغة كما دخلت في عَلّامة ونَسّابة .

ونحو ذلك مُبْلسون[7] جمع مُبْلس ، وهو البائس ، وقيل الساكت الذي انقطعت حجَّته . وقيل الحزين النادم . ومنه يبلس ؛ ومنه اشتقّ إبليس .

---

(١) القيامة : ٢٤ (٢) عم : ٢٤ (٣) التين : ٣
(٤) القصص : ٥٧ (٥) البينة : ٦ ، ٧ (٦) القيامة : ١٤
(٧) الأنعام : ٤٤

(بات) معروف ، ومصدره بَيات .

(بُكْمٌ): خُرْس. والضمير راجع للمنافقين ، وليس المراد به فَقْد الحواس ، وإنما هذه الأوصاف مجاز عبارة عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وكلامهم .

(برهانكم) : حجّتكم؛ وإنما طلب منهم الحجةَ على وجه التعجيز والرد عليهم. يقال : بَرْهَن على الشيء إذا بيّنه بحجة .

(فبُهِتَ[1] الذى كفر) : أى انقطع وقامت عليه الحجة . والضمير يعود على نمرود .

فإن قيل : لم انتقل إبراهيم عن الدليل الأول من الإحياء والإماتة إلى الثانى، والانتقالُ علامة الانقطاع ؟

فالجواب أنه لم ينقطع ، ولكنه لما ذكر الدليل الأول وهو الإحياء كان له حقيقةٌ ، وهو فعل الله؛ ومجاز وهو فعل غيره ؛ فتعلق نمرود بالمجاز غلطا منه أو مغالطة ؛ فحينئذ انتقل إبراهيم إلى الدليل الثانى ؛ لأنه لا مجاز له ، ولا يمكن الكافر عدول عنه .

(بُروج) : حصون ، واحدها بُرْج . وبروج السماء من الشمس والقمر ، وهى اثنا عشر برجاً تقطعها الشمس فى سنة . وقيل هى النجوم العظام ؛ لأنها تتبرّج أى تَظْهر .

(بُوراً): هَلْكَى .

(بُكِيًّا[2]) جمع باك ، ووزنه فعول ، فأدغمت الواو فى الياء وكسرت الكاف فصارت بكيا .

---

(١) البقرة : ٢٥٨ (٢) مريم : ٥٨

(بُدْن) : جمع بَدَنة ، وهى ما جعل فى الأضحى للنّذْر والنّحر وأشباه ذلك؛ فإذا كانت للنحر على كل حال فهى جزور .

(بُسّت الجبَال[1]) ، أى فُتّتَتْ . وقيل سُيِّرَتْ حتى صارت كالدقيق والسويق المبسوس ، أى المبلول .

(بُنْيَان مرصوص[2]) لاصق بعضه ببعض لا يغادر منه شىءٌ منه شيئاً ، ولا يبعد أن يكون هذا أصل اللفظة .

(بِرّ)، ومنه . «ولـكن البِرّ مَنْ آمن بالله» . فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه .

(بطانَة) : دخلا . وبطانة الرجل أهل سِرّه ممن يسكن إليه ويثق بموَدّته . ومعنى[3] الآية نهى عن استخلاص الـكفار وموالاتهم .

وقيل لعُمر رضى الله عنه إن هنا رجلا من النصارى لا أحد أحسن خطًّا منه؛ أفلا يكتب عنك ؟ فقال : إذاً أتّخِذُ بطانةً من دون المؤمنين .

(بِدَاراً) أن يكبروا[4] : معناه مبادرة لـكبرهم ؛ يعنى أن الوصى يستغنم أكل مال اليتيم قبل أن يكبر .

وموضع أن يكبروا نصب على المفعولية ببدارا ، أو على المفعول من أجله تقديره مخافة أن يكبروا .

(بضاعة) : قطعة من المال يُتَجّر فيها .

(بِضْعَ سنين) : من الثـــلاثة إلى العشرة . وقيل إلى التسعة . وقيل إلى السبعة .

---

(١) الواقعة : ٥ (٢) الصف : ٤ (٣) آل عمران : ١١٨
(٤) النساء : ٥

وروى أن يوسف عليه السلام سُجن خمس سنين أولا ، ثم سُجن بعد قوله ذلك سبع سنين .

(بِيَع) : جمع بِيعة النصارى ، وهى كنائسهم .

قال الجواليقى فى كتاب المعرب[1] : البِيعة والكنيسة جعلهما بعض العلماء فارسيين معربين .

والمعنى لولا دفاعُ الله لاستولى الكفار على أهل الملل المتقدمة فى أزمانهم، ولاستولى المشركون على هذه الأمة فهَدَموا مواضع عبادتهم .

(بِدْعاً) من الرُّسل . البديع من الأشياء : ما لم يُرَ مثله ؛ أى ما كنتُ أولَ رسول ولا جئتُ بأمر لم يجىء به أحد قبلى ؛ بل جئتُ بما جاء به قبلى ناس كثيرون ، فلأى شىء تنكرون علىّ ؟

(الباء حرف جر) ، له معان :

أولا : الإلصاق ، ولم يذكر له سيبويه غيره . وقيل : إنه لا يفارقها ؛ قال فى شرح اللب[2]: وهو تعلقُ أحد المعنيين بالآخر . ثم قد يكون حقيقة نحو[3]: «وامسحوا برءُوسكم » ؛ أى ألصقوا المسح برءوسكم . «[4] فامْسَحُوا بوجوهكم وأيديكم منه » . وقد يكون مَجازاً ؛ نحو[5] : « وإذا مرُّوا بهم يتَغَامَزُون » ؛ أى بمكان يقربون منه .

الثانى : التعدية كالهمزة ؛ نحو[6] : « ذهب الله بِنورِهم » . «[7] ولو شاء الله لذهب بِسَمْعِهم » ؛ أى أذهبه ، كما قال[8] : « ليُذْهِبَ عنكم الرجْسَ » .

---

(١) المعرب : ٨١ — (٢) هذا فى ا ، ب ، والاتقان .
(٣) المائدة : ٧ — (٤) المائدة : ٦ — (٥) المطففين : ٣٠
(٦) البقرة : ١٧ — (٧) البقرة : ٢٠ — (٨) الأحزاب : ٣٣

وذهب المبرد والسهيلى أن بين تعدية الباء والهمزة فرقاً ، وأنك إذا قلت ذهبت بزيد كنت مصاحباً له فى الذهاب . وردّ فى الآية .

الثالث : الاستعانة ، وهى الداخلة على آلة الفعل ، كباء البسملة .

الرابع : السببيّة ؛ وهى التى تدخل على سبب الفعل ، نحو[1] : « فكلًّا أخذنا بذنبه » . «[2] ظلمتم أنفسكم باتّخاذكم العجل » . ويعبّر عنها أيضاً بالتعليل .

الخامس : المصاحبة ، كمع ؛ نحو[3] : « اهبط بسلام » . «[4] جاءكم الرسولُ بالحق » . «[5] فسبّح بحمد ربّك » .

السادس : الظرفية ، كفى زماناً ومكاناً ؛ نحو[6] : « نجيناهم بسَحَر » . «[7] نصركم اللهُ ببدْر » .

السابع : الاستعلاء كعلى ، نحو[8] : « إنْ تأمنه بقنطار » ، أى عليه .

الثامن : المجاوزة كعن ، نحو[9] : « فاسْأَلْ به خبيراً » ، أى عنه ، بدليل : يسألون عن أنبائكم . ثم قيل : تختصُّ بالسؤال . وقيل لا ، نحو[10] : « يسعى نورُهم بين أيديهم وبأيمانهم » ، أى وعن أيمانهم . «[11] ويوم تشقّق السماء بالغمام » ؛ أى عنه .

---

(١) العنكبوت : ٤٠ (٢) البقرة : ٥٤ (٣) هود : ٤٨
(٤) النساء : ١٦٩ (٥) النصر : ٣ (٦) القمر : ٣٤
(٧) آل عمران : ١٢٣ (٨) آل عمران : ٧٥ (٩) الفرقان : ٥٩
(١٠) الحديد : ١٢ (١١) الفرقان : ٢٥

التاسع : التبعيض كمِنْ ، نحو[1] : « عَيْناً يَشْرَبُ بها عبادُ الله » ، أى منها .

العاشر : الغاية كإلى ، نحو[2] : « وقد أحسن بى » ، أى إلىّ .

الحادى عشر : المقابلة ، وهى الداخلة على الأعواض ، نحو[3] : « ادْخُلُوا الجنةَ بما كُنْتم تعملون » . وإنما لم نقدِّرها بالسببية كما قالت المعتزلة ، لأن المعطى بعَوض قد يُعطى مجاناً . وأما المسبَّب فلا يوجد بدون السبب .

الثانى عشر : التوكيد ، وهى الزائدة، فتزاد فى الفاعل وجوباً ؛ نحو[4] : « أَسْمِعْ بهم وأَبصر » . وجوازاً غالباً ، نحو[5] : « وكَفَى بالله شَهِيداً » ؛ فإنّ الاسم الكريم فاعل ، وشهيداً نصب على الحال أو التمييز ، والباء زائدة ؛ ودخلت لتأكيد الاتصال ، لأن الاسم فى قوله : « كفى بالله » — متصل بالفعل اتصالَ الفاعل .

قال ابن الشَّجَرى : وفعل ذلك إيذاناً بأنّ الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره فى عُظْم المنزلة ، فضوعف لفظها لتضاعف معناها .

وقال الزجاج : دخلت لتضمّن كفى معنى اكتفى .

قال ابن هشام[6] : وهو من الحُسْنِ بمكان .

وقيل : الفاعل مقدّر . والتقدير كفى الاكتفاء بالله ، فحُذف المصدر وبقى معموله دالاً عليه ، ولا تُزَاد فى فاعل كفى بمعنى وقى ، نحو[7] : « فسيكفيكهم الله » . «[8] وكفى اللهُ المؤمنين القتال » .

(١) الدهر : ٦ (٢) يوسف : ١٠٠ (٣) النحل : ٣٢
(٤) مريم : ٣٨ (٥) النساء : ٧٨ (٦) المغنى : ١ — ٩٧
(٧) البقرة : ١٣٧ (٨) الأحزاب : ٢٥

وفى المفعول ؛ نحو[1]: « ولا تُلقُوا بأيديكم إلى التَّهْلُكة » . «[2]وهُزِّى إليك بجِذْعِ النخلة » . «[3] فَلْيَمْدُدْ بسببٍ إلى السماء » . «[4]ومَنْ يُرِدْ فيه بإلْحادٍ » .

وفى المبتدأ ، نحو[5] : « بأيِّكُمُ المَفتُون » ، أى أيكم . وقيــل : هى ظرفية ، أى فى أى طائفة منكم .

وفى اسم ليس فى قراءة بعضهم[6] : « وليس البِرَّ بأن تأتوا » — بنصب البر .

وفى الخبر المنفى ؛ نحو[7] : « وما الله بغافِلٍ » . قيل : والموجَب ، وخرّج عليه : « جزاء سيئة بمثلها » .

وفى التوكيد ، وجعل منه[8] : « يتربَّصْنَ بأنفُسِهنَّ » .

فائــــدة

اختلف فى الباء من قوله[9] : « وامسحوا برُءوسكم » ، فقيل للإلصاق . وقيل للتبعيض . وقيل زائدة . وقيل للاستعانة ؛ وإن فى الكلام حذفاً وقلباً ، فإن مسح يتعدّى إلى المزال عنه بنفسه وإلى المزيل بالباء ، فالأصل امسحوا رءوسكم بالماء .

(بل) : حرف إضراب إذا تلاها جملة . ثم تارة يكون معنى الإضراب

(١) البقرة : ١٩٥ (٢) مريم : ٢٤ (٣) الحج : ١٥
(٤) الحج : ٢٥ (٥) ن : ٦ (٦) البقرة : ١٨٩
(٧) آل عمران : ٩٩ (٨) البقرة : ٢٢٨ (٩) المائدة : ٦

الإبطال لما قبلها، نحو[1]: « وقالوا اتَّخَذَ الرحمنُ وَلدا سبحانه بل عِبَادٌ مُكْرَمُون »، أي هم عباد مُكرَمُون . «[2]أم يقولون به جِنّةٌ بل جاءهم بالحق ».

وتارة يكون معناها الانتقال من غرض إلى آخر؛ نحو[1]: « ولدينا كتابٌ يَنْطِقُ بالحقِّ وهم لا يظلمون . بل قلوبُهم في غَمْرةٍ من هذا ». فما قبل « بل » فيه على حاله . وكذا قوله[4]: « قد أفلح مَنْ تَزَكَّى وذكر اسم ربه فصلّى . بل تؤثرون الحياةَ الدنيا ».

وذكر ابنُ مالك فى شرح كافيته أنها لا تقع فى القرآن إلا على هذا الوجه . ووهمه ابن هشام[5]. وسبق ابن مالك إلى ذكر ذلك صاحبُ البسيط، ووافقه ابن الحاجب، فقال فى شرح المفصل: إبطال الأول وإثبات الثانى إن كانت فى الإثبات من باب الغلط، فلا يقع مثله فى القرآن.

أما إذا تلاها مفرد فهى حرف عطف ولم يقع فى القرآن كذلك .

(بلى) : حرف أصلى الألف . وقيل : الأصل بل، والألف زائدة . وقيل هى للتأنيث بدليل إمالتها .

ولها موضعان : أحدهما أن تكون ردًّا لنفْيٍ يقع قبلها، نحو[6]: «ما كنّا نَعْمَلُ مِنْ سوءٍ بلى »، أى عملتم السوء . «[7] لا يبعثُ اللهُ مَنْ يموت بلى »، أى يبعثهم . «[8] زعم الذين كفروا أنْ لَنْ يُبْعَثُوا . قل بلى وربى لتبعَثُنّ ». «[9] قالوا : ليس علينا فى الأُمّيِّين سَبِيل ». ثم قال : « بلى » ؛ أى عليهم

(١) الأنبياء : ٢٦ (٢) المؤمنون : ٧١ (٣) المؤمنون : ٦٣، ٦٤ .
(٤) الأعلى : ١٤ (٥) المغنى : ١ — ١١٠ (٦) النحل : ٢٨
(٧) النحل : ٣٨ (٨) التغابن : ٧ (٩) آل عمران : ٧٥

سبيل . «[1] وقالوا لَنْ يَدْخُلَ الجنةَ إلا مَنْ كان هُوداً أو نصارى » ، ثم قال : « بلى » ، أى يدخلها غيرهم . «[2] وقالوا لن تَمَسَّنَا النارُ إلا أياماً معدودة » . ثم قال : « بلى » ، أى تمسّهم ويخلدون فيها .

الثانى : أن تقع جواباً لاستفهام دخل على نفى فتفيد إبطاله . سواء كان الاستفهام حقيقة ، نحو : أليس زيد بقائم ؟ فتقول : بلى . أو توبيخاً ، نحو[3] : « أم يَحْسَبُون أنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهم ونَجْوَاهم ، بلى » . «[4] أيحسب الإنسانُ أنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامه . بلى » .

أو تقريرياً ، نحو[5] : « أَلَسْتُ بِرَبِّكم قالوا بلى » . قال ابن عباس وغيره : لو قالوا : نعم ... كفروا ، ووجهه أن « نعم » تصديق للخبر بنفى أو إيجاب ، فكأنهم قالوا : لست ربنا ؛ بخلاف بلى ؛ فإنها لإبطال النفى ، فالتقدير أنت ربُّنا .

ونازع فى ذلك السهيلى وغيره بأن الاستفهام التقريرى خبر موجَب ، ولذلك منع سيبويه مَنْ جعل أم متصلة فى قوله[6] : « أفلا تبصرون أم أنا خير » ؛ لأنها لا تقع بعد الإيجاب . وإذا ثبت أنه إيجاب فنعم بعد الإيجاب تصديق له .

قال ابن هشام[7] : ويُشْكِل عليه أن « بلى » لا يُجاب بها عن الإيجاب اتفاقاً .

(بئس) : لإنشاء الذم لا يتصرّف . وقرىء بالهمز وتركه . وقرىء على وزن فِعل وعلى وزن فيعيل ، وكلها من معنى البؤس .

---

(١) البقرة : ١١١ (٢) البقرة : ٨٠ (٣) الزخرف : ٨٠
(٤) القيامة : ٣ ، ٤ (٥) الأعراف : ٣ (٦) الزخرف : ٥١
(٧) مغنى : ١ — ١٠٢

(بين) : قال الراغب[١] : موضوع للخَلَل[٢] بين الشيئين ووسطهما . قال تعالى[٣] : « وجعلنا بينهما زَرْعا » ، وذلك أن أخوين من بنى إسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر وَرِثا مالا فاشترى الكافر بماله جنتَيْن ، وأنفق المُؤْمِنُ ماله فى طاعة الله حتى افتقر ، فيعـــيره الكافر بفقره فأهلك الله مالَ الكافر .

وتارة تُستعمل « بين » ظرفاً ، وتارة اسماً ، فمن الظرف[٤] : « لا تُقَدِّموا بَيْنَ يَدَيِ الله » . «[٥] فقدّموا بين يَدَىْ نَجْواكُمْ صَدَقة » . «[٦] فاحْكُمْ بيننا بالحقّ » .

ولا تستعمل إلا فيما له مسافة نحو : بين البلدان ، أوله عددٌ ما اثنانِ فصاعدا ؛ نحو : بين الرجلَيْن ، وبين القوم .

ولا تضافُ إلى ما يقتضى معنى الوحدة إلا إذا كرّر ؛ نحو[٧] : « ومِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ » . وقرى قوله تعالى[٨] : « لقد تقطّع بينكُمْ » بالنصب على الظرف ، وبالرفع على أنه مصدر .

---

(١) المفردات : ٦٧ (٢) فى المفردات : الخلالة ...
(٣) الكهف : ٣٢ (٤) الحجرات : ١ (٥) المجادلة : ١٢
(٧) ص : ٢٢ (٧) الأنعام ٩٤ (٨) فصلت : ٥

فهرس القسم الأول (*)

(*) هذا فهرس لوجوه الإعجاز التي وردت في هذا الجزء، أما الفهارس الفنية المتنوعة للكتاب كله فوضعها آخر الكتاب إن شاء الله .

تم القسم الأول

ويليه القسم الثاني ، وأوله حرف التاء المثناة